رسائل

الشعائر الحسينيّة

رسالة الصولة للسيّد مهدي القزويني

ورسالة التنزيه للسيّد محسن الأمين

والرسائل المؤيّدة والمعارضة لهما

رسائل
الشعائر الحسينيّة

رسالة الصولة للسيّد مهدي القزويني

ورسالة التنزيه للسيّد محسن الأمين

والرسائل المؤيّدة والمعارضة لهما

تأليف

مجموعة من العلماء

جمعها وحقّقها وعلّق عليها

الشيخ محمّد الحسّون

الجزء العاشر

رسائل الشعائر الحسينيّة (الجزء العاشر)

الشيخ محمّد الحسّون

منشورات دليل ما

الطبعة الأولى: ١٤٤١ هـ. ق - ٢٠١٩ م

عدد النسخ: ٥٠٠ نسخة

المطبعة: نگارش

شابك (ج١٠) : ٨ - ١٢١ - ٤٤٢ - ٦٠٠ - ٩٧٨

شابك (الدورة) : ٩ - ١١١ - ٤٤٢ - ٦٠٠ - ٩٧٨

الهاتف و الفكس: ٣٧٧٤٤٩٨٨ - ٣٧٧٣٣٤١٣ (٩٨٢٥+)

العنوان: ايران، قم، شارع معلم، بناية الناشرين، الطابق السادس، رقم ٦١٢ و ٦١٣

(للتواصل معنا) Info@dalilema.ir | www.dalilema.ir

المعارض

قم . شارع معلم . بناية الناشرين . الطابق B . رقم ٤٤ | الهاتف ٣٧٨٤٢٤٦٦

قم . شارع صفائية . مقابل زقاق . رقم ٣٨ | الهاتف ٣٧٧٣٧٠٠١ - ٣٧٧٣٧٠١١

طهران . شارع انقلاب . شارع الفخر الرازي . رقم ٦١ | الهاتف ٦٦٤٦٤١٤١

مشهد . شارع الشهداء . شمالي حديقة نادري . زقاق خوراكيان . بناية گنجينه كتاب . الطابق الأول | الهاتف ٥-٣٢٢٣٧١١٣

النجف الأشرف . سوق الحويش . مقابل جامع الهندي . مكتبة الإمام باقر العلوم عليه السلام | الهاتف ٠٧٨٠١٢٦٣٥٧٩

كربلاء المقدسة . شارع قبلة الإمام الحسين عليه السلام . مكتبة ابن فهد الحلي قدس سره | الهاتف ٠٧٨٠١٥٨٨٧٠٧ - ٠٧٨٠١٥٥٨٩٤٢

سرشناسه	: الحسون، محمد، ١٣٣٨ -
عنوان و پديدآور	: رسائل الشعائر الحسينية : رسالة الصولة للسيد مهدي القزويني، و رسالة التنزية للسيد محسن الامين، والرسائل المويدة [illegible]
[illegible]	: ١٠ ج.
شابک	: دوره: 9 - 111 - 442 - 600 - 978 ؛ ج ١٠: 8 - 121 - 442 - 600 - 978
وضعيت فهرستنويسى	: فيپا
يادداشت	: عربى.
يادداشت	: كتابنامه.
موضوع	: حسين بن على(ع)، امام سوم، ۴ - ۶۱ق. -- سوگوارى ها
موضوع	: Hosayn ibn'Ali, Imam III, 625 - 680 -- Laments
موضوع	: سوگواريها -- آداب و رسوم
موضوع	: Mourning etiquette
موضوع	: شعاير و مراسم مذهبى
موضوع	: Rites and ceremonies
رده بندى كنگره	: ۱۳۹۷ ۵ ر ۴۷۶ ح / ۳ / BP۲۶۰
رده بندى ديويى	: ۲۹۷/ ۷۴
شماره كتابشناسى ملى	: ۵۴۵۰۰۱۳



المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى وأهل بيته الطيّبين الطاهرين، واللعن الدائم المؤبّد على أعدائهم أجمعين.

بعد أن أكملنا العملَ في هذه المجموعة من رسائل الشعائر الحسينيّة المتعلّقة برسالتي: «الصولة» للسيّد القزوينيّ البصريّ، و«التنزيه» للسيّد الأمين العامليّ، والرسائل المؤيّدة والمعارضة لهما، وقدّمناها للطبع في تسعة أجزاء كاملة.

اقترح علينا أحد الإخوة المختصّين بدراسة هذه الشعائر وتاريخها، أن نُلحق مجلّداً عاشراً يحتوي على ما كتبه السيّد محسن الأمين في ما يتعلّق بالشعائر في: إقناع اللائم، والمجالس السنيّة، ونقض الوشيعة، وأعيان الشيعة.

وكذلك ما كتبه السيّد محمّد مهدي الموسويّ القزوينيّ البصريّ في كتابيه: كشف الحقّ لغفلة الخلق، ودولة الشجرة الملعونة. إذ أنّه ـ كما يدّعي مقدّم الاقتراح ـ خفّف من لهجته الحادّة في نقد بعض الشعائر الحسينيّة.

فاستجبنا لاقتراحه، وحقّقناها وطبعناها في هذا المجلّد، وألحقنا بها ثلاث رسائل أُخرى، لها صلة بموضوع هذه المجموعة وهي:

١ ـ مقدّمة «المجالس الفاخرة» للسيّد عبد الحسين شرف الدين العامليّ، الذي يعدُّ من أبرز وأقوى المعارضين للسيّد الأمين في دعواه لإصلاح الشعائر الحسينيّة.

٢ ـ ما كتبه معارضه الآخر الأُستاذ جعفر الخليلي في كتابه «هكذا عرفتهم».

٣ ـ رسالة صغيرة للسيّد هبة الدين الشهرستانيّ، عثرنا عليها مؤخّراً بعنوان «علماؤنا والتجاهر بالحقّ»، طُبعت سابقاً في مجلّة «العلم».

ولم يتوقّف عملنا لهذا الحدّ، بل نأمل إن شاء الله تعالى أن نعثر على ما تبقى من هذه الرسائل، المتعلّقة بموضوع هذه المجموعة، التي ذكرنا أسماءها في المجلّد الأوّل منها.

وبما أنّ ترجمة حياة مؤلّفي الرسائل المدرجة في هذا المجلّد، قد تقدّمت في الأجزاء السابقة منها، لذلك نقتصر على ذكر نُبذة مختصرة عن محتواها، طبقاً للمنهج الذي اتّبعناه في هذه المجموعة.

(١) مقدّمة المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة:

ذكرها العلّامة الطهرانيّ، قائلاً: «للسيّد عبد الحسين ابن السيّد يوسف بن جواد بن إسماعيل بن محمد ابن السيّد إبراهيم الملقّب بشرف الدين الموسويّ، كانت اُمّه العلويّة اُخت سيّدنا أبي محمّد الحسن صدر الدين، يعبّر عنه دائماً بالخال.

شرع في طبعه بصيدا، في مطبعة العرفان سنة ١٣٣٢ هـ، وفي مقدّمة المجالس ذكرَ فضل البكاء وأسرار شهادته وفلسفتها، وقد خرج من الطبع

المقدّمة فقط، وأمّا المجالس فكان في أربع مجلّدات:

أوّلها في السيرة النبويّة.

والثاني : في الأمير والزهراء والحسن عليهم السلام.

والثالث: في الحسين عليه السلام.

والرابع: في سائر الأئمّة التسعة، وللأسف أنّه نُهبت المجلّدات الأربعة مع سائر كتب المصنّف في سنة ١٣٢٩ هـ»[١].

وتحتوي «مقدّمة المجالس» على خمسة مطالب:

الأوّل: في البكاء.

والثاني: في رثاء الميّت بالقريض.

والثالث: في تلاوة الأحاديث المشتملة على مناقب الميّت ومصائبه.

والرابع: في الجلوس حزناً على الموتى.

والخامس: في الانفاق عن الميت.

ثمّ فصل: في مآتمنا المختصّة بسيّد الشهداء عليه السلام، وفصل آخر في فلسفة مآتمنا المختصّة بأهل البيت عليهم السلام.

وبما أنّ السيّد عبد الحسين شرف الدين، يُعدّ من أوائل وأقوى المخالفين والمعارضين للسيّد محسن الأمين ورسالته «التنزيه»، لذلك أوردنا رسالته هذه «مقدّمة المجالس» في هذا المجلّد استجابة لطلب أحد الفضلاء، وكي يطّلع القارئ على آراء السيّد شرف الدين في الشعائر الحسينيّة، وإن كان تاريخ تأليفها قبل «التنزيه».

---

(١) الذريعة ١٩: ٣٦٣ رقم ١٦٢١.

وأردنا أن نقوم بتحقيق هذه الرسالة، لكنّنا وجدناها محقّقة تحقيقاً جيداً من قِبل المرحوم المغفور له آية الله السيّد نور الدين الميلانيّ ـ ابن عمّ والدتنا المرحومة المغفور لها ـ ومطبوعة من قِبل مركز الحقائق الاسلاميّة، لذلك أوردنا تلك الطبعة كاملة.

(٢) قطعة من كتاب «إقناع اللائم على إقامة المآتم»:

ذكره الشيخ الطهرانيّ في ذريعته، قائلاً: «للعلّامة السيّد محسن بن عبد الكريم الحسينيّ العامليّ، المعاصر، نزيل دمشق الشام، طُبع ذيل رابع أجزاء المجالس السنيّة سنة ١٣٤٣ هـ»[١].

تحدّثَ فيه المؤلّف عن بعض الشبهات المثارة حول الشعائر الحسينيّة، وذكرَ فيه بعضَ مراثي الإمام الحسين عليه السلام، وقسّمه إلى ثمانية فصول:

الأوّل: في الحزن والبكاء لقتل الإمام الحسين عليه السلام.

الثاني: في رثاء الأموات بالشعر، وذكرِ صفاتهم وتعداد مناقبهم.

الثالث: في تأبين الأموات ورثائهم بالنثر، وذكر مدائحهم وفضائلهم ومناقبهم.

الرابع: في الجلوس لإقامة المآتم، وإظهار الحزن، وتأبين الميّت بالنظم والنثر.

الخامس: في الإنفاق على الميّت بقصد إهداء ثواب ذلك إليه، أو في وجوه البرّ.

---

(١) الذريعة ٢: ٢٧٥ رقم ١١١٥.

السادس: في الإشارة إلى ما في هذه المآتم من الفوائد الدينيّة والدنيويّة.

السابع: في ما ذكره المسيو ماربين الألمانيّ والدكتور جوزف الفرنسيّ، في أسرار شهادة الحسين عليه السلام وفوائد مآتمه.

الثامن: في إجمال نتيجة ما تقدّم، وردّ ما يعيب به العائبون على إقامة المآتم.

ونحن قد انتخبنا من هذا الكتاب فصولَهُ الأربعة الأخيرة، التي لها علاقة مباشرة بموضوع هذه المجموعة من الرسائل، التي تتعرّض لإقامة الشعائر الحسينيّة.

ويظهر من تاريخ تأليفه، أنّ السيّد الأمين بدأ بالدعوة لإصلاح بعض الشعائر الحسينيّة، بتأليف بعض الكتب والرسائل، التي منها هذا الكتاب، ثمّ ألّف رسالته «التنزيه»، التي دعا فيها بشكل صريح لإصلاح الشعائر، بل انتقدَ بشدّة بعضها.

طُبع هذا الكتاب عدّة مرات، منها: الطبعة التي اعتمدنا عليها، التي طُبعت سنة ١٤١٨ هـ، في مؤسّسة المعارف الإسلاميّة في مدينة قم المقدّسة، وهي من تحقيق الأخ محمود البدري. ونحن أبقينا على هوامش المحقّق كما هي، أمّا تعليقاتنا في الهامش فقد ميّزناها بذكر لقبنا في نهايتها.

(٣) ما ورد في كتاب «المجالس السنيّة في مناقب ومصائب العترة النبويّة»:

قال عنه الشيخ الطهراني في الذريعة: «في خمسة أجزاء: الجزء الأوّل:

في وقعة الطفّ، الثاني: في قصص الأنبياء وغزوات النبيّ صلى الله عليه وآله، الثالث: في حروب أمير المؤمنين عليه السلام، الرابع: في أخبار زياد ومعاوية والإمام الحسن وسائر الأئمّة عليهم السلام، والخامس: في جميع المعصومين وتواريخهم.

قد طُبع مكرراً، وهو من مؤلّفات السيّد محسن الأمين العامليّ (ت ١٣٧١ هـ)، وقد ترجم إلى الفارسيّة جزؤه الخامس الذي في المعصومين، والترجمة لأبي القاسم الموسوي الصفويّ الأصفهانيّ، المعروف بالمحرّر، المتوفّى بالنجف سنة ١٣٧١ هـ»[(١)].

وقال ولد المؤلّف السيّد حسن الأمين: «وهذا الكتاب قصد مؤلّفه أوّل ما قصد من تأليفه، أن يكون دليلاً للخطباء، ومستنداً للذاكرين، يعتمدون عليه في تنقية ما يلقون ويذكرون من سيرة الحسين عليه السلام»[(٢)].

وهذا الكتاب كسابقه «إقناع اللائم»، يظهر من تأريخ تأليفه، أنّ السيّد الأمين ألّفه في بداية دعوته لإصلاح بعض الشعائر الحسينيّة، ثمّ ألّف رسالته «التنزيه». ففي مقدّمته ـ تحت عنوان «مقدّمة مهمة» ـ صرّح بآرائه التي يدعو فيها إلى إصلاح بعض الشعائر الحسينيّة، منتقداً قرّاء مجالس العزاء باختلاقهم أحاديث كاذبة في مصائب يوم عاشوراء.

واعترض أيضاً على ما يفعله بعض المؤمنين من «جرح أنفسهم بالسيوف، أو اللطم المؤدّي إلى إيذاء البدن»، وذلك ناشئ من «تسويلات الشيطان وتزيينه سوء الأعمال».

---

(١) الذريعة ١٩: ٣٦٠ رقم ١٦١٠.

(٢) المجالس السنيّة ١: ٧.

ثمّ بدأ بتوجيه نصائح إلى الذين يريدون تعظيم شعائر الإمام الحسين عليه السلام، فعليهم بإقامة مجالس الحزن عليه والبكاء لمصابه عليه السلام.

وقد اكتفينا باقتباس هذه المقدّمة المختصرة فقط، وأوردناها هنا لعلاقتها بموضوع عملنا في هذه المجموعة، معتمدين على نسخة هذا الكتاب التي طبعتها انتشارات المكتبة الحيدريّة في مدينة قم المقدّسة سنة ١٤٢٨ هـ، وهي اُفسيت عن طبعة دار التعارف للمطبوعات في لبنان.

(٤) قطعة من كتاب «كشف الحقّ لغفلة الخلق»:

انتهى من تأليفه في الخامس عشر من شهر ربيع الأوّل سنة ١٣٤٥ هـ، وطُبع في مطبعة دار السلام ببغداد من نفس السنة[1]، وقد جعله المؤلّف في ثلاثة مقاصد وخاتمة:

الأوّل: ذكرَ فيه خمس آيات قرآنيّة نزلت في أهل البيت عليهم السلام.

الثاني: في بيان كون نصرة الإمام الحسين عليه السلام، لم يتّفق لغيره مثلها في العظمة، وما تفضّل به الله سبحانه عليه من عظيم المثوبات.

الثالث: في بيان ما يلزم على المسلمين من تأديته في حقّ الحسين عليه السلام من وظائف المحبّة.

والخاتمة: في بيان ما قد ترتّب على قتل الإمام الحسين عليه السلام من حزن محبيه وسرور مبغضيه، وما جعله الناصبة من المبتدعات في يوم شهادته، وما قد سنّه أهل السنّة من صيام ذلك اليوم.

---

(١) الذريعة ١٨: ٣٢ رقم ٥٣٩.

وفـي المقصـد الثالـث منـه، بـدأ المؤلّـف بانتقـاد قـرّاء مجـالس العـزاء، متّهمهم بالكذب في ما يوردونه من قصص وحكايات متعلّقـة بواقعـة الطـفّ. وانتقد أيضاً ما يقوم به بعض المـؤمنين فـي إحيـاء شـعائرهم الحسـينيّة، وأكَّـدَ على أنّه يؤيّد إقامة مآتم الإمـام الحسـين عليه السلام الخاليـة مـن هـذه المفاسـد التـي اُلحقت بها مؤخراً.

ونحن قد أوردنـا المقصـد الثـاني والثالـث والخاتمـة مـن هـذا الكتـاب؛ لتعلّقها بموضوع هذه المجموعة، وتركنا المقصد الأوّل ـ الـذي يحتـلّ مسـاحة واسعة من الكتاب ـ لخروجه عن موضوع مجموعتنا هذه، معتمدين على طبعة دار السلام في بغداد سنة ١٣٤٥ هـ، علمـاً بـأنّ تـأليف هـذا الكتـاب جـاء بعـد تأليفه لرسالته «صولة الحقّ على جولة الباطل».

(٥) قطعة من كتاب «دولة الشجرة الملعونة الشاميّة»:

وله اسم آخر وهو «دور ظلم بني اُميّة علـى العلويّـة»[١]، انتهـى المؤلّـف منه في السادس والعشرين من شهر رمضان المبارك سنة ١٣٤٥ هـ، وطُبع سـنة ١٣٤٦ هـ في مطبعة دار السلام ببغداد[٢].

والهدف من تأليفه: هـو الـردّ علـى أنـيس النصـوليّ (ت ١٣٧٧ هـ) فـي كتابه «الدولة الأُمويّة في الشام»[٣]، إذ مـدح الأُمـويّين كثيـراً ومجّـد بـدولتهم،

(١) الذريعة ٨: ٢٧٦.

(٢) الذريعة ٨: ٢٨٠ رقم ١٢٠٠.

(٣) الطبعة المتوفرة لدينا من هذا الكتاب، نشر مؤسّسة هنداوي للتعليم والثقافة، القـاهرة، سـنة ٢٠١٢م.

معتبرها دولة إسلاميّة، وحكّامها خلفاء مسلمين، قدّموا للإسلام خدمات جليلة.

وحاول ـ بخباثة كبيرة وجرأة عالية، دلّت على نصبه العداء لأهل البيت عليهم السلام ـ إيجاد الأعذار الواهية ليزيد عند قتله الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه.

قام المؤلّف بردّ كافّة المطالب التي تعرّض لها أنيس النصوليّ، وهي مطالب أكثرها تأريخيّة مزيّفة، لم تعتمد على مصادر معتبرة.

والذي يهمّنا ويتعلّق بعملنا في هذه المجموعة، هو ردّ المؤلّف على كلام النصوليّ المتعلّق بالإمام الحسين عليه السلام، وثورته المباركة، وإقامة مآتم الحزن عليه من قبل شيعته ومحبّيه، والذي يبدأ من الصفحة **٣٢** من كتابه تحت عدة عناوين منها: «يزيد الشديد!»، و«مؤامرات الحزب العلوي في الكوفة!» و«أسباب سقوط الحسين!».

ثمّ يتعرّض النصوليّ إلى الشعائر الحسينيّة، وفي مقدّمتها: ضرب الرؤوس بالسيوف، والظهور بسلاسل الحديد، والخروج في مواكب عزائيّة في الشوارع والأزقّة.

وهنا نشاهد المؤلّف السيّد الموسويّ القزوينيّ البصريّ يردّ عليه بقوله: إنّ هذه الشعائر يقوم بها قلّة من الشيعة، ولا يؤيّدها العلماء، ويبدأ بانتقادها، والطلب من الناس بتركها.

ونحن قمنا باقتباس صفحات من هذا الكتاب متعلّقة بموضوع هذه المجموعة من الرسائل، وتحقيقها وطبعها هنا؛ لتسليط الضوء بشكل واضح

على آراء السيّد البصريّ، علماً بأنّ تاريخ تأليف هذا الكتاب كان بعد تأليفه لرسالة «الصولة» بسنةٍ تقريباً.

(٦) علماؤنا والتجاهر بالحقّ:

مقالة صغيرة نُشرت في «مجلّة العلم» سنة ١٣٤٨ هـ، السنة الثانية الصفحة ٢٦٦، صفحتان منها فقط تتعلّق بالشعائر الحسينيّة، والباقي تتعرّض لنقل الجنائز من أماكن بعيدة إلى مدينة النجف الأشرف.

عثرنا على هذه المقالة مؤخّراً، بعد إكمال الجزء التاسع من هذه المجموعة، الذي يحتوي على رسائل ومقالات كتبها السيّد هبة الدين الشهرستانيّ حول الشعائر الحسينيّة، لذلك نشرناها في هذا المجلّد.

ينتقد السيّد الشهرستانيّ، في مقالته الصغيرة هذه، سكوتَ بعض العلماء عمّا يقوم به الناس من الشعائر الحسينيّة، حتّى أنّه قال: «وأمّا في القرون الأخيرة فالسيطرة أضحت للرأي العامّ على رأي الأعلام».

ونحن إنّما قمنا بنشر هذه المقالة، وفاءً منّا للعهد الذي أعطيناه للقارئ الكريم، بنشر كلّ ما يتعلّق برسالة «التنزيه» وما يؤيّدها ويعارضها، دون إبداء رأينا الشخصيّ في هذه المسألة. علماً بأنّ السيّد هبة الدين الشهرستانيّ كان من كبار المؤيّدين والمدافعين عن آراء السيّد الأمين ودعوته لإصلاح الشعائر الحسينيّة، وقد نشرنا رسائله ومقالاته في مجلّد كامل من هذه المجموعة.

(٧) ما ورد في كتاب «نقض الوشيعة»:

«نقض الوشيعة» أو «الشيعة بين الحقائق والأوهام»، من مؤلّفات السيّد محسن الأمين العامليّ (ت ١٣٧١ هـ)، ذكره الشيخ الطهراني، قائلاً: «كتبَ

ـ المؤلّف ـ إلينا أنّه يتضمّن الكلام على جميع المسائل الخلافيّة بين الشيعة والسنّة»[1].

وفي آخر الطبعة التي اعتمدنا عليها: «انتقل المؤلّف إلى جوار ربّه والكتاب في المطبعة، قد أنهى طبع بعضه، وبقي البعض الآخر، وقد قمنا بإكمال طبع الباقي سائلين للفقيد الرحمة والرضوان»[2].

وهو كتاب ردّ فيه مؤلّفه السيّد الأمين على موسى جار الله (ت **١٣٦٩** هـ) في كتابه «الوشيعة في نقد عقائد الشيعة».

والذي يتعلّق بموضوع مجموعتنا هذه، ما ورد في الصفحة **٢٥** منه تحت عنوان «التطبير» الذي انتقده جار الله. فأجابه السيّد: «إنّ هذا التطبير لا يعتقد به أهل المعرفة من الشيعة ولا يستحلّونه»، ثمّ بدأ بانتقاده وانتقاد بعض الشعائر الحسينيّة، مشيراً إلى رسالته «التنزيه».

(٨) ما ورد في كتاب «أعيان الشيعة»:

ذكره العلّامة الطهرانيّ في الذريعة، قائلاً: «الحاكي اسمه عن معناه، هو الكتاب الجليل الذي يُعدّ من حسنات العصر الحاضر، شرع في طبعه من سنة ١٣٥٤ هـ وإلى الآن، خرج منه عدّة مجلّدات ضخام، نرجوا من فضله تعالى تسهيل إتمامه لمؤلّفه العلّامة الشهير السيّد محسن الأمين العامليّ، نزيل دمشق الشام»[3].

---

(١) الذريعة ٢٤: ٢٩١ رقم ١٥١٤.

(٢) نقض الوشيعة: ٤١٠.

(٣) الذريعة ٢: ٢٤٨ رقم ٩٩٦.

وقام السيّد حسن الأمين (ت ١٤٢٢ هـ) ولد المؤلّف، بالإشراف على طبعه في عشرة مجلّدات كبيرة، مع مجلّد واحد للفهارس، كما قام بكتابة مستدرك له أيضاً في عدّة مجلّدات.

وفي هذا الكتاب ـ الأعيان ـ وردت أربع عبارات تتعلّق بموضوع هذه المجموعة، ثلاث منها لمؤلّفه السيّد محسن الأمين عندما كتب ترجمة حياته بيده، وواحدة لولده السيّد حسن، أوردها في ترجمة والده:

الأُولى: عند ذكره للشيخ موسى شرارة، ومحاولة إصلاحه للشعائر الحسينيّة[١].

الثانية: في حديثه عن بداية دعوته لإصلاح الشعائر عند دخوله دمشق سنة ١٣١٩ هـ[٢].

الثالثة: في ترجمته للشيخ حسن قفطان[٣].

الرابعة: عبارة الشيخ عبد الكريم الزنجانيّ في حقّ السيّد محسن الأمين، نقلها ولده السيّد حسن[٤].

(٩) ما ورد في كتاب «هكذا عرفتهم»:

خيرُ تعريف بهذا الكتاب ومحتواه، ما كتبه مؤلّفه الأُستاذ جعفر الخليليّ (ت ١٤٠٥ هـ) في مقدّمته له، إذ قال:

---

(١) أعيان الشيعة ١٠: ٣٤٢ ـ ٣٤٣.

(٢) المصدر السابق ١٠: ٣٦٢ ـ ٣٦٣.

(٣) المصدر السابق ٥: ١٩٩.

(٤) المصدر السابق ١٠: ٣٩٥.

«هذا عرضٌ موجزٌ لجانب من حياة بعض الأشخاص، الذين كان لهم ذات يوم بعض الشأن في الحياة العامّة والخاصّة، أو هو في الواقع عرضٌ موجزٌ لبعض ما احتفظت به الذاكرة عن بعض مَن عرض لي في طريق الحياة، وكيفيّة تعرّفي بهم، وماهيّة هذا التعرّف ولونه.

وهو لون من الأدب والتأريخ المبتكر، وليس من الغرور ولا التشدّق أن أقول: إنّه لون قائم بنفسه، وإنّني لم أُجارِ في عرضه أحداً من قبل، ولم يسبق لي أن قرأتُ عرضاً على هذا النسق، يجمع بين الأدب والتاريخ، ويربط بين النواحي الخاصّة والعامّة، جمعاً وربطاً لا تكاد تتبيّن أو لاتكاد تعزل ما يخصّك منه وما يهمّك، وما يخصّ أصحابه وما يهمهم، وما يخصّ الناس ويعنيهم.

والواقع أنّي لم أحسّ بأنّي بدأتُ أكتب شيئاً جديداً مبتكراً، يحسن أن تكتب به التراجم وتوضع على نمطه الأحاديث، حتّى نبّهني إلى ذلك عدد من الأُدباء، وحتّى صار يسألني الكثير حين يتوفّى الله شخصاً من معارفي، عمّا إذا كنتُ سأكتب عنه كلمة من هذا القبيل؟

والذي زادني يقيناً بأنّ الذي كتبته كان نوعاً جديداً: هو أنّ بعض الذين تلذّذوا به، لم يكن لهم ـ بأيّ وجه ـ أي اتصال أو معرفة سابقة بمن تحدّثت عنهم.

وقال لي هذا البعض ـ إن حقاً أم باطلاً ـ: إنّ هذا العرض على رغم كونه يخصّ جماعة عاشوا في جهة معيّنة، وفي محيط خاصّ، وعلى رغم أنّه جانب من تأريخ معرفتي أنا بحفنة من الرجال. لقد قال لي هذا البعض: إنّ ذلك لا يقلّل من شأنه كأدب جديد، يلذّ أيّ قارئ عربي في أيّة بقعة من البقاع أن يقرأه، سواء عرف المحدّث والمحدَّث عنه، أم لم يعرفهما.

وسواء صح هـذا الـذي قيـل أم لـم يصـح، فقـد وجـدتني أُومـن بعـض الإيمان بصحته، وأتقدّم لجمع ما تناثر منه هنا وهنـاك فـي هـذا الكتـاب، علـى اعتبـاره عرضـاً مـوجزاً غيـر كامـل لـبعض مَـن عرفـتُ مـن الأشـخاص الـذين صادفتهم في حياتي.

أقول: عرضاً غير كامل؛ لأنّه ما من شخص ـ ممّن ذكرته هنا ـ إلّـا وكـان الذي أعرفه عنه أكثر ممّا ذكرته.

وقد اضطررتُ، بل واضطرّني ما تبانى عليه الناس واصطلحوا عليـه: بـأن (ليس كلُّ ما يعرفُ يقال)، أجل اضطرّني هذا إلى أن أقتصد فـي القـول الـذي حسبته مستساغاً، وأوردتُ بعضَ ما عرفتُ عن بعض مَن عرفتُ، فإن صحّ أنّني قد جئت بشيء جديد من الأدب في سياق الترجمة وكيفيّة العرض، فضلاً عمّا تضمّن الكتاب من الوقائع التاريخيّة والأدب، الذي قد ينطبق عليه قول حبيـب جاماتي: (تاريخ ما أهملـه التـاريخ)، أقـول: إن صـحّ هـذا فهـو المقصـود، وإلّـا فلستُ بأوّل مَن ظنَّ أنّه فاعل شيئاً، بينما هو لم يقدّم شيئاً ولم يؤخّر»[1].

لقـد ذكـر الخليلـيّ رحمـه الله، فـي كتابـه هـذا، ثمـاني عبـارات تتعلّـق بموضوع هذه المجموعة، في ترجمته لمجموعة من الأعلام، وهم: السيّد رضـا الهنديّ، السيّد أبـو الحسـن الأصـفهانيّ، السـيّد محسـن الأمـين، الشـيخ محمّـد حسـين كاشـف الغطـاء، الشـيخ محمّـد جـواد الجزائـريّ، الشـيخ محمّـد علـيّ اليعقوبيّ، السيّد هبة الدين الشهرستانيّ، السيّد حسين الحسينيّ البعلبكيّ.

ونحن قد أوردنا هذه العبارات كاملة في هذا المجلّد، كـي يطّلع عليهـا

---

(١) هكذا عرفتهم ١: ٣ ـ ٤.

القارئ، ويتّضح له الوضع الاجتماعيّ الذي خلّفته رسالة «التنزيه».

(١)

مقدّمة المجالس الفاخرة

في مآتم العترة الطاهرة

تأليف

السيّد عبد الحسين شرف الدين

(ت ١٣٧٧ هـ)

كلمة المؤلّف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على جميل بلائه، وجليل عزائه، والصلاة والسّلام على أُسوة أنبيائه، وعلى الأئمّة المظلومين من أوصيائه، ورحمة الله وبركاته.

أما بعد، فهذا كتاب (المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة)، وضعته تقرّباً إليهم في الدنيا، وتوسّلاً بهم في الآخرة، سائلاً من الله سبحانه أن يكون خالصاً لوجهه الكريم، إنّه الرؤوف الرحيم.

الأصل العمليّ[1] يقتضي إباحة البكاء على مطلق الموتى ورثائهم بالقريض، وتلاوة مناقبهم ومصائبهم، والجلوس حزناً عليهم، والإنفاق عنهم في وجوه البرّ.

ولا دليل على خلاف هذا الأصل، بل السيرة القطعيّة[2] والأدلّة اللّفظية

---

(١) يقصد أن الحكم الشرعيّ في مرحلة العمل، هكذا يقتضي ... وذلك استناداً إلى قولهم: إنّ الأصل في الأشياء الإباحة، وقد ذهب إليه علماؤنا ـ أهل الحقّ والتحقيق ـ رضوان الله عليهم، واستدلّوا عليه عقلاً بقبح العقاب والملامة في ما لم يمنعه الدين، ولم يرد فيه من الشرع نهي عنه أو تحريم. ونقلاً بقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ سورة الإسراء: الآية ١٥. وغيرها من الآيات ... (الميلاني).

(٢) السيرة: معناها: الأمر المتداول عند عموم المسلمين، وهي بذاتها قد تفي عند الاستدلال ⟵

حاكمان بمقتضاه، بل يستفاد من بعضها استحباب هذه الأُمور، إذا كان الميّت من أهل المزايا الفاضلة، والآثار النافعة، وفقاً لقواعد المدنيّة، وعملاً بأُصول العمران؛ لأنّ تمييز المصلحين يكون سبباً في تنشيط أمثالهم، وأداء حقوقهم يكون داعياً إلى كثرة الناسجين على منوالهم، وتلاوة أخبارهم ترشد العاملين إلى اقتفاء آثارهم[1]، وهنا مطالب:

لجواز الإقدام على أمر مجهول الحكم، وربما يدرك بها الواقع أيضاً ولكن لا تتم إلّا بقيود أهمها:

الأوّل ـ أن يكون العاملون به (الأمر الذي نريده ولم نعلم حكمه) متديّنين، وقد أتوا به باسم الدين، لا كسائر العادات محليّة أو عائليّة.

الثاني ـ أن لا يكون المطلوب أمراً مستحدثاً، بل كان عليه الماضون خلفاً عن السلف الصالح، وينتهي إلى زمان المعصومين ـ صلى الله عليهم أجمعين ـ.

الثالث ـ لا وزن للسيرة إذا لم يحصل لنا القطع بإذن الشارع، أو عدم ردعه عنها. (الميلاني).

(١) ما أفصح كلامك وأبلغه ـ يا شرف الدين ـ فقد أتيتَ بالواقع الملموس، وقلتَ حقّاً ونطقت صدقاً، فإنّ الأُمم سائرون على هذا النهج، ووجدناهم في رحلاتنا إلى الهند وباكستان، وسوريا ولبنان، يحتفلون باسم رجالاتهم، معتزّين بسلفهم، ويعتنون بذكريات أبرارهم من حركةٍ أو عمل، ويسعون في نشر ذلك والحثّ على تبعية أولئك، غير مبالين (مهما كلّفهم) بصرف الأموال الضخمة؛ روماً للغاية التي نوّه عنها قدس الله تربته. (الميلاني).

المطلب الأوّل

في البكاء

ولنا على ما اخترناه فيه ـ مضافاً إلى السيرة القطعيّة ـ فعل النبيّ ﷺ، وقوله، وتقريره.

أمّا الأوّل، فإنّه متواتر عنه في موارد عديدة:

منها: يوم أُحد، إذ علم الناس كافّة بكاءه يومئذٍ على عمّه أسد الله وأسد رسوله، حتّى قال ابن عبد البر في ترجمة حمزة من استيعابه[1]: لمّا رأى النبيّ ﷺ حمزة قتيلاً بكى، فلمّا رأى ما مثّل به شهق.

وذكر الواقديّ ـ كما في أوائل الجزء الخامس عشر من شرح نهج البلاغة[2] للعلّامة المعتزليّ ـ: «إنّ النبيّ ﷺ كان يومئذٍ إذا بكت صفيّة

---

(١) في أواخر الصفحة ٣٧٨ من المجلّد الثالث، طبع مصر. (المؤلّف).

(٢) قد اشتمل هذا الحديث على فعل النبيّ ﷺ وتقريره، فهو حجّة من جهتين، على أنّ بكاء سيّدة النساء عليها السلام كافٍ كما لا يخفى. (المؤلّف).

يقصد أنّ فعل فاطمة عليها السلام يكفي للاستدلال، وهو حجّة في مثل هذا المقام، إذ أنّها معصومة عندنا، وقد أثبت علماؤنا ـ قدّس الله سرّهم ـ ذلك من الأحاديث الصحيحة والمتواترة، ويؤيّده صريح آيتي المباهلة والتطهير.

ولا يخفى على الباحث ما في كتب: التفسير، الحديث، التاريخ، السير، التراجم في هذا الشأن، ممّا يدلّ على عظمة البتول فاطمة بضعة رسول الله (صلى الله عليهما)، ولن يفوته ←

يبكي، وإذا نشجت ينشج»، قال: «وجعلت فاطمة تبكي، فلمّا بكت بكى رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ»[١].

ومنها: يوم نعى زيداً، وذا الجناحين، وابن رواحة، في ما أخرجه البخاريّ في الصفحة الثالثة من أبواب الجنائز من صحيحه[٢].

وذكر ابن عبد البرّ في ترجمة زيد من استيعابه: «إنّ النبيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بكى على جعفر وزيد» وقال: «أخواي ومؤنساي ومحدّثاي»[٣].

ومنها: يوم مات ولده إبراهيم، إذ بكى عليه، فقال له عبد الرحمن بن عوف (كما في الصحفة ١٤٨، من الجزء الأوّل من صحيح البخاريّ): «وأنت يا رسول الله؟!»

قال: «يابن عوف، إنّها رحمة[٤]» ثمّ أتبعها (يعني عبرته) بأُخرى، فقال: «إنّ العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول[٥] إلّا ما يُرضي ربّنا، وإنّا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون»[٦].

ما في (الكلمة الغرّاء في تفضيل الزهراء) المطبوع مع الفصول المهمّة في تأليف الأُمة، وكلاهما لسيّدنا شرف الدين. (الميلاني).

(١) شرح نهج البلاغة: للمعتزلي ١٧/١٥، دار إحياء الكتب العربية.

(٢) صحيح البخاري ٢١٨/٤، ط بيروت، دار الفكر، سنة ١٤٠١ .

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٥٤٦/٢ .

(٤) لا يخفى ما في تسميتها رحمة من الدلالة على حسن البكاء في مثل المقام.

(٥) أراد بهذا أنّ الملامة والإثم في المقام إنّما يكونان بالقول الذي يسخط الربّ (عزّ وعلا)، كالاعتراض عليه والسخط لقضائه، لا بمجرّد دمع العين وحزن القلب، (المؤلّف).

(٦) صحيح البخاري ٨٥/٢، ط دار الفكر، بيروت.

ومنها: يوم مات صبيّ لإحدى بناته، إذ فاضت عيناه يومئذ (كما في الصحيحين[١] وغيرهما) فقال له سعد: «ما هذا يا رسول الله؟» قال: «هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنّما يرحم الله من عباده الرحماء»[٢].

ومنها: ما أخرجه البخاريّ ومسلم في الصحيحين، عن ابن عمر، قال: «اشتكى سعد، فعاده رسول اللهصَلَّىٰاللهُعَلَيهِوَآلِهِ مع جماعة من أصحابه، فوجده في غشية، فبكى»، (قال): «فلمّا رأى القوم بكاءه، بكوا». الحديث [٣].

والأخبار في ذلك لا تُحصى ولا تستقصى.

وأمّا قوله وتقريره، فمستفيضان ومواردهما كثيرة:

فمنها: ما ذكره ابن عبد البرّ في ترجمة جعفر من استيعابه، قال: لمّا جاء النبيصَلَّىٰاللهُعَلَيهِوَآلِهِ نعي جعفر[٤]، أتى امرأته أسماء بنت عميس فعزّاها، قال: ودخلت فاطمة وهي تبكي وتقول: «واعمّاه»، فقال رسول اللهصَلَّىٰاللهُعَلَيهِوَآلِهِ:

---

(١) أُنظر: الصفحة ١٤٦ من الجزء الأوّل من صحيح البخاريّ، وباب البكاء على الميت من صحيح مسلم. وفي الطبعات الحديثة، البخاري ١٦٥/٨ و ٢٢٤/٧ و ٨٠/٢ دار الفكر، وصحيح مسلم ٣٩/٣، دار الفكر بيروت.

(٢) دلالة قوله: (وإنّما يرحم الله من عباده الرحماء) على استحباب البكاء في غاية الوضوح، كما لا يخفى. (المؤلّف).

(٣) انظر: في باب البكاء عند المريض من صحيح البخاري ٨٥/٢، وفي باب البكاء على الميّت من صحيح مسلم، ٤٠/٣. ولا يخفى اشتماله على كلٍّ من فعل النبيّصَلَّىٰاللهُعَلَيهِوَآلِهِ وتقريره فهو حجة من جهتين.

(٤) هذا الحديث مشتمل على تقريرهصَلَّىٰاللهُعَلَيهِوَآلِهِ على البكاء، وأمره به، على أنّ مجرد صدوره من سيدة النساءعليها السلام حجّة كما لا يخفى. (المؤلّف).

«على مثل جعفر فلتبك[(١)] البواكي»[(٢)].

ومنها: ما ذكره ابن جرير، وابن الأثير، وصاحب العقد الفريد، وجميع أهل السير، وأخرجه الإمام أحمد بن حنبل من حديث ابن عمر في صفحة ٤٠ من الجزء الثاني من مسنده، قال: «رجع رسول الله صلّى الله عليه وآله من أُحد، فجعلت نساء الأنصار يبكين على مَن قُتل من أزواجهنّ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم): «ولكن حمزة لا بواكي له».

(قال): «ثم نام فاستنبه وهنّ يبكين».

(قال): «فهنّ اليوم إذا بكين يبدأن بحمزة»[(٣)].

وفي ترجمة حمزة من الاستيعاب[(٤)] نقلاً عن الواقدي، قال: «لم تبكِ امرأة من الأنصار على ميّت بعد قول رسول الله (صلى الله عليه وآله): «لكن حمزة لا بواكي له» إلى اليوم إلّا بدأن بالبكاء على حمزة».

وحسبك تلك السيرة في رجحان البكاء على مَن هو كحمزة وإن بعد العهد بموته.

ولا تنس ما في قوله صلّى الله عليه وآله: «لكن حمزة لا بواكي له» من البعث على البكاء والملامة لهنّ على تركه، وحسبك به وبقوله: «على مثل جعفر فلتبك

(١) هذا أمر منه صلّى الله عليه وآله بالبكاء ندباً على أمثال جعفر من رجال الأُمّة، وحسبك به حجّة على الاستحباب. (المؤلّف).

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢٤٣/١.

(٣) مسند أحمد ٤٠/٢، ط بيروت، دار صادر، والمعجم الكبير للطبراني ٢١٠/١١، وكنز العمّال ٣٣٥/١٣، ح ٣٦٩٤٥، وأُسد الغابة ٤٨/٢، وتاريخ الطبري ٢١٠/٢، دار الفكر.

(٤) للفقيه الحافظ المحدّث ابن عبد البرّ القرطبي المتوفى سنة ٤٦٣. (الميلاني).

البواكي» دليلاً على الإستحباب.

وأخرج الإمام أحمد من حديث ابن عباس في صفحة ٣٣٥ من الجزء الأوّل من مسنده، من جملة حديث، ذكر فيه موت رقيّة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) وبكاء النساء عليها، قال: «فجعل عمر يضربهن بسوطه»، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «دعهن يبكين»، ثم قال: «مهما يكن من القلب والعين فمن الله والرحمة»، وقعد على شفير القبر وفاطمة إلى جنبه تبكي».

قال: فجعل النبيّ (صلى الله عليه وآله) يمسح عين فاطمة بثوبه رحمة لها[(١)].

وأخرج أحمد أيضاً من حديث أبي هريرة، حديثاً جاء فيه أنّه: مرّ على رسول الله (صلّى الله عليه وآله) جنازة معها بواكي فنهرهنّ عمر، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «دعهنّ فإنّ النفس مصابة والعين دامعة»[(٢)].

إلى غير ذلك مما لا يسعنا استيفاؤه.

وقد بكى يعقوب، إذ غيّب الله ولده ﴿**وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ**﴾[(٣)] حتى قيل: ـ كما في تفسير هذه الآية من الكشّاف[(٤)] ـ ما جفّت عيناه من وقت فراق يوسف إلى حين لقائه ثمانين عاماً، وما على وجه الأرض أكرم على الله منه.

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ٣٣٥/١، ط دار صادر.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ٣٣٣/٢.

(٣) سورة يوسف: ٨٤.

(٤) الكشّاف ٣٣٩/٢.

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله كما ـ في تفسير هذه الآية من الكشّاف أيضاً ـ أنّه سُئل جبرئيل عليه السلام: ما بلغ وجدُ يعقوب على يوسف؟ قال: «وجد سبعين ثكلى».

قال: فما كان له من الأجر؟ قال: «أجر مائة شهيد[١]، وما ساء ظنه بالله قط»[٢].

قلت: أيّ عاقل يرغب عن مذهبنا في البكاء بعد ثبوته عن الأنبياء، ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾[٣].

وأمّا ما جاء في الصحيحين من أنّ (الميّت يعذّب لبكاء أهله عليه)، وفي رواية: (ببعض بكاء أهله عليه)، وفي رواية: (ببكاء الحي)، وفي رواية: (يعذّب في قبره بما نيح عليه)، وفي رواية: (من يبك عليه يعذب)[٤]، فإنّه خطأ من الراوي، بحكم العقل والنقل.

قال الفاضل النوويّ: هذه الروايات كلّها من رواية عمر بن الخطاب وابنه عبد الله. قال: وأنكرت عائشة عليهما، ونسبتهما إلى النسيان والاشتباه، واحتجّت بقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ الخ ...[٥].

---

(١) هذا كالصريح في استحباب البكاء، إذ ليس المستحب إلّا ما يترتّب الثواب على فعله، كما هو واضح. (المؤلّف).

(٢) الكشّاف ٣٣٩/٢.

(٣) سورة البقرة: ١٣٠.

(٤) صحيح البخاري ٨٣/٢، صحيح مسلم ٤١/٣ وسنن ابن ماجة ٥٠٨/١.

(٥) عند ذكر هذه الروايات في باب الميّت يعذّب ببكاء أهله عليه من شرح صحيح مسلم، ٢٢٨/٦، ط دار الكتب العربي، سنة ١٤٠٧، وانظر: مقدّمة (العقد الثمين) للشوكانيّ ⇐

قلت: وأنكر هذه الروايات أيضاً عبد الله بن عبّاس، واحتجّ على خطأ راويها، والتفصيل في الصحيحين وشروحهما، وما زالت عائشة وعمر في هذه المسألة على طرفي نقيض، حتّى أخرج الطبري في حوادث سنة ١٣ من تاريخه بالإسناد إلى سعيد بن المسيّب، قال: «لمّا توفّي أبو بكر، أقامت عليه عائشة النوح، فأقبل عمر بن الخطاب حتّى قام ببابها، فنهاهن عن البكاء على أبي بكر، فأبين أن ينتهين، فقال عمر لهشام بن الوليد: ادخل فأخرج إليّ ابنة أبي قحافة، فقالت عاشة لهشام حين سمعت ذلك من عمر: إنّي أحرج عليك بيتي»، فقال عمر لهشام: «أدخل فقد أذنت لك»، فدخل هشام وأخرج أم فروة أخت أبي بكر إلى عمر، فعلاها بالدرة، فضربها ضربات، فتفرّق النوح حين سمعوا ذلك»[1].

قلت: كأنّه لم يعلم تقرير النبيّ نساء الأنصار على البكاء على موتاهن، ولم يبلغه قوله صلى الله عليه وآله: «لكن حمزة لا بواكي له»، وقوله: «على مثل جعفر فلتبكِ البواكي»، وقوله: «وإنّما يرحم الله من عباده الرحماء».

ولعلّه نسي نهي النبيّ صلى الله عليه وآله إيّاه عن ضرب البواكي يوم ماتت رقيّة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم)، ونسي نهيه إيّاه عن انتهارهن في مقام آخر مرّ عليك آنفاً.

ثم إذا كان البكاء على الميّت حراماً، فلماذا أباح لنساء بني مخزوم أن

المتوفى ١٢٥٠.

(١) تاريخ الطبري: ذكر وفاة أبي بكر، ٦١٤/٢، ط بيروت الأعلميّ.

يبكين على خالد بن الوليد؟[١] حتى ذكر محمّد بن سلام ـ كما في ترجمة خالد من الاستيعاب[٢] ـ: «إنّه لم تبقَ امرأة من بني المغيرة إلّا وضعت لمّتها ـ أي حلقت رأسها ـ على قبر خالد» وهذا حرام بلا ارتياب، والله أعلم.

(١) وبكى هو على النعمان بن مقرن واضعاً يده على رأسه، كما نصّ عليه ابن عبد البرّ في ترجمة النعمان من استيعابه ١٥٠٦/٤، وفي أوائل الجزء الثاني من العقد الفريد قال: ولما نُعي النعمان بن مقرن إلى عمر بن الخطاب، وضع يده على رأسه وصاح: يا أسفاه على النعمان ... وبكاؤه على أخيه زيد معلوم بالتواتر.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٤٣١/٢.

المطلب الثاني

في رثاء الميّت بالقريض

في رثاء الميّت بالقريض

ويظهر من القسطلانيّ في شرح البخاري[1]: أنّ الجماعة يفصّلون القول فيه، فيحرّمون ما اشتمل منه على مدح الميّت وذكر محاسنه، الباعث على تحريك الحزن وتهييج اللّوعة، ويبيحون ما عدا ذلك.

والحقّ إباحته مطلقاً؛ إذ لا دليل هنا يعدل بنا عن مقتضى الأصل، والنواهي التي يزعمونها إنّما يستفاد منها الكراهة في موارد مخصوصة، على أنّها غير صحيحة بلا ارتياب.

وقد رثى آدم عليه السلام ولده هابيل[2]، واستمرّت على ذلك ذريّته إلى يومنا هذا بلا نكير.

وأقرّ رسول الله صلى الله عليه وآله أصحابه عليه مع إكثارهم من تهييج الحزن به، وتفنّنهم بمدائح الموتى فيه، وتلك مراثيهم منتشرة في كتب الأخبار، فراجع من الاستيعاب ـ إن أردت بعضها ـ أحوال سيّد الشهداء حمزة، وعثمان بن مظعون، وسعد بن معاذ، وشماس بن عثمان بن الشريد، والوليد بن الوليد بن

---

(١) انظر: باب رثاء النبيّ (صلى الله عليه وآله) سعد بن خولي ص ٢٩٨ ج٣ من إرشاد الساري للقسطلانيّ. (المؤلّف).

(٢) فيما روي، وقد ضعّف.

المغيرة، وأبي خراش الهذليّ، وأياس بن البكير الليثيّ، وعاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل، وغيرهم.

ولاحظ من الإصابة أحوال ذي الجناحين جعفر بن أبي طالب، وأبي زيد الطائيّ، وأبي منان بن حريث المخزوميّ، والأشهب بن رميلة الدارميّ، وزينب بنت العوّام، وعبد الله بن عبد المدان الحارثيّ، وجماعة آخرين لا تحضرني أسماؤهم.

ودونك كتاب الدرّة في التعازي والمراثي، وهو في أوّل الجزء الثاني من العقد الفريد، تجد فيه من مراثي الصحابة ومن بعدهم شيئاً كثيراً.

وليس شيء ممّا أشرنا إليه، إلّا وقد اشتمل على ما يهيّج الحزن، ويجدد اللّوعة بمدح الميت وذكر محاسنه.

ولمّا توفّي رسول الله صلى الله عليه وآله تنافست فضلاء الصحابة في رثائه، فرثته سيّدة نساء العالمين عليها السلام بأبيات تهيّج الأحزان، ذكر القسطلانيّ[1] في إرشاد الساري بيتين منها، وهما قولها عليها السلام:

ماذا على من شمَّ تربة أحمد ... أن لا يشمَّ مدى الزمان غواليا
صُبَّت عليَّ مصائب لو أنها ... صُبَّت على الأيام صرن لياليا

ورثته أيضاً بأبيات تثير لواعج الأشجان، ذكر ابن عبد ربّه المالكيّ بيتين منها في أوائل الجزء الثانيّ من العقد الفريد وهما:

إنّا فقدناك فقد الأرض وابلها ... وغاب مذ غبتَ عنّا الوحيُ والكتبُ

(١) إرشاد الساري ٣١٨/٣، باب رثاء النبيّ (صلى الله عليه وآله) سعد بن خولي.

فليت قبلك كان الموت صـادفنا   لما نعيت وحالت دونك الكثـب

ورثته عمّته صفيّة بقصيدة يائيّـة، ذكـر ابـن عبـد البرّ فـي أحـوال النبـيّ (صلى الله عليه وآله) من استيعابه[١] جملة منها.

ورثاه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بقصيدة لاميّة، ذكر بعضـها صاحبا الاستيعاب والإصابة[٢] في ترجمة أبي سفيان المذكور.

ورثاه أبو ذويب الهذليّ ـ كما يعلم من ترجمته في الاستيعاب والإصـابة[٣] ـ بقصيدة حائية.

ورثاه أبو الهيثم بن التيهان بقصيدةٍ دالية، أشار إليها ابن حجر في ترجمة أبي الهيثم من إصابته[٤].

ورثته أُمّ رعلة القشيريّة بقصيدة رائيّة، أشار إليها العسـقلانيّ فـي ترجمـة أُمّ رعلة من إصابته[٥].

ورثاه عامر بن الطفيل بن الحرث الأزدي بقصيدة جيميّة، أشار إليها ابـن حجر في ترجمة عامر من الإصابة[٦].

ومَن استوعب الاستيعاب، وتصفّح الإصابة وأُسد الغابـة، ومـارس كتـب

---

(١) الاستيعاب ٤٩/١.

(٢) المصدر السابق ١٦٧٥/٤، الإصابة ٣٦٦/٧، رقم ١٠٦٨٩.

(٣) الاستيعاب ١٦٥٠/٤، الإصابة ١١١/٧.

(٤) الإصابة ٣٦٦/٧.

(٥) المصدر السابق ٤٧٣/٣.

(٦) المصدر السابق ٣٩٠/٨.

الأخبار، يجد من مراثيهم المشتملة على تهييج الحزن بذكر محاسن الموتى شيئاً يتجاوز حدّ الإحصاء.

وقد أكثرت الخنساء ـ وهي صحابيّة ـ من رثاء أخويها صخر ومعاوية وهما كافران، وأبدعت في مدائح صخر، وأهاجت عليه لواعج الحزن، فما أنكر عليها منكر.

وأكثر أيضاً متمّم بن نويرة من تهييج الحزن على أخيه مالك في مراثيه السائرة، حتى وقف مرّة في المسجد وهو غاص بالصحابة أمام أبي بكر بعد صلاة الصبح، واتكأ على سية قوسه فأنشد:

نعم القتيلُ إذا الرياح تناوحت   خلف البيوت قُتِلَت يا ابن الأزور

ثمّ أومأ إلى أبي بكر ـ كما في ترجمة وثيمة بن موسى بن الفرات من وفيات ابن خلكان[1] ـ فقال مخاطباً له:

أدعوته بالله ثم غدرته   لو هو دعاك بذمّة لم يغدر

فقال أبو بكر: «والله ما دعوته ولا غدرته»، ثم قال:

ولنعم حشو الدرع كان وحاسراً   ولنعم مأوى الطارق المتنوّر
لا يمسك الفحشاء تحت ثيابه   حلو شمائله عفيف المأزر

وبكى حتّى انحط عن سية قوسه، قالوا: «فما زال يبكي حتى دمعت عينه العوراء» فما أنكر عليه في بكائه ولا في رثائه منكر، بل قال له عمر: ـ كما في

---

(١) وفيات الأعيان ١٦/٦.

ترجمة وثيمة من الوفيات[1] ـ «لوددتُ أنّك رثيتَ زيداً أخي بمثل ما رثيتَ به مالكاً أخاك» فرثى متمّم بعدها زيد بن الخطّاب فما أجاد، فقال له عمر: «لما لم ترث زيداً كما رثيت مالكاً»؟ فقال: «إنّه والله ليحرّكني لمالك ما لا يحركني لزيد».

واستحسن الصحابة ومَن تأخّر عنهم مراثيه في مالك، وكانوا يتمثّلون بها، كما اتفق ذلك من عائشة إذ وقفت على قبر أخيها عبد الرحمن ـ كما في ترجمته من الاستيعاب[2] ـ فبكت عليه وتمثّلت:

وكنا كندماني جذيمة حقبة　　　من الدهر حتّى قيل: لن يتصدّعا
فلمّا تفرّقنا كأنّي ومالكاً　　　لطول اجتماع لم نبت ليلةً معا

وما زال الرثاء فاشياً بين المسلمين وغيرهم في كلّ عصر ومصر، لا يتناكرونه مطلقاً.

---

(١) وفيات الأعيان ١٦/٦.
(٢) الاستيعاب ٨٢٦/٢ و ١٦٣٨/٤ .

المطلب الثالث

تلاوة الأحاديث المشتملة
على مناقب الميّت ومصائبه

تلاوة الأحاديث المشتملة على مناقب الميّت ومصائبه

كما كانت عليه سيرة السلف.

وفعلته عائشة، إذ وقفت على قبر أبيها باكية، فقالت: كنتَ للدنيا مذلّاً بإدبارك عنها، وكنتَ للآخرة معزّاً بإقبالك عليها، وكان أجلّ الحوادث بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) رزؤك، وأعظم المصائب بعده فقدك.

وفعله محمّد بن الحنفية، إذ وقف على قبر أخيه المجتبى عليه السلام، فخنقته العبرة ـ كما في أوائل الجزء من العقد الفريد[1] ـ ثم نطق فقال: «يرحمك الله أبا محمّد، فإنْ عزّت حياتك فقد هدّت وفاتك، ولنعم الروح روح ضمّه بدنك، ولنعم البدن بدن ضمّه كفنك، وكيف لا تكون كذلك؟ وأنت بقية ولد الأنبياء، وسليل الهدى، وخامس أصحاب الكساء، غذّتك أكف الحقّ، وربيت في حجر الإسلام، فطبت حياً وطبت ميتاً، وإن كانت أنفسنا غير طيّبة بفراقك، ولا شاكة في الخيار لك».

ثم بكى بكاءً شديداً، وبكى الحاضرون حتّى علا نشيجهم.

ووقف أمير المؤمنين عليه السلام على قبر خباب بن الأرت في ظهر الكوفة، وهو أول مَن دفن هناك ـ كما نصّ عليه ابن الأثير في آخر تتمّة صفين ـ فقال:

---

(١) العقد الفريد ٢/٣٧.

«رحم الله خباباً، لقد أسلم راغباً، وجاهد[١] طائعاً، وعاش مجاهداً، وابتُلي في جسمه أحوالاً، ولن يضيّع الله أجرَ من أحسن عملاً»[٢].

ولمّا توفّي أمير المؤمنين عليه السلام، قام الخلف من بعده أبو محمّد الحسن الزكي عليه السلام خطيباً فقال ـ كما في حوادث سنة ٤٠ من تاريخ ابن جرير وابن الأثير وغيرهما ـ: «لقد قتلتم الليلة رجلاً، والله ما سبقه أحد كان قبله، ولا يدركه أحد يكون بعده، والله إن كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) ليبعثه في السرية وجبريل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، والله ما ترك صفراء ولا بيضاء ... الخ»[٣].

ووقف الإمام زين العابدين عليه السلام على قبر جدّه أمير المؤمنين عليه السلام فقال: «أشهد أنّك جاهدت في الله حقّ جهاده، وعملت بكتابه، واتّبعت سنن نبيّه (صلى الله عليه وآله) حتّى دعاك الله إلى جواره، فقبضك إليه باختياره، لك كريم ثوابه، وألزم أعداءك الحجّة مع مالك من الحجج البالغة على جميع خلقه»[٤].

وعن أنس بن مالك ـ كما في العقد الفريد وغيره ـ قال: لمّا فرغنا من دفن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) بكت فاطمة، ونادت: «يا أبتاه أجاب ربّاً

---

(١) في المصدر: (هاجر).

(٢) الكامل؛ لابن الأثير ١٩٨/٣، حوادث سنة ٣٧، ط بيروت دار الكتب العلمية.

(٣) تاريخ الطبري ١٢١/٤، حوادث سنة ٤٠، بيروت الأعلمي، البداية والنهاية ٣٦٨/٧، ط دار إحياء التراث العربي، الإمامة والسياسة ١٤٠/١، ط القاهرة ١٤١٣.

(٤) كامل الزيارات: ٩٢ و ٩٣، باب زيارة قبر أمير المؤمنين عليه السلام وكيف يزار والدعاء عند ذلك.

دعاه، يا أبتاه مَن ربّه ما أدناه، يا أبتاه إلى جبرائيل ننعاه، يا أبتاه جنة الفردوس مأواه»[١].

ولو أردنا أن نستوفي ما كان من هذا القبيل، لخرجنا عن الغرض المقصود.

وحاصله: أنّ تأبين الموتى من أهل الآثار النافعة بنشر مناقبهم وذكر مصائبهم، ممّا حكم بحسنه العقل والنقل، واستمرّت عليه سيرة السلف والخلف، وأوجبته قواعد المدنيّة، واقتضته أُصول الترقيّ في المعارف، إذ به تُحفظ الآثار النافعة، وبالتنافس فيه تعرج الخطباء إلى أوج البلاغة، والقول بتحريمه يستلزم تحريم قراءة التاريخ، وعلم الرجال، بل يستوجب المنع من تلاوة الكتاب والسنّة؛ لاشتمالها على جملة من مناقب الأنبياء ومصائبهم، ومَن يرضى لنفسه هذا الحمق، أو يختار لها هذا العمى؟! نعوذ بالله من سفه الجاهلين.

---

(١) المجموع؛ للنوويّ ٣٠٨/٥، ط دار الفكر، والبخاري ١٤٤/٥، ط دار الفكر عام ١٤٠١، والمستدرك؛ للحاكم النيسابوري ٣٨٢/١ ط بيروت دار المعرفة عام ١٤٠٦، والسنن الكبرى للبيهقي ٧١/٤ ط دار الفكر.

المطلب الرابع

في الجلوس حزناً على الموتى

من أهل الحفائظ والأيادي المشكورة.

وحسبك في رجحان ذلك: ما تواتر عن رسول الله صلّى الله عليه وآله، من الحزن الشديد على عمّه أبي طالب وزوجته الصدّيقة الكبرى أُمّ المؤمنين عليها السلام، وقد ماتا في عام واحد، فسمّي عام الحزن، وهذا معلوم بالضرورة من أخبار الماضين[1].

وأخرج البخاريّ ـ في باب مَن جلس عند المصيبة يعرف فيه الحزن، من الجزء الأوّل من صحيحه ـ بالإسناد إلى عائشة، قالت: «لمّا جاء النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قتل ابن حارثة وجعفر وابن رواحة، جلس ـ أي في المسجد كما في رواية أبي داود ـ يعرف فيه الحزن»[2].

وأخرج البخاريّ في الباب المذكور أيضاً عن أنس، قال: «قنت رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) شهراً حين قتل القرّآء، فما رأيته حزن حزناً قطّ أشدّ منه»[3]. الحديث.

---

(١) انظر: الكامل في التاريخ؛ لابن الأثير ٦٠٦/١، ط دار الكتب العلمية.

(٢) البخاريّ ٨٣/٢، ط دار الفكر و ٨٧/٥. وصحيح مسلم ٤٥/٣، ط دار الفكر، والسنن الكبرى للبيهقيّ ٥٩/٤، سنن أبي داود.

(٣) البخاريّ ٨٤/٢، نيل الأوطار ٢٩٧/٢، ط بيروت.

والأخبار في ذلك أكثر من أن تحصى أو تستقصى.

والقول بأنّه إنّما يحسن ترتيب آثار الحزن، إذا لم يتقادم العهد بالمصيبة، مدفوع بأنّ من الفجائع ما لا تخبو زفرتها ولا تخمد لوعتها، فقرب العهد بها وبعده عنها سواء. نعم، يتمّ قول هؤلاء اللّائمين إذا تلاشى الحزن بمرور الأزمنة، ولم يكن دليل ولا مصلحة يوجبان التعبّد بترتيب آثاره، وما أحسن قول القائل في هذا المقام:

خلّي أُميمة عن ملا ... مكِ ما المعزّي كالثكول
ما الراقد الوسنان مثل ... معذَّب القلب العليل
سهران من ألم وهذا ... نائمُ الليل الطويل
ذوقي أُميمة ما أذوقُ ... وبعده ما شئتِ قولي

على أنّ في ترتيب آثار الحزن بما أصاب رسول الله صلّى الله عليه وآله، من تلك الفجائع، وحلَّ بساحته من هاتيك القوارع، حكماً توجب التعبّد بترتيب آثار الحزن بسببها على كلّ حال. والأدلّة على ترتيب تلك الآثار في جميع الأعصار متوفرة، وستسمع اليسير منها إنّ شاء الله تعالى.

وقد علمتَ سيرة أهل المدينة الطيّبة، واستمرارها على ندب حمزة، وبكائه مع بعد العهد بمصيبته، فلم ينكر عليهم في ذلك أحد، حتّى بلغني أنّهم لا يزالون إلى الآن إذا ناحوا على ميّت بدأوا بالنياحة عليه، وما ذاك إلّا مواساة لرسول الله صلّى الله عليه وآله بمصيبته في عمّه، وأداءً لحق تلك الكلمة التي قالها في البعث على البكاء عليه، وهي قوله: «لكن حمزة لا بواكي له»[1].

(١) تقدّم تخريجه، فراجع.

وكان الأولى لهم ولسائر المسلمين، مواساته في الحزن على أهل بيته، والاقتداء به في البكاء عليهم، وقد لامَ بعض أهل البيتعليهم السلام مَن لم يواسهم في ذلك، فقال: «يالله لقلب لا ينصدع لتذكار تلك الأُمور، ويا عجباً من غفلة أهل الدهور، وما عذر أهل الإسلام والإيمان في إضافة أقسام الأحزان، ألم يعلموا أنّ محمّداً (صلّى الله عليه وآله وسلّم) موتور وجيع، وحبيبه مقهور صريع. قال: وقد أصبح لحمه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) مجرّداً على الرمال، ودمه الشريف مسفوكاً بسيوف أهل الضلال، فياليت لفاطمة وأبيها عيناً تنظر إلى بناتها وبنيها، وهم ما بين مسلوب وجريح، ومسحوب وذبيح، إلى آخر كلامه»[(١)].

ومَنْ وقف على كلام أئمة أهل البيت في هذا الشأن، لا يتوقّف في ترتيب آثار الحزن عليهم مدى الدوران، لكنّا منينا بقوم لا ينصفون، فإنّا لله وإنا إليه راجعون.

---

(١) اللهوف، للسيد ابن طاوس: ٢٢.

المطلب الخامس

في الانفاق عن الميّت

في وجوه البرّ والإحسان.

ويكفي في استحبابه: عموم ما دلّ على استحباب مطلق المبرّات والخيرات، على أنّ فعل النبيّ صلى الله عليه وآله وقوله دالّان على الاستحباب في خصوص المقام.

وحسبك من فعله: ما أخرجه البخاريّ ومسلم في صحيحيهما[1] بطرق متعددة: عن عائشة، قالت: «ما غرتُ على أحد من نساء النبيّ (صلّى الله عليه وآله)، مثل ما غرتُ على خديجة، وما رأيتها، ولكن كان النبيّ (صلّى الله عليه وآله)، يُكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة، ثم يقطعها أعضاء، ثم يبعثها في صدائق خديجة، فربّما قلت له: «كأنّه لم يكن في الدنيا إلّا خديجة»، فيقول: «إنّها كانت وكانت وكان لي منها ولد».

قلتُ: وهذا يدلُّ على استحباب صلة أصدقاء الميّت وأوليائه في الله عزّ وجلّ بالخصوص.

---

(١) راجع من صحيح البخاريّ ٢٣١/٤ ، باب تزويج النبيّ خديجة وفضلها، من صحيح مسلم: باب فضائل خديجة أُمّ المؤمنين عليها السلام. (المؤلّف).

وللتفصيل راجع: مسند أحمد ٢٧٩/٦ ، والمستدرك للحاكم ١٧٥/٤ ، والمعجم الكبير للطبراني ٢٣/١٠ ح١١ وأُسد الغابة ٤٣٨/٥ . (المؤلّف).

ويكفيك من قولهصلى الله عليه وآله: ما أخرجه مسلم في باب وصول ثواب الصدقة عن الميت إليه، من كتاب الزكاة، في الجزء الأوّل من صحيحه بطرق متعدّدة، عن عائشة: إنّ رجلاً أتى النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فقال: «يا رسول الله، إنّ أُمي افتلتت نفسها، ولم توص، أفلها أجر إن تصدّقتُ عنها؟» قال (صلّى الله عليه وآله): «نعم»[١].

ومثله: ما أخرجه أحمد من حديث عبد الله بن عباس في الصفحة **٣٣٣** من الجزء الأوّل من مسنده، من أنّ سعد بن عباده، قال: «إنّ ابن بكر أخا بني ساعدة توفّيت أُمّه وهو غائب عنها، فقال: يا رسول الله، إنّ أُمّي توفّيت وأنا غائب عنها، فهل ينفعها إن تصدّقت بشيء عنها؟»، قال: «نعم»، قال: «فإنّي اشهدك أن حائط المخرف صدقة عليها»[٢].

والأخبار في ذلك متضافرة[٣]، ولاسيما من طريق العترة الطاهرة[٤].

---

(١) صحيح مسلم ٨١/٣.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ٣٣٣/١.

(٣) المعجم الأوسط للطبراني ٢١٧/١، مسند أبي يعلى الموصلي ٤١٠/٧، ح٤٤٣٤، السنن الكبرى للنسائي ١٠٩/٤ وكنز العمال / ٦:٥٩٩، ح١٧٠٥٣.

(٤) وربما كان المنكر علينا في ما نفعله من المبرّات عن الحسينعليه السلام، لا يقنع بأقوال النبيصلى الله عليه وآله ولا بأفعاله، وإنّما تقنعه أقوال سلفه، وأفعالهم، وحينئذٍ نحتجّ عليه بما فعله الوليد بن عقبة بن أبي معيط الأموي، إذ مات لبيد بن ربيعة العامري الشاعر، فبعث الوليد إلى منزله عشرين جزوراً، فنحرت عنه، كما نصّ عليه ابن عبد البرّ في ترجمة لبيد من الاستيعاب [١١٣٦/٣ـ١١٣٧]. (المؤلّف).

فصل

في مآتمنا المختصّة بسيّد الشهداء عليه السلام

في مآتمنا المختصّة بسيّد الشهداء عليه السلام

كلّ مَن وقف على ما سلف من هذه المقدّمة، يعلم أنّه لا وجه للإنكار علينا في مآتمنا المختصّة بسيّد الشهداء عليه السلام، ضرورة أنّه لا تشتمل إلّا على تلك المطالب الخمسة، وقد عرفت إباحتها بالنسبة إلى مطلق الموتى من كافّة المؤمنين.

وما أدري كيف يستنكرون مآتم انعقدت لمواساة النبيّ صلى الله عليه وآله؟ وأُسّست على الحزن لحزنه، أيبكي بأبي هو وأُمّي قبل الفاجعة ونحن لا نبكي بعدها؟ ما هذا شأن المتأسّي بنبيّه، والمقتصّ لأثره، إنّ هذا إلّا خروج عن قواعد المتأسّين، بل عدول عن سنن النبيّين.

ألم يرو الإمام أحمد بن حنبل من حديث عليّ عليه السلام، في الصفحة ٨٥ من الجزء الأوّل من مسنده، بالإسناد إلى عبد الله بن نجيّ، عن أبيه، أنّه سار مع عليّ (عليه السلام)، فلمّا حاذى نينوى، وهو منطلق إلى صفين نادى: «صبراً أبا عبد الله، صبراً أبا عبد الله بشطّ الفرات».

قال: «قلت: وما ذاك»؟

قال: «دخلتُ على رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ذات يوم وعيناه تفيضان، قلت: يا نبي الله، ما شأن عينيك تفيضان؟ قال: قام من عندي

جبرائيل قبل، فحدّثني أنّ ولدي الحسين يُقتل بشطّ الفرات، قال: فقال: هل لك إلى أن أشمَّك من تربته؟ قال: قلت: نعم! فمدّ يده، فقبض قبضة من تراب فأعطانيها، فلم أملك عينيّ أن فاضتا»[١].

وأخرج ابن سعد، كما في الفصل الثالث من الباب الحادي عشر، من الصواعق المحرقة لابن حجر[٢]، عن الشعبي، قال: «مرّ عليّ رضي الله عنه بكربلاء عند مسيره إلى صفّين وحاذى نينوى، فوقف وسأل عن اسم الأرض، فقيل: كربلاء؟ فبكى حتى بلّ الأرضَ من دموعه، ثم قال: دخلتُ على رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وهو يبكي، فقلت: ما يبكيك (بأبي أنت وأُمّي) قال: كان عندي جبرائيل آنفاً، وأخبرني أنّ ولدي الحسين، يقتل بشاطىء الفرات، بموضع يقال له: كربلاء». الحديث[٣].

وأخرج الملّا ـ كما في الصواعق أيضاً ـ: إنّ عليّاً مرّ بموضع قبر الحسين عليه السلام فقال: «هاهنا مناخ ركابهم، وهاهنا موضع رحالهم، وهاهنا مهراق دمائهم، فتية من آل محمّد، يقتلون بهذه العرصة، تبكي عليهم السماء والأرض»[٤].

---

(١) مسند أحمد ٨٥/١، ط دار صادر، ومجمع الزوائد، للهيثمي ١٨٧/٩ ، ط دار الكتب العلميّة سنة ١٤٠٨ ، مسند أبي يعلى الموصليّ ٢٩٨/١ ، المعجم الكبير للطبرانيّ ١٠٥/٣ ، ح ٢٨١١ ، كنز العمال ٦٥٥/١٣ ، ح ٣٧٦٦٣ .

(٢) كل ما ننقله في هذا المقام عن الصواعق من هذا الحديث وغيره، موجود في أثناء كلامه في الحديث الثلاثين، من الأحاديث التي أوردها في ذلك الفصل، فراجع. (المؤلّف).

(٣) انظر: الصواعق المحرقة، لابن حجر: ١٩٣ ، عنه: القندوزيّ في ينابيع المودّة ١٢/٣ .

(٤) وهذا الحديث رواه أصحابنا ـ بكيفيّة مشجية ـ عن الباقر عليه الصلاة والسلام، ورووه عن هرثمة، وعن ابن عباس، وإن أردت الوقوف عليه، فدونك ص ١٠٨ ـ وما بعدها إلى ـ ﴿

ومن حديث أُمّ سلمة ـ كما نصّ عليه ابن عبد ربّه المالكيّ[1]، حيث ذكر مقتل الحسين في الجزء الثاني من العقد الفريد ـ قالت: كان عندي النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ومعي الحسين، فدنا من النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فأخذته، فبكى، فتركته، فدنا منه، فأخذته فبكى فتركته، فقال له جبرائيل: «أتحبّه يا محمّد»؟

قال: «نعم»!

قال: «أمّا إنّ أُمّتك ستقتله، وإن شئت أريتك الأرض التي يقتل بها»، فبكى النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم)[2].

وروى الماورديّ الشافعيّ، في باب إنذار النبيّ ﷺ بما سيحدث بعده[3]، من كتابه (أعلام النبوّة) عن عروة، عن عائشة، قالت: «دخل الحسين ابن عليّ على رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وهو يُوحى إليه، فقال جبرائيل: «إنّ أُمّتك ستفتتن بعدك وتقتل ابنك هذا من بعدك، ومدّ يده فأتاه بتربة بيضاء،

ص ١١٢ من الخصائص الحسينيّة للتستريّ، وانظر: الصواعق المحرقة: ١٩٣.

(١) في السطر ١٥ من الصفحة ٢٤٣ من جزئه الثاني المطبوع سنة ١٣٠٥، وفي هامشه زهر الآداب.

(٢) وأخرج البغويّ في معجمه وأبو حاتم في صحيحه، من حديث أنس كما في الصواعق نحوه، وابن سعد في طبقاته ج ٨ ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام)، ح ٨١، والذهبيّ في ميزان الاعتدال ٨/١، وفي ط ص ١٣ في ترجمة أبان بن أبي عياش رقم ١٥.

(٣) وهو الباب الثاني عشر في الصفحة ٢٣ وفي طبعة الصفحة ١٨٢. من ذلك الكتاب، عنه ابن نما الحليّ في كتاب ذوب النضار في شرح الثار: ٢١، ط قم جماعة المدرّسين، سنة ١٤١٦.

وقال: في هذه يقتل ابنك، اسمها الطف».

قالت: «فلمّا ذهب جبرائيل، خرج رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) إلى أصحابه والتربة بيده، وفيهم: أبو بكر، وعمر، عليّ، وحذيفة، وعثمان، وأبوذر، وهو يبكي» فقالوا: «ما يبكيك يا رسول الله»؟ فقال: «أخبرني جبرائيل: إنّ ابني الحسين يقتل بعدي بأرض الطفّ، وجاءني بهذه التربة، فأخبرني أنّ فيها مضجعه»[١].

وأخرج الترمذيّ[٢] ـ كما في الصواعق وغيرها ـ: أنّ أُمّ سلمة رأت النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فيما يراه النائم باكياً، وبرأسه ولحيته التراب، فسألته فقال: «قُتِلَ الحسين آنفاً».

قال في الصواعق: وكذلك رآه ابن عباس، نصف النهار، أشعث أغبر، بيده قارورة، فيها دم يلتقطه، فسأله، فقال: «دم الحسين وأصحابه لم أزل أتتبعه منذ اليوم»[٣].

قال: «فنظروا فوجدوه قد قُتل في ذلك اليوم».

وأمّا صحاحنا، فإنّها متواترة في بكائه صلى الله عليه وآله على الحسين عليه السلام في مقامات عديدة: يوم ولادته، وقبلها، ويوم السابع من مولده، وبعده في بيت

---

(١) أخرجه الطبرانيّ في معجمه الكبير ١٠٧/٣، ح٢٨١٤، والهيثميّ في مجمع الزوائد ١٨٨/٩.

(٢) الترمذي في سننه ٢٢٣/٥ ح٣٨٦٠، والحاكم في المستدرك ١٩/٤، والبخاريّ في تاريخه الكبير ٣٢٤/٣ ح١٠٩٨.

(٣) وأخرجه من حديث ابن عباس أحمد بن حنبل في الصفحة ٢٨٣ من الجزء الأوّل من مسنده، وابن عبد البرّ، والعسقلانيّ في ترجمة (الإمام) الحسين (عليه السلام) من الاستيعاب والإصابة. وخلق كثير. (المؤلّف).

فاطمة، وفي حجرته، وعلى منبره، وفي بعض أسفاره، تارة يبكيه وحده، ومرة هو والملائكة، وأحياناً هو وعليّ وفاطمة، وربّما بكاه هو وأصحابه، وكان يقبّله في نحره ويبكي، ويقبّله في شفتيه ويبكي، وإذا رآه فرحاً يبكي، وإذا رآه حزيناً يبكي، بل صحّ أنّه قد بكاه: آدم، ونوح، وإبراهيم، وإسماعيل، وموسى، وعيسى، وزكريا، ويحيى، والخضر، وسليمان عليهم السلام، وتفصيل ذلك كلّه موكول إلى مظانّه من كتب الحديث[1].

وأمّا أئمّة العترة الطاهرة الذين هم كسفينة نوح، وباب حطّة، وأمان أهل الأرض، وأحد الثقلين اللذين لا يضلُّ مَن تمسّك بهما، ولا يهتدي إلى الله من صدَّ عنهما، فقد استمرّت سيرتهم على الندب والعويل، وأمروا أوليائهم بإقامة مآتم الحزن، جيلاً بعد جيل، فعن الصادق عليه السلام ـ فيما رواه ابن قولويه في الكامل، وابن شهرآشوب في المناقب، وغيرهما ـ: «إنّ علي بن الحسين عليهما السلام بكى على أبيه مدّة حياته، وما وضع بين يديه طعام إلّا بكى، ولا أتى بشراب إلّا بكى، حتى قال له أحد مواليه: جُعلت فداك، يا ابن رسول الله؛ إنّي أخاف أن تكون من الهالكين، قال عليه السلام: إنّما أشكو بثّي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون»[2].

وروى ابن قولويه وابن شهرآشوب أيضاً وغيرهما: إنّه كلّما كثر بكاؤه

(١) انظر: الصفحة ١٠٥ وما بعدها إلى الصفحة ٢٣٢ من الخصائص الحسينيّة، وإن شئت انظر: جلاء العيون، والبحار، والمنتخب للطريحي، وأسرار الشهادة للدربنديّ، وسيرتنا وسنّتنا للعلامة الأمينيّ.

(٢) كامل الزيارات: ٢١٣ ح١، باب ٣٥، عنه البحار ٤٦/٦٣ ح١٩، والخصال للصدوق: ٥١٨ ح٤، في باب ٢٣.

قال له مولاه: «أما آن لحزنك أن ينقضي»؟ فقال: «ويحك، إنّ يعقوب عليه السلام كان له اثنا عشر ولداً، فغيّب الله واحداً منهم، فابيضّت عيناه من كثرة بكائه عليه، واحدودب ظهره من الغمّ، وابنه حيّ في الدنيا، وأنا نظرت إلى أبي، وأخي، وعمومتي وسبعة عشر من أهل بيتي مقتولين حولي، فكيف ينقضي حزني؟»[١].

وعن الباقر عليه السلام[٢] قال: «كان أبي عليّ بن الحسين (صلوات الله عليه) يقول: أيّما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين بن عليّ عليه السلام دمعة حتى تسيل على خدّه، بوّأه الله تعالى في الجنّة غرفاً يسكنها أحقاباً، وأيّما مؤمنٍ دمعت عيناه حتى تسيل على خدّه فينا، لأذى مسّنا من عدوّنا في الدنيا، بوّأه الله في الجنّة مبوّأ صدق، وأيّما مؤمن مسّه أذى فينا فدمعت عيناه حتى تسيل على خده (من مضاضة ما أُوذي فينا)[٣]، صرف الله عن وجهه الأذى، وآمنه يوم القيامة من سخطه والنار»[٤].

وقال الرضا[٥] ـ وهو الثامن من أئمة الهدى، صلوات الله وسلامه عليهم ـ:

---

(١) كامل الزيارات: ٢١٣ ح٢، وسائل الشيعة ٢٨٣/٣ ح١١، باب ٨٧، العوالم، الإمام الحسين عليه السلام: ٤٤٩.

(٢) في ما أخرجه جماعة، منهم ابن قولويه في كامله [كامل الزيارات: ٢٠١ ح١، باب ٣٢]. (المؤلّف).

(٣) بين القوسين من المصدر.

(٤) كامل الزيارات: ٢٠١ ح١، باب ٣٢.

(٥) في ما أخرجه الصدوق في أماليه: ١١١، وابن فتال النيسابوري المتوفّى سنة ٥٠٨ في روضة الواعظين: ١٦٩ ط قم الشريف الرضي، وابن شهرآشوب في مناقبه ٢٣٨/٣، والإقبال للسيّد ابن طاوس ٢٨/٣، ط مكتب الإعلام.

«إنّ المحرّم شهر كان أهل الجاهليّة يحرّمون فيه القتال، فاستحلّت فيه دماؤنا، وهتكت فيه حرمتنا، وسُبيت فيه ذرارينا ونساؤنا، واضرمت فيه النار في مضاربنا، وانتهب ما فيها من ثقلنا[١]، ولم ترع لرسول الله صلى الله عليه وآله حرمة في أمرنا، إنّ يوم الحسين أقرح جفوننا، وأسبل دموعنا، وأذلّ عزيزنا، فعلى مثل الحسين فليبك الباكون، فإنّ البكاء عليه يحطّ الذنوب العظام (ثم قال عليه السلام): كان أبي إذا دخل شهر المحرم، لا يرى ضاحكاً، وكانت الكآبة تغلب عليه، فإذا كان يوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبته وحزنه وبكائه».

وقال (عليه السلام)[٢]: «مَن تذكّر مصابنا وبكى لما ارتكب منّا كان معنا في درجتنا يوم القيامة، ومَن ذكر مصابنا فبكى وأبكى لم تبكِ عينه يوم تبكي العيون، ومَن جلس مجلساً يُحيى فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب»[٣].

وعن الريّان بن شبيب ـ في ما أخرجه الشيخ الصدوق في العيون ـ قال: «دخلتُ على الرضا عليه السلام في أوّل يوم من المحرّم، فقال لي: «يابن شبيب، إن المحرّم هو الشهر الذي كان أهل الجاهليّة يحرّمون فيه الظلم والقتال؛ لحرمته، فما عرفت هذه الأُمّة حرمة شهرها ولا حرمة نبيّها صلى الله عليه وآله، إذ قتلوا في هذا الشهر ذريّته، وسبوا نساءه وانتهبوا ثقله، يابن شبيب إن كنت باكياً لشيء فابك للحسين (عليه السلام) فإنّه ذبح كما يُذبح الكبش[٤]، وقتل معه من أهل بيته

---

(١) الثقل: وزان سبب: متاع المسافر، وكلّ شيء نفيس مصون.

(٢) في ما أخرجه الصدوق في أماليه: ١٣١، ح٤، المجلس السادس عشر.

(٣) مكارم الأخلاق: ٣١٥، وسائل الشيعة ٥٠٢/١٤ ح٤، البحار ٢٧٨/٤٤ ح١ و ٢.

(٤) إن التعبير ـ كهذا ـ ممّا يدلك على غاية همجية القوم وشقائهم، وبعدهم عن العطف ☜

ثمانية عشر رجلاً ما لهم في الأرض من شبيه، ولقد بكت السماوات السبع لقتله ـ إلى أن قال ـ: يا ابن شبيب إن سرّك أن تكون معنا في الدرجات العلى فاحزن لحزننا وافرح لفرحنا، وعليك بولايتنا». الحديث[١].

الإنسانيّ، بالإضافة على قتلهم ريحانة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وهتكهم حرمته في سبطه روحي فداه.

وقد أجمل الإمام عليه أفضل الصلاة والسلام لما أدى عن الفاجعة وأهميتها بهذا الكلام القصير، وأشار به إلى معنى جسيم يدركه الباحث المتعمق بعد التحليل والاختبار، ويندهش ـ المجموع البشريّ ـ لمثل هذه الرزيّة عندما علم أنّه لم يوجد بين تلك الجموع المحتشدة في كربلاء مَن يردعهم عن موقفهم البغيض، ولا أقل مَن تسائل بعضهم: لماذا نقاتل الحسين؟ وبأيّ عمل استحق ذلك منّا؟

أو هل كان دم الحسين (عليه السلام) مباحاً إلى حدّ إباحة دم الكبش؟! ويُذبح ـ بأبي وأُمّي ـ بلا ملامة لائم ومن دون خشية محاسب!!

والتاريخ ـ بأيدينا ـ لم يحدّثنا عن وجود متردّد في قتل الحسين عليه السلام يوم عاشوراء بل اجتمعوا لذلك على قول واحد بلا رافض منهم يتخيل أنّ هناك محذوراً شرعيّاً أو عرفيّاً في ما يصنعون.

حتّى أنّ الشهيد السعيد الحرّ بن يزيد الرياحي، لمّا اعتزلهم ـ قبل أن يشرعوا بالقتال ـ ولحق بالحسين ـ روحي فداه ـ وعظهم وزجرهم، لم يتعظوا بكلامه ولم يهتدوا إلى خيرهم، ولم يتّبعوه وهم غير شاكّين في الندامة اللاحقة بهم في مستقبلهم المظلم القريب.

وقد كان لالتحاق ـ الحرّ ـ الرياحي الأثر البالغ، حيث أقام الحجّة بعمله هذا على أهل الكوفة، وبرهن لهم إمكان التوبة، والرجوع إلى الله، واتّباع الحقّ كما فعل هو ـ سلام الله عليه ـ وقد استغل الفرصة ودافع عن الحسين (عليه الصلاة والسلام) واستشهد بين يديه، وسعد في الدنيا بخلود ذكره، وفاز بصحبة النبيّ العظيم صلى الله عليه وآله في الفردوس الأعلى. (المؤلّف).

(١) عيون أخبار الرضا ٢٦٨/٢ ح ٥٨، إقبال الأعمال ٢٩/٣، وسائل الشيعة ٣٢٤/١٠ ح١٨، ط دار إحياء التراث العربي.

وقال (عليه السلام) في ما أخرجه الصدوق في أماليه: «مَن ترك السعي في حوائجه يوم عاشوراء قضى الله له حوائج الدنيا والآخرة، ومَن كان يوم عاشوراء يوم مصيبته وحزنه وبكائه جعل الله عزّ وجلّ يوم القيامة يوم فرحه وسروره، وقرّت بنا في الجنان عينه». الحديث[١].

وبكى صلوات الله عليه إذ أنشده دعبل بن عليّ الخزاعي قصيدته التائيّة السائرة حتّى أُغمي عليه في أثنائها مرّتين، كما نصّ عليه الفاضل العباسيّ في ترجمة دعبل من معاهد التنصيص[٢]، وغيره من أهل الأخبار.

وفي البحار وغيره: إنّه عليه السلام أمر قبل إنشادها بستر فضرب دون عقائله، فجلسن خلفه يسمعن الرثاء، ويبكين على جدّهن سيّد الشهداء، وأنّه قال يومئذ: «يا دعبل، من بكى أو أبكى على مصابنا ولو واحداً، كان أجره على الله، يا دعبل، مَن ذرفت عيناه على مصابنا حشره الله معنا»[٣].

وحدّث محمّد بن سهل ـ كما في ترجمة الكميت من معاهد التنصيص ـ قال:«دخلتُ مع الكميت على أبي عبد الله جعفر بن محمّد الصادق (عليه السلام) في أيام التشريق فقال له: «جُعلت فداك ألا أُنشدك؟».

قال: «إنها أيّام عظام».

قال: «إنّها فيكم».

---

(١) الأمالي للصدوق: ١٩١ ح ٤ المجلس ٢٧، والعلل ٢٢٧/١ ح ٢ باب ١٦٢، روضة الواعظين: ١٦٩، والمناقب لابن شهرآشوب ٢٣٩/٣ ط النجف.

(٢) معاهد التنصيص ١٩٠/٢.

(٣) البحار ٢٥٧/٤٥ ح ١٥، ط بيروت مؤسّسة الوفاء، العوالم ـ الإمام الحسين عليه السلام ـ: ٥٤٥، ومستدرك الوسائل ٣٨٦/١٠ ح ٢.

قال: «هات»، وبعث أبو عبد الله إلى بعض أهله، فقرب، فأنشده في رثاء الحسين عليه السلام، فكثر البكاء حتّى أتى على هذا البيت:

يصيب به الرامون عن قوس غيرهم فيا آخراً أسدى له الغي أوّل

قال: فرفع أبو عبد الله رحمه الله تعالى يديه فقال: «اللّهم اغفر للكميت ما قدّم وما أخّر، وما أسرّ وما أعلن، وأعطه حتّى يرضى»[١][٢].

وفي كامل الزيارات بالإسناد إلى عبد الله بن غالب، قال: «دخلت على

---

(١) انظر: نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار ١٩٩/٩.

(٢) بخ بخ هنيئاً لمَن نال من أئمة الهدى بعض ذلك، وأنت تعلم أنّه عليه السلام لم يبتهل بالدعاء للكميت هذا الابتهال إلّا لما دلّ عليه بيته هذا من معرفته بحقيقة الحال، وقد أكثر الشعراء من نظم هذا المعنى، فنظمه المهيار في قصيدته اللّامية، وقبل ذلك نظمه الشريف الرضي فقال:

بنى لهم الماضون أساس هذه فعلوا على أساس تلك القواعد

وكأن سيّدة نساء عصرها (زينب عليها السلام) أشارت إلى هذا المعنى بقولها مخاطبة ليزيد: «وسيعلم مَن سوّل لك ومكّنك من رقاب المسلمين».

بل أشار إليه معاوية، إذ كتب إليه محمّد بن أبي بكر يلومه في تمرّده على أمير المؤمنين عليه السلام، ويذكر له فضله وسابقته، فكتب له معاوية في الجواب ما يتضمن الإشارة إلى المعنى الذي نظمه الكميت، فراجع ذلك الجواب في كتاب صفّين لنصر بن مزاحم، أو شرح النهج لابن أبي الحديد، أو مروج الذهب للمسعودي.

وقد اعترف بذلك المعنى يزيد بن معاوية، إذ كتب إليه ابن عمر يلومه على قتل الحسين فأجابه: «أمّا بعد فإنّا أقبلنا على فرش ممهّدة ونمارق منضدة»، إلى آخر الكتاب. وقد نقله البلاذري وغيره من أهل السير والأخبار، وفي كتابنا سبيل المؤمنين من هذا شيء كثير، فحقيق بالباحثين أن يقفوا عليه. (المؤلّف).

أبي عبدالله عليه السلام فأنشدته مرثية الحسين عليه السلام، فلمّا انتهيت إلى قولي فيها: (لبليةٍ) البيت، صاحت باكية من وراء الستر: «يا أبتاه...»(١).

وروى الصدوق في الأمالي وثواب الأعمال، وابن قولويه، بأسانيد معتبرة، عن أبي عمارة، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «يا أبا عمارة، أنشدني في الحسين، فأنشدته فبكى، ثم أنشدته فبكى. قال: فوالله ما زلتُ أنشده ويبكي، حتى سمعت البكاء من الدار، فقال: يا أبا عمارة، مَن أنشد في الحسين بن عليّ (عليهما السلام) فأبكى خمسين فله الجنّة، ومَن أنشد في الحسين فأبكى ثلاثين فله الجنّة، ومَن أنشد في الحسين فأبكى عشرين فله الجنّة، ومن أنشد في الحسين فأبكى عشرة فله الجنّة، ومَن أنشد في الحسين فبكى فله الجنّة، ومن أنشد في الحسين فتباكى فله الجنّة»(٢).

وروى الصدوق في ثواب الأعمال، بالإسناد إلى أبي هارون المكفوف قال: «دخلت على أبي عبدالله الصادق عليه السلام، فقال لي: يا أبا هارون، أنشدني في الحسين عليه السلام، فأنشدته، فقال لي: أنشدني كما تنشدون ـ يعني بالرقة ـ قال: فأنشدته:

أُمرر على جدث الحسين فقل لأعظمه الزكية

---

(١) كامل الزيارات: ١٠٥ ح٣، والبحار ٢٨٦/٤٤ ح٢٤، ومستدرك الوسائل ٣٨٥/١٠ ح١ والبيت هو:

لبليّةٍ تسقو حسيناً بمسقاة الثرى غير الترابِ

(٢) كامل الزيارات: ٢٠٩ ح٢ باب ٣٣، وثواب الأعمال للصدوق: ١١١ ح٢، والأمالي للصدوق المجلس: ٢٩ ح٦، والبحار ٢٨٢/٤٤.

قال: فبكى، ثم قال: زدني، فأنشدته القصيدة الأُخرى، قال: فبكى، وسمعت البكاء من خلف الستر، فلما فرغت، قال: يا أبا هارون، مَن أنشد في الحسين (عليه السلام) شعراً فبكى وأبكى عشرة، كتبت لهم الجنة. (إلى أن قال:) ومن ذكر الحسين عنده فخرج من عينيه مقدار جناح ذبابة، كان ثوابه على الله عزّ وجلّ، ولم يرض له بدون الجنّة»(١).

وروى الكشّي بسند معتبر عن زيد الشحّام، قال: «كنّا عند أبي عبد الله (عليه السلام) فدخل عليه جعفر بن عفّان فقرّبه وأدناه، ثم قال: يا جعفر!، قال: لبيك جعلني الله فداك، قال: بلغني أنّك تقول الشعر في الحسين (عليه السلام) وتجيد، فقال له: نعم جعلني الله فداك، فقال: قل، فأنشده، فبكى ومَن حوله حتى صارت الدموع على وجهه ولحيته، ثم قال: يا جعفر، والله لقد شهدك ملائكة الله المقرّبون هاهنا يسمعون قولك في الحسين (عليه السلام)، ولقد بكوا كما بكينا وأكثر، (إلى أن قال:) ما من أحد قال في الحسين شعراً فبكى وأبكى إلّا أوجب الله له الجنّة، وغفر له»(٢).

وروى ابن قولويه في الكامل ـ بسند معتبر ـ حديثاً عن الصادق (عليه السلام) جاء فيه: «وكان جدّي عليّ بن الحسين (عليهما السلام) إذا ذكره ـ يعني الحسين عليه السلام ـ بكى حتى تملأ عيناه لحيته، وحتى يبكي لبكائه رحمة له مَن رآه، وإنّ الملائكة الذين عند قبره ليبكون، فيبكي لبكائهم كلّ مَن في

(١) ثواب الأعمال: ١١١ ح١، ط بيروت الأعلمي.

(٢) رجال الكشي ٥٧٤/٣ رقم ٥٠٨ في ترجمة جعفر بن عفّان الطائي؛ ط مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث.

الهواء والسماء، وما من باكٍ يبكيه إلّا وقد وصل فاطمة وأسعدها، ووصل رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأدّى حقّنا». الحديث[١].

وفي قرب الإسناد، عن بكر بن محمّد الأزديّ، قال: قال أبو عبدالله (الصادق) عليه السلام لفضيل بن يسار: «تجلسون وتتحدّثون؟».

قال: نعم جعلت فداك، قال عليه السلام:

«إنّ تلك المجالس أحبّها، فأحيوا أمرنا، فرحم الله مَن أحيى أمرنا، يا فضيل، مَن ذكرنا أو ذُكرنا عنده، فخرج من عينه مثل جناح الذباب[٢] غفر

---

(١) كامل الزيارات: ١٦٨ ح٨ باب ٢٦، مدينة المعاجز، للسيّد هاشم البحراني ١٦٧/٤ ح٢٤٢.

(٢) كانت الأمم ـ ولم تزل ـ تقيم المهرجانات لعظمائها بشتّى المناسبات، فمِن وارد يستقبلونه بهتاف وتصفيق، أو جثمان يحملونه على الأكتاف صارخين، واعتادت الصحف ـ عالمية وأقليميّة ـ بنشرها لتفاصيل تعطي قرائها معلومات كافية عن تلك الأنباء، وتطبع الصور المجناة عنها للغاية نفسها.

وقد تقوم وزارة التوجيه والإرشاد بإذاعة تلك الأخبار إذا كسبت الأهمية لديها بصورة ما، وفي الساعة الأخيرة يثاب المساهمون ويجزون بالجميل فعلاً، وقد يكافئون بالأفضل كلّ على حسبه، كما أنّ غيرهم يُحرم ممّا يقابل به المحسنون، آمنين كانوا أم غير آمنين، عن صميم كان عملهم أم لا، والقصد في عملهم صحيحاً كان أم خالطه خوف أو رجاء.

فإذا كان الحال عند الشعوب والقبائل والحكومات والدول ـ كما قدمنا ـ جزاء المحسن بإحسان مثل ما يؤدّيه من الواجب، أو على قدر ما يبديه بالنسبة إلى الفقيد وذويه، وإلى أصحاب العزاء، وإهمال المفرط بل عقابه أحياناً، كان على الله سبحانه أن يبذل ما يناسب وشأنه العزيز ـ بكرمه وجوده ـ للمعزّين بأبي الشهداء ـ روحي له الفداء ـ من الغفران والجنّة والرضوان، وما ذلك عليه بعزيز ـ والأمر والملك له ـ حيث أنّ الحسين ثار الله ـ كما ورد ـ وأنّ معالم الدين ـ المحمدي (صلّى الله عليه وآله) الحنيف ـ لم تعش إلّا ←

الله له ذنوبه ولو كانت أكثر من زبد البحر»[١].

وفي خصال الصدوق[٢]، عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: «إنّ الله تبارك وتعالى اطلع إلى الأرض فاختارنا، واختار لنا شيعة، ينصروننا، ويفرحون لفرحنا، ويحزنون لحزننا، ويبذلون أموالهم وأنفسهم فينا، أُولئك منّا وإلينا»[٣].

ببركة الحسين وأهل بيته (صلّى الله عليهم)، والله يعلم أنّ الذي يخرج من العين لا يكون إلّا عن حرقة، ولم يكن إلّا عند فيضان الأحاسيس وهيجان العواطف.

فالذي ورد في ثواب الباكين على الحسين (عليه السلام) ـ ولو مثل جناح الذباب ـ مجمع عليه عند المشيخة والأعلام، بلا مناقشة في نصوص الأحاديث المروية في هذا الشأن لتواترها، وكثرتها وقوّة سندها ونباهة رجالها. (الميلاني).

(١) انظر: قرب الإسناد: ٣٦ ح١١٧، وثواب الأعمال: ١٨٧، ط قم الشريف الرضي، وابن إدريس في مستطرفات السرائر: ٢٢٦، ط قم.

(٢) الخصال: ٦٣٥، ح١٠، ط قم جماعة المدرّسين، البحار ج٤٤، ص٢٨٧، ح٢٦.

(٣) قد يرى بعضهم غموضاً في التوجيه المقصود من هذا الحديث، إذ أنّ الحزن على مصاب الحسين (عليه السلام) والبذل في مأتمه عند فرق المسلمين وغيرهم من الملل الأُخرى، لا يقصران عما تأتيه الشيعة، فيلزم: إمّا التوسع في معنى التشيع، وإمّا إهمال الباقين وحرمانهم من ثواب عملهم.

والذي أرتأيه ـ منذ بلغني وشاهدت ما تصنعه الطوائف غير المسلمة، وبعض الفرق الإسلاميّة (غير الشيعة) تجاه سيّد الشهداء روحي له الفداء ـ أنّه عليه السلام يضمن لهم السعادة الأبديّة بشفاعته عند الله، فلا يخرجون من الدنيا إلّا مؤمنين، وفي الجنان آمنين، فيكونوا شيعة بعناية الله؛ تقديراً لما بذلوه من المال والنفس، وما عملوه في سبيله (صلّى الله عليه).

وهذا أمر جائز في حدّ ذاته وغير بعيد ـ بل واقع ـ ممن ملأ الكون من أحاديث جوده وكرمه مدّة حياته القدسية الإلهيّة، وقد جاء في الصحيح: «إنّ الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة».

وفي كامل الزيارات بالإسناد إلى أبي عمارة المنشد، قال: «ما ذكر الحسين (عليه السلام) عند أبي عبد الله (الصادق عليه السلام) في يوم قط، فرئي متبسّماً في ذلك اليوم إلى الليل». قال: «وكان أبو عبدالله عليه السلام يقول: الحسين عبرة كلّ مؤمن»(١).

وفيه بالإسناد إلى الصادق عليه السلام، قال: «قال الحسين (عليه السلام): أنا قتيل العبرة، لا يذكرني مؤمن إلّا استعبر»(٢).

إلى غير ذلك من صحاح الأخبار المتواترة عن الأئمة الأبرار، وناهيك بها حجّة على رجحان هذه المآتم، واستحبابها شرعاً، فإنّ أقوال أئمة الهدى من أهل البيت عليهم السلام وأفعالهم، وتقريرهم، حجّة بالغة؛ لوجوب عصمتهم بحكم العقل والنقل، كما هو مقرّر في مظانّه من كتب المتكلّمين من أصحابنا، والتفصيل في كتابنا (سبيل المؤمنين).

على أنّ الاقتداء بهم في هذه المآتم وغيرها لا يتوقّف ـ عند الخصم ـ على عصمتهم، بل يكفينا فيه ما اتفقت عليه الكلمة من إمامتهم في الفتوى، وأنّهم في أنفسهم لا يقصرون عن الفقهاء الأربعة، والثوريّ، والأوزاعيّ،

وأمّا كرمه بعد شهادته إلى هذا التاريخ، فقد طبق الدنيا ـ شرقها وغربها ـ من حديثه، حيث لم يخب مَن تمسّك به من ذوي الحاجات، فكم من كربة دفعها بإذن الله تعالى، لا يفرق بين من يمّه عند مرقده الطاهر، وبين مَن توجّه إليه من مكانه ـ مهما بعد ـ وناداه لمشكلته، وإنّ لهؤلاء قصصاً يحضرني الآن منها شيء وافر ليس هذا محلّها. (الميلاني).

(١) كامل الزيارات: ٢١٤ ح٢ باب ٣٦، والبحار ٤٤/٢٨٠.

(٢) كامل الزيارات: ٢١٥ ح٣ باب ٣٦، الأمالي للصدوق، المجلس الثامن والعشرون: ٢٠٠، ح٨.

وأضرابهم، علماً ولا عملاً.

وأنت تعلم أنّ هذه المآتم لو ثبتت عن أبي حنيفة أو صاحبيه أبي يوسف والشيباني مثلاً، لاستبق الخصم إليها وعكف أيام حياته عليها، فلِمَ ينكرها علينا ويندّد بها بعد ثبوتها عن أئمة أهل البيت، يا منصفون؟!

أتراه يرى في أئمة الثقلين أمراً يقتضي الإعراض عنهم، أو يجد فيهم شيئاً يستوجب الإنكار على الآخذين بمذهبهم؟ أو أنّ هناك أدلّة خاصّة، تقصر الإمامة في الفتوى على أئمة خصومنا ولا تبيح الرجوع إلى غيرهم؟ كلّا، إنّ واقع الأمر وحقيقة الحال بالعكس.

هذا حديث الثقلين المجمع على صحته واستفاضته، قد أنزل العترة من منزلة الكتاب، وجعلها قدوة لأُولي الألباب، فراجعه: في باب فضائل علي (عليه السلام) من صحيح مسلم، أو في الجمع بين الصحيحين، أو الجمع بين الصحاح الستة، أو في حديث أبي سعيد الخدري من مسند أحمد بن حنبل، أو خصائص عليّ (عليه السلام) للإمام النسائي، أو في تفسيري الثعلبيّ والبيهقيّ، وفي حلية الحافظ الأصفهانيّ، أو كتب الحاكم والطبرانيّ وغيرها من كتب الحديث، وأنا أورده لك بلفظ الترمذيّ(١) بحذف الإسناد، قال: قال

(١) قال ابن حجر ـ بعد نقله عن الترمذيّ ـ في أثناء تفسيره للآية الثانية من الآيات التي أوردها في الفصل الأوّل من الباب الحادي عشر من صواعقه ما هذا لفظه:

ثم اعلم أنّ لحديث التمسّك بذلك طرقاً كثيراً، وردت عن نيّف وعشرين صحابياً (قال: ومر له طرق مبسوطة في حادي عشر الشبه، وفي بعض تلك الطرق أنّه قال ذلك في حجّة الوداع بعرفة، وفي أُخرى: إنّه قاله بالمدينة في مرضه وقد امتلأت الحجرة بأصحابه، وفي أُخرى: إنّه قال ذلك في غدير خم، وفي أُخرى: إنّه قاله لمّا قام خطيباً ـ بعد انصرافه من الطائف ـ ☜

رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)[(١)]: «إنّي تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلوا بعدي، (الثقلين) أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله عزّ وجلّ حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتّى يردا على الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»؟

وقد زاد الطبراني: «فلا تقدّموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلّموهم فإنهم أعلم منكم»[(٢)].

قلت: لا يخفى أنّ تعليق عدم الضلال على التمسّك بهما، يقتضي بحكم المفهوم ثبوت الضلال لمَن تخلّى عن أحدهما، وناهيك به في وجوب اتّباع العترة، والانقطاع في الدين إليها وإلى قرآن العزيز.

على أنّ اقترانهم بالكتاب ـ وهو معصوم ـ وجعلهم في وجوب التمسّك بهم مثله، دليل قاطع على حجيّة أقوالهم، وأفعالهم، وأنّ الرجوع في الدين إلى خلافهم ليس إلّا كترك القرآن والرجوع إلى كتاب يخالف أحكامه، ولا تنس دلالة قوله (صلّى الله عليه وآله): «ولن يفترقا»، على عدم خلو الزمان ممّن يفرغ منهم عن القرآن، والقرآن يفرغ عنه[(٣)].

قال: ولا تنافي، إذ لا مانع من أنّه كرّر عليهم ذلك في تلك المواطن اهتماماً بشأن الكتاب العزيز، والعترة الطاهرة . [انظر: الصواعق المحرقة: ١٥٢] (المؤلّف).

(١) انظر: الترمذيّ في سننه ٣٢٩/٥ ح ٣٨٧٦ ، أحمد في مسنده ١٤/٣ و ١٨٢/٥ ، ط بيروت دار صادر، والبيهقيّ في سننه الكبرى ج /١٨ ، ط دار الفكر، والهيثمي في مجمع الزوائد، ج /١٦٣ ، ط دار الكتب العلميّة، والمصنّف لابن أبي شيبة ١٧٦/٧ ج ٥ .

(٢) المعجم الكبير للطبراني ٦٦/٣ ح ٢٦٨١ ، ط القاهرة.

(٣) ومثله: قوله صلى الله عليه وآله: «في كلّ خلف من أُمّتي عدول من أهل بيتي، ينفون عن هذا الدين

ثمّ إنّ قوله: «فلا تقدّموهم فتهلكوا، ولا تقصروا عنهم فتهلكوا، ولا تعلّموهم، فإنّهم أعلم منكم» نصّ صريح فيما قلناه كما لا يخفى.

وكم لهذا الحديث من نظير في الدلالة على وجوب الاقتداء بالعترة الطاهرة، والمنع من مخالفتها.

نستلفت الباحثين إلى ما أخرجناه من ذلك في مبحث العصمة من (سبيل المؤمنين)، وحسبك منه ما أخرجه الحاكم بسند صحّحه على شرط البخاريّ ومسلم[1]: عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، قال من جملة حديث: «وأهل بيتي أمان لأُمّتي من الاختلاف، فإذا خالفتها قبيلة من العرب ـ في بعض أحكام الدين ـ اختلفوا ـ في فتاويهم ـ فصاروا حزب إبليس»[2].

أليس هذا نصّاً في وجوب اتّباعهم، وحرمة مخالفتهم؟ وهل في لغة العرب أو غيرها عبارة أبلغ منه في إنذار مخالفيهم؟

وأخرج أحمد بن حنبل وغيره[3] بالإسناد إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله، قال: «النجوم أمان لأهل السماء، فإذا ذهبت ذهبوا، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض،

تحريف الضالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، ألا وإنّ أئمتكم وفدكم إلى الله عزّ وجلّ، فانظروا مَن توفدون» أخرجه الملّا، كما في تفسير الآية الرابعة من الآيات التي أوردها ابن حجر في الفصل الأوّل من الباب الحادي عشر من صواعقه. وفي هذا المعنى صحاح متواترة من طريق العترة الطاهرة، بل هو من ضروريات مذهبهم عليهم السلام. (المؤلّف).

(١) كما في تفسير الآية السابعة من الآيات التي أوردها ابن حجر في الفصل الأوّل من الباب الحادي عشر من صواعقه، ونقله حاكماً بصحته أيضاً في باب الأمان ببقائهم من أواخر الصواعق.

(٢) الحاكم في مستدركه ٧٥/٤، ط دار المعرفة ١٤٠٦.

(٣) كما نصّ عليه ابن حجر في باب الأمان ببقائهم من صواعقه.

فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض»[١].

وفي رواية: «فإذا هلك أهل بيتي جاء أهل الأرض من الآيات ما كانوا يوعدون»[٢].

وفي هذا المعنى صحاح متضافرة من طريق العترة الطاهرة، ومتى كانوا أماناً لأهل الأرض، فكيف يستبدل بهم، وأنّى يعدل عنهم؟!

وجاء من طرق عديدة يقوّي بعضها بعضاً ـ كذا قال ابن حجر[٣] ـ إنّه (صلّى الله عليه وآله) قال: «إنّما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح، من ركبها نجا»[٤].

قال ابن حجر: وفي رواية مسلم: «ومَن تخلّف عنها غرق»[٥].

(قال) وفي رواية: «هلك، وإنّما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني إسرائيل مَن دخله غفر له»[٦].

---

(١) وأخرجه الحاكم في المستدرك ٤٤٨/٢، والطبرانيّ في المعجم الأوسط ٢٣٧/٥، ط دار الحرمين.

(٢) السيّدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)، للدكتور محمد بيومي مهران، الأُستاذ في جامعة أُمّ القرى: ٤٥، ط السفير ١٤١٨.

(٣) في تفسير الآية السابعة من الآيات التي أوردها في الفصل الأوّل من الباب الحادي عشر من صواعقه، وفي باب الأمان ببقائهم من أواخر الصواعق أيضاً.

(٤) مجمع الزوائد ١٦٨/٩، والمعجم الصغير للطبرانيّ ١٣٩/١، ط دار الكتب العلميّة، وأيضاً في معجمه الصغير ٢٢/٢، وكنز العمال ٩٨/١٢ ح٣٤١٦٩، وح٣٤١٧٠.

(٥) الحاكم في مستدركه ١٥١/٣، والهيثميّ في مجمع الزوائد ١٦٨/٩. والطبرانيّ في الكبير ٤٥/٣ ح٢٦٣٧.

(٦) الطبرانيّ في معجمه الصغير ٢٢/٢، والهيثميّ في مجمع الزوائد ١٦٨/٩، والقندوزيّ ٩٣/١ ح٢ وح٤.

(قال) وفي رواية: «غفر له الذنوب».

ولا يخفى أنّ المراد من تمثيلهم بسفينة نوح، إنّما هو إلـزام الأُمّـة باتّبـاع طريقتهم، والتمسّك بالعروة الوثقى من ولايتهم، وليس المراد من النجاة بـذلك إلّا رضوان الله عزّ وجلّ، والجنّـة، كمـا أنّ المـراد (بغـرق المتخلّفـين عـنهم أو هلاكهم) إنّما هو سخط الله سبحانه والنار، والمراد مـن تمثـيلهم (ببـاب حطـة) إنّمـا هـو بعـث الأُمّـة علـى التواضـع لله عـزّ وجـلّ بالاقتـداء بهـم والاستسـلام لأوامرهم ونواهيهم، وهذا كلّه ظاهر كما ترى.

قال ابن حجر ـ بعد إيراد هذه الأحاديث فـي تفسـير الآيـة السـابعة، مـن الآيات التي أوردها في الفصل الأوّل من الباب الحـادي عشـر مـن الصـواعق ـ ما هذا لفظه:

«ووجه تشبيههم بالسفينة ـ فيما مرّ ـ أنّ مَن أحبّهم وعظّمهم شكراً لنعمـة مشرّفهم (صلّى الله عليه وآلـه وسلّم) وأخـذ بهـدى علمـائهم، نجـا مـن ظلمـة المخالفات، ومَن تخلّف عن ذلك غرق في بحر كفر النعم، وهلـك فـي مفـاوز الطغيان ... وبباب حطة (يعني ووجه تشبيههم ببـاب حطّـة) إنّ الله تعـالى جعـل دخـول ذلـك البـاب الـذي هـو بـاب إريحـاء أو بيـت المقـدس مـع التواضـع والاستغفار سبباً للمغفرة، وجعل لهذه الأُمّة مـودّة أهـل البيـت سـبباً لهـا»، إلـى آخر كلامه.

ولو أردنا استيفاء ما جاء من صحاح السنّة في وجـوب اتّبـاع أئمّـة أهـل البيت عليهم السلام، والانقطاع في الدين إليهم عن العالمين؛ لطال المقام وخرجنـا عـن موضوع هذه المقدّمة، وحاصله:

إنّ مآتمنا بما فيها من الجلوس بعنوان الحزن على مصائب أهل البيت، والانفاق عنهم في وجوه البرّ، وتلاوة رثائهم ومناقبهم، والبكاء رحمة لهم، سيرة قطعيّة قد استمرّت عليها أئمة الهدى من أهل البيت، وأمروا بها أولياءهم على مر الليالي والأيام، فورثناها منهم، وثابرنا عليها، عملاً بما هو المأثور عنهم، فكيف ـ والحال هذه ـ تنكرونها علينا، وتقولون فيها ما تقولون؟، والله يعلم أنّها ليست كما تظنّون.

دع بكاء الأنبياء والأوصياء، ودع عنك ما كان من ملائكة السماء، وقل لي: هل جهلتَ نوح الجن في طبقاتها؟ ورثاء الطير في وكناتها؟ وبكاء الوحش في فلواتها؟ ورسيس حيتان البحر في غمراتها؟ وهل نسيت الشمس وكسوفها، والنجوم وخسوفها، والأرض وزلزالها، وتلك الفجائع وأهوالها؟ أم هل ذهلت عن الأحجار ودمائها، والأشجار وبكائها، والآفاق وغبرتها، والسماء وحمرتها، وقارورة أم سلمة وحصياتها[1] وتلك الساعة وآياتها؟!

---

(١) أشرنا بهذا إلى ما رواه الملّا في سيرته وابن أحمد في زيادة المسند، كما في الصواعق عن أُمّ سلمة، قالت من حديث: «ثمّ ناولني كفّاً من تراب أحمر، وقال: إنّ هذا من تربة الأرض التي يقتل بها (ولدي)، فمتى صار دماً فاعلمي أنّه قد قتل، قالت: فوضعته في قارورة، وكنت أقول: إنّ يوماً يتحوّل فيه دماً ليوم عظيم».

وفي رواية أُخرى ـ كما في الصواعق أيضاً ـ «أنّ جبرائيل جاء بحصيّات، فجعلهن النبيّ (صلّى الله عليه وآله) في قارورة، قالت أُمّ سلمة: فلما كانت ليلة قتل الحسين سمعت قائلاً يقول:

أيّها القاتلون جهلاً حسيناً ... إبشروا بالعذاب والتنكيل
قد لُعنتم على لسان ابن داود ... وموسى وصاحب الإنجيل

قالت: فبكيتُ وفتحتُ القارورة فإذا الحصيّات قد جرت دماً».

ألم يرو الملّا عن أُمّ سلمة ـ كما في الصواعق[١] وغيرها ـ: أنّها قالت: «سمعتُ نوح الجن على الحسين»[٢].

وروى ابن سعد ـ كما في الصواعق أيضاً ـ: «إنّها بكت حينئذ حتى غُشي عليها».

وأخرج أبو نعيم الحافظ في الدلائل عنها ـ كما نقله السيوطيّ[٣] ـ قالت: «سمعتُ الجن تبكي على الحسين وتنوح عليه».

وأخرج ثعلب في أماليه ـ كما في تاريخ الخلفاء أيضاً ـ، عن أبي خباب الكلبيّ، قال: أتيتُ كربلاء، فقلت لرجل من أشراف العرب: «أخبرني بما بلغني أنكم تسمعونه من نوح الجن»، فقال: «ما تلقى أحداً إلّا أخبرك أنّه سمع ذلك»، قال: «فأخبرني بما سمعت أنت» قال: سمعتهم يقولون:

مسحَ الرسول جبينه فله بريقٌ في الخدود
أبواه من عليا قريش وجدّه خيرُ الجدود[٤]

وأخرج أبو نعيم الحافظ ـ في كتابه دلائل النبوّة ـ، عن نضرة الأزديّة، قالت: «لمّا قُتل الحسين بن عليّ أمطرت السماء دماً، فأصبحنا وحبابنا وجرارنا

---

(١) كلّما ننقله هنا عن الصواعق موجود في أثناء كلامه في الحديث الثلاثين، من الأحاديث التي أوردها في الفصل الثالث من الباب الحادي عشر. (المؤلّف).

(٢) انظر: تذكرة الخواصّ لسبط ابن الجوزي ٢١٨/٢ ط قم، وابن أعثم الكوفيّ في فتوحه ١٢٢/٥ ، وابن شهر آشوب في مناقبه ٧٠/٤ ، في آياته بعد وفاته، والطبرانيّ في معجمه الكبير ١٢٢/٣ رقم ٢٨٦٩ .

(٣) في أحوال يزيد، من كتابه تاريخ الخلفاء: ١٦٦ . (المؤلّف).

(٤) تاريخ الخلفاء: ١٦٦ .

مملوءة دماً».

قال ابن حجر ـ بعد إيراده في الصواعق ـ: «وكذا روي في أحاديث غير هذه، قال: وممّا ظهر يوم قتله من الآيات أيضاً: إنّ السماء اسودّت اسوداداً عظيماً حتّى رؤيت النجوم نهاراً» (قال): «ولم يرفع حجر إلّا وجد تحته دم عبيط»[1].

وأخرج أبو الشيخ ـ كما في الصواعق أيضاً ـ: «إنّ السماء احمرّت لقتله (عليه السلام)، وانكسفت الشمس حتى بدت الكواكب نصف النهار، وظنّ الناس أنّ القيامة قد قامت»[2].

قال: «ولم يرفع حجر في الشام إلّا رؤي تحته دم عبيط»[3].

وأخرج عثمان بن أبي شيبة ـ كما في الصواعق وغيرها ـ: «إنّ الشمس مكثت بعد قتله (عليه السلام) سبعة أيام ترى على الحيطان كأنّها ملاحف معصفرة من شدّة حمرتها، وضربت الكواكب بعضها بعضاً»[4].

قال في الصواعق: ونقل ابن الجوزيّ عن ابن سيرين: «إنّ الدنيا اظلمّت ثلاثة أيام، ثمّ ظهرت هذه الحمرة في السماء»[5].

قال: وقال ابن سعيد: «ما رفع حجر من الدينا إلّا وتحته دم عبيط، ولقد

---

(١) الصواعق المحرقة: الفصل الثالث: ١٩٤ باب ١١.

(٢) أنساب الأشراف، للبلاذريّ ٢٠٩/٣ رقم ٢١١، وابن عساكر: ٣٠١، ٣٦٢، ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام).

(٣) الطبقات الكبرى: ٩٠ ـ ٩١ ح٣٢٣ ـ ٣٢٥، ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام).

(٤) انظر أيضاً: تذكرة الخواص ٢٣٢/٢.

(٥) تذكرة الخواص ٢٣١/٢.

مطرت السماء دماً، بقي أثره في الثياب حتى تقطّعت»[(١)].

قال: وأخرج الثعلبيّ: «إنّ السماء بكت، وبكاؤها حمرتها»[(٢)].

وقال غيره: «احمرّت آفاق السماء ستة أشهر بعد قتله، ثمّ لا زالت الحمرة ترى بعد ذلك».

وإنّ ابن سيرين قال: «أخبرنا أنّ الحمرة التي مع الشفق لم تكن قبل قتل الحسين (عليه السلام)»[(٣)].

قال: «وذكر ابن سعد: إنّ هذه الحمرة لم تر في السماء قبل قتله».

إلى آخر ما هو مذكور في كتب السُنّة، مما يدلّك على انقلاب الكون بمقتله عليه السلام، وأنّه قد بكته السماء، وصخور الأرض دماً.

ولو فرضنا الخصم جاهلاً بما في تلك الكتب ممّا سمعتَ بعضه، فهل يجهل ما قام به ابن نباته خطيباً على أعواده، وتركه سنّة الخطباء المسلمين في الجمعة الثانية من المحرم في كلّ سنة؟ وإليك ما اشتملت عليه تلك الخطبة بعين لفظه:

«بكت لموته الأرض والسماوات، وأمطرت دماً، واظلمّت الأفلاكُ من الكسوف، واشتدّ سواد السماء ودام ذلك ثلاثة أيام، والكواكب في أفلاكها تتهافت، وعظمت الأهوال حتّى ظن أنّ القيامة قد قامت».

---

(١) ابن سعد في طبقاته: ٩٠ ح٣٢١ ، ترجمة الإمام الحسين، والصواعق: الفصل ٣ باب ١١ ص١٩٤ ، وبغية الطلب في تاريخ حلب ٢٦٣/٦ .

(٢) الثعلبيّ في تفسير الآية ٢٩ من سورة الدخان.

(٣) ابن سعد في طبقاته: ٩١ ح٣٢٦ ، والصواعق: فصل ٣ باب ١١ ص١٩٤ .

قال: «كيف لا؟ وهو ابن السيّدة فاطمة الزهراء، وسبط سيّد الخلائق دنياً وآخرة، وكان عليه الصلاة والسلام من حبّه في الحسين يقبّل شفتيه[١]، ويحمله كثيراً على كتفيه، فكيف لو رآه ملقى على جنبيه، شديد العطش والماء بين يديه، وأطفاله يصيحون بالبكاء عليه؟ لصاح عليه الصلاة والسلام وخرّ مغشياً عليه».

قال: «فتأسّفوا رحمكم الله على هذا السبط السعيد الشهيد، وتسلّوا بما أصابه عمّا سلف لكم من موت الأحرار والعبيد، واتقوا الله حق تقواه».

قال: وفي الحديث: «إذا حُشر الناس في عرصات القيامة، نادى منادٍ من وراء حجب العرش: يا أهل الموقف، غضّوا أبصاركم حتى تجوز فاطمة بنت محمّد، فتجوز وعليها ثوب مخضوب بدم الحسين، وتتعلّق بساق العرش وتقول:

«أنت الجبّار العدل، إقض بيني وبين من قتل ابني، فيقضي الله بينها وبينه».

ثمّ تقول: «اللهم شفّعني في مَن بكى على مصيبتي»[٢]، فيشفّعها الله تعالى فيهم» إلى أخر كلامه.

فهل ـ بعد هذا كلّه ـ تقول: إنّ البكاء على مصائب أهل البيت بدعة؟! وهب أنّك لا ترجو شفاعة الزهراء، ولا تبكي لبكاء الأنبياء والأوصياء، فابكِ

---

(١) الاختصاص للشيخ المفيد: ٢٠٧، ومدينة المعاجز: ٣/٣٠٠، ط مؤسّسة المعارف.

(٢) نور العين في مشهد الحسين، لأبي إسحاق الاسفراييني: ٨٣، ط المنار تونس، الأمالي للشيخ المفيد: ١٣٠، المجلس ١٥.

لبكاء الشمس والقمر، ولا يكن قلبك أقسى من الحجر، إبك لبكاء عمر بن سعد، أو عمرو بن الحجاج، والأخنس بن زيد، ويزيد بن معاوية، أو خولي، والسالب لحليّ فاطمة بنت الحسين!

إبكِ لبكاء العسكر بأجمعه، فقد شهدت كتب السير ببكائهم، مع خبث أُمّهاتهم وآبائهم، أيحسن منك ـ وأنت مسلم ـ أن يصاب رسول الله صلى الله عليه وآله بهذه الفجائع، وتحلّ بساحته تلك القوارع، ثمّ تتخذها ظهرياً، وتكون عندك نسياً منسياً، ما هذا شان أهل الوفاء، ولا بهذا تكون المواساة لسيّد الأنبياء!

ثمّ إنّ ذلك الانقلاب الهائل، وتلك الأحوال المدهشة ـ من الخسوف والكسوف، ورجفة الأرض، وظلمة الأُفق، وتهافت النجوم، وحمرة السماء، وبكاء الصخر الأصم دماً[1] ـ لم تكن إلّا إظهاراً لغضب الله عزّ وجلّ، وتنبيهاً على فظاعة الخطب، وتسجيلاً لتلك النازلة في صفحات الأُفق، لئلّا تنسى على مرّ اللّيالي والأيام، وفيها مَن بعث الناس على استشعار الحزن، وادّثار الكابة ما لا يخفى على أُولي الألباب.

(١) وخير مرجع نرجع إليه في هذا المجال ذلك الكتاب القيّم (كامل الزيارات)؛ لمؤلّفه الثقة الثبت أبي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه المتوفّى ٣٦٨.

فصل

فلسفة مآتمنا المختصّة بأهل البيت عليهم السلام

فلسفة مآتمنا المختصّة بأهل البيت عليهم السلام

علم الباحثون من مدقّقي الفلاسفة: أنّ في مآتمنا المختصّة بأهل البيت عليهم السلام أسراراً شريفة[1]، تعود على الأُمّة بصلاح آخرتها ودنياها، أنبّهك

(١) نبّهك إلى بعضها، حكيم الغربيّين، وفيلسوف المستشرقين: الدكتور (جوزف) الفرنسيّ في كتابه (الإسلام والمسلمون)، والمسيو (ماربين) الألمانيّ في كتابه (السياسة الإسلاميّة)، وقد ترجمت جريدة (حبل المتين) الفارسيّة في ٨٢ من أعدادها الصادرة في سنة ١٧ فصلين، من ذينك الكتابين النفيسين، يحتويان على أسرار شهادة الحسين، وفلسفة مآتمه (عليه السّلام)، فكان لهما دويّ في العالم الإسلاميّ، وأخذا في الشرق دوراً مهمّاً، وترجما بالتركيّة، والهنديّة، وعرّبهما سيّدنا الشريف العلّامة الباحث السيّد صدر الدين الموسويّ، نجل الإمام الكبير حجّة الإسلام وآية الله في الأنام، قدوتنا المولى السيّد إسماعيل الصدر أبقاه الله، فنشرت مجلّة العلم أحد الفصلين، ومجلّة العرفان نشرت الآخر، وإليك ما ذكره الدكتور (جوزف) تحت عنوان: الشيعة وترقياتها المحيرة للعقول، قال من جملة كلام له طويل:

لم تكن هذه الفرقة (يعني الشيعة) ظاهرة في القرون الأُولى الإسلاميّة كأُختها، ويمكن أن تنسب قلّتهم إلى سببين:

أحدهما: إن الرئاسة والحكومة ـ التي هي سبب إزدياد تابعي المذهب ـ كانت بيد الفرقة الأُخرى.

والسبب الآخر: هو القتل والغارات التي كانت تتوالى عليهم.

ونظراً لحفظ نفوس الشيعة، حكم أحد أئمتهم في أوائل القرن الثاني عليهم بالتقية، فزادت في قوّتهم؛ لعدم تمكّن العدو القوي الشكيمة من قتلهم، والإغارة عليهم، بعد أن لم ↲

☜
يكونوا ظاهرين، وصاروا يعقدون المجالس سرّاً ويبكون على مصائب الحسين، واستحكمت هذه العاطفة في قلوبهم، على وجه لم يمض زمان قليل إلّا وارتقوا، حتى صار منهم الخلفاء والسلاطين والوزراء، وهؤلاء بين مَن أخفى مذهبه وتشيّعه، وبين مَن أظهره.

وبعد أمير تيمور ـ حيث رجعت السلطنة في إيران إلى الصوفيّة ـ صارت إيران مركز فرقة الشيعة، وبمقتضى تخمين بعض سوّاح فرنسا: إنّ الشيعة فعلاً: سدس المسلمين أو سبعهم، ونظراً إلى هذا الترقّي الذي حازته فرقة الشيعة في زمان قليل، من دون جبر وإكراه، يمكن أن يقال: إنّهم سيفوقون سائر فرق الإسلام بعد قرن، أو قرنين، والسبب في ذلك هو إقامة عزاء الحسين الذي قد جعله كلّ واحد منهم داعياً إلى مذهبه.

ولا يوجد اليوم مكان فيه الواحد أو الإثنان من الشيعة، إلّا ويقيمان فيه عزاء الحسين، ويبذلان في هذا السبيل الأموال الكثيرة، فقد رأيت في نزل (مارسل) شيعيّاً عربيّاً من أهالي البحرين، يقيم مأتم الحسين وهو منفرد، ويرقى المنبر ويقرأ في كتاب ويبكي، ثمّ يقسّم ما أحضر من الطعام على الفقراء.

هذه الطائفة تبذل الأموال في هذا السبيل على وجهين:

فبعضهم يبذلها من خالص أمواله في كلّ سنة بقدر استطاعته، وصرفيّات هذا القسم تزيد على ملايين فرنك.

وبعضهم يعيّن أوقافاً لهذا المشروع لخصوص هذه الطائفة، وهذا القسم أضعاف الأوّل.

ويمكن أن يقال: إنّ جميع فرق الإسلام من حيث المجموع، لا يبذلون في سبيل تأييد مذهبهم بمقدار ما تبذله هذه الفرقة في سبيل ترقّيات مذهبها، وموقوفات هذه الفرقة ضعفا أوقاف سائر المسلمين، أو ثلاثة أضعافها.

كلّ واحد من هذه الفرقة، هو في الحقيقة داع إلى مذهبه من حيث يخفى على سائر المسلمين، بل إنّ الشيعة أنفسهم لا يُدركون هذه الفائدة المترتّبة على عملهم، وليس في نظرهم إلّا الثواب الأُخروي.

ولكن حيث إنّ كلّ عمل في هذا العالم، لابدّ وأن يكون له أثر طبيعيّ في العالم الاجتماعيّ، قصده الفاعل أو لم يقصده، لم تحرم هذه الفرقة فوائد هذا العمل الطبيعيّة في هذا العالم،
☚

ﭼ

ومن المعلوم أنّ مذهباً دعاته خمسون أو ستون مليوناً، لابدّ وأن يرتقي أربابه على وجه التدريج إلى ما يليق بشأنهم، حتى أنّ الرؤساء الروحانيّين من هذه الفرقة وسلاطينها ووزرائها، لم يخرجوا عن صفة كونهم دعاة.

وسعي الفقراء والضعفاء في محافظة إقامة عزاء الحسين، من حيث انتفاعهم من هذا الباب أكثر من الأعيان والأكابر؛ لأنّهم يرون في ذلك خير الدنيا والآخرة.

لهذا ترى جماعة كثيرين من عقلاء هذه الفرقة، قد تركوا سائر أشغالهم المعاشية، وتفرّغوا لهذا العمل، وهم يكابدون المشاق في تحرّي العبارات الرائقة، والجمل الواضحة، عند إلقاء فضائل رؤساء دينهم ومصائب أهل البيت، على المنابر في المجالس العموميّة.

ولأجل هذه المشقّات التي اختارتها هذه المجماعة، فاق خطباء هذه الفرقة على خطباء جميع فرق المسلمين، وحيث إنّ تكرار الأمر الواحد يوجب اشمئزاز القلوب ومللها وعدم التأثير، تسعى هذه الجماعة في ذكر تمام المسائل الإسلاميّة الراجعة إلى مذهبهم بهذا العنوان على المنابر، حتّى آل الأمر إلى عوام الشيعة بفضل هؤلاء الخطباء، أن أصبحوا أعرف بمسائل مذهبهم من معرفة كلّ فرقة من فرق المسلمين بمذهبها.

كما أنّ اكتساب الشيعة واحترافهم بهذه الوسيلة، وسائر الوسائل الراجعة إليها، أيضاً أكثر من سائر المسلمين، ولو نظرنا اليوم في أقطار العالم، نرى أنّ الأفراد التي هي أولى بالمعرفة والعلم والصنعة والثروة، إنّما توجد بين الشيعة، والدعوة التي قام بها الشيعة أولى بالمعرفة والعلم والصنعة، والثروة إنّما توجد بين الشيعة، والدعوة التي قام بها الشيعة إلى مذهبهم أو سائر الفرق الإسلاميّة غير محدودة، بل إنّ آحاد وأفراد الطائفة دعاة، وما دخلوا بين أُمّة إلّا وسرى هذا الأثر في قلوبها. وليس العدد الذي نراه اليوم في الهند من الشيعة، إلّا هو أثر إقامة هذه المآتم.

الشيعة لم تؤيد دينها بقوة ولا سيف، حتّى في زمن الصفويّة، بل إنّهم بلغوا هذه الدرجة من الترقّي المحيّر للعقول بقوّة الكلام، والدعوة التي أثرها أمضى من السيف.

ولقد بلغ اهتمام هذه الفرقة في أداء مراسم مذهبها مبلغاً عظيماً، حتّى جعلت ثلثي المسلمين من أتباع سيرتها، بل اشترك معها كثير من الهنود والمجوس وسائر المذاهب. ومن المعلوم، أنّ بعد مضي قرن ووصل هذه الأعمال بالأرث إلى أبناء أُولئك الطوائف يذعنون

ﭽ

بها، ويصدّقون هذه المذاهب.

وبما أنّ فرقة الشيعة تعتقد بأنّ جميع المطالب والمقاصد موكول نجاحها إلى أكابر مذهبهم، وهم يفزعون إليهم في قضاء الحوائج، ويستمدون منهم عند الشدائد، سرت هذه الروح أيضاً إلى سائر الفرق التي اشتركت معهم في تلك الأعمال والأفعال، ومن المعلوم أنّ بمجرّد قضاء حاجتهم وبلوغ آمالهم، تزداد عقيدتهم بهذا المذهب رسوخاً.

من هذه القرائن والأسباب، يمكننا أن نقول: لا يمضي على هذه الفرقة زمان قليل إلّا وتفوق سائر المسلمين من حيث العدد، وكانت هذه الفرقة قبل قرن أو قرنين، تلازم التقيّة، فيما عدا إيران؛ نظراً لقلّتهم، وعدم قدرتهم على إظهار شعائر مذهبهم، ولكن من يوم استولت الدول الغربية على الممالك الشرقيّة، ومنحت جميع المذاهب الحريّة، قامت هذه الفرقة تقيم شعائر مذهبها علناً في كلّ مكان، واستفادوا من هذه الحريّة فائدة تامة حتى أنّهم تركوا التقيّة.

لهذه الأسباب المذكورة، كانت هذه الفرقة أعرف من غيرها بمقتضيات العصر الحاضر، وأكثر سعياً باكتساب المعاش وتحصيل المعارف، لذلك ترى العمّال في هذه الفرقة أكثر ممّا تراه في سائر فرق المسلمين؛ لاشتغال الغالب منهم المستلزم لمتابعة غير الغالب، مضافاً إلى أنّ مثابرتهم على العمل ممّا توجب إحتياج الغير إليهم، كما أنّ اختلاطهم مع سائر الفرق وصلاتهم الودادية مع غيرهم تلازم غالباً اشتراك الغير في مجالسهم ومحافلهم، فيسمعون أُصول مذهبهم، ويصغون إلى كلماتهم وعباراتهم، وبتكرار ذلك يأنسون بطريقتهم ومذهبهم، وهذا هو عمل الدعاة. والأثر الذي يترتب على هذه السيرة، هو الأثر الذي يتطلّبه جميع ساسة الغرب في رقي دين المسيح مع تلك المصارف الباهضة.

ومن جملة الأُمور السياسيّة، التي أظهرها أكابر فرقة الشيعة بصبغة مذهبية منذ قرون، وأوجبت جلب قلب البعيد والقريب هو: قاعدة التمثيل باسم الشبيه في مآتم الحسين، وقد قرر حكماء الهند التمثيل؛ لأغراض ليس هذا موضع ذكرها، وجعلوه من أجزاء عباداتهم، فأخذته أوربا وأخرجته بمقتضى السياسة بصورة التفرّج، وصارت تمثّل الأُمور المهمّة السياسيّة في دور التمثيل الخاصة والعامة، وجلبت القلوب بسببه، وأصابت بسهم غرضين:

↩
تفريج النفوس، وجلب القلوب في الأُمور السياسية.
والشيعة قد استفادت من ذلك فوائد كاملة، وأظهرته بصبغة دينية، ويمكن القول: بأن الشيعة قد أخذت ذلك من الهنود.
وكيف كان، فالأثر الذي ينبغي أن يعود من التمثيل إلى قلوب الخواصّ والعوام قد عاد، ومن المعلوم أنّ تواتر إقامة المآتم، وذكر المصائب الواردة على أكابر دينهم، والمظالم التي وردت على الحسين (عليه السلام)، مع تلك الأخبار الواردة في فضل البكاء على مصائب آل محمّد (صلّى الله عليه وآله)، إذا انضمّت إلى تمثيل تلك المصائب، تكون شديدة الأثر، وتوجب رسوخ عقائد خواصّ هذه الفرقة وعوامّها فوق ما يتصور.
وهذا هو السبب الذي لم يسمع من ابتداء ترقّي مذهب الشعية إلى الآن، أن ترك بعضهم دين الإسلام، أو دخل في سائر الفرق الإسلاميّة.
هذه الفرقة تقيم التمثيل على أقسام مختلفة: فتارة في مجالس خصوصيّة وأمكنة معيّنة، وحيث إنّ الفرق الأُخرى قلّما تشترك معهم في المجالس، اخترعوا تمثيلاً خاصّاً، وصاروا يدورون به في الأزقة والطرقات وبين جميع الفرق، فتتأثر قلوب جميع الفرق من القريب والبعيد، عين الأثر الذي يحصل من التمثيل، ولم يزل هذا العمل يزداد إليه توجّه الأنظار من الخاصّ والعامّ، حتى قلد الشيعة فيه بعض الفرق الإسلاميّة والهنود، واشتركوا معهم في ذلك، وهو في الهند أكثر رواجاً من جميع الممالك الإسلاميّة، كما أنّ سائر فرق الإسلام هناك أكثر اشتراكاً مع الشيعة في هذا العمل من سائر البلاد.
ويغلب على الظنّ، أنّ أُصول التمثيل بين الشيعة قد تداول في زمن الصفويّة، الذين هم أوّل من نال السلطنة بقوّة المذهب، وأجاز العلماء والرؤساء الروحانيّون هذه الأُصول.
ومن جملة الأُمور التي أوجبت رقيّ هذه الفرقة وشهرتهم ـ في كلّ مكان ـ هو تعرّفهم، بمعنى أنّ هذه الطائفة قد جلبت إليها قلوب سائر الفرق من حيث الجاه والقوّة، والشوكة والاعتبار، بواسطة المجالس والمآتم، والشبيه، واللطم والدوران، وحمل الرايات والألوية في عزاء الحسين.
إنّ من المعلوم، أنّ كلّ جمعيّة وجماعة تجلب إليها الأنظار والخواطر بدرجة ما، مثلاً لو كان في بلد عشرة آلاف متفرّقين، وفي محلّ ألف نفس مجتمعة، كانت شوكة الألف
↩

المجتمعين وابّهتهم في أنظار الخاصّة والعامّة أكثر من العشرة آلاف المتفرّقين، مضافاً إلى أنّهم اذا اجتمع ألف نفس انضم إليهم من غيرهم، مثل عددهم، إمّا للتفرّج، أو لأجل صداقة ورفاقة، أو لأغراض اُخرى، وبهذا الانضمام تزيد شوكة الألف وقوّتهم في الأنظار وتتضاعف.

ومن الأُمور الطبيعيّة المؤيّدة لفرقة الشيعة في تأثير القلوب سائر الفرق هو: إظهار مظلوميّة أكابر دينهم، وهذا التأثير من الأُمور الفطريّة؛ لأنّ كلّ أحد بالطبع يأخذ بيد المظلوم، ويحب نصرة الضعيف والمظلوم على القوي، والطبائع البشريّة أميل إلى الضعيف والمظلوم ولو كان مبطلاً من الظالم وإن كان محقّاً، ولاسيما إذا مرّت عليه السنون والأعوام.

وهؤلاء مصنفوا أوروبا، الذين ذكروا في كتبهم تفصيل مقاتلة الحسين وأصحابه وقتله، مع أنّهم لا يعتقدون بهم، يذعنون بالمظلوميّة لهم، ويعترفون بظلم وتعدّي قاتليهم وعدم رحمتهم، ولا يذكرون أسماءهم إلّا مشمئزين، وهذه الأُمور الطبيعيّة لا يقف أمامها شيء، وهذا السرّ من المؤيدات الطبيعيّة لفرقة الشيعة.

وقال (المسيوماربين) حكيم الألمان وفيلسوف المستشرقين ما هذا نصّ تعريبه:

إنّ عدم معرفة بعض مؤرّخينا بحقيقة الحال، أوجب أن ينسبوا في كتبهم طريقة إقامة الشيعة لعزاء الحسين إلى الجنون! ولكن جهلوا مقدار تغيير هذه المسألة وتبديلها في الإسلام، فإنّا لم نر، في سائر الأقوام ما نراه في شيعة الحسين، من الحسيّات السياسيّة والثورات المذهبيّة بسبب إقامة عزاء الحسين، وكلّ من أمعن النظر في رقيّ شيعة عليّ، الذين جعلوا إقامة عزاء الحسين شعارهم في مدّة مائة سنة، يذعن أنّهم فازوا بأعظم الرقيّ، فإنّه لم يكن قبل مائة سنة من شيعة عليّ والحسين في الهند إلّا ما يعدّ بالأصابع، واليوم هم في الدرجة الثالثة من حيث الجمعيّة إذا قيسوا بغيرهم، وكذلك هم في سائر نقاط الأرض.

وإذا قسنا دعاتنا مع تلك المصارف الباهضة والقوة الهائلة، والشيعة ترى دعاتنا لم يحظوا بعشر ترقيات هذه الفرقة، وإن كان قسسنا يحزنون القلوب بذكر مصائب المسيح، ولكن لا بذلك الشكل والأُسلوب المتداول بين شيعة الحسين، ويغلب على الظنّ أنّ سبب ذلك هو: إنّ مصائب الحسين أشدّ حزناً وأعظم تأثيراً من مصائب المسيح.

إليها بذكر بعضها وأُوكِل الباقي إلى فطنتك:

فمنها: إنّها جامعة إسلاميّة، ورابطة إماميّة، باسم النبيّ وآله صلوات الله عليهم أجمعين، ينبعث عنها الاعتصام بحبل الله عزّ وجلّ، والتمسّك بثقلي

فعلى مؤرّخينا أن يعرفوا حقيقة رسوم الأغيار وعاداتهم ولا ينسبوها إلى الجنون، وإنّي أعتقد بأنّ بقاء القانون الإسلامي وظهور الديانة الإسلاميّة وترقّي المسلمين، هو مسبّب عن قتل الحسين وحدوث تلك الوقائع المحزنة، وهكذا ما تراه اليوم بين المسلمين من حسن السياسة، وإباء الضيم، ما هو إلّا بواسطة عزاء الحسين، وما دامت في المسلمين هذه الملكة والصفة، لا يقبلون ذلّاً ولا يدخلون في أسر أحد.

ينبغي لنا أن ندقّق النظر في ما يذكر من النكات الدقيقة الحيوية في مجالس إقامة عزاء الحسين، ولقد حضرتُ دفعات في المجالس التي يذكر فيها عزاء الحسين في اسلامبول مع مترجم، وسمعتهم يقولون: الحسين الذي كان إمامنا، ومقتدانا، ومَن تجب طاعته ومتابعته علينا، لم يتحمّل الضيم، ولم يدخل في طاعة يزيد، وجاد بنفسه، وعياله، وأولاده، وأمواله في سبيل حفظ شرفه وعلو حسبه ومقامه، وفاز في قبال ذلك بحسن الذكر والصيت في الدنيا، والشفاعة يوم القيامة، والقرب من الله، وأعداؤه قد خسروا الدنيا والآخرة... .

فرأيتُ بعد ذلك وعلمت، أنّهم في الحقيقة يُدرّس بعضهم بعضاً علناً، بأنّكم إن كنتم شيعة الحسين، وأصحاب شرف، إن كنتم تطلبون السيادة والفخر، فلا تدخلوا في طاعة أمثال يزيد، ولا تتحمّلوا الذلّ، بل اختاروا الموت بعزّة على الحياة بذلّة، حتى تفوزوا بحسن الذكر في الدنيا والآخرة، وتحظوا بالفلاح.

من المعلوم حال الأُمّة التي تلقى عليها أمثال هذه التعاليم من المهد إلى اللّحد، في أي درجة تكون في الملكات العظيمة، والسجايا العالية، نعم هكذا أُمة تحوي كلّ نوع من أنواع السعادة والشرف، ويكون جميع أفرادها جنداً مدافعين عن عزّهم وشرفهم، هذا هو التمدّن الحقيقيّ اليوم. هذا هو طريق تعليم الحقوق، هذا هو معنى تدريس أُصول السياسة. (المؤلّف).

رسول الله صلى الله عليه وآله، وفيها من اجتماع القلوب على أداء أجر الرسالة بمودّة القربى، وترادف العزائم على إحياء أمر أهل البيت عليهم السلام ما ليس في غيرها.

وحسبك في رجحانها ما يتسنّى بها للحكيم من إلقاء المواعظ والنصائح، وإيقاف المجتمعين على الشؤون الإسلامية، والأُمور الإماميّة ولو إجمالاً، وبذلك يكون أمل العامليّ نفس أمل إخوانه في العراق وفارس والبحرين والهند وغيرها من بلاد الإسلام.

ولا تنس ما يتهيّأ للمجتمعين فيها من الإطلاع على شؤونهم، والبحث عن شؤون إخوانهم النائين عنهم، وما يتيسّر لهم حينئذٍ من تبادل الآراء فيما يعود عليهم بالنفع، ويجعلهم كالبنيان المرصوص، يشدّ بعضه بعضاً، أو كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضواً أنَّت له سائر الأعضاء، وبذلك يكونون مستقيمين في السير على خطةٍ واحدة يسعون فيها وراء كلّ ما يرمون إليه.

ومنها: إنّ هذه المآتم دعوة إلى الدين بأحسن صورة وألطف أُسلوب، بل هي أعلا صرخة للإسلام توقظ الغافل من سباته، وتنبّه الجاهل من سكراته، بما تشربه في قلوب المجتمعين، وتنفثه في آذان المستمعين، وتبثّه في العالم وتصوره قالباً لجميع بني آدم، من أعلام الرسالة، وآيات الإسلام، وأدلّة الدين، وحجج المسلمين، والسيرة النبويّة، والخصائص العلويّة، ومصائب أهل البيت في سبيل الله، وصبرهم على الأذى في إعلاء كلمة الله.

فأولو النظر والتحقيق، يعلمون أنّ خطباء هذه المآتم كلّهم دعاة إلى الدين من حيث لم يقصدوا ذلك، بل لا مبشّر بالإسلام على التحقيق سواهم. وأنت تعلم: أنّ الموظفين لهذا العمل الشريف لا يقصرون في أنحاء البسيطة

عن الألوف المؤلّفة، فلو بذلَ المسلمون شطر أموالهم ليوظّفوا دعاةً إلى دينهم بعدد أولئك الخطباء، ما تيسّر ذلك لهم، ولو تيسّر فلا يتيسّر مَن يستمع الدعوة على مرّ الدهور استماع الناس لما يتلى في هذه المآتم بكلّ رغبة وإقبال.

ومنها: ما قد أثبته العيان وشهد به الحسّ والوجدان، من بث روح المعارف بسبب هذه المآتم، ونشر أطراف من العلوم ببركتها، إذ هي ـ بشرط كونها على اُصولها ـ أرقى مدرسة للعوام، يستضيئون فيها بأنوار الحكم من جوامع الكلم، ويلتقطون منها درر السير، ويقفون بها على أنواع العبر، ويتلقّون فيها من الحديث والتفسير والفقه ما يلزمهم حمله ولا يسعهم جهله، بل هي المدرسة الوحيدة للعوام في جميع بلاد الإسلام.

وقد تفنّن خطباؤها في ما يصدعون به أولاً على أعوادها، ثمّ يتخلّصون منه إلى ذكر المصيبة وتلاوة الفاجعة.

فمنهم: مَن يشنف المسامع، ويشرّف الجوامع بالحكم النبويّة، والمواعظ العلويّة، أو يتلو أوّلاً من كلام أئمة أهل البيت ما يقرّب المستمعين إلى الله ويأخذ بأعناقهم إلى تقواه.

ومنهم: مَن يتلو أوّلاً من سيرة النبيّ صلى الله عليه وآله وتاريخ أوصيائه عليهم السلام، ما يبعث المستمعين على مودّتهم ويضطرهم إلى بذل الجهد في طاعتهم.

ومنهم: مَن ينبّه الأفكار أوّلاً إلى فضل رسول الله صلى الله عليه وآله، ومقام أوصيائه عليهم السلام، بما يسرده من الأحاديث الصحيحة والآيات المحكمة الصريحة.

ومنهم: مَن يتلو أوّلاً من الأحكام الشرعيّة والعقائد الدينيّة، ما تعمّ به البلوى للمتكلّفين، ولا مندوحة عن معرفته لأحد من العالمين.

هذه سيرتهم المستمرة أيّام حياتهم، فهل ترى ـ بجدّك ـ للعوام مدرسة تقوم مقامها في جسيم فوائدها وعظيم قاصدها؟ لا، وسرّ الحكماء الذين بعثوا شيعتهم عليها، وحكمة الأوصياء الذين أرشدوا أوليائهم إليها.

ومنها: الارتقاء في الخطابة، والعروج إلى منتهى البراعة، كما يشهد به الوجدان، ولا نحتاج فيه إلى البرهان.

ومنها: العزاء عن كلّ مصيبة، والسلوة لكلّ فادحة، إذ تهون الفجائع بذكر فجائعهم، وتنسى القوارع بتلاوة قوارعهم، كما قيل في رثائهم (عليهم السلام):

أنست رزيّكم رزايانا التي سلفت وهوّنت الرزايا الآتية

ومنها: إنعاش أهل الفاقة، وإثلاج أكباد حرّا من أهل المسكنة على الدوام، بما ينفق في هذه المآتم من الأموال في سبيل الله عزّ وجلّ، وما يُبذل فيها لأهل المسغبة وغيرهم، وأنت تعلم أنّه لا وسيلة لقرّاء تلك المآتم في التعيش غالباً إلّا هذه الوظيفة، وهم من الرجال والنساء ـ بقطع النظر عمّن يقومون بنفقته ـ ألوف مؤلّفة يعيشون ببركة أهل البيت، ويتنعمون بيمن مآتمهم (عليهم السلام).

ومنها: إنّ المصلحة التي استشهد الحسين ـ بأبي واُمّي ـ في سبيلها، وسُفك دمه الزكي تلقاءها، تستوجب استمرار هذه المآتم، وتقتضي دوامها إلى يوم القيامة.

وبيان ذلك: إنّ المنافقين حيث دفعوا أهل البيت عن مقامهم، وأزالوهم عن مراتبهم التي رتبهم الله فيها، ظهروا للناس بمظاهر النيابة عن رسول

اللهﷺ، وأظهروا التأييد لدينه، والخدمة لشريعته، فوقع الالتباس، واغترّ بهم أكثر الناس، ولما ملكوا من الأُمّة أزمّتها، واستسلمت لهم برمّتها، حرّموا ـ والناس في سِنةٍ عن سوء مقاصدهم ـ من حلال الله ماشاؤا، وحلّلوا من حرامه ما أرادوا، وعاثوا في الدين، وحكّموا فيه القاسطين، فسملوا أعين أولياء الله، وقطعوا أيديهم وأرجلهم من خلاف، وصلبوهم على جذوع النخل، ونفوهم عن عقر ديارهم، حتّى تفرّقوا أيدي سبا، ولعنوا أمير المؤمنين عليه السلام، وكنّوا به عن أخيه الصادق الأمين (صلّى الله عليه وآله وسلّم).

فلو دامت تلك الأحوال ـ وهم أولياء السلطة المطلقة والرئاسة الروحانيّة ـ لما أبقوا للإسلام عيناً ولا أثراً، لكن ثار الحسين عليه السلام فادياً دين الله عزّ وجلّ بنفسه وأحبائه، حتى وردوا حياض المنايا ولسان حاله يقول:

إن كان دين محمّد لم يستقم　　إلّا بقتلي يا سيوف خذيني

فاستنقذ الدين من أيدي الظالمين، وانكشف الغطاء بوقوع تلك الرزايا عن نفاق القوم، حتى تجلّت عداوتهم لله عزّ وجلّ، وظهر انتقامهم من رسول اللهﷺ، إذ لم يكتفوا بقتل الرجال من بنيه عطاشاً، والماء تعبث فيه خنازير البرّ وكلابه، ولم يقنعوا بذبح الأطفال من أشباله أحياء، وقد غارت أعينهم من شدّة العطش، ولا اكتفوا باستئصال العترة الطاهرة ونجوم الأرض من شيبة الحمد، حتّى وطأوا جثثهم بسنابك الخيل، وحملوا رؤوسهم على أطراف الأسنّة، وتركوا أشلاءهم الموزّعة عارية بالعراء مباحة لوحوش الأرض وطير السماء، ثم أبرزوا ودائع الرسالة وحرائر الوحي مسلّبات، وطافوا البلاد بهن سبايا، كأنهن من كوافر البربر، حتّى أدخلوهن تارة على ابن مرجانة، وأُخرى

على ابن آكلة الأكباد، أوقفوهنّ على درج الجامع في دمشق حيث تباع جواري السبي، فلم تبقَ بعدها وقفة في عداوتهم لله، ولا ريبة بنفاقهم في دين الإسلام.

وعلم حينئذٍ أهل البحث والتنقيب من أُولي الألباب: أنّ هذه الأُمور دُبّرتْ بليل، وأنّها عن عهد السلف بها إلى خلفه، وما كانت ارتجالاً من يزيد.

«وما المسبب لو لم ينجح السبب».

ثمّ لم تزل أنوار هذه الحقيقة تتجلّى لكل مَن نظر نظراً فلسفياً في فجائع الطف، وخطوب أهل البيت، أو بحث بحث مدققٍ عن أساس تلك الضوارع وأسباب هاتيك الفظائع.

وقد علم أهل التدقيق من أُولي البصائر: أنّه ما كان لهذا الفاجر أن يرتكب من أهل البيت ما ارتكب، لولا ما مهّده سلفه من هدم سورهم، وإطفاء نورهم، وحمله الناس على رقابهم، وفعله الشنيع يوم بابهم.

وتالله، لولا ما بذله الحسين عليه السلام في سبيل إحياء الدين من نفسه الزكيّة، ونفوس أحبائه بتلك الكيفيّة، لأمسى الإسلام خبراً من الأخبار السالفة[١]،

(١) كما شهد به العظماء من فلاسفة الغرب، وإليك ما ذكره (المسيو ماربين) في كتابه (السياسة الإسلامية) بعين لفظ المعرّب قال من جملة كلام طويل:

لا يشكّ صاحب الوجدان إذا دقق النظر في أوضاع ذلك العصر، وكيفية نجاح بني أميّة في مقاصدهم، واستيلائهم على جميع طبقات الناس، وتزلزل المسلمين، أنّ الحسين قد أحيا بقتله دين جدّه وقوانين الإسلام، وإن لم تقع تلك الواقعة ولم تظهر تلك الحسيّات الصادقة بين المسلمين؛ لأجل قتل الحسين، لم يكن الإسلام على ما هو عليه الآن قطعاً، بل كان من الممكن ضياع رسومه وقوانينه حيث كان يومئذٍ حديث العهد.

⇐

عزم الحسين إنجاح هذا المقصود، وإعلان الثورة ضدّ بني أُميّة من يوم توفّي والده، فلمّا قام يزيد مقام معاوية، خرج الحسين من المدينة، وكان يظهر مقصده العالي، ويبث روح الثورة في المراكز المهمّة الإسلاميّة، كمكّة والعراق وأينما حلّ، فازداد نفرة قلوب المسلمين ـ التي هي مقدمة الثورة ـ من بني أُميّة، ولم يكن يجهل يزيد مقاصد الحسين، وكان يعلم أنّ الثورة إذا أُعلنت في جهة والحسين قائدها ـ مع تنفر المسلمين عموماً من حكومة بني أُميّة، وميل القلوب وتوجّه الأنظار إلى الحسين ـ عمّت جميع البلاد، وفي ذلك زوال ملكهم وسلطانهم، فعزم يزيد قبل كلّ شيء من يوم بويع على قتل الحسين، ولقد كان هذا العزم أعظم خطأ سياسي صدر من بني أُميّة، الذي جعلهم نسياً منسيّاً، ولم يبقَ منهم أثر ولا خبر.

وأعظم الأدلّة على أنّ الحسين أقدم على قتل نفسه، ولم تكن في نظره سلطنة ولا رئاسة، هو: إنّه مضافاً إلى ما كان عليه من العلم والسياسة والتجربة، التي وقف عليها زمن أبيه وأخيه في قتال بني أُميّة، كان يعلم أنّه مع عدم تهيئة الأسباب له واقتدار يزيد، لا يمكنه المقاومة والغلبة، وكان يقول من يوم توفّي والده: إنّه يقتل، وأعلن يوم خروجه من المدينة أنّه يمضي إلى القتل، وأظهر ذلك لأصحابه والذين اتبعوه من باب إتمام الحجّة، حتى يتفرّق الذين التفوا حوله طمعاً بالدنيا، وطالما كان يقول: (خيّر لي مصرع أنا ملاقيه).

ولو لم يكن قصده ذلك، ولم يكن عالماً عامداً، لجمع الجنود، ولسعى في تكثير أصحابه وزيادة استعداده، لا أن يفرّق الذين كانوا معه، ولكن لما لم يكن له قصد إلّا القتل مقدمة لذلك المقصد العالي، وإعلان الثورة المقدّسة ضدّ يزيد، رأى أنّ خير الوسائل إلى ذلك الوحدة والمظلوميّة، فإن أثر هكذا مصائب أشد وأكثر في القلوب.

من الظاهر أنّ الحسين مع ما كانت له من المحبوبية في قلوب المسلمين في ذلك الزمان، لو كان يطلب قوةً واستعداداً، لأمكنه أن يخرج إلى حرب يزيد جيشاً جراراً، ولكنّه لو صنع ذلك لكان قتله في سبيل طلب السلطنة والإمارة، ولم يفز بالمظلوميّة التي انتجت تلك الثورة العظيمة، هذا هو الذي سبب أن لا يبقي معه أحداً إلّا الذين لا يمكن انفكاكهم عنه، كأولاده، وإخوانه، وبني إخوته، وبني أعمامه وجماعة من خواصّ أصحابه، حتّى أنّه أمر هؤلاء أيضاً بمفارقته، ولكنهم أبوا عليه ذلك، وهؤلاء أيضاً كانوا من المعروفين بين

المسلمين بجلالة القدر وعظم المنزلة، وقتلهم معه ممّا يزيد في عظم المصيبة وأثر الوقعة.

نعم، إنّ الحسين بمبلغ علمه وحسن سياسته، بذل كمال جهده في إفشاء ظلم بني أُميّة، وإظهار عداوتهم لبني هاشم، وسلك في ذلك كلّ طريق، لما كان يعلم عداوة بني أُميّة له ولبني هاشم، ويعرف أنّهم بعد قتله يأسرون عياله وأطفاله، وذلك يؤيّد مقصده، ويكون له أثر عظيم في قلوب المسلمين، سيما العرب كما وقع ذلك، حملهم معه وجاء بهم من المدينة.

نعم، إنّ ظلم بني أُميّة، وقساوة قلوبهم في معاملاتهم مع حرم محمّد وسباياه، أثّر في قلوب المسلمين تأثيراً عظيماً، لا ينقص عن أثر قتله وأصحابه، ولقد أظهر في فعله هذا عقيدة بني أُميّة في الإسلام وسلوكهم مع المسلمين، سيما ذراري نبيّهم، لهذا كان الحسين يقول في جواب أصحابه والذين كانوا يمنعونه عن هذا السفر: إنّي أمضي إلى القتل.

ولما كانت أفكار المانعين محدودة، وأنظارهم قاصرة، لا يدركون مقاصد الحسين العالية، لم يألوا جهدهم في منعه، وآخر ما أجابهم به أن قال لهم: «شاء الله ذلك، وجدي أمرني به».

فقالوا: إن كنت تمضي إلى القتل، فما وجه حملك النسوة والأطفال؟

قال: «إنّ الله شاء أن يراهن سبايا».

ولما كان بينهم رئيساً روحانياً، لم يكن لهم بدّ عن السكوت.

وممّا يدلّ على أنّه لم يكن له غرض إلّا ذلك المقصد العالي، الذي كان في نفسه، ولم يتحمل تلك المصائب لسلطنة وإمارة، ولم يقدم على هذا الخطر من غير علم ودراية، كما تصوّره بعض المؤرّخين منا، أنّه قال لبعض ذوي النباهة قبل الواقعة بأعوام كثيرة على سبيل التسلية: إنّ بعد قتلي وظهور تلك المصائب المحزنة، يبعث الله رجالاً يعرفون الحقّ من الباطل، يزورون قبورنا، ويبكون على مصابنا، ويأخذون بثارنا من أعدائنا، أُولئك جماعة ينشرون دين الله وشريعة جدّي، وأنا وجدي نحبّهم، وهم يحشرون معنا يوم القيامة.

ولو تأمل المتأمل في كلام الحسين وحركاته، يرى أنّه لم يترك طريقاً من السياسة إلّا سلكه، في إظهار شنائع بني أُميّة وعداوتهم القلبيّة لبني هاشم ومظلوميّة نفسه، وهذا ممّا يدلّ على حسن سياسته، وقوّة قلبه، وتضحية نفسه في طريق الوصول إلى المقصد الذي كان في

نظره، حتى أنّه في آخر ساعات حياته عمل عملاً حيّر عقول الفلاسفة، ولم يصرف نظره عن ذلك المقصد العالي، مع تلك المصائب المحزنة والهموم المتراكمة، وكثرة العطش والجراحات، وهو قصة الرضيع، لما كان يعلم أنّ بني أُميّة لا يرحمون له صغيراً ـ رفع طفله الصغير تعظيماً للمصيبة على يده أمام القوم ـ وطلب منهم أن يأتوه شربةً من الماء، فلم يجيبوه إلّا بالسهم.

ويغلب على الظن، أنّ غرض الحسين من هذا العمل، تفهيم العالم بشدّة عداوة بني أُميّة لبني هاشم، وأنّها إلى أيّ درجة بلغت. ولا يظنّ أحد أنّ يزيد كان مجبوراً على تلك الإقدامات الفجيعة لأجل الدفاع عن نفسه؛ لأنّ قتل الطفل الرضيع في ذلك الحال بتلك الكيفية، ليس هو إلّا توحّش وعداوة سبعيّة، منافية لقواعد كلّ دين وشريعة.

ويمكن أن تكون هذه الفاجعة كافية في افتضاح بني أُميّة، ورفع الستار عن قبائح أعمالهم ونيّاتهم الفاسدة بين العالم سيّما المسلمين، وأنّهم يخالفون الإسلام في حركاتهم، بل يسعون بعصبيّة جاهلية إلى اضمحلال آل محمّد، وجعلهم بالأيدي سبايا.

ونظراً لتلك المقاصد العالية التي كانت في نظر الحسين، مضافاً إلى وفور علمه وسياسته، التي كان لا يشكّ فيها إثنان، لم يرتكب أمراً يوجب مجبوريّة بني أُميّة للدفاع، حتى مع ذلك النفوذ والاقتدار الذي كان له في ذلك العصر، لم يسعَ في تسخير البلاد الإسلاميّة وضمّها إليه، ولا هاجم ولاية من ولايات يزيد، إلى أن حاصروه في وادٍ غير ذي زرع، قبل أن تبدو منه أقلّ حركة عدائيّة، أو تظهر منه ثورة ضدّ بني أُميّة.

لم يقل الحسين يوماً: سأكون ملكاً أو سلطاناً، وأصبح صاحب سلطة، نعم كان يبث روح الثورة في المسلمين بنشره شنائع بني أُميّة، واضمحلال الدين إن دام ذلك الحال، وكان يخبر بقتله ومظلوميّته وهو مسرور، ولمّا حوصر في تلك الأرض القفراء، أظهر لهم من باب إتمام الحجّة بأنّهم لو تركوه لرحل بعياله وأطفاله، وخرج من سلطة يزيد، ولقد كان لهذا الإظهار الدالّ على سلامة نفس الحسين في قلوب المسلمين غاية التأثير.

قُتل قبل الحسين ظلماً وعدواناً كثير من الرؤساء الروحانيّين، وأرباب الديانات، وقامت الثورة بعد قتلهم بين تابعيهم ضدّ الأعداء، كما وقع مكرّراً في بني إسرائيل وقصة يحيى من أعظم الحوادث التأريخيّة، ومعاملة اليهود مع المسيح لم ير نظيرها إلى ذلك العهد، ولكن

واقعة الحسين فاقت الجميع.

لم يرشدنا التاريخ إلى أحد من الروحانيّين وأرباب الديانات، أنّه أقدم على قتل نفسه، عالماً عامداً، لمقاصد عالية لا تنجح إلّا بقتله، فإنّ كلّ واحد من أرباب الديانات الذين قتلوا، ثار عليهم أعداؤهم وقتلوهم ظلماً، وبمقدار مظلوميّتهم قامت الثورة بعدهم. ومقاصد الحسين كانت على علم وحكمة وسياسة، وليس لها نظير في التاريخ، فإنّه لم يزل يوالي السعي في تهيئة أسباب قتله، نظراً لذلك المقصد العالي، ولم نجد في التاريخ رجلاً ضحّى حياته عالماً عامداً لترويج ديانته من بعده إلّا الحسين.

المصائب التي تحمّلها الحسين في طريق إحياء دين جدّه، تفوق على مصائب أرباب الديانات السابقين، ولم ترد على أحد منهم، نعم إنّ هناك رجالاً قتلوا في طريق إحياء الدين، ولكنّهم لم يكونوا كالحسين، فإنّه ضحّى نفسه العزيزة في طريق إحياء دين جدّه، وفداه بأولاده، وإخوانه، وأقربائه، وأحبابه، وأمواله، وعياله، ولم تقع هذه المصائب دفعة واحدة حتّى تكون في حكم مصيبة واحدة، بل وقعت متتالية واحدة بعد أُخرى، ويختصّ الحسين دون غيره بتواتر أمثال هذه المصائب، كما يشهد له التاريخ.

لم تنته المصائب التي وردت على الحسين من قتله وقتل أصحابه، وتسيير نسائه وبناته، إلّا وانكشف الغطاء عن سرائر بني أُميّة، وقبائح أعمالهم، وظهرت بين المسلمين الحسيّات السياسية، وتوطّدت أسباب الثورة ضدّ سلطنة يزيد وبني أُميّة، وعلم الجميع أنّ بني أُميّة مخربوا الإسلام، وصار الجميع يرفض بدعهم وتقولاتهم، وعرفوا بالظلم والغصب، بالعكس من بني هاشم، فإنّهم عرّفوا بالمظلوميّة، وأنّ لهم الرئاسة الروحانيّة بالإستحقاق، وإليهم تنتمي الحقيقة الروحانيّة.

كأنّ المسلمين ـ بعد قتل الحسين ـ قد دخلوا في دور جديد، وظهرت الروحانيّة الإسلاميّة بأجلى مظاهرها، وتجدّدت بعد أن كانت مندرسةً غائبة عن أذهان المسلمين، وكما لا يشكّ إثنان في تفوّق مصائب الحسين على جميع مصائب روحاني السلف، فكذلك لا يشكّ في الثورة التي حدثت بعده، بأنّها فاقت سائر الثورات السالفة، وغنّ امتدادها وأثرها أكثر، وإنّ بها ظهرت للعالم مظلوميّة آل محمّد.

فكانت أوّل نتيجة هذه الثورة، اختصاص الرئاسة الروحانيّة، التي لها أهمية عظمى في عالم

السياسة ببني هاشم، وخصوصاً في أولاد الحسين، فكان منهم أئمة الشيعة. وإلى حال التاريخ ينظر عموم المسلمين إلى بني هاشم ـ سيما أولاد الحسين ـ نظرهم إلى الروحانيين، ولم يطل العهد حتّى نزعت تلك السلطنة من بني اُميّة، وزالت السلطة والقدرة من آل يزيد في أقلّ من قرن، واندرست آثارهم على وجه لم يبق منهم عين ولا أثر، وأينما ذكرت أسماؤهم في متون الكتب قرنها المسلمون بكلمة الشماتة، وكلّ ذلك نتيجة سياسة الحسين، الذي يمكن أن يقال: إنّه لم يأت في أرباب الديانات والروحانيين رجل عرف عواقب الأُمور مع بعد نظر وحسن سياسة كالحسين، والتاريخ لم يرشدنا.

قبل أن تصل سبايا الحسين إلى الشام، قامت الثورة ضدّ يزيد، وظهرت بمظلوميّة الحسين سرائر بني اُميّة، وكشفت الغطاء عن نياتهم، وتوجه اللوم على يزيد حتّى من أهل داره وحرمه، وصار يزيد يسمع تقديس الحسين وأولاد عليّ وعظمتهم ومظلوميتهم، بعد أن لم يكن يمكن ذكرهم عنده بخير، وكان يصعب عليه ذلك، إلّا أنّه لم يكن له بدّ غير السكوت، ولمّا أراد تبرأة نفسه من تلك الأعمال، ألقى المسؤولية على عمّاله، ولم يزل يسمع محامد الحسين، قال ذات يوم: إنّ سلطنة الحسين كانت أهون عليَّ من هذا المقام العالي الذي فاز به آل علي (عليه السلام) وبنو هاشم... .

وبالأخير، فشيعة الحسين لم يزالوا يستفيدون من هذه الثورات، وتزيد قوّة بني هاشم وعظمتهم حتى لم يمض أقلّ من قرن، إلّا وصارت السلطنة الإسلاميّة الوسيعة في بني هاشم من دون مزاحم، وأبادوا بني اُميّة على وجه لم يبق منهم اسم ولا رسم، غير أفراد تسلّموا زمام السلطنة في الأندلس إلى كم قرن، ولم يبق فعلاً من تلك العظمة التي سيطرت على المسلمين قروناً عديدة أثر، ولم يوجد من اُولئك شخص، ولو تحت ستر الخفاء، ولو وجد فلا يمكنه إظهار نسبه، نظراً لشناعة ذلك.

ولمّا انتهت السلطنة بعد قرن إلى بني هاشم، كانت في أولاد عمّ الحسين دون أولاده؛ لأنّهم اعتزلوا الناس، وأذعن الجميع لهم بالرئاسة الروحانية، نعم: نال أولاد عمّ الحسين هذه السلطة، وتوفقوا بسبب ثورات شيعة الحسين للقبض على زمامها، ولكنّهم بعد أن استلموا زمام الأُمور وانقاد لهم الجمهور، صاروا في صدد منع تلك الثورات، التي نالوا السلطة ببركتها خوفاً من رجوع السلطنة الإسلاميّة إلى أولاد الحسين وانتزاعها من أيديهم، كما

وأضحى المسلمون أُمّة من الأُمم التالفة، إذ لو بقي المنافقون على ما كانوا عليه من الظهور للعامّة بالنيابة عن رسول الله، والنصح لدينهﷺ، وهم أولياء السلطة المطلقة والإرادة المقدّسة، لغرسوا من شجرة النفاق ما أرادوا، وبثوا من روح الزندقة ما شاؤوا، وفعلوا بالدين ما توجبه عداوتهم له، وارتكبوا من الشريعة كلّ أمر يقتضيه نفاقهم.

وأمّا شيبة الحسين المخضوبة بدمه الطاهر، لولا ما تحمّله سلام الله عليه في سبيل الله، ما قامت لأهل بيتعليهم السلام ـ وهم حجج الله ـ قائمة، ولا عرفهم ـ وهم أُولوا الأمر ـ ممّن تأخّر عنهم أحد، لكنّه ـ بأبي وأُمّي ـ فضح المنافقين، وأسقطهم من أنظار العالمين، واستلفت الأبصار بمصيبته إلى سائر مصائب أهل البيت، واضطر الناس بحلول هذه القارعة إلى البحث عن أساسها، وحملهم على التنقيب عن أسبابها، والفحص عن جذرها وبذرها، واستنهض الهمم إلى حفظ مقام أهل البيتعليهم السلام، وحرّك الحميّة على الانتصار لهم؛ لأنّ الطبيعة البشريّة والجبلّة الإنسانيّة، تنتصر للمظلومين وتنتقم بجهدها من الظالمين، فاندفع المسلمون إلى موالاة أهل البيت، حتّى كأنّهم قد دخلوا ـ بعد

انتزعت من بني أُميّة، فقلّت تلك الثورات يوماً فيوماً لمنع هؤلاء أوّلاً، ولإضمحلال بني أُميّة ثانياً، فلمّا رأى عقلاء شيعة عليّ ذلك، عرفوا أنّ تلك الثورات لا تقاوم سلطنة أولاد عمّهم لزيادة اقتدارهم وتفرّق الآراء والأهواء العمومية، تركوها بحسب الظاهر ولكنّهم في الحقيقة غيّروا شكلها، وأظهروها بصورة أُخرى، أعني بالاجتماع وعقد الاجتماعات، وذكر الوقائع المحزنة والمصائب المؤلمة، التي وردت على الحسين؛ حفظاً لروح الثورة، وتمهيداً لأسباب النهضة، وصوناً لها عن الإضمحلال والإندراس. (المؤلّف).

فاجعة الطف ـ في دور جديد، وظهرت الروحانيّة الإسلاميّة بأجلى مظاهرها، وسطع نور أهل البيت بعد أن كان محجوباً بسحائب ظلم الظالمين، وانتبه الناس إلى نصوص الكتاب والسنّة فيهم عليهم السلام، فهدى الله بها مَن هدى لدينه، وضلّ عنها من عمى عن سبيله.

وكان الحسين ـ بأبي وأُمّي ـ على يقين من ترتب هذه الآثار الشريفة على قتله، وانتهاب رحله، وذبح أطفاله، وسبي عياله، بل لم يجد طريقاً لإرشاد الخلق إلى الأئمّة بالحقّ، واستنقاذ الدين من أئمّة المنافقين ـ الذين خفي مكرهم، وعلا في نفوس العامة أمرهم ـ إلّا الاستسلام لتلك الرزايا والصبر على هاتيك البلايا، وما قصد كربلاء إلّا لتحمل ذلك البلاء، عهد معهود عن أخيه عن أبيه عن جدّه عن الله عزّ وجلّ.

ويرشدك إلى ذلك ـ مضافاً إلى أخبارنا المتواترة من طريق العترة الطاهرة ـ دلائل أقواله وقرائن أفعاله، فإنّها نصّ فيما قلناه، وحسبك منها جوابه لأُمّ سلمة إذ قالت له ـ كما في البحار وجلاء العيون وغيرهما ـ: يا بنيّ لا تحزن بخروجك إلى العراق، فإني سمعتُ جدّك صلّى الله عليه وآله يقول: «يُقتل ولدي الحسين بأرض يقال لها كربلاء» فقال لها: «يا أُمّاه، وأنا والله أعلم ذلك، وأنّي مقتول لا محالة، وليس لي منه بدّ، وقد شاء الله أن يراني مقتولاً، ويرى حرمي مشردين وأطفالي مذبوحين»[1].

وجوابه لأخيه عمر، إذ قال له حين امتنع من البيعة ليزيد: «حدّثني أخوك

(١) بحار الأنوار ٣٣١/٤٤، والعوالم: ١٧، وينابيع المودّة للقندوزي: ٤٠٥.

أبو محمّد عن أبيه» ثمّ بكى حتى علا شهيقه، فضمّه الحسين إليه وقال ـ كما في الملهوف وغيره ـ: «حدّثك أنّي مقتول» قال: «حوشيت يا ابن رسول الله»، فقال: «بحق أبيك بقتلي خبّرك؟» قال: «نعم، فلو بايعت» فقال عليه السلام:

«حدّثني أبي أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أخبره بقتله وقتلي، وأنّ تربتي تكون بقرب تربته، أتظن أنّك علمت ما لم أعلم؟»[١].

والرؤيا التي رآها في مسجد جدّه صلى الله عليه وآله حين ذهب ليودّعه، وقول النبيّ له فيها كما في أمالي الصدوق وغيره: «بأبي أنت، كأنّي أراك مرمّلاً بدمك بين عصابة من هذه الأُمة، ما لهم عند الله من خلاق»[٢].

وكتابه إلى بني هاشم لمّا فصل من المدينة، وقوله فيه ـ كما في الملهوف نقلاً عن رسائل ثقة الإسلام ـ: «أمّا بعد، فإنّ من لحق بي منكم استشهد، ومَن تخلّف لم يبلغ الفتح»[٣].

وخطبته ليلة خروجه من مكة، وقوله فيها ـ كما في الملهوف وغيره ـ: «كأنّي بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء».

إلى أن قال: «ومَن كان باذلاً فينا مهجته، موطّناً على لقاء الله نفسه، فليرحل معنا، فإنّي راحل مصبحاً إن شاء الله تعالى»[٤].

وقوله ـ كما في الملهوف وغيره ـ: «لولا تقارب الأشياء وهبوط الأجل،

---

(١) اللهوف: ٢٠، ط قم.
(٢) الأمالي للصدوق: ٢١٧، المجلس الثلاثون ح١.
(٣) اللهوف: ٤١.
(٤) المصدر: ١٢٦.

لقاتلتهم بهؤلاء، ولكنّي أعلم يقيناً أن هناك مصرعي ومصرع أصحابي، لا ينجو منهم إلّا ولدي عليّ»[1].

وجوابه لأخيه محمّد بن الحنفيّة، إذ قال له ـ كما في الملهوف وغيره ـ: «يا أخي ألم تعدني النظر فيما سألتك؟»

قال: «بلى، ولكن أتاني رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بعد ما فارقتك فقال: يا حسين اُخرج، فإن الله قد شاء أن يراك قتيلا».

فقال ابن الحنفية: «إنّا لله وإنّا إليه راجعون، فما معنى حملك هذه النسوة وأنت تخرج على مثل هذه الحال؟».

فقال له: «قال لي: إنّ الله شاء أن يراهن سباياً»[2].

وجوابه لابن عباس وابن الزبير، إذ أشارا عليه بالإمساك، فقال لهما: ـ كما في الملهوف وغيره ـ: «إن رسول الله أمرني وأنا ماضٍ فيه».

فخرج ابن عبّاس وهو يقول: «واحسيناه»[3].

وجوابه لعبد الله بن جعفر ويحيى بن سعيد، إذ حاولا منه الرجوع، فأبى، وقال لهما ـ كما في تاريخي ابن جرير وابن الأثير وغيرهما ـ: «رأيت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في المنام وأمرني بما أنا ماض له»[4].

وقوله في كلام له مع ابن الزبير ـ كما في تاريخي ابن جرير وابن الأثير

---

(١) اللهوف: ١٢٦.

(٢) المصدر السابق: ١٢٨.

(٣) المصدر السابق: ٢٢.

(٤) الكامل في التاريخ ٤٠٢/٣، حوادث سنة ٦٠.

وغيرهما ـ: «وأيم الله لو كنتُ في جحر هامة من هذه الهوام، لاستخرجوني حتى يقضوا فيّ حاجتهم، ووالله ليعتدن كما اعتدت اليهود في السبت»(١).

وقوله في مقام آخر ـ كما في كامل ابن الأثير وغيره ـ: «والله لا يدعونني حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي، فإذا فعلوا ذلك سلّط الله عليهم مَن يذلّهم حتّى يكونوا أذلّ من فرام المرأة (يعني من خرقة الحيض)»(٢).

وقوله لأبي هرة ـ كما في تاريخ ابن جرير وغيره ـ: «وأيم الله لتقتلني الفئة الباغية»(٣).

ورؤياه التي رآها لما ارتحل من قصر بني مقاتل ـ كما في تاريخ الطبري وغيره ـ فقال حين انتبه: «إنّا لله وإنّا إليه راجعون، الحمد لله ربّ العالمين» ـ مرّتين أو ثلاثاً ـ.

قال: فأقبل عليه(٤) ابنه عليّ، فقال: «يا أبتاه، جُعلت فداك، مما حمدتَ الله واسترجعت»؟

فقال: «يا بنيّ، خفقت برأسي، فعنَّ لي فارس فقال: القوم يسيرون والمنايا تسير إليهم، فعلمت أنّها أنفسنا نعيت إلينا».

فقال: «يا أبت، لا أراك الله سوءاً، ألسنا على الحقّ؟».

قال: «بلى، والذي إليه مرجع العباد».

---

(١) تاريخ الطبريّ ٢٨٩/٤، حوادث سنة ٦٠، والطبرانيّ في معجمه الكبير ٩٨/٣، ح٢٧٨٣.

(٢) الكامل في التاريخ ٤٠١/٣، حوادث سنة ٦٠.

(٣) مثير الأحزان لابن نما الحلّي: ٣٣، والبحار ٣٦٨/٤٤، اللهوف: ٤٣.

(٤) في المصدر: (إليه).

قال: «إذا لا نبالي، نموت محقّين».

فقال له: «جزاك الله من ولد خير ما جزى ولداً عن والده»[(١)].

وقوله لمّا اُخبر بقتل قيس بن مسهر الصيداوي ـ كما في تاريخ الطبري وغيره ـ: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾[(٢)].

إلى غير ذلك من أقواله الصريحة، بأنّه كان على يقين ممّا انتهت إليه حاله، وأنّه ما خرج إلّا ليبذل في سبيل الله نفسه وجميع ما ملكته يده، ويضحّي في إحياء دين الله أولاده وإخوته، وأبناء أخيه، وبني عمومته وخاصة أوليائه، والعقائل الطاهرات من نسائه.

إذ لم ير السبط للدين الحنيف شفاً   إلّا إذا دمه في نصره سفكا
وما سمعنا عليلاً لا علاج له   إلّا بنفس مداويه إذا هلكا
بقتله فاح للإسلام طيب هدىً   فكلّما ذكرته المسلمون ذكا
وصانَ ستر الهدى عن كلّ خائنة   ستر الفواطم يوم الطفّ إذ هُتكا
نفسي الفداء لفاد شرع والده   بنفسه وبأهليه وما ملكا
قد آثر الدين أن يحيى فقحمها   حيث استقام القنا الخطبي واشتبكا[(٣)]

على أنّ الأمر الذي انتهت إليه حاله، كان من الوضوح بمثابة لم تخف على أحد، وقد نهاه عن ذلك الوجه ـ جهلاً بمقاصده السامية ـ كثير من الناس، وأشفقوا عليه وأنذروه بلؤم بني اُميّة وغدر أهل العراق:

---

(١) تاريخ الطبريّ ٣٠٨/٤، حوادث سنة ٦١، ومقتل أبي مخنف: ٩٢، ط قم.
(٢) المصدر ٣٠٦/٤، حوادث سنة ٦١، سورة الأحزاب: ٢٣.
(٣) هذه الأبيات من قصيدة للشريف الفاضل السيّد جعفر الحلّي، يرثي بها جدّه عليه السلام. (المؤلّف).

فقال له أخوه محمّد بن الحنفية ـ كما في الملهوف وغيره ـ: «يا أخي، إنّ أهل الكوفة مَن قد عرفتَ غدرهم بأبيك وأخيك، وقد خفتُ أن يكون حالك كحال مَن مضى، فإن رأيتَ أن تقيم فإنّك أعزّ مَن في الحرم وأمنعه، فإن خفت فسر[1] إلى اليمن أو بعض نواحي البرّ، فإنّك أمنع الناس به ولا يقدر عليك».

فردّه الحسين ـ عليه السلام ـ برأفة ورفق، وقال: «أنظر فيما قلت»[2].

وأتاه ابن عبّاس، فقال: «يا ابن عم، قد أرجف الناس أنّك سائر إلى العراق، فبيّن لي ما أنت صانع؟»

قال: «إنّي قد أجمعت السير في أحد يوميّ هذين إن شاء الله تعالى».

فقال له ابن عبّاس ـ كما في تاريخي الطبريّ وابن الأثير وغيرها ـ: «أُعيذك بالله من ذلك، أتسير إلى قوم قتلوا أميرهم، وضبطوا بلادهم، ونفوا عدوّهم؟ فإن كانوا فعلوا ذلك فسر إليهم، وإن كانوا إنّما دعوك إليهم وأميرهم عليهم قاهر لهم، وعمّاله تجبي بلادهم، فإنّما دعوك إلى الحرب والقتال، ولا آمن عليك أن يغروك، ويكذّبوك ويخالفوك ويخذلوك، وإن يستنفروا إليك، فيكونوا أشدّ الناس عليك».

فردّه الحسين عليه السلام ردّ رحمة وحنان، فقال له: «أستخير الله وأنظر ما يكون»[3].

---

(١) في المصدر: (فصر).

(٢) اللهوف: ١٢٨، ط قم.

(٣) مقتل أبي مخنف: ٦٤، الكامل في التاريخ ٣٩٩/٣، ذكر مسير الحسين إلى الكوفة.

فخرج ابن عبّاس.

ثم جاءه مرةً أُخرى فقال له ـ كما في تاريخي الطبريّ وابن الأثير وغيرهما ـ: «يا ابن عمّ، إنّي أتصبّر ولا أصبر، إنّي أتخوّف عليك في هذا الوجه الهلاك والاستئصال، إنّ أهل العراق قوم غدر فلا تقربنّهم، أقم بهذا البلد فإنّك سيّد أهل الحجاز، فإن كان أهل العراق يريدونك كما زعموا، فاكتب إليهم فلينفوا (عاملهم)[1] وعدوّهم، ثم أقدم عليهم، فإن أبيت إلّا أن تخرج، فسر إلى اليمن، فإنّ بها حصوناً وشعاباً، ولأبيك بها شيعة، فتكتب إلى الناس وتبثّ دعاتك، فإنّي أرجو أن يأتيك عند ذلك الذي تحب في عافية».

فقال له الحسين عليه السلام: «يا ابن عمّ، إنّي لأعلم والله أنّك ناصح مشفق، ولكن قد أزمعتُ وأجمعتُ على المسير»[2].

ودخل عليه عمر بن عبد الرحمن المخزوميّ، فقال له ـ كما في تاريخي الطبريّ وابن الأثير وغيرهما ـ: «إنّي مشفق عليك، إنّك تأتي بلداً فيه عمّاله وأمراؤه، ومعهم بيوت الأموال، وإنّما الناس عبيد الدينار والدرهم، فلا آمن عليك أن يقاتلك مَن وعدك نصره».

فقال له الحسين عليه السلام: «جزاك الله خيراً يا ابن عمّ، فقد علمتُ أنّك مشيتَ بنصح، وتكلّمت بعقل، ومهما يقض من أمرٍ يكن»[3].

وكتب إليه عبد الله بن جعفر بعد خروجه من مكة ـ كما في تاريخي

---

(١) بين القوسين من المصدر.

(٢) الكامل في التاريخ ٣/٤٠١، حوادث سنة ٦٠.

(٣) المصدر ٣/٣٩٩.

الطبريّ وابن الأثير وغيرهما ـ: «أمّا بعد، فإنّي أسألك بالله لما انصرفت حين تقرأ كتابي هذا، فإنّي مشفق عليك من هذا الوجه، أن يكون فيه هلاكك واستئصال أهل بيتك، وإن هلكتَ اليوم طُفيء نور الأرض، فإنّك علم المهتدين ورجاء المؤمنين، فلاتعجل بالسير فإنّي في إثر كتابي، والسلام»[١].

وقام عبد الله بن جعفر إلى عمرو بن سعيد ـ وهو عامل يزيد يومئذٍ بمكة ـ فقال له: «اكتب للحسين كتاباً تجعل له الأمان فيه، وتمنّيه فيه البرّ والصلة واسأله الرجوع».

ففعل عمرو ذلك، وأرسل الكتاب مع أخيه يحيى بن سعيد وعبد الله بن جعفر، فلحقاه وقرأ عليه الكتاب، وجهدا أن يرجع، فلم يفعل[٢].

وقال له عبد الله بن مطيع ـ إذ اجتمع به في الطريق على بعض مياه العرب ـ كما في تاريخ الطبريّ وغيره ـ: أذكّرك الله يا ابن رسول الله وحرمة الإسلام أن تنهتك، أنشدك الله في حرمة رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، أنشدك الله في حرمة العرب، فوالله لأن طلبت ما في أيدي بني اُميّة ليقتلنك، ولئن قتلوك لا يهابون بعدك أحداً أبداً[٣]، والله إنّها لحرمة الإسلام تنهتك، وحرمة قريش، وحرمة العرب، فلا تفعل ولا تأت الكوفة ولا تعرض لبني اُميّة».

---

(١) الكامل في التاريخ: ٤٠٢، وتاريخ الطبريّ ٢٩١/٤.

(٢) المصدر السابق ٤٠٢/٣.

(٣) وكان كما قال، فدونك التراجم والمعاجم، واطلب تفصيل ما جرى من الوقائع في أيام يزيد بن معاوية القصيرة، والفضائع التي ارتكبها بعد فاجعة الطفّ، والتي سوّد بها تاريخ المسلمين، بل تاريخ الإنسان العام. (الميلاني).

قالوا: فأبى إلّا أن يمضي[(١)]؛ إنجازاً لمقاصده السامية.

ولقيه أحد بني عكرمة ببطن العقبة ـ كما في تاريخ الطبريّ وغيره ـ فقال له: «أنشدك الله لما انصرفت، فوالله لا تقدم إلّا على الأسنّة وحدّ السيوف، فإنّ هؤلاء الذين بعثوا إليك لو كانوا كفوك مؤنة القتال ووطّؤا لك الأشياء فقدمت عليهم، كان ذلك رأياً، فأمّا على هذه الحال فإنّي لا أرى لك أن تفعل».

فقال له: «يا عبد الله، إنّه ليس يخفى عليّ، الرأي ما رأيت، ولكن الله لا يغلب على أمره»[(٢)].

ولقيه بعض بني تميم قريباً من القادسية ـ كما في تاريخ الطبريّ وغيره ـ: فقال له: «إرجع فإنّي لم أدع لك خيراً أرجوه»[(٣)].

وكان قد لقيه الفرزدق بن غالب الشاعر في الصّفاح ـ كما في تاريخ الطبريّ وغيره ـ فقال له: «قلوب الناس معك، وسيوفهم مع بني أُميّة»[(٤)].

وما التقى في الطريق بأحد إلّا التمسه على الرجوع، إشفاقاً عليه من لؤم بني أُميّة وغدر أهل العراق، وما كان ليخفى عليه ما ظهر لأغلب الناس، لكنّه وهؤلاء كما قيل: أنت بوادٍ والعذول بوادي.

ما نزل ـ بأبي وأُمّي ـ منزلاً ولا ارتحل منه ـ كما في الإرشاد وغيره ـ إلّا ذكر يحيى بن زكريا وقتله.

---

(١) تاريخ الطبريّ ٢٩٨/٤.
(٢) تاريخ الطبري ٣٠١/٤.
(٣) المصدر ٣٠٤/٢.
(٤) تاريخ الطبريّ ٢٩٠/٤.

وقال يوماً: «من هوان الدنيا على الله إنّ رأس يحيى بن زكريا أُهدي إلى بغي من بغايا بني إسرائيل»[١].

فهل تراه أراد بهذا غير الإشارة إلى أنّ سبيله في هذا الوجه، إنّما هو سبيل يحيى عليه السلام؟

وأخبره الأسديّان وهو نازل في الثعلبيّة ـ كما في تاريخ الطبريّ[٢] وغيره ـ بقتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة، وأنّهما يجرّان بأرجلهما في الأسواق بلا نكير.

فهل يُمكن بعد هذا أن يبقى له أمل بنصرة أهل الكوفة، أو طمع في شيء من خيرهم؟ والله ما جاءهم إلّا يائساً منهم عالماً بكلّ ما كان منهم عليه.

وقد كتب وهو نازل بزبالة كتاباً، قُرأ بأمره على الناس وفيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم: أما بعد، فإنّه قد أتانا خبر فظيع: قتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة وعبد الله بن يقطر، وقد خذلتنا شيعتنا، فمَن أحبّ منكم الانصراف فلينصرف، ليس عليه منّا ذمام»[٣].

قال محمّد بن جرير الطبريّ ـ في تاريخ الأُمم والملوك ـ: «فتفرّق الناس عنه تفرّقاً، فأخذوا يميناً وشمالاً، حتّى بقي في أصحابه الذي جاؤا معه من المدينة».

قال: «وإنّما فعل ذلك؛ لأنّه ظنّ إنّما اتّبعه الأعراب؛ لأنّهم ظنّوا أنّه يأتي

---

(١) مثير الأحزان، لابن نما الحلّي: ٢٩ ، ط الحيدريّة النجف ١٩٥٠ م .

(٢) تاريخ الطبريّ ٤/٢٨٥ .

(٣) المصدر السابق ٤/٣٠٠ .

بلداً قد استقامت له طاعة أهله، فكره أن يسيروا معه إلّا وهم يعلمون على ما يقدمون».

قال: «وقد علم أنّهم إذا بيّن لهم، لم يصحبه إلّا من يريد مواساته والموت معه»[١].

وذكر أهل الأخبار: أنّ الطرماح بن عدي لما اجتمع به في عذيب الهجانات، دنا منه فقال له ـ كما في تاريخ الطبريّ وغيره ـ: «والله إنّي لأنظر فما أرى معك أحداً، ولو لم يقاتلك إلّا هؤلاء الذين أراهم ملازميك ـ يعني الحرّ[٢] وأصحابه ـ لكان كفى بهم. وقد رأيتُ قبل خروجي من الكوفة إليك بيوم ظهر الكوفة، وفيه من الناس ما لم تر عيناي في صعيد واحد جمعاً أكثر منه، فسألت عنهم فقيل: اجتمعوا ليعرضوا ثمّ يسرحوا إلى حرب الحسين، فأنشدك الله إن قدرت أن لا تقدم عليهم شبراً إلّا فعلت، فإن أردتَ أن تنزل بلداً يمنعك الله به حتى ترى من رأيك ويستبين لك ما أنت صانع، فسر حتّى أنزلك مناع جبلنا الذي يدعي «أجاء» امتنعنا ـ والله ـ به من ملوك غسان وحمير ومن النعمان بن المنذر، ومن الأسود والأحمر، والله ما دخل علينا فيه ذلّ قط، فأسير معك حتى أنزلك القرية، ثم نبعث إلى الرجال ممن بـ «أجاء» و«سلمى» من طيء، فوالله لا يأتي عليك عشرة أيام حتّى تأتيك طيء رجالاً وركباناً، ثم أقم فينا ما بدا لك، فإن هاجك هيج فأنا زعيم لك بعشرين ألف طائي يضربون

---

(١) تاريخ الطبري ٤ / ٣٠٠.

(٢) انظر: هامش ص ٧٠ تجد ما يعجبك من الحرّ رحمه الله، ولا يخلو من دقة وإناقة. (الميلاني).

بين يديك بأسيافهم، والله لا يوصل إليك أبداً ومنهم عين تطرف».

فقال له: «جزاك الله وقومك خيراً»[١]. وأبى أن ينصرف عن مقصده.

وأنت تعلم أنّه لو كان له رغبة في غلبة أو ميل إلى سلطان، لكان لكلام الطرماح وقع في نفسه عليه السلام، ولظهر منه الميل إلى ما عرضه عليه، لكنّه ـ بأبي وأُمّي ـ أبى إلّا الفوز بالشهادة، والموت في إحياء دين الإسلام، وقد صرّح بذلك في ما تمثّل به، إذ قال له الحرّ: «أذكّرك الله في نفسك، فإنّي أشهد لئن قاتلت لتقتلنّ».

فقال (عليه السلام) كما في تاريخ الطبري وغيره:

سأمضي وما الموت عار على الفتى   إذا ما نوى حقاً وجاهد مسلماً
وواسى الرجال الصالحين بنفسه   وفارق مثبوراً وخالف مجرماً[٢]

وحسبك في إثبات علمه من أوّل الأمر بما انتهت إليه حاله: ما سمعته من إخبار النبيّ صلى الله عليه وآله بقتله في شاطىء الفرات بموضع يقال له كربلاء، وبكائه عليه، ونداء أمير المؤمنين عليه السلام لمّا حاذى نينوى وهو منصرف إلى صفين: «صبراً أبا عبد الله، صبراً أبا عبد الله بشاطىء الفرات»[٣].

وقوله إذ مرّ بكربلاء: «هاهنا مناخ ركابهم، وهاهنا موضع رحالهم، وهاهنا مهراق دمائهم»[٤].

وقول الحسين عليه السلام لأخيه عمر: «حدّثني أبي أنّ رسول الله (صلّى الله

---

(١) مقتل الحسين، لأبي مخنف: ٨٩.

(٢) روضة الواعظين: ١٧٩، ط قم، بحار الأنوار ٣٧٩/٤٤، مقتل أبي مخنف: ٨٧.

(٣) تقدّم تخريجه.

(٤) قرب الإسناد للحميريّ: ٢٦ ح٨٧، والبحار ٢٥٨/٤٤ ح٨.

عليه وآله) أخبره بقتله وقتلي، وأنّ تربتي تكون بقرب تربته»[١].

وقول الحسن للحسين عليهما السلام ـ كما في أمالي الصدوق وغيرهما من جملة كلام كان بينهما ـ: «ولكن لا يوم كيومك[٢] يا أبا عبد الله، يزدلف إليك ثلاثون ألف رجل، فيجتمعون على قتلك، وسفك دمك، وانتهاك حرمتك، وسبي ذراريك ونسائك، وانتهاب ثقلك، فعندها يحلّ الله ببني أُميّة اللعنة»[٣].

إلى غير ذلك من الأخبار الدالّة على أنّ قتل الحسين عليه السلام كان معروفاً عند أهل البيت، منذ أخبر الله به نبيّه صلى الله عليه وآله.

بل صريح أخبارنا أنّ ذلك ممّا أوحي إلى الأنبياء السابقين، وقد سمعتَ ما أشرنا إليه من بكائهم عليهم السلام.

ويظهر من بعض الأخبار، أنّ قتل الحسين كان معروفاً عند جملة من الصحابة والتابعين، حتّى أنّهم ليعلمون أنّ قاتله عمر بن سعد، وحسبك ما نقله ابن الأثير، حيث ذكر مقتل عمر بن سعد في كامله عن عبد الله بن شريك، قال: «أدرك أصحاب الأردية المعلّمة، وأصحاب البرانس السود من أصحاب السواري، إذا مرّ بهم عمر بن سعد، قالوا: هذا قاتل الحسين وذلك قبل أن

---

(١) مرّ تخريجه.

(٢) هذا ممّا علمه الله تعالى ـ وقد أطلع أولياءه بعض ما خُفي على عباده ـ من الغيب، قاله عند وفاته، وكان كما قال ـ سلام الله عليه ـ حيث لم يأت ـ بعد فاجعة يوم عاشوراء ـ يوم يشابه يوم الحسين ـ روحي فداه ـ وقد مضت على تلك الرزيّة ثلاثة عشر قرناً، هذا وإنّ الأُمور التي عدّها الحسن (عليه السلام) لوقتها وحلّ ما حلّ على مستحقيه، وما أعد الله من العذاب والنكال أشد وأخزى. (الميلاني).

(٣) الأمالي للصدوق: المجلس ٢٤، ح٣، المناقب لابن شهر آشوب ٨٦/٤، ومثير الأحزان: ٢٣، والبحار ٢١٨/٤٥.

يقتله».

قال: «وقال ابن سيرين: «قال عليّ لعمر بن سعد: «كيف أنتَ قمت مقاماً تخيّر فيه بين الجنّة والنار، فتختار النار؟»[١][٢].

أترى الحسين (عليه السلام) كان جاهلاً بما عليه أصحاب السواري؟

---

(١) تمتاز الإماميّة ـ الاثنا عشريّة ـ عن غيرهم من الشيعة والفرق الإسلاميّة الأُخرى، باعترافهم ـ واعتقادهم ـ بأنّ للإمام عليه السلام الولاية الكبرى (كشعبة من الولاية المطلقة الإلهيّة) منحها الباري لهم إبقاءً للنظام الدينيّ والتشريعيّ والتكوينيّ العام، وتستلزم هذه معرفة الإمام عليه السلام بأسرار الكون ومشتملاته، ودقائق الأُمور ومختفياتها وحقائق الأشياء وما أودع فيها ووقوفه بسريرة الأشخاص وسرائرهم، وما تحويه ضمائرهم، وعرفانه بالمستقبل وما يجري فيه، وعلمه بما يكون إلّا ما أخفاه الله عنهم، والذي خصه لذاته الربوبية جلّ شأنها، ولنا على ما اخترناه ـ كليّه وجزءيّه، كبر أم صغر (كما يصطلحون) ـ أدلّة عقليّة مشفوعة بنصوص الكتاب والسنّة، سهلة التناول لروّادها.

فعليه لا مانع ـ عند المحصّلين والطلاب ما قدّمناه ـ من علم الحسن أو أخيه الحسين وأبيهما أمير المؤمنين عليهم السلام بما جرى عليهم أو غير ذلك، بل هو بالنسبة إلى ما لديهم ـ وما أحاطوا بعلمه بمشية الله ـ ليس بشيء، والذي خاطب به الإمام عليه السلام عمر بن سعد من هذا القبيل ولا غرابة.

وكم لعليّ عليه السلام من هذا النوع، والإخبار عن الحوادث الكونيّة المرتبطة بالخلفاء والأُمراء، والذي يتعلّق ببعض الفرق الإسلاميّة أو الأُمّة والمجتمع والأفراد، ما أملاه الرواة، وأثبته المحدّثون، والمؤرّخون وملأ الموسوعات الضخمة!!

نعم هو كما قال عليه الصلاة والسلام: «لولا آية في كتاب الله، لأخبرتكم بما يكون إلى يوم القيامة، وهو قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾. فمن كلامه عليه السلام هذا وغيره من الأدلة، قالت الإمامية بـ(البداء)، وبه امتازت أيضاً عن غيرها. (الميلاني).

(٢) كنز العمال ٦٧٤/١٣ ح٣٧٧٢٣، تاريخ مدينة دمشق ٤٩/٤٥، تهذيب الكمال للمزّي ٣٥٩/٢١، رقم ٤٢٤٠.

كلّا والله، ما علم أصحاب البرانس السود ذلك إلّا منه، أو من أخيه، أو من جدّه، أو من أبيه.

وقد أطلنا الكلام في هذا المقام، إذ لم نجد مَن وفّاه حقّه، وخرج من عهدة التكليف بإيضاحه، والحمد لله على التوفيق لتحرير هذه المسألة، وتقرير شواهدها وأدلّتها، على وجه تركن النفس إليه، ولا يجد المنصف بدّاً من البناء عليه، بل لا أظن أحداً يقف على ما تلوناه، ثمّ يرتاب فيما قررناه.

والآن نشرع في الكتاب متوكّلين على الله عزّ وجلّ، وقد جعلناه أربعة أجزاء.

(٢)

قطعة من كتاب
إقناع اللائم على إقامة المآتم

تأليف
السيّد محسن الأمين العامليّ
(ت ١٣٧١ هـ)

الفصل الرابع

في الجلوس لإقامة المآتم، وإظهار الحزن، وتأبين الميّت بالنظم والنثر، وذكر مناقبه ومآثره وما يجري هذا المجرى

والأصل جوازه، بل ورجحانه، إذا كان الميّت من أهل المكانة عند الله تعالى، إذ لم يدلّ دليلٌ من الشرع على المنع منه.

ويكفي في جوازه ورجحانه في حقّ أهل الفضيلة، ما تقدّم من جواز البكاء ورجحانه على ذوي الفضيلة، وإظهار الحزن[1]، والتأبين بالنظم[2] والنثر،

(١) كامل الزيارات: ١٤٣ حديث ١٦٨ و١٤٥ حديث ١٧٠ و١٤٦ حديث ١٧٢ .«الحسّون».

(٢) رجال الكشّي ٢: ٥٧٤ ـ ٥٠٨ وفيه: عن زيد الشحّام، قال: كنّا عند أبي عبد الله عليه السلام، ونحن جماعة من الكوفيّين، فدخل جعفر بن عفّان على أبي عبد الله عليه السلام فقرّبه وأدناه، ثمّ قال له: «يا جعفر».

قال لبيك، جعلني الله فداك.

قال: «بلغني أنّك تقول الشعر في الحسين عليه السلام وتجيده»؟

فقال له: نعم، جعلني الله فداك.

فقال: «قل»، فأنشده عليه السلام ومن حوله حتّى صارت الدموع على وجهه ولحيته.

ثمّ قال: «يا جعفر، والله لقد شهدك ملائكة الله المقرّبون ها هنا يسمعون قولك في الحسين عليه السلام، وقد بكوا كما بكينا أو أكثر، ولقد أوهب الله تعالى لك يا جعفر في ساعته الجنّة بأسرها وغفر الله لك».

فقال عليه السلام: «يا جعفر ألا أزيدك»؟

قال: نعم يا سيّدي.

قال عليه السلام: «ما من أحد قال في الحسين شعراً فبكى وأبكى به إلّا أوجب الله له الجنّة وغفر له». «الحسّون».

ضرورة أنّه إذا جاز ذلك، أو كان راجحاً جاز الجلوس له.

ولا يتفاوت الحال بين قرب العهد وبعده، كما لا يخفى، سيّما في مثل مصيبة الحسين عليه السلام التي لا تبليها الأيّام.

روى البخاريّ في صحيحه، في باب «من جلس عند المصيبة يُعرف فيه الحزن» بسنده عن عائشة، قالت: لمّا جاء النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قتل بن حارثة وجعفر وابن رواحة، جلس يعرف فيه الحزن. الحديث.

قال القسطلانيّ في الشرح بعد قوله: جلس؛ أي في المسجد، كما في رواية أبي داود[١].

وروى أيضاً في الباب المذكور، بسنده عن أنس، قال: قنتَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم شهراً حين قُتل القرّاء، فما رأيتُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حزن حزناً قطّ أشدّ منه[٢].

والقرّاء: هم الذين كانوا يتعلّمون القرآن في صفة المسجد، أرسلهم النبيّ صلّى الله عليه وسلّم إلى أهل نجد، فقُتلوا في الطريق، كذا يفهم من القسطلانيّ.

وفي لسان العرب: القنوت: الإمساك عن الكلام؛ وقيل: الدعاء في الصلاة[٣]. انتهى.

فالقنوت هنا: إمّا الدعاء على مَن قتلهم، وهو الأظهر، أو الإمساك عن

---

(١) إرشاد الساري ٢: ٣٩٣.

(٢) إرشاد الساري ٢: ٣٩٦.

(٣) لسان العرب ٢: ٧٣.

الكلام حزناً عليهم، ويرشد إلى الأوّل ما في لسان العرب: روي عن النبي صلّى الله عليه وسلّم، أنّه قنتَ شهراً في صلاة الصبح بعد الركوع، يدعو على رعل وذكوان[١]. انتهى.

ورعل وذكوان: رجلان، والظاهر إرادة القبيلتين، كما أنّ الظاهر أنّ المراد بما في الحديثين واحد، فإذا جاز القنوت شهراً؛ لإظهار الحزن عليهم، جاز الجلوس لذلك.

(١) لسان العرب ٢: ٧٥.

الفصل الخامس

في الانفاق عن الميّت بقصد إهداء ثواب ذلك أو في وجوه البرّ

روى مسلم في صحيحه، في باب «وصول ثواب الصدقة عن الميّت إليه» بعدّة أسانيد، عن عائشة: أنّ رجلاً أتى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فقال: يا رسول الله، إنّ أُمّي افتلتت نفسها ولم تُوص، وأظنّها لو تكلّمت تصدّقت، أفلها أجر إن تصدّقت عنها؟

قال: «نعم».

قال النوويّ في الشرح: افتلتت بالفاء، ونفسها، بالضمّ نائب فاعل، أو بالنصب مفعول به، أي: ماتت فجأة.

ثمّ قال: وفي هذا الحديث: إنّ الصدقة عن الميّت تنفع الميّت ويصله ثوابها، وهو كذلك بإجماع العلماء[1]. انتهى.

وروى أحمد بن حنبل في مسنده، في ما أخرجه من حديث عائشة: أنّ رجلاً قال للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم: إنّ أُمّي افتلتت نفسها، وأظنّها لو تكلّمت لتصدّقت، فهل لها أجر أن أتصدّق عنها؟

قال: «نعم»[2].

وروى أحمد بن حنبل أيضاً في ما أخرجه من حديث ابن عبّاس: إنّ

---

(١) شرح النوويّ لصحيح مسلم، بهامش إرشاد الساري ٤: ٣٧٧.

(٢) مسند أحمد ٦: ٥١.

بكراً ـ أخا بني ساعدة ـ توفّيت أُمّه وهو غائب عنها، فقال: يا رسول الله، إنّ أُمّي توفّيت، وأنا غائب عنها. فهل ينفعها إن تصدّقتُ بشيء عنها؟

قال: «نعم».

قال: أُشهدك إنّ حائط المخرف صدقة عليها[١].

وقال ابن بكر المخراف: وروى البخاريّ في صحيحه في باب «تزويج النبيّ صلّى الله عليه وسلّم خديجة وفضلها»، بسنده عن عائشة، قالت: ما غرتُ على امرأة للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم ما غرتُ على خديجة؛ وقد هلكت قبل أن يتزوّجني، لمّا كنت أسمعه يذكرها، وأمره الله أن يبشّرها ببيت من قصب، وإن كان ليذبح الشاة فيهدي في خلائلها منها ما يسعهن[٢].

وروى البخاريّ أيضاً بسند آخر، قالت: ما غرتُ على أحد من نساء النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ما غرتُ على خديجة، وما رأيتها، ولكن كان النبيّ صلّى الله عليه وسلّم يُكثر ذكرها، وربّما ذبح الشاة ثمّ يقطّعها أعضاء، ثمّ يبعثها في صدائق خديجة، فربما قلت له: كأنّه لم يكن في الدنيا إلّا خديجة؟!

فيقول: «إنّها كانت وكانت، وكان لي منها ولد»[٣].

وروى مسلم في صحيحه بسنده عن عائشة، قالت: ما غرتُ على امرأة ما غرتُ على خديجة، ولقد هلكت قبل أن يتزوّجني بثلاث سنين؛ لمّا كنت أسمعه يذكرها، ولقد أمره ربّه يبشّرها ببيت من قصب في الجنّة، وأن كان

---

(١) مسند أحمد ١: ٢٣.

(٢) إرشاد الساريّ ١: ١٦٠.

(٣) إرشاد الساريّ ١: ١٦٣.

ليذبح الشاة ثمّ يهديها إلى خلائلها[١].

ورواه أحمد بن حنبل في مسنده مثله، إلّا أنّه قال: ثمّ يهدى في خلّتها منها[٢].

وفي إرشاد الساريّ: أخرجه الترمذيّ في البرّ[٣].

وروى مسلم أيضاً بسند آخر عن عائشة، قالت: ما غرتُ على نساء النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، إلّا على خديجة، وإنّي لم أدركها.

قالت: وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، إذا ذبح الشاة يقول: «أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة».

قالت: فأغضبته يوماً فقلت: خديجة؟!

فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «إنّي قد رُزقت حبّها»[٤].

أقول: إهداء النبيّ صلّى الله عليه وآله إلى صدائق خديجة ـ كما دلّت عليه الأخبار الأخيرة ـ ليس فيه دلالة على إهداء ثواب ذلك إليها، كما دلّت عليه الأخبار الأُولى.

نعم، هو تصدّق وإهداء في وجوه البرّ، يُراد به إكرام خديجة وتعظيمها، وإدخال السرور عليها بإكرام صدائقها وبرّهن، فهو داخل في ما نحن فيه.

إذا عرفتَ هذا، فاعلم: أنّ المآتم التي تُقام على الحسين عليه السلام، لا تعدو

---

(١) صحيح مسلم، بهامش إرشاد الساريّ ٩: ٣٢٨.

(٢) مسند أحمد ٦: ٥٨.

(٣) إرشاد الساريّ ٦: ١٦٢.

(٤) صحيح مسلم ٤: ٣٧٩.

هذه الأُمور الخمسة المتقدّمة في الفصول الخمسة، وقد دلّت الأدلّة السابقة على جوازها ورجحانها، وأطبق العقلاء على استحسانها، إلّا مَن مالت به العصبيّة والنصب، أو التقليد عن جادة الصواب.

كما أنّه ظهر ممّا تقدّم في الفصل الخامس والفصل الأوّل، أن عدّ السوداني وغيره الحزن على الحسين عليه السلام وإطعام الطعام من البدع!

الفصل السادس

في الإشارة إلى ما في هذه المآتم من الفوائد الدينيّة والدنيويّة، التي اعترف بها كافّة العقلاء، إلّا مَن أعماه الهوى والغرض

ولذلك اتّفق العقلاء كافّة، على تجديد الذكرى لعظمائهم في كلّ عام، والاهتمام بها على قدر عظم الشخص الذي تعمل لأجله.

وقد أُقيمت في دمشق وسائر بلاد سورية ـ ونحن نشتغل بهذا الكتاب ـ حفلةٌ؛ تذكاراً لمن يُسمّونهم شهداء الوطن[1]، الذين صلبهم جمال باشا[2] في عهد الدولة العثمانيّة وإبّان الحرب العموميّة؛ وذلك لأنّهم سعوا في تحرير الوطن وتخليصه من ظلم الأتراك وإن كانت عاقبة أعمالهم ما هو معلوم.

فأُقيمت لهم شعائر الحزن، وأُنشدت في رثائهم وتأبينهم القصائد، وتُليت الخطب، وصارت المواكب تحمل شارات الحزن.

وإنّا لنكتب هذه السطور ونحن نسمع قصف المدافع بدمشق؛ لذكرى مقتل «جان دارك»[3]، الفتاة الفرنسيّة التي قُتلت في سبيل وطن قومها،

---

(١) منهم: عبدالحميد الزهراويّ (١٨٧١ ـ ١٩١٦ م)، وجلال بن سليم البخاريّ (١٨٩٠ ـ ١٩١٦م).

انظر: معجم المطبوعات العربيّة ١ : ٩٧٩. «الحسّون».

(٢) جمال باشا: هو القائد العامّ للجيش العثمانيّ الرابع الذي اشتهر في بلاد الشام في أيّام الحرب الكبرى، بإعدام أعيان وأدباء كثيرين؛ لاتّهامهم بالخيانة للدولة العثمانيّة.

معجم المطبوعات العربيّة ١: ٧٠٥. «الحسّون».

(٣) جان دَرْك، وتُعرف بلابوسل، وسيّدة أرليان: بطلة فرنسويّة، ولدت في دومرمي سنة ←

وأُحرقت حيّة، كما مرَّ في الفصل الثالث.

ومن عهد غير بعيد، قامت ضجّة في مجلس الصلح بين الدول، طلبَ فيها الإنجليز من الأتراك تملّك الأرض التي دُفنت فيها قتلاهم بجنب الدردنيل[١]، ولم يُبرموا معاهدة الصلح حتّى أعطوهم ذلك، كما مرّ في الفصل الثالث أيضاً.

وتعداد ما هو من هذا القبيل يوجب طول الكلام.

ومحافظة عقلاء الأمم على ذلك ليس إلاّ لما علموه فيه من الفوائد.

وأيّ عظيم في أُمّة قام بمثل ما قام به الحسين بن علي عليه السلام من الأعمال العظيمة؛ لإقامة الحقّ، وإماتة الباطل، وهدم ما أسّسه الظالمون لهدم الدين الإسلاميّ، وقاوم الظلم والاستبداد بأقوى الوسائل.

فلو أنصف جميعُ المسلمين، ما تعدّوا خطّة الشيعة في هذه المآتم، التي اعترف بعظيم فوائدها عقلاء الأُمم ومفكّروهم، كما ستعرف عند نقل كلام جوزيف الإفرنسي[٢] وماربين الألماني[٣].

١٤١١ م، وأُحرقت في رون في ٢١ أيار سنة ١٤٣٠ م. دائرة المعارف لبطرس البستانيّ ٦ : ٣٦٠. «الحسّون».

(١) الدردنيل، ويُعرف بالتركية «قلعة سلطانية بوغازي»، كان قديماً يُعرف باسم «هلسبونت» مجاز يصل بحر الأرخبيل ببحر مرمرة، ويفصل أوربّا عن آسيا. دائرة المعارف الإسلامية ٩ : ١٩٢. «الحسّون».

(٢) في معجم المطبوعات النجفيّة : ٢١٥ : «السياسة الحسينيّة: مسيو ماربين ودكتور جوزيف. المطبعة العلويّة سنة ١٣٤٧ هـ، بحجم الكفّ، اللغة فارسيّة، ٥٨ صفحة». «الحسّون».

(٣) في الذريعة ٢٢: ٢٤ : «مقتل أبي عبدالله الحسين عليه السلام للسيّد ميرزا حسن ابن السيّد عليّ

ونحن نُشير إلى جملة من فوائد هذه المآتم التي نُقيمها، هي في غاية الظهور والبداهة لمن تأمّل وأنصف، إذا رُوعيت شروطها، وأُقيمت على أُصولها.

الأوّل: مواساة النبيّ وأهل بيته صلوات الله عليهم، فإنّه حزين لقتل ولده[1] بلا ريب، وقد دلّت عليه جملة من الأحاديث، وتقدّمت في محالّها.

وأيّ أمر أهمّ وأوجب وأعظم فائدة، من مواساته (صلى الله عليه وآله وسلم).

القزوينيّ ... وفي آخره تعريب كلام موسيو ماربين الألماني في فلسفة شهادة الحسين عليه السلام». «الحسّون».

وفي الأعلام للزركليّ ٢ : ٢٤٣: «وللفيلسوف الألمانيّ ماربين كتاب سمّاه (السياسة الإسلاميّة) أفاض فيه بوصف استشهاد الحسين». «الحسّون».

(١) كامل الزيارات: ١٤٤ حديث ١٧٠ وفيه: عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: «كان الحسين عليه السلام مع أُمّه تحمله، فأخذه رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: لعن الله قاتليك، ولعن الله سالبيك، وأهلكَ الله المتوازرين عليك، وحكم الله بيني وبين من أعان عليك.

فقالت فاطمة عليها السلام: يا أبة، أيّ شيء تقول؟

قال: يا بنتاه، ذكرتُ ما يصيبه بعدي وبعدك من الأذى والظلم والغدر والبغي، وهو يومئذ في عصبة كأنّهم نجوم السماء يتهاوون إلى القتل، وكأنّي أنظر إلى معسكرهم وإلى موضع رحالهم وتربتهم.

فقالت: يا أبة، وأين هذا الموضع الذي تصف؟

قال : موضع يقال له كربلاء، وهي ذات كرب وبلاء علينا وعلى الأُمّة، يخرج عليهم شرار أُمّتي، ولو أنّ أحدهم شفع له مَن في السماوات والأرضين ما شفّعوا فيه، وهم المخلّدون في النار». «الحسّون».

وهل يمكن أن يكون المرء صادقاً في دعوى حبّه للنبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأهل بيته عليهم السلام، وهو لا يحزن لحزنهم ولا يفرح لفرحهم(١)، أو يتّخذ يوم حزنه صلّى عليه وآله يوم عيد وسرور(٢).

الثاني: أنّ فيها نصرةً للحقّ، وإحياء له، وخذلاناً للباطل، وإماتة له. وهي الفائدة التي من أجلها أوجب الله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بالقلب وباللسان وبالجوارح، فإن لم يكن بالجوارح اقتصر على اللسان والقلب، فإن لم يكن باللسان اقتصر على القلب.

الثالث: أنّ فيها حثّاً على وجوب معرفة الفضل والصّفات السامية لأهلها، وفي ذلك من الحثّ على وجوب الاقتداء بهم ما لا يخفى.

---

(١) كامل الزيارات : ٢٠٣ ـ ٢٠٤ حديث ٢٩١، وفيه: قال أبو عبدالله عليه السلام لمسمع: «أمّا أنّك من أهل الجزع لنا، والذين يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا». «الحسّون».

(٢) في علل الشرائع ١ : ٢٢٦ حديث ١ باب ١٦٢ : قال عبدالله بن الفضل الهاشميّ : فقلتُ له: يا بن رسول الله، كيف سَمَّت العامّة يوم عاشوراء يوم بركة؟

فبكى عليه السلام، ثمّ قال: «لمّا قُتل الحسين عليه السلام تقرّب الناس بالشام إلى يزيد، فوضعوا له الأخبار، وأخذوا عليه الجوائز من الأموال، فكان ممّا وضعوا له أمر هذا اليوم، وأنّه يوم بركة، ليعدل الناس فيه من الجزع والبكاء والمصيبة والحزن، إلى الفرح والسرور والتبرّك والاستعداد فيه، حكم الله بيننا وبينهم».

وفي صحيح البخاري ٢ : ٢٥ : عن أبي موسى رضي الله عنه قال : «كان يوم عاشوراء تعدّه اليهود عيداً ـ فقال النبي صلى الله عليه وآله فصوموه أنتم».

وفي البخاري أيضاً ٢ : ١٢٦ : إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لمّا قدم المدينة وجدهم يصومون يوماً، يعني عاشوراء، فقالوا : هذا يوم عظيم ـ وهو يوم نجّى الله فيه موسى وأغرق آل فرعون، فصام موسى شكراً لله، فقال: «إنّا أولى بموسى منهم، فصامه وأمر بصيامه». «الحسّون».

الرابع: أنّ في تلاوة أخبار هذه الواقعة العظيمة، وتذكّرها في كلّ عام، فائدة عظيمة، هي الفائدة في تدوين التواريخ وحفظها وضبطها.

الخامس: أنّه لولا إعادة ذكرها في كلّ عام، لَنُسيت وآل أمرها إلى الاضمحلال، ولوجد أهل الأغراض وسيلة إلى إنكارها وإنكار فضائعها.

وقد وقع ذلك في عصرنا، فقام بعضُ مَن يريد التنويه بشأن بني أُميّة ويتعصّب لهم، ينفي عن يزيد قتل الحسين عليه السلام، ويقول: إنّه وقع بغير أمره وبغير رأيه، ويودع ذلك مؤلّفاته، ويقوم بها خطيباً على المنابر، فذكّرنا بذلك قول ابن منير في رائيته المشهورة:

وأقول إنّ يزيد ما ... شرب الخمور ولا فجر
ولجيشه بالكفّ عن ... أبناء فاطمة أمر
وله مع البيت الحرا ... م يد تكفّر ما غبر[1].

(١) تصوّر البعض أنّ هذه الأبيات قيلت في مدح بني أميّة، ومحاولة تبرئة يزيد بن معاوية من قتل الحسين عليه السلام.

والواقع أنّ هذا الشاعر ـ ابن منير (ت٥٤٨ هـ) ـ من شعراء الشيعة في القرن السادس الهجري، وإنّما قال قصيدته تلك في قضيّة حصلت له مع أحد النقباء، ونحن ننقل هنا قول العلاّمة الأميني في الغدير ٥: ٤٤٤ عن هذا الشاعر، ثمّ نعقبه برأي السيّد الأمين في أعيانه ٣: ١٨٢، ونورد أبيات القصيدة ليقف عليها القارىء.

قال العلّامة الأميني في ترجمته لابن منير:

«أبو الحسين مهذّب الدين أحمد بن منير بن أحمد بن مفلح الطرابلسيّ الشاميّ، نازل درب الخابوري على باب الجامع الكبير الشماليّ.

عين الزمان الشهير بالرفا، أحد أئمّة الأدب، وفي الطبقة العليا من صاغة القريض، وقد أكثر وأجاد، وله في أئمّة أهل البيت عليهم السلام عقود عسجديّة، أبقت له الذكر الخالد، والفخر ⇐

الطريف والتالد، وقد أتقن اللغة والعلوم الأدبيّة كلّها، أنجبت به طرابلس، فكان زهرة رياضها، ورواء أرباضها.

ثمّ هبط دمشق، فكان شاعرها المفلّق، وأديبها المِدره، فنشر في عاصمة الأمويين فضائل العترة الطاهرة بجمان نظمه الرائق، وطفق يتذمّر على مَن ناوأهم أو زواهم عن حقوقهم، محقّقاً فيه مذهبه الحقّ، فبهظ المتحايدين عن أهل البيت (عليهم السلام).

فوجّهوا إليه القذائف والطامّات، وسلقوه بألسنة حداد: فمن قائل: إنّه كان خبيث اللسان، وآخر يعزو إليه التحامل على الصحابة، ومن ناسب إليه الرفض، ومن مفتعل عليه رؤيا هائلة. لكن فضله الظاهر لم يدع لهم مُلتحداً عن إطرائه، وإكبار موقفه في الأدب بالرغم من كلّ تلكم الهلجات.

وجمع شعره بين الرقّة والقوّة والجزالة، وازدهى بالسلاسة والانسجام. وقبل أيٍّ مأثرة من مآثره، إنّه كان أحد حفّاظ القرآن الكريم، كما ذكره ابن عساكر، وابن خلّكان، وصاحب شذرات الذهب.

قال ابن عساكر في تاريخه (٩٧/٢): حفظ القرآن، وتعلّم اللغة والأدب، وقال الشعر، وقدم دمشق فسكنها، وكان رافضيّاً خبيثاً يعتقد مذهب الإماميّة، وكان هجّاءً خبيث اللسان، يكثر الفحش في شعره، ويستعمل فيه الألفاظ العاميّة.

فلمّا كثر الهجو منه، سجنه بوري بن طغتكين أمير دمشق في السجن مدّة، وعزم على قطع لسانه، فاستوهبه يوسف بن فيروز الحاجب فوهبه له، وأمر بنفيه من دمشق، فلمّا ولي ابنه إسماعيل بن بوري عاد إلى دمشق، ثمّ تغيّر عليه إسماعيل لشيء بلغه عنه، فطلبه وأراد صلبه، فهرب واختفى في مسجد الوزير أيّاماً، ثمّ خرج من دمشق ولحق بالبلاد الشماليّة، ينتقل من حماة إلى شيزر وإلى حلب.

ثمّ قدم دمشق آخر قدمة في صحبة الملك العادل لمّا حاصر دمشق الحصر الثاني، فلمّا استقرَّ الصلح دخل البلد ورجع مع العسكر إلى حلب فمات بها، ولقد رأيته غير مرّة ولم أسمع منه، فأنشدني الأمير أبو الفضل إسماعيل ابن الأمير أبي العساكر سلطان بن منقذ قال: أنشدني ابن منير لنفسه...».

وقال العلّامة الأميني معقّباً على هذه القصيدة:

«هذه القصيدة المعروفة بـ ـ التتريّة ـ ذكرها بطولها (١٠٦) أبيات ابن حجّة الحموي في ثمرات الأوراق (٤٤/٢ ـ ٤٨)، وذكر منها في كتابه خزانة الأدب (٣٢٤/١) (٦٨) بيتاً، وتوجد برمّتها في تذكرة ابن العراق، ومجالس المؤمنين (ص٤٥٧) نقلاً عن التذكرة، وأنوار الربيع للسيّد عليّ خان (ص٣٥٩)، وكشكول شيخنا ٣٢٨/٤ البحراني صاحب الحدائق (ص٨٠)، ونامه دانشوران (٣٨٥/١)، وتزيين الأسواق للأنطاكي (ص١٧٤)، ونسمة السحر فيمن تشيّع وشعر، وذكر الشيخ الحرّ العاملي في أمل الآمل (٣٥/١) منها تسعة عشر بيتاً.

أرسل ابن منير إلى الشريف المرتضى الموسويّ بهديّة مع عبد أسود له، فكتب إليه الشريف:

أمّا بعد فلو علمت عدداً أقلّ من الواحد، أو لوناً شرّاً من السواد، بعثت به إلينا، والسلام.

فحلف ابن منير أن لا يرسل إلى الشريف هديّة إلّا مع أعزّ الناس عليه، فجهّز هدايا نفيسة مع مملوك له يسمّى تتر، وكان يهواه جدّاً ويحبّه كثيراً ولا يرضى بفراقه، حتّى أنّه متى اشتدَّ غمّه أو عرضت عليه محنة، نظر إليه فيزول ما به.

فلمّا وصل المملوك إلى الشريف، توهّم أنّه من جملة هداياه تعويضاً من العبد الأسود، فأمسكه، وعزّت الحالة على ابن منير، فلم يرَ حيلة في خلاص مملوكه من يد الشريف إلّا إظهار النزوع عن التشيّع إن لم يرجعه إليه، وإنكار ما هو المتسالم عليه من قصّة الغدير وغيرها، فكتب إليه بهذه القصيدة.

فلمّا وصلت إلى الشريف تبسّم ضاحكاً وقال: قد أبطأنا عليه فهو معذورٌ، ثمّ جهّز المملوك مع هدايا نفيسة، فمدحه ابن منير بقوله:

إلى المرتضى حُثَّ المطيَّ ... إمامٌ على البريّة قد سما
ترى الناس أرضاً في الفضائل عندَهُ ... ونجلَ الزكيِّ الهاشميِّ هو السما

وقد خمّس التتريّة العلّامة الشيخ إبراهيم يحيى العامليّ، وهو بتمامه مع القصيدة مذكور في مجموعة شيخنا العلاّمة الشيخ عليّ آل كاشف الغطاء، وفي الجزء الأوّل من سمير الحاضر ومتاع المسافر له، وفي المجموع الرائق (ص٧٢٧) لزميلنا العلّامة السيّد محمد صادق آل بحر العلوم».


وقال السيّد محسن الأمين في أعيانه ٣: ١٨١: «قصيدة رائية مشهورة عُرفت بـ«التتريّة»، وسبب قوله لهذه القصيدة أنّه كان بين ابن منير وبين بعض الأشراف من النقباء مودّة أكيدة، فأهدى ابن منير له هدية مع مملوك له يسمّى «تتر»، فاحتبس الشريف الغلام مع الهدية موهماً أنّه حسبه من جملتها؛ ليعبث بابن منير ويحرّكه، فأرسل ابن منير هذه القصيدة له.

وهذا الشريف لا يدري مَن هو، ومِن الناس مَن توهّم أنّه الشريف المرتضى المشهور؛ للتعبير عنه فيها بـ«الشريف الموسويّ». وهو توهّم فاسد، فإنّ بين ولادة ابن منير ووفاة المرتضى نحو أربعين سنة، وهذه الواقعة مع شريف آخر موسويّ يكنّى أبا مضر».

عذبت طرفي بالسهر ... وأذبت جسمي بالفكر
ومزجت صفو مودّتي ... من بعد بعدك بالكدر
ومنحت جثماني الضنا ... وكحلت جفني بالسهر
وجفوت صبا ماله ... عن حسن وجهك مصطبر
يا قلب ويحك كم تخا ... دع بالغرور وكم تغر
والأمَ تكلف بالأغن ... من الظباء وبالأغر
ريم يفوّق إن رمى ... بسهام ناظره النظر
تركتك أعين تركها ... من بأسهن على خطر
ورمت فاصمت عن قسي ... لا ينياط بها وتر
جرحتك جرحاً لا يخيط ... بالخيوط ولا الإبر
تلهو وتعلب بالعقو ... ل عيون أبناء الخزر
فكأنّهن صوالج ... وكأنّهن لها أكر
تخفي الهوى وتسره ... وخفي سرك قد ظهر
أفهل لوجدك من مدى ... يفضي إليه فينتظر
روحي الفداء لشادن ... أنا من هواه على خطر
رشا تحار له الخوا ... طر إن تثنى أو خطر
عذل العذول وما رآ ... ه فحين عاين عذر

قمـــر يـــزين ضـــوء صبـــ … ـح جبينـــه ليـــل الشـــعر
تـــدمي اللـــوحظ خـــدّه … فتـــرى لهـــا فيـــه أثـــر
هـــو كـــالهلال ملثمـــاً … والبـــدر حســـناً إن ســـفر
ويـــلاه مـــا أحـــلاه فـــي … قلبـــي الشـــجي ومـــا أمـــر
نـــومي المحـــرّم بعـــده … وربيـــع لـــذاتي صـــفر
بالمشـــعرين وبالصـــفا … والبيـت والحجـر أُقسـم والحجـر
وبمـــن ســـعى فيـــه ومـــن … لبّـــى وطـــاف أو اعتمـــر
لـــئن الشـــريف الموســـويّ … ابـــن الشـــريف أبـــو مضـــر
أبـــدى الجحـــود ولـــم يـــرد … الـــيّ مملـــوكي تتـــر
واليـــت آل أُميّـــة الـــ … ـــغر الميـــامين الغـــرر
وجحـــدت بيعـــة حيـــدر … وعـــدلت عنـــه إلـــى عمـــر
وإذا جـــرى ذكـــر الصحابـــ … ـــة بـــين قـــوم واشـــتهر
قلـــت المقـــدم شـــيخ تيـــ … ـــم ثـــمّ صـــاحبه عمـــر
مـــا ســـلّ قـــط ظبـــاً علـــى … آل النبـــيّ ولا شـــهر
كـــلاّ ولا صـــد البتـــو … ل عـــن التـــراث ولا زجـــر
وأثابهـــا الحســـنى ومـــا … شـــقّ الكتـــاب ولا بقـــر
وبكيـــت عثمـــان الشهيـــ … ـــد بكـــاء نســـوان الحضـــر
وشـــرحت حســـن صـــلاته … جـــنح الظـــلام المعتكـــر
وقـــرأت مـــن أوراق مصحـــ … فـــه بـــراءة والزمـــر
ورثيـــت طلحـــة والزبيـــ … ـــر بكـــلّ شـــعر مبتكـــر
وأزور قبرهمـــا وأز … جـــر مـــن لحـــاني أو زجـــر
وأقـــول أمّ المـؤمنـــ … ـــين عقوقهـــا إحـــدى الكبـــر
ركبـــت علـــى جمـــل وســـا … رت مـــن بنيهـــا فـــي زمـــر
وأتـــت لتصـــلح بـــين جيـــ … ش المســـلمين علـــى غـــرر

فـــأتى أبـــو حســـن وســـلّ | حســـــامه وســـــطا وكـــــر
وأذاق إخوتـــــه الـــــردى | وبعيـــــر أُمّهـــــم عقـــــر
مـــــاذا عليـــــه لـــــو عفـــا | أو عـــــفّ عـــــنهم إذ قـــــدر
وأقـــــول إنّ إمـــــامكم | ولّـــــى بصـــــفين وفـــــر
وأقـــول إن أخطـــى معـــا | ويـــة فمـــا أخطـــى القـــدر
هـــذا ولـــم يغـــدر معـــا | ويـــــة ولا عمـــــرو مكـــــر
بطـــــل بســـــوءته يقـــــا | تـــــل لا بصـــــارمه الـــــذكر
وجنيـــت مـــن رطـــب النـــوا | صـــب مـــا تتمـــر واختمـــر
وأقـــول ذنـــب الخـــارجيـــــ | ن علـــــى علـــــيّ مغتفـــــر
لا ثـــــائر لقتـــــالهم | فـــــى النهـــــروان ولا أثـــــر
والأشـــــعري بمـــــا يـــــؤو | ل إليـــــه أمـــــرهم شـــــعر
قـــال انصـــبوا لـــي منبـــراً | فأنـــا البـــريء مـــن الخطـــر
فرقـــى وقـــال خلعـــت صـــا | حـــبكم وأوجـــز واختصـــر
وأقـــــول إنّ يزيـــــدما | شـــرب الخمـــور ولا فجـــر
ولجيشـــــه بـــــالكفّ عـــــن | أبنـــــاء فاطمـــــة أمـــــر
ولـــه مـــع البيـــت الحـــرا | م يـــد تكفّـــر مـــا غبـــر
وحلقـــت فـــي عشـــر ا لمحـــرّ | م مـــا اســـتطال مـــن الشـــعر
ونويـــت صـــوم نهـــاره | وصـــيام أيـــام أُخـــر
ولبســـت فيـــه أجـــل ثـــو | ب للملابـــس يـــدخر
وســـهرت فـــي طـــبخ الحبـــو | ب مـــن العشـــاء إلـــى الســـحر
وغـــدوت مكـــتحلاً أُصـــا | فـــح مـــن لقيـــت مـــن البشـــر
ووقفـــت فـــي وســـط الطريـــ | ق أقـــصّ شـــارب مـــن غبـــر
وأكلـــت جرجيـــر البقـــو | ل بلحـــم جـــري البحـــر
وجعلتهـــا خيـــر المـــآ | كـــل والفواكـــه والخضـــر

وغسلت رجلي حاضراً ... ومسحت خفي في السفر
آمين أجهر في الصلا ... ة كمن بها قبلي جهر
وأسنّ تسنيم القبو ... ر لكلّ قبر يحتفر
وإذا جرى ذكر الغد ... ير أقول ما صح الخبر
وإذا امرؤ طلب الد ... ليل ورد قولي واستمر
أو قال لي أنا لا أُسلّم ... قلت هذا قد كفر
وكففته وزجرته ... وكفى بقولي مزدجر
وأُعنت ضلال الشآ ... م على الضلال المشتهر
وأطعتهم وطعنت في الخـ ... ـبر المعنعن والأثر
وسكنت جلق واقتديـ ... ـت بهم وإن كانوا بقر
بقر ترى بحليهم ... طيش الظليم إذا نفر
وهواؤهم كهوائهم ... وخليط مائهم القذر
وعليهم مستجهل ... وأخو الديانة محتقر
وخفيفهم مستثقل ... وثقيلهم فيه العبر
وأقول مثل مقالهم ... بالفاشرية قد فشر
مستطيجتي مكسورة ... وفطيرتي فيها قطر
وطباعهم كجبالهم ... جبلت وقدت من حجر
وأقول في يوم تحا ... ر له البصائر والبصر
والصحف ينشر طيها ... والنار ترمي بالشرر
هذا الشريف أضلّني ... بعد الهداية والنظر
ما لي مضلّ في الورى ... إلاّ الشريف أبو مضر
فيقال خذ بيد الشريـ ... ـف فمستقركما سقر
لواحة تسطو فما ... تبقي عليه ولا تذر
فاخش الإله بسوء فعـ ... ـلك واحذرن كلّ الحذر

وذكّرنا بذلك أيضاً ما وقع مع بعض علماء الشيعة حين قيل له : إنّ الحسين قُتل قبل ألف ومئات من السنين، فما معنى تجديدكم لذكرى قتله في كلّ عام؟

فقال: خفنا أن تُنكروا قتله كما نكرتم بيعة الغدير[1].

والله يغفــــــــر للمســــــــي	ء إذا تنصّـــــــل واعتـــــــذر
وإليكهـــــــا بدويـــــــة	رقـــــت لرقتهـــــا الحضـــــر
شـــــامية لـــــو شـــــامها	قـــس الفصـــاحة لافتخـــر
ودرى وأيقـــــــن أنّنــــــي	بحـــــر وألفـــــاظي درر
وقصـــــــيدة كخريـــــــدة	غيـــداء ترفـــل فـــي الحبـــر
حبرتهـــــا فغـــــدت كـــــرو	ض الحـــزن بـــاكرة المطـــر
وإلـــــى الشـــــريف بعثتهـــــا	لمـــــا قراهـــــا وانبهـــــر
ردّ الغـــــلام ومـــــا استمـــــ	رّ علـــى الجحـــود ولا أصـــر
وأثـــــــابني وجزيتـــــــه	شـــكراً وقـــال لقـــد صـــبر
وظفـــــرت منـــــه بـــــالمنى	والصـــبر عقبـــاه الظفـــر

«الحسّون».

(١) قال الشيخ عبدالله المامقاني (ت ١٣٥١ هـ) في رسالة (المواكب الحسينيّة) (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٢: ٢١٢ «ثمّ إنّ في التشبيه المذكور واستطراق الشوارع به، فوائد اُخر عقلائيّة شرعيّة مترتبة عليه:

فمنها: مليء قلوب عموم الناس بوقوع هذه الفاجعة العظمى، حتّى لا يبقى للإنكار مجال ضرورة.

إنّ الثبت في الكتب ينفع في إلزام العلماء، وأمّا العامّي فليس له من الكتب حظّ، فلو لم يكن للوقعة شبيه في الخارج، نالتها يد الإنكار، كما أنّ واقعة الغدير نالتها يد الإنكار من عموم العامّة، مع أنّ كتبهم تنقلها ورواياتها مشحونة متواترة.

السادس: أنّ فيها تهجيناً للظلم والقسوة، حيث إنّها تصوّرها بأقبح صورها، وفي ذلك من الحثّ على التباعد عنها وبغض الظلم وأهله ما لا يخفى.

السابع: أنّها ترقّق القلوب، وتبعث على الرحمة والشفقة والانتصار للمظلوم.

الثامن: أنّها تغرس في النفس حبّ الفضيلة، والاعتماد على النفس، والشجاعة، وعزّة النفس، وإباء الضيم، وعدم الخنوع للظلم ومقاومته بأقصى الجهد، بايراد ما صدر من الحسين من اختيار المنيّة على الدنيّة، وموت العزّ على حياة الذلّ، وميتة الكرام على طاعة اللئام، وإلى ذلك أشار مصعب بن

ولقد عثرت بعد يسير تتبّع في كتب أهل السنّة والجماعة، فضلاً عن كتبنا، على أكثر من أربعين رواية متكفّلة لنقل وقعة الغدير.

ولو كان للوقعة مثال في الخارج في كلّ سنة في اليوم الثامن عشر من ذي الحجّة الحرام، لكانت القضيّة إلى الآن مسلّمة عند عموم الناس، ولم يسع أحد إنكارها.

ولقد اعترض منذ ثلاثين سنة تقريباً [أي في سنة ١٣١٥ هـ] ابن باشي العسكر، على جمع كانوا يلطمون على الصدور في صحن مولانا سيّد الشهداء أرواحنا فداه : بأنّه ماهذا الغوغاء في المجامع والطرقات، وما غرضكم بذلك؟

فرأى أنّه إن أجاب: بأنّا نطلب بذلك الأجر، لاحتاج إلى إثبات أنّ فيه أجراً، ولا يمكنه ذلك في تلك الحال، فقال : إنّا لمّا وجدناكم أنكرتم واقعة الغدير على تواترها عندكم، التزمنا بالغوغاء في أيام هذه الواقعة في المجامع والشوارع؛ كي لا يسعكم إنكار وقوع هذا الظلم العظيم من يزيد لعنه الله، ولو كنّا نلتزم في واقعة الغدير بمثله لما وسعكم إنكارها». «الحسّون».

الزبير[1] بقوله:

وإنّ الأولى بالطف من آل هاشم   تأسّوا فسنّوا للكرام التأسّيا[2]

التاسع: أنّها مدرسة يسهل فيها التعليم والاستفادة لجميع طبقات الناس، فيتعلّمون فيها التاريخ والأخلاق والتفسير والخطابة والشعر واللغة، وغير ذلك.

وتوقف السامع على بليغ الكلام من نظم ونثر، زيادة على ما فيها من تهذيب النفوس وغرس الفضيلة فيها؛ لأنّ ما يتلى فيها لا يخلو غالباً من شيء ممّا ذكر.

ويشتغل فيها الخاصّة بمذاكرة المسائل العلميّة من كلّ علم، والبحث عنها وتبادل الآراء فيها، كما هي العادة المألوفة في العراق وغيره.

العاشر: أنّها ناد للوعظ والإرشاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وما يجري هذا المجرى، ففيها جلب إلى طاعة الله، وإبعاد عن معصيته بأحسن الطرق وأنفعها، بما يلقى فيها من المواعظ المؤثرة وقضايا الصالحين والزهاد والعبّاد وغير ذلك.

الحادي عشر: أنّ الاجتماع في تلك المجالس يكون مانعاً عن اجتماع البطّالين في المقاهي والمجالس المعلوم حالها، خصوصاً في مثل هذا الزمان،

---

(١) في هامش الأصل: «ذكر ابن الأثير في تاريخه: أنّ مصعب بن الزبير، لمّا كان يُحارب عبد الملك بن مروان، ورأى تخاذل أهل الكوفة عنه، قال لعروة بن المغيرة بن شعبة: أخبرني عن الحسين بن عليّ، كيف صنعَ بامتناعه من النزول على حكم ابن زياد، وعزمه على الحرب؟ فأخبره، فقال: وإنّ الأُولى بالطفّ .... منه رحمه الله».

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ٨: ٣٤٦، «الحسّون».

فإنّ الإنسان مدنّي بالطبع، ولابدّ له من الاجتماع مع أبناء جنسه، إمّا على خير أو على شرّ، فالاجتماع في هذه المجالس مانع عن الاجتماع في مجالس الشرّ، لاسيّما أنّها تشتمل على ما يجذب النفوس إليها ويرغّبها فيها.

الثاني عشر: أنّها جامعة إسلاميّة دينيّة، تجتمع فيها القلوب على مقصد واحد، وترمي إلى هدف واحد في جميع أقطار الأرض، وهو مواساة النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام في مصابهم، وفي ذلك إعلاء شأنهم، والتمسّك بحبلهم، وجمع القلوب على حبّهم، والائتمار بأمرهم، والانتهاء عن نهيهم ما لا يخفى.

الثالث عشر: أنّها مجمع ومؤتمر دينيّ ودنيويّ، يتسنّى فيه للمجتمعين البحث وتبادل الآراء في شؤونهم، وشؤون إخوانهم النائين عنهم، الدينية والدنيوية، بغير كلفة ولا مشقّة.

الرابع عشر: أنّها نادي تبشير بالدين الإسلاميّ ومذهب أهل البيت عليهم السلام في جميع أنحاء المعمورة، بأقوى الوسائل وأنفعها وأسهلها وأبسطها، وأشدّها تأثيراً في النفوس، بما تودعه في قلوب المستمعين، من بذل أهل البيت ـ الذين هم رؤساء الدين الإسلاميّ ـ أنفسهم وأموالهم ودماءهم في نصرة دين الإسلام.

وما تشتمل عليه من إظهار محاسن الإسلام ومزاياه وآياته ومعجزاته، التي أبانوا عنها بأقوالهم وأفعالهم وشؤونهم وأحوالهم، ممّا لا يدانيه ما تبذل عليه الأموال الطائلة من سائر الأُمم، وتتحمّل لأجله المشاقّ العظيمة.

الخامس عشر: أنّ فيها عزاء عن كلّ مصيبة، وسلوة عن كلّ رزيّة، فإذا

رأى الإنسان أنّ سادات المسلمين، بل سادات الناس وآل بيت المصطفى، جرى عليهم من أنواع الظلم والمصائب ما جرى، هانت عليه كلّ مصيبة، وفي المثل المشهور «من رأى مصيبة غيره هانت عليه مصيبته»[١]، وإلى ذلك أشار الشاعر:

أنست رزيّتكم رزايانا التي　　سلفت وهوّنت الرزايا الآتيه[٢]

السادس عشر: أنّ فيها حثّاً على الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة، فإذا علم المرء أنّ سادات المسلمين وأئمتهم وأهل بيت النبوّة، قد ابتلوا بهذه المصائب في الدنيا، فكانت سبباً لعلوّ درجتهم في الآخرة، علم أنّ الدنيا لو كانت تساوي عند الله تعالى جناح بعوضة، لما ابتلى أولياءه فيها بما ابتلاهم، ولما سقى الكافر منها شربة ماء، كما جاء في الأثر[٣] وكما أشار إليه الشاعر

---

(١) كنز العمّال ٣ : ٣٠١ حديث ٦٦٥٣، وفيه: «من أصابته مصيبة فليذكر مصيبته بي فإنّها من أعظم المصائب»، «الحسّون».

(٢) جزء من قصيدة تقع في ثلاثة وثلاثين بيتاً، لشاعر أهل البيت(عليهم السلام) الشيخ عبد الحسين الأعسم (ت ١٢٤٧ هـ)، ومطلعها:

قد أوهنت جلدي الديار الخالية　　من أهلها ما للديار وماليه

والبيت والذي قبله وبعده :

تبتلّ منكم كربلا بدم ولا　　تبتلّ منّي بالدموع الجارية
أنست رزيّتكم رزايانا التي　　سلفت وهوّنت الرزايا الآتية
وفجائع الأيام تبقى مدّة　　وتزول وهي إلى القيامة باقية

انظر : المجالس الفاخرة في مصائب العترة الطاهرة: ٩٤، «الحسّون».

(٣) في التمحيص ٤٨ ـ ٤٩ حديث ٧٩: عن أبي عبدالله عليه السلام، عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «والذي ⇐

بقوله:

لهم جسوم على الرمضا مهملة   وأنفس في جوار الله يقريها
كأنّ قاصدها بالضرّ نافعها   وإنّ قاتلها بالسيف محييها(١)

السابع عشر: أنّ فيها تأليفاً للقلوب بالتزاور والاجتماع، والتحادث والتعاون والتعارف.

الثامن عشر: ما فيها من البرّ والمواساة، وإعانة الفقراء والضعفاء، بما ينفق فيها من المال والزاد في ثواب الحسين عليه السلام.

التاسع عشر: ـ وهو من أهمها ـ أنّ المصلحة التي استُشهد الحسين عليه السلام من أجلها وفي سبيلها، والغاية السامية التي كان يرمي في جهاده واستشهاده إليها، وهي إحياء دين جدّه صلى الله عليه وآله، وإظهار فضائح المنافقين، تقضي باستمرار هذه المآتم طول الدهر، وإقامة التذكار لها في كلّ عصر، وإظهارها للخاصّ والعام؛ تقوية لتلك المصلحة وتثبيتاً لها، فلولا قتل

نفسي بيده، لو كانت الدنيا تعدل عند الله مثقال جناح بعوضة، ما أعطى كافراً ولا منافقاً منها شيئاً».

وفي سنن الترمذي ٣: ٣٨٣ حديث ٢٤٢٢: عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة، ما سقى كافراً منها شربة ماء»، «الحسّون».

(١) في قصص العلماء: ٤٣٣ نُسبت هذه الأبيات للسيّد المرتضى (ت ٤٣٦ هـ).

وفي مصباح الكفعمي أوردها هكذا:

لهم جسوم على الرمضاء ذائبةً   وأنفس جاورت جنّات باريها
كأنّ قاصدها بالضرّ نافعها   أو أنّ قاتلها بالسيف محييها

«الحسّون».

الحسينعليه السلام، لما ظهر للخاصّ والعام فسق يزيد وكفره وفجوره، وقبائح مَن مهّد له، ومكّنه من رقاب المسلمين.

وذلك لأنّ الذين دفعوا أهل البيت عن حقّهم، ظهروا للناس بمظهر النيابة عن رسول اللهصلى الله عليه وآله، وتظاهروا بتأييد الدين، فخفي أمرهم على أكثر الناس، وبدّلوا من أحكام الشريعة ما شاءوا، واتّبعهم جلّ الأُمّة جهلاً أو رغباً أو رهباً.

وأمّروا على الأُمّة أعوانهم وأتباعهم، وأقصوا أولياء الله وأبعدوهم وحرموهم، وساموهم أنواع الأذى من القتل والضرب، والنفي والصلب. ولعنوا أمير المؤمنينعليه السلام على منابر الإسلام، وكنَّوا به عن أخيه وابن عمّه، وأظهروا للأُمّة أنّهم هم آل رسول اللهصلى الله عليه وآله وقرابته، والأحقّ بمقامه.

وقد قال أهل الشام لبني العبّاس: إنّهم ما كانوا يعرفون قرابة لرسول اللهصلى الله عليه وآله إلّا بني أُميّة، ولو دام الحال على ذلك لأصبح الدين أثراً بعد عين.

فلمّا ثار عليهم الحسينعليه السلام، وأبى إطاعتهم والانقياد لهم، قائلاً: «إنّا أهل بيت النبوّة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، بنا فتح الله، وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحترمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله»[1].

وسلّم نفسه وولده وخواصّ شيعته وأهل بيته للقتل، وأطفاله للذبح، وعياله ونساءه للسبي، وأمواله للنهب، ولسان حاله يقول:

---

(١) تاريخ الطبريّ ٥: ٣٧٦، أنساب الأشراف ٤: ١٥، الأخبار الطوال: ٢٢٨، مناقب ابن شهرآشوب ٢: ٢٠٨.

إن كان دين محمّد لم يستقم إلّا بقتلي يا سيوف خُذيني

ظهر بذلك ما هم عليه خصومه من الكفر والنفاق، بل الخروج عن حدود الإنسانيّة، وظهرت عداوتهم لله، وانتقامهم من رسول الله صلى الله عليه وآله، كما صرّح بذلك رئيسهم بقوله:

لستُ من خندف إن لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل(١)

فلم يكتفوا بقتل ولده وسبطه وأهل بيته وأنصاره عطشاً، حتّى قطعوا رأسه ورؤوس أصحابه، وداروا بها في البلدان، وداسوا جسده الشريف بحوافر الخيل، ونهبوا رحله، وأحرقوا خيامه.

ولم يكتفوا بذلك، حتّى حملوا عقائل بيت النبوّة سبابا، على أقتاب المطايا، من بلد إلى بلد، كأنّهن سبايا الترك أو الديلم، وأدخلوهنّ على مجالس الرجال، وقابلوهنّ بأخشن المقال، وأوقفوهنّ على درج باب المسجد الجامع بدمشق حيث يُقام السبي.

ووضعوا الأغلال في عنق زين العابدين عليه السلام حتّى كأنّه من قطّاع الطريق، أو من اُسارى الكفّار العاتين.

فأظهر الحسين عليه السلام بقتله فضائح المنافقين، وأسقطهم من قلوب المسلمين، واستلفت الأنظار بمصيبته إلى سائر مصائب أهل البيت، وأبان بمصيبته أنّ هذا البناء على ذلك الأساس، وهذا الحصد من ذلك الزرع، وهذا

---

(١) هذا البيت من ضمن أبيات نُسبت لابن الزبعري وقد تمثّل بها يزيد عند ما جيء إليه برأس الحسين عليه السلام.

انظر: مرآة الزمان: ٩٩، مقتل الخوارزميّ ٢: ٦٦، الآثار الباقية: ٣٣١، تفسير القمّي ٢: ٨٦.

السيل من ذلك المطر، وهذه النار من ذلك الشرر.

وأنّ الحسين عليه السلام لم يقتل في يوم كربلاء، بل قبله بعشرات من الأعوام، ونبّه الأفكار إلى البحث عن أساس هذه الفاجعة وأسبابها، وعن أوّل شرارة قدحت لإضرامها.

وما المسبّب لو لم ينجح السبب

بنى لهم الماضون أساس هذه　　　فعلُّوا على أساس تلك القواعد[1]
سَهْمٌ أصابَ وراميهِ بذي سَلَمٍ　　　مَن بالعِراقِ لَقد أَبْعدت مَرْماكِ[2]

فتحرّكت النفوس لنصرة أهل البيت عليهم السلام، والأخذ بثأرهم، حتّى قُتل من

---

(١) من مقطوعة شعريّة للشريف الرضيّ (ت ٤٠٦ هـ)، والبيت والذي قبله وبعده:

أتَاحُوا لهُ مرّ الموارِدِ بالقَنا　　　على ما أباحُوا من عَذابِ المَوارِدِ
بَنى لهُم الماضُون أساسَ هذهِ　　　فَعلّوا على أساسِ تلك القواعِدِ
رَمُونا كما يرمى الظماء عن الورى　　　يذودُونَنا عن إرثِ جدٍ ووالدِ

ديوان الشريف الرضيّ: ١٨٥، «الحسّون».

(٢) من مقطوعة شعريّة للشريف الرضيّ (ت ٤٠٦ هـ)، مطلعها:

يا ظَبيةَ البانِ تَرعى في خَمائِلهِ　　　لِيَهنَك اليومَ أنَّ القلبَ مَرعاكِ

والبيت والذي قبله وبعده:

ثُمَّ انْثَنينا إذا ما هَزّنا طَرَبٌ　　　على الرحالِ تَعَلّلنا بذِكراكِ
سَهمٌ أصابَ وراميهِ بذي سلمٍ　　　مَنْ في العِراقِ لَقدْ أبْعتِ مَرماكِ
وعدٌ لِعَيْنَيكِ عِندي ما وَفَيْتِ بهِ　　　يا قُربَ ما كَذَبتْ عَينيَّ عَيْناكِ

ديوان الشريف الرضيّ: ٢٤٥، «الحسّون».

أهل الشام في وقعة عين الوردة ـ بين إبراهيم بن مالك الأشتر وعبيد الله بن زياد ـ سبعون ألفاً، ولم يقتل منهم بعد وقعة صفّين مثلما قتل في هذه الوقعة.

وانتبه من أنار الله بصيرته إلى نصوص الكتاب والسنّة فيهم، وانقادت النفوس إلى حبّهم، وتألّبت على عدوّهم وأبغضته ونفرت منه.

وعاد كثير من الأُمّة إلى اقتفاء آثار أهل البيت، والاقتباس من علومهم، وأخذ دين جدّهم وعلمه الذي أودعه ايّاهم عنهم. فعادت بذلك إلى الدين حياته، وارتفع مناره، وأُحييت وتجدّدت آثاره.

ولولا قتل الحسين عليه السلام، لكانت الناس كلّها إلى اليوم تأخذ معالم دينها عن يزيد وسلفه، ولما كان يعرف أحد حملة دين الله، ومعادن علم رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذا ظاهر لمن تدبّر وأبصر، ولم يعمه الهوى والتعصّب.

وممّا يدلّ على أنّ الحسين عليه السلام، سلّم نفسه للقتل عالماً ـ كما عهده إليه أبوه عن جدّه صلى الله عليه وآله، لقصد إحياء الدين، وإظهار فضائح المنافقين ـ ما أشرنا إلى جلّه في خاتمة لواعج الأشجان[١]، مِنْ قوله في خطبته حين عزم على الخروج إلى العراق: «كأنّي بأوصالي يقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء»[٢]. إلى كثير من فقراتها.

ونهي عمر بن عبد الرحمن بن الحارث له بمكّة عن الخروج؛ محتجّاً بما لا يدفع، ولا يمكن أن يخفى مثله على الحسين عليه السلام من إتيانه بلداً فيه عمّاله وأُمراؤه، ومعهم بيوت الأموال، وأنّ الناس عبيد الدينار والدرهم، وعدم

(١) لواعج الأشجان: ٢٤٧.

(٢) مقتل الخوارزميّ ١: ١٨٦.

أخذه بقوله مع اعتذاره إليه واعترافه بنصحه[١].

ونهي ابن عبّاس له محتجّاً بنحو ذلك، ومعاودته النهي وإشارته باليمن، فلم يقبل منه[٢].

وقوله لأخيه محمّد بن الحنفيّة: «أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا حسين اخرج، فإنّ الله قد شاء أن يراك قتيلاً».

قال: ما معنى حملك هذه النسوة معك؟

قال: «إنّ الله قد شاء أن يراهن سبايا»[٣].

وقول ابن عمر له: إنّك مقتول في وجهك هذا، وما ظهر له ما كان ليخفى على الحسين عليه السلام[٤].

وقول الفرزدق له: قلوب الناس معك وأسيافهم عليك[٥].

وقول بشر بن غالب له: خلّفتُ القلوب معك، والسيوف مع بني أُميّة، وتصديقه له[٦].

ونهي عبد الله بن جعفر له، وإشفاقه عليه من ذلك الوجه أن يكون فيه هلاكه، واستئصال أهل بيته، وقول الحسين عليه السلام له: إنّه رأى جدّه صلى الله عليه وآله في

---

(١) مقتل الخوارزمي ١: ١٩٧.

(٢) الأخبار الطوال: ٢١٨.

(٣) تاريخ الطبريّ ٥: ١٩١، الكامل في التاريخ ٤: ٧.

(٤) أمالي الصدوق: ٩٣.

(٥) تاريخ الطبريّ ٥: ٢١٨، الكامل لابن الأثير ٤: ١٦، تذكرة الحفّاظ للذهبيّ ١: ٣٣٨.

(٦) مثير الأحزان: ٢١.

المنام وأخبره بما هو ماض له، وامتناعه من الإخبار بتلك الرؤيا[١].

ونهي عبد الله بن مطيع له، قائلاً: والله لئن طلبت ما في أيدي بني أُميّة ليقتلنك، وإباؤه إلّا المضي[٢].

وقول الأعراب له: إنّا لا نستطيع أن نلجّ ولا نخرج القاضي بإستيلاء عدوه استيلاءً تاماً، وخطورة الأمر[٣].

وإخبار أُخته زينب بما سمعته حين نزلوا الخزيمية[٤].

وما رآه في منامه بالثعلبيّة[٥].

وقوله لأبي هرّة الأزديّ: «وأيم الله لتقتلني الفئة الباغية»[٦].

وقول الأسديّين[٧] له حين أخبراه بقتل مسلم وهاني، وأشارا عليه بالرجوع: وإنّه ليس لك بالكوفة ناصر، بل هم عليك[٨].

واستشارته بني عقيل وامتناعهم من الرجوع، وقوله للأسديّين: «لا خير في العيش بعد هؤلاء»[٩]، الدالّ على أنّ استشارتهم ليجيبوا بالامتناع، فيعتذر إلى الأسديّين، وأنّه عازم على عدم الرجوع على كلّ حال مع ظهور الخطر.

---

(١) تاريخ الطبريّ ٥: ٢١٨.

(٢) الطبقات الكبرى ٥: ١٤٤.

(٣) الكامل لابن الأثير ٤: ١٦.

(٤) مثير الأحزان: ٢٣.

(٥) أمالي الصدوق: ٩٣، كامل الزيارات: ٧٥، الملهوف: ١٣١.

(٦) الملهوف: ١٣٢.

(٧) وهما: عبد الله بن سليم، والمنذر بن المشمعل. الكامل لابن الأثير ٤: ١٦.

(٨) الملهوف: ١٣٤، الكامل لابن الأثير ٤: ١٧.

(٩) الكامل لابن الأثير ٤: ١٧.

وقوله حين جاءه خبر مسلم وهاني وابن يقطر: «قد خذلنا شيعتنا، فمَنْ أحبّ منكم الانصراف فلينصرف»[١]؟ وعدم رجوعه بعد تفرّقهم عنه.

وقوله لعمرو بن يوذان[٢] ـ حين أشار عليه بالرجوع؛ لأنّ الذين كتبوا إليه لم يكفوه مؤنة القتال، وأنّه لا يقدم إلّا على الأسنّة وحدّ السيوف ـ: «ليس يخفى عليّ الرأي، ولكن الله تعالى لا يغلب على أمره»[٣].

وقوله: «والله لا يدعوني حتّى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي»[٤].

وقوله: «وأيم الله، لو كنتُ في جحر هامة من هذه الهوام، لاستخرجوني حتّى يقتلوني»[٥].

وكتابه إلى بني هاشم: «من لحق بي استشهد، ومن تخلّف عنّي لم يبلغ الفتح»[٦].

وقوله لأُمّ سلمة ـ حين قالت له: يا بنيَّ، لا تحزنّي بخروجك إلى العراق، فإنّي سمعتُ جدّك صلى الله عليه وآله يقول: «يقتل ولدي الحسين بأرض يقال لها كربلاء» ـ: «يا أُمّاه، وأنا والله أعلم ذلك، وأنّي مقتول لا محالة، وليس لي منه بدّ، وقد شاء الله أن يراني مقتولاً، ويرى حرمي مشرّدين، وأطفالي مذبوحين»[٧].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٣: ٢٠٨.

(٢) كذا في الأصل، وفي المصدر: عمرو بن لوذان.

(٣) تاريخ الطبري ٥: ٢٢٦.

(٤) نفس المهموم: ٩٨.

(٥) تاريخ الطبري ٦: ١٩١.

(٦) كامل الزيارات: ٧٥، بصائر الدرجات: ١٤١.

(٧) تاريخ الطبري: ٥: ١٨٩، دار السلام للنوري ١: ١٠٢.

وقول أخيه عمر له حين امتنع من بيعة يزيد: حدّثني أخوك أبو محمّد عن أبيه، ثمّ بكى حتّى علا شهيقه، فضمّه الحسين إليه، وقال: «حدّثك أنّي مقتول».

قال: حُوشيت يا ابن رسول الله.

فقال: «بحقّ أبيك بقتلي خبرك»؟

قال: نعم، فلو بايعت.

فقال عليه السلام: «حدّثني أبي: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أخبره بقتله وقتلي، وأنّ تربتي تكون بقرب تربته، أتظنّ أنّك علمت ما لم أعلم»[(١)]؟

وقول جدّه صلى الله عليه وآله، في المنام لمّا ذهب ليودّعه: «بأبي أنت، كأنّي أراك مرمّلاً بدمك بين عصابة من هذه الأُمّة، ما لهم عند الله من خلاق»[(٢)].

وقوله: «لولا تقارب الأشياء وحبوط الأجر، لقاتلتهم بهؤلاء ـ يعني الملائكة ـ ولكن أعلم علماً أنّ من هناك مصعدي، وهناك مصارع أصحابي، لا ينجو منهم إلّا ولدي عليّ»[(٣)].

وقوله: «الموعد حفرتي وبقعتي التي استشهد فيها، وهي كربلاء»[(٤)].

وقوله لمؤمني الجنّ: «فإذا أقمتُ في مكاني، فبماذا يمتحن هذا الخلق المتعوس، ومَن ذا يكون ساكن حفرتي ـ إلى أن قال: ـ ولكن تحضرون يوم

---

(١) الأخبار الطوال: ٢٩، الملهوف: ١٠٠ .

(٢) أمالي الصدوق: ٩٣ المجلس (٣٠).

(٣) مقتل الخوارزميّ ١: ١٨٥ .

(٤) تاريخ الطبريّ ٥: ١٩٠ .

السبت، وهو يوم عاشوراء الذي في آخره أُقتل»[١].

وقوله لابن عبّاس وابن الزبير ـ حين أشارا عليه بالإمساك ـ: «إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أمرني بأمر، وأنا ماضٍ فيه»، فخرج ابن عبّاس وهو يقول: واحسيناه[٢].

وقوله لمّا أُخبر بقتل قيس بن مسهّر: ﴿**فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ**﴾[٣].

وأنّه ما نزل منزلاً ولا ارتحل منه، إلّا ذكر يحيى بن زكريا وقتله[٤]، إلى غير ذلك.

وكلّ ما ذكرناه مسطور في كتب المقاتل.

---

(١) مثير الأحزان: ٢٧.

(٢) الملهوف: ١٠١.

(٣) الأحزاب (٣٣): ٢٣، إعلام الورى: ١٣٦.

(٤) تاريخ الطبريّ ٥: ٢٣٠.

الفصل السابع

في ما ذكره المسيو ماربين الألمانيّ
والدكتور جوزف الفرنسي
في أسرار شهادة الحسين عليه السلام
وفوائد مآتمه

نقله هنا؛ لبيان تطابق العقلاء على استحسان مثل هذه المآتم، التي أثبتنا بما تقدّم تحسين الشرع لها، وقد تُرجم ما ذكراه إلى التركيّة والهنديّة، وترجم أيضاً إلى الفارسيّة، وأُوردت الترجمة في جريدة «حبل المتين» الفارسيّة في العدد الثامن والعشرين من السنة الثامنة، بتاريخ ٧ محرّم سنة ١٣٢٩ هـ ـ ١٩١١م، وترجمنا نحن ما ذكرته الجريدة المذكورة إلى العربيّة بما هذه صورته.

قال المسيو ماربين الألمانيّ؛ ذلك الفيلسوف المعروف، والحكيم المشهور، من أكبر مؤرّخي الإفرنج، وأعلمهم بالسياسة الإسلاميّة، في رسالته المسمّاة بالسياسة الإسلاميّة المبنيّة على فلسفة الإسلام، تحت عنوان «الثورة الكبرى أو السياسة الحسينيّة».

الثورة الكبرى أو السياسة الحسينيّة

ترجمة ما نقلته جريدة «حبل المتين» عن المسيو ماربين الألمانيّ، الفصل السابع: في فلسفة مذهب الشيعة:

«الحسين بن عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، هو سبط محمّد المتولّد من ابنته وحبيبته فاطمة عليها السلام.

ويمكننا القول بأنّه كان جامعاً للأخلاق والصفات المستحسنة عند

العرب في ذلك الزمان، ووارثاً للشجاعة من أبيه، وأعلم المسلمين بأحكام دين جدّه، وحاوياً بدرجة كاملة للجود الذي هو أحبّ الصفات، وكان طلق اللسان، فصيح البيان للغاية.

اتّفق المسلمون ـ بلا مخالف ـ على حُسن العقيدة في الحسين، حتّى أنّ الطوائف التي تذمّ أباه وأخاه تمدحه وتثني عليه، وكتبهم مشحونة بذكر ملكاته الحسنة، وسجاياه المستحسنة. وكان غيوراً صادقاً غير هيّاب.

وأنّ لغالب فرق المسلمين عقائد عظيمة في الحسين عليه السلام، ولكن الذي نقدر أن نكتبه في كتابنا بكمال الطمأنينة، وبلا خوف المعارضة، هو:

أنّ تابعي عليّ عليه السلام، يعتقدون في الحسين أكثر ممّا تقوله النصارى في المسيح عليه السلام، فكما أنّنا نقول: إنّ عيسى تحمّل هذه المصائب لتكفير السيئات، هم يقولون ذلك في الحسين، ويعدّونه الشفيع المطلق يوم القيامة.

والشيء الذي لا يقبل الإنكار أبداً، إذا قلناه في الحسين، هو أنّه كان في عصره أوّل شخص سياسيّ، ويمكن أن نقول: إنّه لم يختر أحد من أرباب الديانات سياسة مؤثّرة مثل سياسته، ومع أنّ أباه عليّاً هو حكيم الإسلام، وحكمياته وكليّاته الشخصيّة، لم تكن بأقلّ ممّا هو لسائر حكماء العالم المعروفين، لم يظهر منه مثل السياسة الحسينيّة.

ولأجل إثبات هذه المسألة، يلزم الالتفات قليلاً إلى تاريخ العرب قبل الإسلام، فنرى أنّها كانت قرابة بين بني هاشم وبني اُميّة، أي أنّهم بنو أعمام؛ لأنّ اُميّة وهاشم أنجال عبد مناف، ومن قبل الإسلام كان بينهم نفور وكدورة بدرجة متناهية، وحصل بينهم مراراً مجادلات وقتال، وكان كلّ من الطرفين

طالباً ثأره من الآخر.

وكان بنو هاشم وبنو أُميّة أعزّاء محترمين في قريش، ولهم السيادة: بنو أُميّة من جهة الغنى والرئاسة الدنيويّة، وبنو هاشم من جهة العلم والرئاسة الروحانيّة.

وفي بدء الإسلام ازدادت العداوة بين بني هاشم وبني أُميّة، إلى أن فتح النبيّ محمّدﷺ مكّة، وأدخل في طاعته وتحت أمره عموم قريش وبني أُميّة، وفي الواقع استولى على رئاسة العرب الدينيّة والدنيويّة.

فلأجل ذلك ارتفع قدر بني هاشم بين العرب، وأطاعتهم بنو أُميّة، وأضرم هذا التقدّم في الباطن نار الحسد لبني هاشم في صدور بني أُميّة، وكانوا على استعداد للإيقاع ببني هاشم حقداً عليهم.

فلمّا توفّي النبيّﷺ، اتّسع لهم المجال لذلك، فسعوا أوّلاً أن لا يكون الخليفة للنبيّﷺ على أُصول ولاية العهد، بل على أُصول أكثريّة الآراء، ولم تدع شدّة مخالفة بني أُميّة أن تكون أكثريّة الآراء في الخلافة بجانب بني هاشم، فهنا نال بنو أُميّة مآربهم، وتغلّبوا على بني هاشم.

وبسبب الخلافة تمكّن بنو أُميّة من الحصول على مقام منيع، فسهّلوا الطريق لمستقبلهم، وكانوا يسعون في رفعة منزلتهم عند الخلفاء يوماً فيوماً، وأصبحوا ركناً من أركان السلطنة الإسلاميّة، حتّى أصبح الخليفة الثالث منهم، وأصبح بنو أُميّة متفوّقين تفوّقاً مطلقاً في كلّ عمل ومكان، ووطّدوا مقامهم للمستقبل.

ونظراً إلى تلك العداوة والثارات، التي كانت لبني أُميّة عند بني هاشم،

حسب عوائد العرب في ذلك الزمان، كـان إظهـارهم لخلـوص العقيـدة والنيّـة الصافية للإسلام أقلّ من سواهم، وكانوا باطنـاً يـرون مـن العـار أن يتّبعـوا دينـاً يكون ختامه باسم بني هاشم.

ولكثرة المسلمين في ذلك الزمان، كان بنو اُميّة يسيرون وراء مقاصـدهم تحـت ظـلّ هـذا الـدين، ولـم يعلنـوا بمخالفتـه، وتظـاهروا بمتابعتـه، ولمّـا رأوا أنفسهم في المقامـات العاليـة، ووطّـدوا مقـامهم فـي الجـاه والجلالـة، أظهـروا تمرّدهم عن أحكام الإسلام، حتّى أنّهم كـانوا فـي المحافـل يسـتهزئون بـدين جاء به بنو هاشم.

ولمّا رأى بنو هاشم أنّ الأمر صار إلى هذا، واطّلعوا على نوايا بنـي اُميّـة، لم يقعدوا عن العمل، وأظهروا للناس أعمال الخليفـة الثالـث بأسـاليب عجيبـة، فأثاروا المسلمين عليه، حتّى آل الأمر إلى أن اشترك رؤساء طبقات المسـلمين في قتله، وبأكثريّة الآراء أصبح عليّ الخليفة الرابع.

ومن بعد هذه الواقعة، تأكّد بنـو اُميّـة أنّهـا سـتكون لبنـي هاشـم السـيادة والعظمة، كما كانت لهم في زمن النبيّ صلى الله عليه وآله، فلهذا قـام معاويـة ـ الـذي كـان حاكماً لبلاد الشام من قبل الخلفاء السابقين، وكان ذا اقتدار ودهاء ونظر بعيد ـ ناشراً لواء العصيان على عليّ؛ بدعوى أنّ قتل عثمان كـان بإشـارة منـه، وألقـى الخلاف بين المسلمين، وبتلك الطريقة التـي كانـت بـين العـرب قبـل الإسـلام شهر السيف بينهم.

ومعاوية وإن لم يغلب عليّاً في هـذه الحـروب العديـدة، لكنّـه لـم يكـن مغلوبـاً، ولـم يطـل زمـن تمـرّد بنـي اُميّـة علـى رئاسـة بنـي هاشـم حتّـى قتلـوا

عليّاًعليه السلام[1]، وعندئذ تغلّب معاوية، وصالحه الحسن، الذي هو الأخ الأكبر للحسين، وهو الخليفة الخامس، وعادت الخلافة إلى بني اُميّة.

فكان معاوية: من جهة يسعى في تقوية ملكه، ومن جهة اُخرى يسعى في اضمحلال بني هاشم، ولم يفتر دقيقة واحدة عن محوهم.

وكان الحسين ـ مع أنّه تحت نفوذ أخيه الحسن ـ لم يطع بني اُميّة، ولم يظهر مخالفتهم، وكان يقول علناً: لابدّ أن اُقتل في سبيل الحقّ، ولا أستسلم للباطل، وكان بنو اُميّة في اضطراب منه.

وبقي هذا الاضطراب إلى أن مضى الحسن ومعاوية، وجلس يزيد في مقام أبيه على اُصول ولاية العهد[2]، واُبطلت الخلافة بأكثريّة الآراء من بعد عليّعليه السلام، ولكن بعد تعيينه لولاية العهد، استحصل معاوية على صكّ بأخذ البيعة له من رؤساء القوم.

ورأى الحسينعليه السلام من جهة أنّ حركات بني اُميّة، الذين كانت لهم

(١) في هامش الأصل: الذين قتلوا عليّاًعليه السلام هم الخوارج لا بنو اُميّة. «منه رحمه الله».

(٢) لقد كان العمل الذي ارتكبه معاوية بأخذ البيعة لابنه يزيد، في وقت لازال هو فيه حيّاً، بانتهاج اُسلوب الإكراه والإرهاب، من جملة التصرّفات المقيتة للأمويين، فقد أخذ معاوية البيعة في عام ٥٩ للهجرة من أهالي الشام ومن وجوه القبائل، لابنه يزيد بصفته وليّاً للعهد، وبعث إلى الولايات كتباً يدعوهم فيها لمبايعته.

وقد لقيت هذه الدعوة معارضة من البعض، إلّا أنّه قمعهم بقوّة. وبعد موت معاوية بعث يزيد كتاباً إلى والي المدينة، دعاه فيه إلى أخذ البيعة من الحسين بن علي بأيّة صورة كانت. إلّا أنّ الإمام الحسينعليه السلام كان يرى، أنّ هذا الرجل غير صالح للخلافة. فرفض البيعة وقال: «مثلي لا يبايع مثله».

السلطة المطلقة والرئاسة الروحانيّة الإسلاميّة، قاربت أن تزعزع عقيدة المسلمين من دين جدّه.

ومن جهة اُخرى، كان يعلم أنّه إذا أطاع يزيد أو لم يطعه، فبنو اُميّة ـ نظراً لعداوتهم وبغضهم لبني هاشم ـ لا يألون جهداً في محوهم، وإذا دامت هذه الحال مدّة، لا يبقى أثر لبني هاشم في عالم الوجود.

فلهذا صمّم الحسين عليه السلام، على إلقاء الثورة بين المسلمين ضدّ بني اُميّة، كما أنّه رأى من حين جلوس يزيد في مقام أبيه، وجوب عدم إطاعته، ولم يخف مخالفته له.

وجدَّ يزيد في أخذ البيعة من الحسين، ودخوله في طاعته، فلهذا سلّم الحسين نفسه للقتل، عالماً عامداً؛ لما كان يدور في خلده من الأفكار السامية.

وإذا تأمّل المنصف بدقّة في حركات تمثيل ذاك الدور، وتقدّم مقاصد بني اُميّة، وكيفية تزعزع المسلمين، واستيلاء بني اُميّة على جميع طبقات المسلمين، يحكم بلا تردّد أنّ الحسين عليه السلام أحيا بقتله دين جدّه وقوانين الإسلام.

ولو لم تقع هذه الواقعة، ولم يحصل ذاك الاهتزاز الكهربائيّ في المسلمين من قتل الحسين، لم يبق الإسلام على حالته الحاضرة أبداً، وبما أنّ الإسلام كان قريب العهد، كان من المحتمل أن تضمحلّ أحكامه وقوانينه.

ولمّا كان الحسين عليه السلام بعد أبيه مصمّماً على القيام بذلك المقصد النبيل، خرج من المدينة بعد جلوس يزيد في مقام أبيه؛ لينشر أفكاره العالية في مراكز الإسلام المهمّة، مثل مكّة والعراق، وكلّ نقطة كان يطأها الحسين عليه السلام،

كان يتولّد في قلوب أهلها لبني اُميّة النفور، الذي هو مقدّمة للثورة.

وأنّ يزيد لم تخف عليه هذه النقاط الدقيقة، ولقد علم أنّه لو حصل في نقطة من مملكته ثورة، ونشر له الحسين لواء المقاومة، لسادت هذه الفكرة في جميع البلاد الإسلاميّة سيادة عامة بسرعة تامة:

أوّلاً: لنفور المسلمين من كيفيّة سلوك بني اُميّة وحكومتهم.

ثانياً: لانعطاف القلوب نحو الحسين عليه السلام، ولكانت سبباً لزوال السلطنه الأبديّة من بني اُميّة.

فلهذا صمّم يزيد بعد جلوسه على تخت الملك ـ قبل كلّ شيء ـ على قتل الحسين عليه السلام، وكانت هذه أكبر الغلطات السياسيّة لبني اُميّة، وبهذه الهفوة السياسيّة محوا اسمهم ورسمهم من صفحة عالم الوجود.

أكبر دليل على أنّ الحسين عليه السلام كان ذاهباً لمصرعه، ولم يقصد السلطنة والرئاسة أبداً، هو أنّه مع ذلك العلم وتلك السياسة والتجربة، التي اكتسبها في عهد أبيه وأخيه في قتالهم مع بني اُميّة، كان يعلم أنّه لفقده الاستعدادات اللازمة ـ مع تلك القوّة التي كانت ليزيد ـ لا يمكنه المقاومة.

وأيضاً الحسين عليه السلام بعد قتل أبيه كان يخبر عن نفسه أنّه مقتول لا محالة، ومن الساعة التي خرج فيها من المدينة كان يقول بصوت عال وبلا تستّر: إنّني ذاهب للقتل، وكان يصرّح بذلك لأصحابه؛ إتماماً للحجّة، ليتركه من اتّبعه طمعاً في الجاه، وكانت لهجته على الدوام: إنّ أمامي طريق المصرع.

ولو لم يكن الحسين بهذه الأفكار، لم يكن ليستسلم للموت، بل كان يسعى لإعداد جيش، لا أنّه يفرّق الجماعة الذين معه، ولمّا لم يكن له قصد

سوى القتل ـ الذي هو مقدّمة لتلك الأفكار السامية، وتلك الثورة المقدّسة التي كانت في نظره ـ رأى أنّ أكبر وسيلة لتلك الثورة هي فقد الأنصار والقتل مظلوماً، فاختارها لتكون مصائبه أشدّ تأثيراً في القلوب.

ومن الواضح أنّه، مع تلك المحبّة التي كانت للحسين عليه السلام في نفوس المسلمين في ذلك الزمن، لو صمّم على جلب قوّة، لتمكّن من جمع جيش جرّار. ولو قتل على تلك الحالة، لقيل: إنّه قتل في سبيل الملك، ولم تحصل له المظلوميّة التي أنتجت تلك الثورة العظمى.

فلهذا لم يبق معه سوى الأشخاص الذين لم يمكن انفكاكهم عنه: كأولاده، واخوته، وأبناء اخوته، وأبناء أعمامه، وبعض خواصّ أتباعه، حتّى أنّ هؤلاء أيضاً كلّفهم بالانفكاك عنه فلم يقبلوا، وهؤلاء أيضاً كانوا عند المسلمين موصوفين بالتقدّس وجلالة القدر، وصار بسبب قتلهم مع الحسين عليه السلام زيادة في عظم هذه الواقعة وتأثيرها.

وكان الحسين عليه السلام ـ بقوّة العلم والسياسة ـ لم يفتر آناً عن إفشاء مظالم بني اُميّة، وإظهار نواياهم السيئة، في عداوتهم لبني هاشم وآل محمّد صلى الله عليه وآله:

منها: أنّه لعلمه بعداوة بني اُميّة له ولأهل بينه، كان يعلم بأنّه بعد قتله سيأسرون نساء وأطفال بني هاشم الذين هم آل محمّد، وأنّها ستؤثّر هذه الواقعة في قلوب المسلمين، خصوصاً العرب منهم، بدرجة فوق التصوّر كما جرى ذلك.

فحركات ظلم بني اُميّة، وعدم رحمتهم لحريم وصبية نبيّهم، أثّرت في قلوب المسلمين تأثيراً، لم يكن بأقلّ من تأثير قتل الحسين وأصحابه. وقد

أظهر ذلك عداء بني أُميّة لآل بين محمّدﷺ، وعقائدهم في الإسلام، وسلوكهم مع المسلمين.

فلهذا كان يقول الحسين عليه السلام علناً لأصحابه الذين ينهونه عن السفر للعراق: أنا ذاهب للقتل. ولمّا كانت أفكارهم محدودة، ولم يطّلعوا على مقاصده السامية، كانوا يصرّون على منعه، حتّى كان جوابه الأخير لهم: هكذا شاء الله، وأمرني جدّي.

فكانوا يجيبونه بتأكيد: إذا كُنتَ ذاهباً للقتل، فلا تأخذ النساء والأطفال معك.

فكان يجيبهم: قد أراد الله أن يكون عيالي أسرى.

ولمّا كان الحسين عليه السلام يومئذٍ رئيساً روحانيّاً للمسلمين، لم يجدوا لتلك الكلمات جواباً، وكانت دليلاً على عدم تصوّره لسوى تلك الأفكار العالية، وأنّه لم يتحمّل هذه المصائب للحصول على السلطنة، ولم يرد هذه المهلكة العظيمة على غير علم، كما تصوّر ذلك بعض مؤرّخينا.

بدليل أنّه كان قبل هذه الواقعة بسنين متطاولة، يترنّم بذكر مصائبه التي ستقع على سبيل التسلية لخواصّ أصحابه، من ذوي الأفكار العالية، والأدمغة الواسعة، قائلاً:

سيظهرها الله بعد قتلي، وظهور تلك المصائب المفجعة أقواماً يميّزون الحقّ من الباطل، ويزورون قبورنا، ويبكون على مصائبنا، ويأخذون الثأر من أعداء آل محمّد. هؤلاء الجماعة يروّجون دين الله، وشريعة جدّي، ونحبّهم أنا وجدّي، وسيحشرون معنا يوم القيامة.

فإذا أمعن النظر في كلمات الحسين عليه السلام وحركاته، يرى أنّه لم يفتر لحظة عن إظهار قبائح بني اُميّة، وعداوتهم القلبية لبني هاشم ومظلوميّته. وهذه السياسة البالغة إلى النهاية، وقوّة القلب والاستماتة، تثبت سلوكه في طريق أفكاره السامية.

حتّى أنّه في آخر لحظة من حياته، أتى بعمل في مسألة طفله الرضيع، حيّر فيه عقول الفلاسفة. ففي تلك الساعة العصيبة، مع تلك المصائب المفجعة، وتراكم الأفكار والعطش، وكثرة الجراحات أيضاً، لم يصرف نظره عن أفكاره السامية، مع أنّه كان يعلم أنّ بني اُميّة لا يرحمون طفله الصغير، ولكنّه لتعظيم مصيبته، حمله على يديه، وتظاهر بطلب الماء له، فسمع الجواب بالسهم.

كان الحسين عليه السلام قصده من هذه الحركة أن يعلّم العالم: أنّ عداوة بني اُميّة لبني هاشم إلى أيّ درجة كانت، وأن لا يتصوّروا أنّه كان إقدام يزيد على هذه الفجيعة اضطراراً لأجل الدفاع عن نفسه؛ لأنّ قتل هذا الطفل الرضيع في مثل هذا الحال، مع تلك الوضعية المدهشة، لا تظهر إلّا وحشيتهم وعداوتهم السبعيّة، التي تنافي قواعد كلّ دين ومذهب.

وهذه النكتة وحدها، ترفع الستار عن وجه قبائح أعمال بني اُميّة ونواياهم الفاسدة، وعقائدهم السيّئة، وتظهر للعالم أجمع وللمسلمين خاصّة، أنّ بني اُميّة لم تسع في مخالفة النبوّة والإسلام فقط، بل تسعى عن طريق العصبيّة الجاهليّة، في أن لا تبقي من بني هاشم، وعلى الأخصّ بقايا آل محمّد، ديّارا.

فالحسين عليه السلام بتلك الأفكار السامية، وسعة العلم والعقل، والسياسة التي كانت مسلّمة له إلى أن قُتل، لم يرتكب أمراً يُلجىء بني اُميّة لدفعه، حتّى أنّه مع ذلك النفوذ الذي كان له يومئذٍ، وتلك المقدرة العظيمة، لم يستول على بلدة من بلاد المسلمين، ولم يهاجم حكومة من حكومات يزيد. وأخيراً قبل أن تظهر منه حركة عصيان، أو تبدو منه إساءة، حاصروه في فلاة غير ذات زرع.

أبداً لم يقل الحسين عليه السلام: إنّي سأكون ملكاً أو اُريد الملك، إنّما كان يظهر مساوىء بني اُميّة، واضمحلال الإسلام من سيرهم، ويخبر عن قتله، وكان فرحاً جذلاً من مظلوميّته.

ولمّا حاصروه في البيداء، أظهر أنّهم لو تركوه فهو مستعد لأن يخرج بعياله وأطفاله من سلطنة يزيد، أي من الممالك الإسلاميّة. وهذه النكتة لوحدها ـ التي تثبت سلامة نفس الحسين ـ أثّرت في قلوب المسلمين غاية الأثر ضدّ بني اُميّة.

قبل الحسين قُتل أيضاً كثير من الرؤساء الروحانيّين وأرباب الديانات ظلماً، وقامت الدعوة من بعد قتلهم، وسلّ أتباعهم السيوف على أعدائهم، كما تكرّر ذلك في بني إسرائيل، وقضيّة يحيى هي إحدى الوقائع التاريخيّة الكبرى، وتلك الخطّة التي سلكها اليهود مع السيّد المسيح إلى ذلك الزمان لم يقع نظيرها، ولكن لواقعة الحسين مزيّة على جميع تلك الوقائع.

لم يرَ في التاريخ أنّ أحد الروحانيّين وأرباب الديانات، سلّم نفسه للقتل عالماً عامداً؛ لأفكار عالية متأخّرة، أي أنّ كلّ واحد من أرباب الديانات الذين

قتلوا، هجم عليهم أعداؤهم وقتلوهم عنفاً وظلماً، وعلى قدر مظلوميّتهم كانت قوّة الثورة من بعدهم. ولكن واقعة الحسين عليه السلام، كانت من علم وحكمة وسياسة، وليس لها نظير في تاريخ الدنيا.

تأهّب الحسين عليه السلام للقتل سنين متوالية، ونظره ممدود إلى مقاصد عالية جدّاً، ولم يوجد في التأريخ أحد سلّم نفسه للتقل عالماً عامداً لترويج دينه في المستقبل، سوى الحسين عليه السلام.

إنّ للمصائب التي تحمّلها الحسين عليه السلام في سبيل إحياء دين جدّه، مزيّة على السالفين من أرباب الديانات، ولم ترد على أحد من الماضين. وعلى فرض القول بأنّ أشخاصاً اُخر، خسروا نفوسهم أيضاً في طريق الدين، لكنّهم ليسوا كالحسين عليه السلام.

الحسين جاد بنفسه العزيزة، وبجميع أبنائه واخوته وأبناء اخوته وأبناء أعمامه وخواصّ أحبابه وأقربائه، جاد بالمال، سلّم عياله للأسر، هذه المصائب لم تفاجئه على حين غرّة، وعلى غير علم، لتكون في حكم مصيبة واحدة، بل وردت هذه المصائب على مرور الزمان واحدة بعد واحدة، وهجوم هذه المصائب المترادفة مختصّ بالحسين وحده في تاريخ الدنيا.

فمن عظم مصائب الحسين، ارتفع الستار فجأة عن سرائر بني اُميّة، وظهرت قبائح أعمالهم.

بمجرّد قتل الحسين عليه السلام، وورود تلك الرزايا المؤلمة، وأسر نسائه وبناته، ظهر في المسلمين حسّ السياسة، ومادّة الثورة ضدّ سلطنة يزيد وآل اُميّة، وعلموا أنّ بني اُميّة هم مخرّبوا الإسلام، فردّوا بدعهم ومجعولاتهم،

وسمّوهم الظالمين والغاصبين.

وبالعكس بنو هاشم فسمّوهم مظلومين مستحقّين للرئاسة، وعرفت فيهم حقيقة روحانية الإسلام، كأنّما أخذ المسلمون حياة جديدة، وظهر لروحانيّة الإسلام رونق جديد.

رئاسة روحانيّة الإسلام، التي كانت قد زالت دفعة واحدة، والمسلمون كأنّهم قد نسوا جهة الروحانيّة الإسلاميّة ـ تجدّدت بنوارانيّة شفافة ـ كما كانت عظمة مصائب الحسين على جميع مصائب روحاني السلف مسلّمة، كذلك كانت للثورات التي ظهرت بعد واقعة الحسين مزيّة على ثورات السلف، وكان امتدادها أكثر، وآثارها أعظم.

ومن هذا الوجه ظهر للعالم أجمع مظلوميّة آل محمّد.

أوّل نتيجة لهذه الثورة، أنّ الرئاسة الروحانيّة التي لها أهميّة عظمى في عالم السياسة، تجدّدت في بني هاشم، وعلى الأخصّ في البقيّة من آل الحسين[1]، وإلى الآن ينظر جميع المسلمين إلى بني هاشم، وخصوصاً ذرّية الحسين، بنظرة روحانيّة.

ولم تطل المدّة حتى زالت تلك السلطنة ـ ذات السعة والاقتدار ـ عن آل يزيد ومعاوية، وفي أقلّ من قرن سلبت السلطة من بني اُميّة قاطبة، وانمحى ذكرهم، واضمحلّوا، بحيث إنّه لم يبق لهم اليوم اسم ولا رسم ولا ذكر، وأينما ذكر لهم في متون الكتب اسم، يقرنه المسلمون بكلمة شماتة.

وهذه كلّها نتائج السياسة الحسينيّة، التي يمكن أن يقال فيها: إنّه لم

---

(١) في هامش الأصل: يشير إلى الأئمّة الاثني عشر عليهم السلام. «منه رحمه الله».

يذكر التاريخ في أرباب الديانات والسلف من الروحانيّين إلى اليوم شخصاً كالحسين، مفكراً في عواقب الأُمور، مراعياً لها، بعيد النظر إلى المستقبل، مستقلّ الفكر.

قبل أن تصل أسرى الحسين إلى يزيد، نشر لواء طلب ثأر الحسين، وقامت الثورة ضد يزيد(١).

مظلوميّة الحسين كشفت جميع أسرار بني أُميّة، ورفعت الستار عن نواياهم السيئة، حتّى أنّه طال لسان اللوم والشماتة على يزيد من أهل داره وحرمه، مع أنّه لم يكن بالإمكان ذكر الحسين وأهل بيت عليّ بخير حول يزيد وبين حاشيته.

وبعد هذه الواقعة أصبح يزيد مُرغماً على سماع ذكر اسم الحسين وأهل بيت عليّ في الملأ العام، وفي الخلوات والجلوات، بالتقديس والتعظيم والمظلوميّة. وكان ذلك أسخط شيء له، ولكن لا يسعه إلّا السكوت؛ ولمّا رأى تبرئ الناس من هذه الأعمال، نسب التقصير إلى أُمرائه.

ولمّا رأى شدّة إطراء الناس للحسين وذكر محامده، عزّ عليه ذلك، حتّى قال يوماً: كان أحبّ إليَّ أن يكون الملك والسلطنة للحسين، من أن أرى وأسمع لآل عليّ وبني هاشم هذا التعظيم والتقديس!

وبالآخرة، فلم يزل أولياء الحسين يستفيدون من هذه الثورات، وتزيد قوّة وعظمة بني هاشم، ولم يمض أقلّ من قرن حتّى صارت السلطنة الإسلاميّة الوسيعة في بني هاشم بلا مزاحم، وأبادوا بني أُميّة، بحيث لم يبق لهم اسم

---

(١) في هامش الأصل: كأنّه يشير إلى التوّابين، الذين طلبوا بثأر الحسين عليه السلام. «منه رحمه الله».

ولا رسم، غير أنّه بعد بضعة قرون ترأس جماعة منهم في الأندلس واحداً بعد واحد.

واليوم لا يمكن أن يوجد من ذلك البيت العظيم الذي مرّت عليه قرون، وهو ذو عظمة وسلطنة، شخص واحد ولو خامل الذكر، ولو وجد لسترَ حسبه ونسبه عن الناس من شدّة الطعن، كما هو المشهور أنّ العائلة القاجاريّة ـ الذين هم سلاطين إيران اليوم ـ هم من بني اُميّة، ولكنّهم ينكرون هذه الشهرة، ويتبرّأون من هذه النسبة.

تحلّى بنو هاشم بعد قرن بقلادة الملك، وكانوا أولاد عمّ الحسين لا أولاده؛ لأنّ أولاده كانوا قد اختاروا العزلة، وكانت رئاسة الإسلام الروحانيّة على الإطلاق مسلّمة لهم.

إنّ أبناء عمّ الحسين، وإن يكونوا حازوا السلطنة ببركة ثورات أتباع الحسين، لكنّهم بعد أن قبضوا على زمامها، ورسخت فيها أقدامهم، خافوا على مقامهم وسلطنتهم، فمنعوا أصحاب تلك الثورات منها منعاً شديداً؛ خوفاً من أن تعود السلطنة الإسلاميّة في أبناء الحسين شيئاً فشيئاً، فهدأت فورة تلك الثورات شيئاً فشيئاً:

أوّلاً: للمنع الشديد من أبناء عمّ الحسين.

ثانياً: لاضمحلال بني اُميّة.

فلمّا رأى عُقلاء أتباع الحسين وعليّ شدّة المنع من قبل بني العبّاس، وضعف مادة الثورة، علموا أنّ لا قدرة لهم على مقاومة بني العبّاس ـ الذين هم في غاية القدرة ـ وعلى الثورة ضدّهم، مع تشتّت الأفكار العموميّة.

فتركوا الثورة ظاهراً، وغيّروا صورتها باطناً باجتماعهم، وتذكّر تلك المصائب والفظائع التي وردت على الحسين، فأحيوا تلك الثورة العظمى، وأظهروها بمظهر جديد.

لمّا اطّلع سلاطين بني هاشم[١] على هذا التدبير، الذي دبّره أتباع الحسين، خافوا زيادة على خوفهم الأول، ورأوا من اللازم شدّة معارضة ذلك التدبير، على وجه أنّهم تتبّعوا أتباع عليّ والحسين، فإذا ظهرت تابعيتهما على أحد، يعاملونه معاملة أكبر جانٍ سياسي. وبهذا الجرم صُلب وقُتل وجُرح وحُبس اُلوف من أتباع الحسين.

ومع هذه الشدّة لم يتمكنوا من قلع مادّة الثورة من أتباع عليّ، وكلّما ازدادوا شدّة ومعارضة، ازداد أتباع علي والحسين قوّة واشتداداً في الثورة، وكانت العاقبة أنّه بتدابير أتباع الحسين زالت سلطنة هذه الطبقة، وتداول السلطنة أولاد الحسين مدّة من الزمان.

كانت الرئاسة الروحانيّة بعد الحسين في أولاده واحداً بعد واحد[٢].

وهؤلاء أيضاً جعلوا إقامة عزاء الحسين الجزء الأعظم من المذهب، واُلبست هذه النكتة السياسية شيئاً فشيئاً اللباس المذهبيّ، وكلّما ازدادت قوّة أتباع عليّ، إزداد إعلانهم بذكر مصائب الحسين، وكلّما سعوا وراء هذا الأمر ازدادت قوّتهم وترقّيهم.

وجعل العارفون بمقتضيات الوقت، يغيّرون شكل ذكر مصائب الحسين

---

(١) في هامش الأصل: بنو العبّاس. «منه رحمه الله».

(٢) في هامش الأصل: كأنّ مراده الأئمّة الاثني عشر. «منه رحمه الله».

قليلاً قليلاً، فجعلت تزداد كلّ يوم بسبب تحسينهم وتنميقهم لها، حتّى آل الأمر إلى أن صار لها اليوم مظهر عظيم في كلّ مكان يوجد فيه مسلمون، حتّى أنّها سرت شيئاً فشيئاً بين الأقوام وأهل الملل الأُخرى، خصوصاً في الصين والهند.

وعمدة أسباب تأثيرها في أهل الهند، هو أنّ المسلمين جعلوا طريق إقامة العزاء مشابهاً لمراسم إقامة العزاء عند أهل الهند.

قبل مائة سنة لم تكن إقامة عزاء الحسين شائعة في الهند، شيوعاً تاماً وظاهرة علناً، وفي هذه المدّة القليلة استوعبت بلاد الهند من أوّلها إلى آخرها، ويظهر أنّها كلّ يوم في زيادة.

ولعدم اطّلاع بعض مؤرّخينا على كميّة وكيفيّة هذه المآتم ورواجها، استرسلوا في كلامهم على غير علم، وجعلوا يصفون إقامة أتباع الحسين لها بأنّها أفعال جنون، ولم يقفوا أبداً على مقدار ما أحدثته هذه المسألة من التغييرات والتبديلات في الإسلام.

الحسّ السياسيّ والثوران والهيجان المذهبيّ، التي ظهرت في هذه الفرقة من إقامة هذه المآتم، لم ير مثلها في قوم من الأقوام.

إنّ من يسبر غور الترقّيات التي حصلت في مدّة مائة سنة لأتباع عليّ في الهند، الذين اتخذوا إقامة هذه المآتم شعاراً لهم، يجزم بأنّهم متّبعون أعظم وسيلة للترقّي.

كان أتباع عليّ والحسين في جميع بلاد الهند يعدّون على الأصابع، واليوم هم في الدرجة الثالثة بين أهل الهند من حيث العدد، وكذلك في سائر

البلدان.

عندما نقيس منهج دعاتنا «المبشّرين»، مع صرف تلك القوّة والثروة، بمنهج دعاة هذه الفرقة، نرى أنّ دعاتنا لم يحوزوا العشر من تقدّم هذه الفرقة.

رؤساء ديننا وإن كانوا يحزنون الناس بذكر مصائب حضرة المسيح، ولكنّه ليس بذلك الأُسلوب والشكل الذي يتّخذه أتباع الحسين؛ ويحتمل أن يكون السبب في ذلك: أن مصائب المسيح في جنب مصائب الحسين، لا تكون مؤثّرة مشجية للقلب بتلك الدرجة التي لمصائب الحسين.

على مؤرّخينا أن يطّلعوا على حقائق رسوم وعادات الأغيار، ولا ينسبوها إلى الجنون».

يقول المؤلّف: «انّني أعتقد أنّ صيانة قانون محمّدصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ[1]، وترقّي المسلمين، وظهور رونق الإسلام، هو من قتل الحسينعليه السلام وحدوث تلك الوقائع.

إنّ هذا القسم من الدماغ السياسيّ والحسّ الثوريّ ـ الذي هو عدم الاستسلام للضيم والظلم، وهو عند حكماء السياسة أشرف شعار، وأعظم سعادة، وأفضل صفة ممدوحة لكلّ انسان ـ قد ظهر في هؤلاء القوم بواسطة إقامتهم مآتم الحسينعليه السلام، وما دام هذا العمل ملكة لهم لا يقبلون الذلّ والضيم.

ينبغي تدقيق النظر في ما يذكر في المجالس المنعقدة لإقامة عزاء الحسينعليه السلام، من النكات الدقيقة الباعثة في الإنسان روح الحياة، التي يسمعها

---

(١) في هامش الأصل: أي دين الإسلام. «منه رحمه الله».

بعضهم لبعض، وفي الحقيقة يعلّمه ايّاها».

يقول المؤلّف: «حضرتُ مجالس إقامة عزاء الحسين عليه السلام مراراً في اسلامبول مع مترجم خاصّ، فسمعتهم يقولون: الحسين الذي هو إمامنا ومقتدانا، وطاعته واتّباعه واجبان علينا، لم يتحمّل الضيم، ولم يدخل في طاعة يزيد.

ولأجل حفظ شرفه، وعلوّ حسبه، وارتفاع مقامه، بذلَ ماله، بذل نفسه، بذل أولاده، بذل عياله، واستعاض عن ذلك بحسن الذكر في الدنيا، والشفاعة في الآخرة، والقرب من الله، وقد خسر أعداؤه الدنيا والآخرة.

من بعد ذلك رأيتُ وعلمت، أنّهم في الحقيقة يعلّم بعضهم بعضاً علناً، إنّكم إن كُنتم من أتباع الحسين عليه السلام، إن كان لكم شرف، إن كنتم تطلبون السيادة والفوز، فلا تدخلوا في طاعة أمثال يزيد، ولا تحملوا الضيم، واختاروا موت العزّ على حياة الذلّ، تنالوا حسن الذكر في الدنيا والسعادة في الآخرة.

من المعلوم أنّ اُمّة تُلقى عليها هذه التعاليم من المهد إلى اللحد ـ في أيّ درجة ـ تكون في الملكات العظيمة، والسجايا العالية.

نعم، تكون جائزة كلّ سعادة وشرف، ويكون كلّ فرد منها جنديّاً حقيقاً مدافعاً عن عزّ قومه وفخرهم.

هذه هي نكتة التمدّن الحقيقي للاُمم اليوم، هذا هو تعليم معرفة الحقوق، هذا هو معنى تدريس اُصول السياسة.

نحن الأوروبيّين بمجرّد أن نرى لقوم حركات ظاهريّة في مراسمهم المليّة أو المذهبيّة منافية لعاداتنا، ننسبها إلى الجنون والتوحّش، ونحن غافلون

عن أنّنا لو سبرنا غور هذه الأعمال لرأيناها عقليّة سياسيّة، كما نشاهد ذلك في هذه الفرقة، وهؤلاء القوم بأحسن وجه.

والذي يجب علينا هو أن ننظر إلى حقائق عوائد كلّ قوم، وإلّا فإنّ أهل آسيا أيضاً لا يستحسنون كثيراً من عوائدنا، ويعدّون بعض حركاتنا منافية للآداب، ويسمّونها بعدم التهذيب، بل بالوحشيّة.

وعلاوة على تلك المنافع السياسيّة التي ذكرناها، التي هي طبعاً أثر التهيّج الطبيعيّ، فإنّهم يعتقدون أنّ لهم في إقامة مأتم الحسين عليه السلام درجات عالية في الآخرة.

كلّ عارف بالتأريخ، واقف على طبائع أهل آسيا، يعتقد ويذعن بأنّه لا يمكن اليوم، بل وإلى ما بعد قرنين، إصلاح أخلاقهم، وإلقاء التعاليم السياسيّة عليهم إلّا باسم الدين والمذهب.

ينبغي اقتطاف ثمرات حبّ القوميّة والوطن من أهالي آسيا تحت ظلّ المذهب، كما كانت أُوروبا قبل بضعة قرون.

لا يمكن اليوم طلب خدمة من أهالي آسيا كأهالي أُوروبا باسم الخدمة القوميّة والوطنيّة، ولكن يمكن أخذ خدمات منهم تعود ثمراتها على الأُمّة والوطن باسم المذهب.

لا يرى اليوم من المسلمين البالغين ثلاثمائة مليون[١] من هو حائز على الاستقلال سوى خمسين مليوناً[٢]، فإذا نبذ المسلمون الدين ظاهرياً، وراموا

---

(١) يبلغ عدد المسلمين اليوم حوالي مليار مسلم (١٤١٧).

(٢) في هامش الأصل: في الأصل الفارسيّ المترجم عنه خمسة ملايين، والظاهر تبديل ←

التقدّم السياسيّ باسم القوميّة، فسينالون عوض النفع ضرراً؛ لأن خمسة أسداس المسلمين تحت ضغط ملل أُخرى ومضمحلة في أقوام آخرين.

فإذا طلبوا التقدّم باسم القوميّة، فيكون الحرمان من الحياة السياسيّة نصيب هذه الخمسة أسداس، فلا تشترك مع السدس الباقي.

ولكنّهم إذا راموا التقدّم باسم الجامعة الإسلاميّة، فلابد أن تنبعث روح النهضة في جميع آحاد المسلمين، وبواسطة الرابطة الروحانيّة ستنجو من الاضمحلال جميع الفرق الاسلاميّة، التي هي تحت ضغط أقوام آخرين.

وليس لواحدة من الروابط الروحانيّة التي بين المسلمين اليوم تأثيراً في نفوسهم، كتأثير إقامة مأتم الحسين. فإذا دام انتشار وتعميم إقامة هذه المآتم بين المسلمين مدّة قرنين، لابد أن تظهر فيهم حياة سياسيّة جديدة، وأنّ الاستقلال الباقي للمسلمين اليوم نصف أسبابه هو اتّباع هذه النكتة.

وسنرى اليوم الذي يتقوّى فيه سلاطين المسلمين تحت ظلّ هذه الرابطة، وبهذه الوسيلة سيتّحد المسلمون في جميع أنحاء العالم تحت لواء واحد[1]؛ لأنّه لا يرى في جميع طبقات الفرق الإسلاميّة مَن ينكر ذكر مصائب

الخمسين بالخمسة سهواً. «منه رحمه الله».

(١) وللأسف لم تتحقّق هذه الأُمنية لحدّ الآن، فقد أصبح أغلب سلاطين المسلمين أصابع وأذناب بيد المستعمر الكافر، وأصبحت الشعوب المسلمة هي الضحية الأُولى لهؤلاء السلاطين، وكلّما ازدادت الصحوة الاسلاميّة بين أبناء الأُمّة، ازدادت وحشيّة هؤلاء السلاطين، وامتلأت سجونهم بخيرة أبناء الأُمّة، وسيق إلى ساحات الإعدام مئات الأُلوف من الشباب المؤمن، غير الذين ذابوا بأحواض التيزاب، وقطّعتهم كلاب السلاطين

الحسين وينفر منها بسبب دينيّ، بل للجميع رغبة طبيعيّة بطور خاصّ في أداء هذه المراسم المذهبيّة، ولا يرى في المسلمين المختلفين في العقائد سوى هذه النكتة الاتّحادية.

الحسين عليه السلام أشبه الروحانيّين بحضرة المسيح، ولكن مصائبه كانت أشدّ وأصعب، كما أنّ أتباع الحسين كانوا أكثر تقدّماً من أتباع المسيح في القرون الأُولى، فلو أنّ المسيحيين سلكوا طريقة أتباع الحسين، أو أنّ أتباع الحسين لم تمنعهم من ترقّياتهم عقبات من نفس المسلمين، لسادت إحدى الديانتين في قرون عديدة جميع المعمورة، كما أنّه من حين زوال العقبات من طريق أتباع الحسين عليه السلام أصبحوا كالسيل المنحدر يحيطون بجميع الملل وسائر الطبقات».

انتهت ترجمة ما نقلته جريدة «حبل المتين» الفارسيّة عن المسيو ماربين الألمانيّ.

وأمّا ما نقلته عن الدكتور جوزف الفرنسيّ، فهذه ترجمته إلى العربية.

قال في الجريدة المذكورة تحت عنوان «ترقّيات فرقة الشيعة المحيّرة للعقول»:

ترقّيات فرقة الشيعة المحيّرة للعقول

شرح الدكتور جوزف، أحد مشاهير مؤرّخي فرنسا، في كتابه المسمّى «الإسلام والمسلمين» ترقّيات كلّ فرقة من الفرق الإسلاميّة بأدلّتها، والمؤلّف

ومرتزقتهم، لا لذنب اقترفوه إلّا قولهم: لا إله إلّا الله.

فإنّا لله وإنّا إليه راجعون ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾.

المذكور يدّعي أنّه إلى الآن لم يشرح أحد من مؤرّخي أُوروبا أحوال المسلمين بأدلّتها مثله.

ترجمة ما نقلته جريدة «حبل المتين» عن الدكتور جوزف الفرنسي:

أوّلاً: قسّم المؤلّف المسلمين إلى قسمين، فقال: «بعد وفاة مؤسّس الإسلام محمّد صلّى الله عليه وسلّم، وقع الاختلاف في عقيدة أتباعه بسبب الخلافة.

فقالت طائفة بخلافة صهره عليّ بن أبي طالب.

وخضعت فرقة أُخرى لخلافة أبي زوجته أبي بكر بن أبي قحافة.

وفي الحقيقة أنّه من يوم مفارقة محمّد بن عبد الله الدنيا، صار اختلاف الكلمة بين المسلمين محسوساً، ولكن لا يمكن أن يفهم من التواريخ زمان افتراق اسم هاتين الفرقتين؛ أعني في أيّ زمان سمّي أتباع الصهر شيعة[(١)]، وأتباع أبي الزوجة سنّيين.

ولكن التباين بين هاتين الفرقتين صار يكثر يوماً فيوماً، إلى أن صار الصهر خليفة، وخالفته عائشة زوجة النبيّ وبنت الخليفة الأول، ونشر لواء

(١) في هامش الأصل: لفظة الشيعة كانت مستعملة على عهد النبيّ صلّى الله عليه وآله، ولم يكن يلقّب بها وقتئذٍ سوى أربعة من الصحابة: سلمان وعمّار والمقداد وأبي ذر، ثمّ انتشرت بعد ذلك بصفّين في أصحاب عليّ عليه السلام، ذكر ذلك أبو حاتم السجستانيّ في الجزء الثالث من كتاب (الزينة).

وأمّا لفظة السنّة، فلم تكن لتعرف إلّا عام صلح الحسن عليه السلام لمعاوية، حيث لقّب بها معاوية وأتباعه، كما نصّ على ذلك جملة من المؤرّخين (مجلة العلم)، بل الظاهر أنّ لفظة أهل السنّة أُطلقت في زمن العباسيين فقط. «منه رحمه الله».

الملكيّة في الشام معاوية أخو الزوجة الثانية للنبيّ، ونشبت الحروب وسفكت الدماء، فكانت العداوة إلى ذلك الزمان قلبيّة.

فلمّا آل الأمر إلى سفك الدماء وطلب الثأر صارت علنية، وتسمّى كلّ من الفرقتين علناً مع الافتخار أحدهما بالشيعي، والآخر بالسنّي. إلى أن قام ملك الشام بالإغارة على أتباع صهر النبيّ وقتلهم، وجعل يذكر اسمه بالشتم والقبح في مساجد المسلمين وعلى منابرهم، واستمر ذلك ألف شهر، فزاد هذا العمل العداوة بين الشيعة والسنّيين.

مع أنّ السلطنة والاقتدار التامّ، لم ترافق فرقة الشيعة إلّا أيّاماً قليلة، أي أيّام خلافة عليّ بن أبي طالب، ولم يكن لهم كثير قوّة واقتدار. مع هذا كلّه كانوا كالجراد المنتشر، وكانوا لا يظهرون أنفسهم خوفاً على حياتهم، إلى أن قتلوا سبط محمّد مع أصحابه قرب الكوفة بأمر يزيد ابن ملك الشام.

اكتسب هذه المسألة أهميّة كبرى، وأفجعت أتباع صهر محمّد وقوّتهم، وجعلتهم مستعدين لمتابعة العمل، فأنشبوا الحروب، وسفكوا الدماء، وأقاموا المآتم، حتّى آل الأمر إلى أن جعلت هذه الفرقة إقامة مأتم سبط النبيّ جزءاً من المذهب والإيمان.

وبما أنّ هذه الفرقة تعتقد أن رؤساء الدين بعد النبيّ اثنا عشر شخصاً من أولاد عليّ وفاطمة، وأنّ أقوال كلّ واحد من هؤلاء وأفعالهم في كلّ حال هي قول الله والرسول وثاني القرآن، وأئمّة هذه الفرقة أيّدتها في إقامة مأتم الحسين، أصبحت على التدريج أحد أركان مذهب الشيعة، بل ركنه الأعظم.

لم يكن لهذه الفرقة في القرون الإسلاميّة الأُولى كثير ظهور، ويمكن

إسناد قلّة هذه الطائفة إلى سببين:

أحدهما: إنّ الرئاسة والحكم، التي هي الأصالة مورثة لنشوء ونمو أتباع المذهب، كانت من بدء الإسلام بيد الفرقة الثانية.

ثانيهما: إنّه كان القتل والإغارة عليهم في كلّ زمان ومكان، ولهذا حكم أحد أئمّة الشيعة في أوائل القرن الثاني من الإسلام بالتقية وإخفاء مذهب الشيعة، حفظاً لنفوسهم وأموالهم.

التقيّة قوّت هذه الفرقة؛ لأنّهم حيث لم يكونوا ظاهرين، لم تنلهم أيدي أعدائهم القويّة بالقتل والغارة، وأقاموا المآتم تحت الستار، يبكون فيها على الحسين، فأثّرت هذه المآتم في قلوب هذه الطائفة، إلى حدّ أنّه لم يمرّ عليها زمن كثير حتّى بلغت الأوج في الترقّي، ودخل في هذه الطائفة بعض الوزراء وكثير من الملوك والخلفاء، فبعضهم أخفى ذلك تقيّة، وبعضهم أظهره جهراً.

من بعد الأمير تيمور الكوركاني، ورجوع سلطنة إيران قليلاً قليلاً إلى الصفويّة، اتّخذت فرقة الشيعة إيران مركزاً لها، ـ بموجب تخمين بعض سائحي فرنسا: أنّ الشيعة سدس أو سبع المسلمين ـ ونظراً إلى ترقّي هذه الطائفة في مدّة قليلة بدون إجبار أصلاً، يمكن القول بأنّه لا يمضي قرن أو قرنان حتى يزيد عددها على عدد سائر فرق المسلمين، والعلّة في ذلك: هي إقامة هذه المآتم التي جعلت كلّ فرد من أفرادها داعية إلى مذهبه.

اليوم لا يوجد نقطة من نقاط العالم، يكون فيها شخصان من الشيعة، إلّا ويقيمان فيها المآتم، ويبذلان المال والطعام.

رأيتُ في بندر «مارسل» في الفندق، شخصاً واحداً عربيّاً شيعيّاً من أهل

البحرين، يقيم المأتم منفرداً، جالساً على الكرسي، بيده الكتاب يقرأ ويبكي، وكان قد أعدّ مائدة من الطعام ففرّقها على الفقراء!

هذه الطائفة تصرف في هذا السبيل الأموال على قسمين:

فبعضهم يبذلون في كلّ سنة من أموالهم خاصّة في هذا السبيل بقدر استطاعتهم، ما يقدر بالملايين من الفرنكات.

والبعض الآخر من أوقاف خُصّصت لإقامة هذه المآتم، وهذا المبلغ طائل جداً.

ويمكن القول بأنّ جميع فرق المسلمين منضمّة بعضها إلى بعض، لا تبذل في سبيل مذهبها ما تبذله هذه الطائفة، وموقوفات هذه الفرقة هي ضعف أوقاف سائر المسلمين أو ثلاثة أضعافها.

كلّ واحد من هذه الفرقة ـ بلا استثناء ـ سائر في طريق الدعوة إلى مذهبه، وهذه النكتة مستورة عن جميع المسلمين حتّى الشيعة أنفسهم، فإنّهم لا يتصوّرون هذه الفائدة من عملهم هذا، بل قصدهم الثواب الأُخروي.

ولكن بما أنّ كلّ عمل في هذا العالم لابدّ أن يظهر له بطبيعته أثر، فهذا العمل أيضاً يؤثّر ثمرات للشيعة.

من المسلّم أنّ المذهب الذي دعاته من خمسين إلى ستّين مليوناً، لا محالة يترقّى على التدريج ترقّياً لائقاً بهم، حتّى أنّ الرؤساء الروحانيّة، والملوك والوزراء لهذه الفرقة، ليسوا بخارجين عن صفة الدعوة.

فقراء وضعفاء هذه الفرقة، بما أنّهم حصلوا ويحصلون على فوائد كلّية من هذا الطريق، فهم يحافظون على إقامة هذه المآتم أكثر من كبرائها؛ لأنّهم

رأوا في هذا العمل ثواب الآخرة وأجر الدنيا.

فلهذا ترك جمعٌ غفير من عرفاء هذه الفرقة أسباب معاشهم، واشتغلوا بهذا العمل، فهم يتحمّلون المشاقّ؛ ليتمكّنوا من ذكر فضائل كبراء دينهم، والمصائب التي أصابت أهل هذا البيت، بأحسن وجه وأقوى تقرير على رؤوس المنابر، وفي المجالس العامّة.

وبسبب هذه المشاقّ التي اختارتها هذه الجماعة في هذا الفن، تفوّقت خطباء هذه الفرقة على جميع الطوائف الإسلاميّة، وحيث إنّ تكرار المطلب الواحد يورث اشمئزاز القلوب وعدم التأثير، فهؤلاء الجماعة يتحمّلون المشاقّ، فيذكرون جميع المسائل الإسلاميّة العائدة لمذهبهم في هذه الطريقة على المنابر، حتّى آل الأمر إلى أن أصبح الأميّون من الشيعة أعرف في مسائل مذهبهم، ممّن يقرأون ويفهمون من الفرق الإسلاميّة الأُخرى؛ من كثرة ما سمعوا من عرفائهم.

اليوم إذا نظرنا في كلّ نقطة من نقاط العالم، من حيث العدد والنفوس، نرى أنّ ألْيق المسلمين بالمعرفة والعلم والحرفة والثروة هي فرقة الشيعة، دعوة هذه الفرقة غير محصورة في أهل مذهبهم، أو في سائر الفرق الإسلاميّة، بل أيّ قوم وضع أفراد هذه الطائفة أقدامهم بينهم، يسري في قلوب أهل تلك الملّة هذا الأثر.

إنّ العدد الكثير الذي يرى اليوم في بلاد الهند من الشيعة، هو من تأثير إقامة هذه المآتم، فرقة الشيعة حتّى في زمان السلاطين الصفويّة، لم تسع في ترقّي مذهبها بقوّة السيف، بل ترقّت هذا الترقّي المحيّر للعقول بقوّة الكلام،

الذي هو أشدّ تأثيراً من السيف.

ترقّت اليوم هذه الفرقة في أداء مراسمها المذهبيّة، بدرجة جعلت ثلثي المسلمين يتّبعونها في حركاتها، جمّ غفير من الهنود والفرس وسائر المذاهب أيضاً شاركوهم في أعمالهم. وهذا أمر واضح، أنّه بعد مضيّ قرن تودّع هذه الخيالات بطريق الإرث لأبناء تلك الطوائف، فيسلّمون بها أو يعتقدون بذلك المذهب.

وحيث إنّ فرقة الشيعة تعتقد، أنّ جميع مطالبها مرتبطة بكبراء مذهبها، ويطلبون المدد منهم في الحوائج والشدائد، فسائر الفرق أيضاً التي تشاركهم في أفعالهم وأعمالهم، تتأسّى بهم كثيراً، فبمجرّد مصادفة قضاء حوائجهم تزداد عقيدتهم رسوخاً.

من هذه القرائن والأسباب يمكن أن يستدرك، أنّه لا يمرّ زمن قليل على هذه الفرقة حتّى تتفوّق من حيث العدد على جميع الفرق الإسلاميّة. كان أكثر هذه الفرقة إلى ما قبل قرن أو قرنين ـ ما عدا إيران ـ يعملون بالتقيّة في مذهبهم، لقلّة العدد، وعدم القدرة.

ومن الزمن الذي استولت فيه دول الغرب على الممالك الشرقيّة، وأعطت الحرّية لجميع المذاهب، تظاهرت هذه الفرقة بمراسم مذهبها في كلّ نقطة، وهذه الحرّية أفادتهم بدرجة أنّها رفعت من مذهب الشيعة اسم التقيّة.

بمناسبة الأسباب التي ذكرت، وقفت هذه الفرقة على مقتضيات العصر أكثر من سائر الفرق الإسلاميّة، وأقدمت على كسب المعاش وتحصيل العلوم أكثر من الآخرين.

ومن هذه الوجهة فالرجال العاملون الذين يعيشون بكدّ اليمين، يوجدون فيهم أكثر من سائر فرق المسلمين. وحيث إنّ الغالب عليهم العمل، فالملازمون لهم وخدّامهم يصيرون بالطبع تابعين لهم، وعلاوة على ذلك أنّهم بواسطة الأعمال يحتاج الناس إليهم، ومحبّتهم ومعاشرتهم لسائر الفرق موجبة لاختلاط الآخرين معهم، عند مشاركتهم لهم في مجالسهم ومحافلهم.

وحينما يصغى المباشرون لهم إلى سماع أُصول مذهبهم وأحاديثهم مرّة بعد مرّة، لا محالة يألفون مشربهم، وهذا هو عمل الدعاة، والأثر الذي يترتّب على هذه الوضعيّة، هو الأثر الذي توخّته عرفاء دول الغرب في ترقية دين المسيح، مع بذل أموال تحيّر العقول.

من جملة الأُمور السياسيّة، التي ألبستها رؤساء فرقة الشيعة لباس المذهب من عدّة قرون، وصارت مورثة جداً لجلب قلوبهم وقلوب غيرهم، هي أُصول التمثيل باسم الشبيه والتعزية في مأتم الحسين.

التمثيل أدخلته حكماء الهند في عباداتها لعدّة أغراض خارجة عن موضوع بحثنا، الأُوربيّون بمقتضى السياسة ألبسوا التمثيل لباس التفرّج، وأظهروا في محلّات التفرّج العموميّة لأنظار العامّ والخاصّ أُموراً سياسية مهمّة لاستجلاب القلوب، وقليلاً قليلاً أصابوا هدفين بسهم واحد: تفريح الطبائع، وجلب قلوب العامّة في الأُمور السياسيّة.

فرقة الشيعة حصلت من هذه النكتة على فائدة تامّة، فألبست ذلك لباس المذهب، فيستنبط أنّ فرقة الشيعة أخذت هذا العمل من الهنود، وعلى كلّ حال فالتأثير الذي يلزم أن يحصل على قلوب العامّة والخاصّة في إقامة العزاء

والشبيه، قد حصل.

من جهة يذكرون في مجالس قراءة التعزية المتواصلة، وعلى المنابر، المصائب التي وردت على رؤساء دينهم، والمظالم التي وردت على الحسين، ومع تلك الأحاديث المشوّقة إلى البكاء على مصائب آل الرسول.

فتمثيل تلك المصائب للأنظار، أيضاً له تأثير عظيم، ويجعل العامّ والخاصّ من هذه الفرقة راسخ العقيدة فوق التصوّر، وهذه النكات الدقيقة صارت سبباً في أنّه لم يسمع بأحد من هذه الفرقة ـ من ابتداء ترقّي مذهب الشيعة ـ أنّه ترك دين الإسلام، أو دخل في فرقة إسلاميّة اُخرى.

هذه الفرقة تعمل الشبيه بأقسام مختلفة: فتارة في مجالس مخصوصة ومقامات معيّنة، وحيث إنّه في أمثال هذه المجالس المخصوصة والمقامات المعينة، يكون اشتراك الفرق الأخرى معهم أقلّ، أوجدوا تمثيلاً بوضع خاصّ، فعملوا الشبيه في الأزقّة والأسواق، وداروا به بين جميع الفرق.

وبهذا السبب تتأثّر قلوب جميع الفرق منهم ومن غيرهم، بذلك الأثر الذي يجب أن يحصل من التمثيل.

ولم يزل هذا العمل شيئاً فشيئاً، يورث توجّه العامّ والخاصّ إليه، حتّى أنّ بعض الفرق الإسلاميّة الأُخرى، وبعض الهنود، قلّدوا الشيعة فيه، واشتركوا معهم في ذلك.

وعمل الشبيه في الهند أكثر رواجاً منه في جميع الممالك الإسلاميّة، كما أنّ سائر فرق الإسلام هناك أكثر اشتراكاً مع الشيعة في هذا العمل من سائر البلاد.

ويظنّ أنّ أُصول التمثيل وعمل الشبيه بين الشيعة، قد جاءت من جهة سياسة السلاطين الصفويّة، الذين كانوا أوّل سلسلة استولت على السلطنة بقوّة المذهب، ورؤساء الشيعة الروحانيّون شيئاً فشيئاً أيّدوا هذا العمل وأجازوه.

ومن جملة الأُمور التي صارت سبباً في ترقّي هذه الفرقة، وشهرتها في كلّ مكان، هو إراءة أنفسهم بالمرأى الحسن، بمعنى أنّ هذه الطائفة بواسطة مجالس المآتم، وعمل الشبيه، واللطم والدوران، وحمل الأعلام في مأتم الحسين، جلبت إليها قلوب باقي الفرق بالجاه والاعتبار والقوّة والشوكة؛ لأنّه من المعلوم أنّ كلّ جمعية وجماعة تجلب إليها الأنظار وتوجّه إليها الخواطر إلى درجة ما.

مثلاً لو كان في مدينة عشرة آلاف نفس متفرّقين، وكان في محلّ ألف نفس مجتمعين، كانت شوكة الألف وعظمتهم في أنظار الخاصّ والعامّ أكثر من العشرة آلاف. مضافاً إلى أنّه إذا اجتمع ألف نفس، انضمّ إليهم من غيرهم بقدرهم، بعضهم للتفرّج، وبعضهم للصداقة والرفاقة، وبعضهم لأغراض خاصّة، وبهذا الانضمام تتضاعف قوّة الألف وشوكتهم في الأنظار.

لهذا ترى أنّه في كلّ مكان ولو كانت جماعة من الشيعة قليلة، يظهر عددها في الأنظار بقدر ما هي عليه مرّتين، وشوكتها وقوّتها بقدر ما هي عليه عشر مرّات، وأكثر أسباب معروفيّة هؤلاء القوم وترقّيهم هي هذه النكتة.

ومن جملة الأُمور الطبيعيّة، التي صارت مؤيّدة لفرقة الشيعة في التأثير في قلوب سائر الفرق، هو إظهار مظلوميّة أكابر دينهم.

وهذه المسألة من الأمور الطبيعيّة؛ لأنّ كلّ أحد بالطبع ينتصر للمظلوم،

ويحبّ غلبة الضعيف على القويّ، والطبائع البشريّة أميل إلى الضعيف ولو كان مبطلاً، والمظلوم منها إلى القويّ، وإن كان محقّاً، والظالم خصوصاً إذا كان بعيداً أو مرّت عليه أعوام.

ومنصفو أُوروبا، الذين كتبوا تفصيل مقاتلة الحسين وأصحابه وقتلهم، أنّه ليس لهم عقيدة بهم أصلاً، أذعنوا بظلم قاتليهم وتعدّيهم وعدم رحمتهم، ويذكرون أسماء قاتليهم بالاشمئزاز.

وهذه الأُمور طبيعيّة لا يقف أمامها شيء، وهذه النكتة من المؤيّدات الطبيعيّة لفرقة الشيعة».

انتهت ترجمة ما أردنا نقله ممّا نقلته جريدة «حبل المتين» الفارسيّة، عن الدكتور جوزف الفرنسيّ، وقد أفاض الكاتب في أُمور أُخر، برهن على أنّها من أسباب ترقّي الشيعة، كالقول بالاجتهاد، والاعتقاد بوجود المهدي، تركنا ذكرها لعدم تعلّقها بموضوع الكتاب.

الفصل الثامن

في إجمال نتيجة ما تقدّم وردّ ما يعيب به العائبون على إقامة المآتم

قد عرفتَ ممّا بيّناه في الفصول السابقة، أنّ ما يعيبنا به العائبون على إقامة هذه المآتم ممّا ذكرناه في صدر الكتاب، لا عيب فيه:

أمّا قولهم: إنّ أمراً وقع قبل ألف ومئات من السنين، ما معنى إعادة ذكره كلّ عام؟

فيدفعه: أنّ مثل هذه الفاجعة العظيمة، لا تُنسى على ممرّ الدهور والأعوام، وفي ما بيّناه من فوائدها المنقولة والمعقولة غنيّة عن إعادة الكلام، وقد عرفتَ في الفصل السادس جواب مَن قال: خفنا أن يُنكر قتله كما أُنكرت بيعة الغدير.

وأمّا قولهم: إنّ يزيد قَتلَ الحسين مرّة، وأنتم تقتلونه في كلّ عام مرّة.

فتمويه واضح، يقصد به ستر فضائح يزيد ومَن مهّد له بعدم إعادة ذكرها على الأسماع، وإلّا فهذه المآتم إحياء لذكر الحسين عليه السلام ولذكر فضائله، ولا تشتمل على إسناد أمر قبيح إليه، حتّى تكون إعادة ذكرها في كلّ عام مضرّة.

نعم، تشتمل على إسناد القبائح إلى قاتليه.

وأمّا قولهم: إنّ الأمر الفظيع لا ينبغي إعادة ذكره، بل ينبغي تناسيه.

وقولهم: إنّ في إعادة ذكره حطّاً من مقام أهل البيت عليهم السلام.

فيردّه ما أطبق العقلاء عليه، من إقامتهم التذكار لعظماء رجالهم، الذين

قتلوا في سبيل الأُمور السامية في كلّ عام، وذكر ما وقع من الفظائع والظلم على العظماء، لا يعدّ حطّاً من مقامهم، ولقد نقل الله تعالى في كتابه شيئاً كثيراً ممّا قيل في سبّ الأنبياء وعيبهم من مكذّبيهم، ونقل عن اليهود قولهم: ﴿**يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ**﴾[١] وغير ذلك ممّا لا يحصى كثرة.

ومن هذا القبيل ما نقل لنا: إنّ بعض الناس عاب على الذاكرين لفاجعة كربلاء، ذكرهم أسماء النساء؛ كزينب وأُمّ كلثوم وسكينة.

فجاء الذاكر في اليوم التالي وقال: بلغني أنّ بعض الناس يعيب علينا ذكر أسماء نساء أهل البيت في المجالس، وإنّ الله قد ذكر مريم ابنة عمران عليها السلام في كتابه العزيز، الذي يتلى في كلّ مجلس فقال: ﴿**وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا**﴾[٢] فذكر اسمها وذكر معه لفظ الفرج.

وأمّا توهّم بعضهم أنّ ذلك بدعة، فقد عرفتَ من مجموع ما تقدّم، أنّه لا يشتمل إلّا على السُنن والمستحبات، أو المباحات على الأقل، ولا مساس له بالبدعة التي هي إدخال ما ليس من الدين في الدين، أمثال ضرب الدفوف والتغنّي والرقص، ونحو ذلك بعنوان ذكر الله تعالى وعبادته.

وإنّ من أقبح البدع وأشنعها، اتّخاذ يوم قتل ابن رسول الله صلى الله عليه وآله يوم عيد وفرح وسرور، يوسّع فيه على العيال، وتشترى فيه الألبان، ويتوسّع في المطاعم والحلوى، واتّخاذ الأواني الجديدة، والاكتحال، ودخول الحمّام.

ويعتلّ لذلك بأنّه عيد رأس السنة، مع أنّ رأس السنة ليس يوم عاشوراء،

---

(١) سورة المائدة: ٦٤.

(٢) سورة التحريم: ١٢.

بل أوّل يوم من المحرّم، فما بالهم لا يفعلون ذلك في أوّل يوم من المحرّم، ويفعلونه يوم عاشوراء؟! فراجع ما نقلناه عن المقريزي في صدر الكتاب.

وقال ابن منير الدين الطرابلسي في رائيته المشهورة:

وحلّقتُ في عشر المحرّ — م ما استطال من الشعر
ونويتُ صوم نهاره — وصيام أيّام أُخر
ولبستُ فيه أجلّ ثو — ب للملابس يُدّخر
وسهرتُ في طبخ الحبو — ب من العشاء إلى السحر
وغدوتُ مكتحلاً أُصا — فح من لقيتُ من البشر
ووقفتُ في وسط الطري — ق أقصّ شارب من عبر[1]

وأمّا ما سوّد به السودانيّ صحيفته فنقول في نقضه:

أمّا جعله حديث من وسّع على عياله يوم عاشوراء ...الخ من الموضوعات، فقد أصاب فيه، ولكنّه أخطأ في تخصيص الوضع بالخوارج[2]، بل الواضع لذلك بنو أُميّة وأتباعهم من علماء السوء، الذين كانوا يبذلون لهم الأموال الجزيلة، ويولونهم الولايات الجليلة، ليضعوا لهم الأحاديث في تنقيص عليّ وولده، وفي التوسعة على العيال في يوم قتل ابن رسول ﷺ، وإجراء مراسم الأعياد.

---

(١) تقدّم الكلام عنها مفصلاً في هذا المجلّد. «الحسّون».

(٢) في هامش الأصل: الذي بلغنا أنّ الخوارج الإباضية في زنجبار، يقيمون مراسم الحزن يوم عاشوراء، لا مراسم الأعياد. وأنّهم بقدر بغضهم لعليّ وولده الحسين عليهما السلام، يحبّون الحسين عليه السلام لقيامه بالسيف، ومقاومته للظلم، كما نبّه عليه المسيو ماربين الألمانيّ، فيما مرّ من كلامه في الفصل السابع، فما ندري من أين أتى السودانيّ، بأن وضع ذلك الحديث من الخوارج؟ «منه رحمه الله».

وإلى ذلك أشار السيّد الرضي رضي الله عنه بقوله:

كانت مآتم بالعراق تعـدّها أمويّة بالشامّ من أعيادها[(١)]

وقد عرفتَ في صدر الكتاب، ما نقلناه عن المقريزيّ، من أنّ الذي سـنّ هذه السنّة لأهل الشام هو الحجّاج، في زمن عبد الملك بن مروان، وأنّ أوّل من أدخلها إلى مصر بنو أيّوب.

والصحيح أنّ الذين سنّوها هم بنو أُميّة كلّهم وأتباعهم من زمن يزيد، لا خصوص الحجّاج.

ولمّا دخل سهل بن سعد الصحابيّ الشام، رآهم قد علّقوا الستور والحجب والديباج، وهم فرحون مستبشرون، وعندهم نساء يلعبن بالدفوف والطبول، فقال في نفسه: أترى لأهل الشام عيداً لا نعرفه؟ ثمّ علم أنّ ذلك بسبب دخول رأس الحسين عليه السلام، فعجب لذلك.

إلّا أن يريد السودانيّ الخوارج ومن على شاكلتهم من أتباع بني أُميّة، فيكون كلامه صحيحاً.

وأخطأ السودانيّ أيضاً في نسبته إلى شيعة أهل البيت، الذين نبزهم بالرافضة، التظاهر بالزينة في يوم عاشوراء، بل ذلك اليوم يوم حزن عندهم لا يوم زينة، والحزن فيه سنّة لا بدعة بما مرّ من الأدلّة، وكذلك الإطعام، ولكن السودانيّ أبى له تقليده ونصبه إلّا مصادمة الحقّ.

وأمّا قوله: وطفقوا يروون الأكاذيب كعادتهم.

فقد كذب فيه، فإنّ عادة شيعة أهل البيت الصدق والورع، توارثوها من

---

(١) ألقى هذه القصيدة في يوم عاشوراء سنة ٣٩١ هـ. انظر أعلام النبلاء ١٧: ٢٥٨.

إمام الصادقين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

ومن أبي ذر، الذي شهد له رسول الله صلى الله عليه وآله بأنّه: «ما أقلّت الغبراء ولا أظلّت الخضراء على ذي لهجة أصدق منه»[(١)].

ومن إمامهم جعفر الصادق، الذي لقّب بالصادق لصدق حديثه.

ومن سلفهم، الذين لا يقبلون إلّا رواية العدل الثقة، وبعضهم يشترك توثيقه بعدلين، وبعضهم لا يقبل خبر الواحد.

وتوارث غيرهم عادته، ممّن أقاموا خمسين شاهداً أو أربعين، يشهدون زوراً لأُمّ المؤمنين: إنّ هذا ليس ماء الحوأب حين نبحتها كلابه[(٢)].

وممّن أخذوا الجوائز الطائلة، وولّوا الولايات الجليلة، ليرووا الأحاديث المكذوبة، مثل: إنّ قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ**﴾[(٣)] نزلت في عليّ بن أبي طالب.

وإنّه غاظ رسول الله صلى الله عليه وآله بخطبته بنت أبي جهل، حتّى قام صلى الله عليه وآله خطيباً

---

(١) مسند أحمد ٢: ١٧٥، صحيح مسلم باب مناقب أبي ذر ٧: ١٥٣، مجمع الزوائد للهيثميّ ٥: ١٩٧، مشكل الآثار للطحاويّ ١: ٢٢٤، الكامل في الضعفاء لابن عدي ٥: ١٨١٦.

(٢) قال الطبريّ في تاريخه: إنّه لمّا بلغ طلحة والزبير مَنزلُ عليّ بذي قار، انصرفوا إلى البصرة، فأخذوا على المنكدر، فسمعت عائشة نباح الكلاب فقالت: أي ماء هذا؟

فقالوا: الحوأب.

فقالت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، إنّي لهيه، قد سمعتُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول وعنده نساؤه: ليت شعري أيّتكن تنبحها كلاب الحوأب، فأرادت الرجوع، فأتاها عبد الله ابن الزبير فزعم أنّه قال: كذب من قال: إنّ هذا الحوأب، ولم يزل بها حتّى مضت، فقدموا البصرة. انظر: تاريخ الطبريّ ٥: ١٧٨، عبد الله بن سبأ: ١٠٠ ـ ١٠٣.

(٣) سورة البقرة: ٢٠٥.

بـذلك، ومـا كـان علـيّ عليه السلام ليتـزوّج علـى فاطمـة، ولا كـان رسـول الله صلى الله عليه وآله ليغضب من ذلك لو فعل، وإلّا لكان ذلك قدحاً فيه (والعياذ بالله) إلى غير ذلك.

وممّـن يقبلـون روايـة عمـران بـن حطّـان، مـادح ابـن ملجـم علـى قتلـه لأميرالمؤمنين، وأمثال هؤلاء.

فأيّ الفريقين أحقّ بالكذب يا أيّها السودانيّ؟

وأمّا قوله: فإن قتل الحسين، فقد قتل من هو خير منه ... الخ.

فإنّا نسـأل السـودانيّ: هـل بكـى النبـيّ صلى الله عليه وآله وأصـحابه علـى جميـع مَـن ذكرهم قبل قتلهم؟

وهل بكت السماء والأرض عليهم بالدم، والشمس بالكسـوف، وناحـت عليهم الجن؟

وهــل سُــبيت نســاؤهم وهــنّ بنــات الــوحي، وأطفــالهم وهــم ذرّيــة النبيّ صلى الله عليه وآله؟

وهل حُملت رؤوسهم من بلد إلى بلد؟

وهل ديست أجسامهم بحوافر الخيل؟

وهل كان قتلهم مشيّداً لقواعد الدين، ومظهـراً لفضـائح أعدائـه، ودرسـاً في الشجاعة وإباء الضيم؟

وما أشبه قياس السودانيّ هذا، بما يحكـى أنّ رجـلاً صـعد علـى سـطح، وبعد صعوده سقط الدرج، ولم يمكنه النزول، فأخبروا العارفة بـذلك، فـأمرهم أن يرموا له حبلاً يربط نفسه به، ثمّ يجرّوه إلـى أسـفل. ففعلـوا فتكسّـر ومـات، فأخبروا العارفة، فتعجّب، وقال: أنا أخرجت عدّة اُناس من البئـر بهـذه الكيفيّـة

ولم يموتوا! ولنعم ما قال الشيخ صالح الكوّاز[1]:

زعمت أُميّة أنّ وقعة دارها مثل الطفوف وذاك غير سواء
أين القتيل على الفراش بداره من خائض الغمرات في الهيجاء
ليس الذي اتّخذ الجدار من القنا حصناً كمقريهن في الأحشاء

وأمّا قوله: وإن كانوا يريدون تألّب الناس على بغض بني أُميّة ... الخ.

فنقول له: بل يريدون بحزنهم على مصيبة ابن بنت نبيّهم، مواساة نبيّهم في ذلك التي حرموا منها، وثواب الله تعالى الذي وعده على ذلك، وإظهار فضائح المنافقين.

فمن السخافة المتناهية، المدافعة والمنافحة عنهم، وإرادة ستر معائبهم. وهيهات والغفلة أو التغافل عن فوائد إقامة الذكرى لعظماء الرجال وسادات الإسلام، وتهجين وتقبيح مواساة الرسول صلى الله عليه وآله في مصيبة ولده، وتصويرها بأقبح الصور، والغفلة أو بالتغافل عن أنّ ذلك يؤذي رسول الله صلى الله عليه وآله ويغضبه، ومخالفة جميع العقلاء في إقامة الذكرى لعظمائهم في كلّ عام كما عرفت.

وأمّا قوله: وأمامهم اليوم في الشرق والغرب ... الخ.

فهل هذا الذي هو أمامه في الشرق والغرب ليس أمامه؟ فما باله يشتغل بتقبيح ما أجمع العقلاء وجميع أهل الأديان على حسنه، إلّا مَن أعماه الهوى والغرض، ويوغر الصدور، ويفرّق كلمة المسلمين في زمان هم فيه أحوج إلى الاتفاق، بما يبدو أمامهم في الشرق والغرب إن كان من الصادقين.

---

(١) هو الشيخ صالح الكوّاز، من عشيرة الخضيرات، إحدى عشائر شمّر المعروفة في نجد والعراق، ولد سنة ١٢٣٣ هـ وتوفّي سنة ١٢٩٠، ودفن في النجف الأشرف.

وهل الشيعة بإقامتهم هذه المآتم، أخلّوا بواجبهم تلقاء ما يبدو أمامهم في الشرق والغرب، وقام به هو بما يسطّره في مجلّته من تفريق كلمة المسلمين؟!

وأمّا قوله: وإن كانوا يريدون التوصّل بذلك الفعل الشنيع ... الخ.

فنقول: الفعل الشنيع الذي لا شيء أشنع منه، تسميته مواساة النبيّ صلّى الله عليه وآله في مصيبة ولده فعلاً شنيعاً. وتصوّرهم أنّهم يريدون بذلك التوصّل إلى الإمارة والملك، من التصوّرات النسوانيّة أو الصبيانيّة، التي تمثّله بأشنع مثال في أعين من يقرأ مجلّته لو كان يعقل ما يقول.

وليكن هذا آخر ما نورده في هذا الكتاب، والحمد لله وحده، وصلّى الله على من لا نبيّ بعده.

ووافق الفراغ منه عصر يوم الأربعاء السابع عشر من شهر ذي القعدة الحرام، سنة ثلاث وأربعين بعد ثلاثمائة وألف، بمدينة دمشق المحمية.

وتمّ تبييضه وتنقيحه قبيل ظهر يوم السبت، الثالث من شهر جمادى الثانية سنة ١٣٤٤ بشقراء من جبل عامل، مع تشتّت الأحوال، واشتغال البال، وامتلاء سوريا بالفتن والقلاقل ضدّ الفرنسيين، واشتعال فتنة الدروز معهم.

وكتبَ بيده الداثرة مؤلّفه الفقير إلى عفو ربّه الغني، محسن ابن المرحوم السيّد عبد الكريم الحسينيّ العامليّ، نزيل دمشق، تجاوز الله عن سيّئاته، حامداً مصلّياً مسلّماً.

(٣)

ما ورد في المجالس السنيّة
في مناقب ومصائب العترة النبويّة

تأليف
السيّد محسن الأمين العامليّ
(ت ١٣٧١ هـ)

مقدّمة مهمّة

لا يخفى أنّه قد قضى العقل والدين، باحترام عظماء الرجال، أحياءً وأمواتاً، وتجديد الذكرى لمن بذل نفسه في أسمى المقاصد وأنفع الغايات، وجرت على ذلك جميع الأمم في كلّ عصر وزمان.

وأنّ سيّدنا ومولانا، الإمام ابن الإمام، أخا الإمام، أبا الأئمّة الحسين الشهيد، ابن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، أحد ريحانتي الرسول صلى الله عليه وآله وسبطيه، وخليفته في أُمّته، من أعاظم رجال الإسلام، بل من أعاظم رجال الكون.

فقد جمعَ إلى شريف نسبه، وكريم عنصره، وبنوّته لسيّد الأنبياء، ولسيّد الأوصياء، وللبضعة الزهراء سيّدة النساء صلوات الله عليهم، أكرم الصفات، وأحسن الأخلاق، وأعظم الأفعال، وأجلّ الفضائل والمناقب.

وقام بما لم يسمع بمثله قبله ولا بعده، من بذل نفسه وماله وآله في سبيل إحياء الدين، وإظهار فضائح المنافقين، وأظهر من إباء الضيم، وعزّة النفس، والشجاعة والبسالة، والصبر والثبات، ما بهر العقول.

ومصيبته وكيفيّة شهادته من أفظع ما صدر في الكون، مع أنّه ابن بنت النبيّ صلى الله عليه وآله، الذي لم يكن على وجه الأرض ابن بنت نبيّ غيره.

وقد حزن النبيّ صلى الله عليه وآله لتلك المصيبة قبل وقوعها، وكذلك آله الأئمّة الأطهار عليهم السلام، كانت سيرتهم تجديد الأحزان لذكرى تلك الفاجعة الأليمة، حتّى قال الرضا عليه السلام: «كان أبي إذا دخل شهر المحرّم لا يُرى ضاحكاً، وكانت الكآبة تغلب عليه، حتّى تمضي عشرة أيام منه، فإذا كان يوم العاشر، كان ذلك اليوم يوم مصيبته وحزنه»[١].

وقد ندبوا عليهم السلام إلى ما ندب إليه العقل، في حقّ كلّ محبّ مع حبيبه، من الفرح لفرحهم والحزن لحزنهم[٢].

واقتدى بهم في ذلك شيعتهم وأولياؤهم، فجدّدوا ذكرى مصيبة الحسين عليه السلام، وكيفيّة شهادته، التي تكاد أن تفتّت الصخور، فضلاً عن الأكباد والقلوب، لاسيّما في عشر المحرّم التي وقعت فيها تلك المصائب الفادحة.

هذا، ولكن كثيراً من الذاكرين لمصابهم، قد اختلقوا أحاديث في المصائب وغيرها، لم يذكرها مؤرّخ ولا مؤلّف، ومسخوا بعض الأحاديث الصحيحة، وزادوا ونقصوا فيها؛ لما يرونه من تأثيرها في نفوس المستمعين،

---

(١) وسائل الشيعة ١٤: ٥٠٤ حديث ١٩٦٩٧، عن أمالي الصدوق: ١١١ حديث ٢.

(٢) وسائل الشيعة ١٤: ٥٠٧ حديث ١٩٧٠٥، عن كامل الزيارات: ١٠١ بسنده عن مسمع بن عبد الملك، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «أما تذكر ما يصنع به»؟ يعني الحسين عليه السلام.

قلت: بلى.

قال: «أنجزع»؟

قلت: إي والله، حتّى استعبر بذلك، حتّى يرى أهلي أثر ذلك عليّ، فامتنع من الطعام، حتّى يستبين ذلك في وجهي.

فقال: «رحم الله دمعتك، أما إنّك من الذين يعدّون من أهل الجزع لنا، والذين يفرحون لفرحنا، ويحزنون لحزننا».

الجاهلين بصحّة الأخبار وسقمها، حتّى حُفظت على الألسن، وأُودعت في المجاميع، واشتهرت بين الناس، ولا رادع.

وهي من الأكاذيب التي تغضبهم عليهم السلام، وتفتح باب القدح للقادح، فإنّهم لا يرضون بالكذب، الذي لا يرضي الله ورسوله صلى الله عليه وآله، وقد قالوا لشيعتم: «كونوا زيناً لنا ولا تكونوا شيناً علينا»[1].

وقد اكتسبوا هم ومَن قبلها منهم، وأقرّهم عليها الاثم المبين، فإنّ «الله لا يطاع من حيث يعصى»[2] ولا يتقبل الله إلّا من المتّقين[3]، والكذب من كبائر الذنوب الموبقة، لاسيّما إن كان على النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين.

كما أنّ ما يفعله جملة من الناس، من: جرح أنفسهم بالسيوف، أو اللطم المؤدّي إلى إيذاء البدن، إنّما هو من تسويلات الشيطان وتزيينه سوء الأعمال، فذلك ممّا يغضب الحسين عليه السلام ويبعّد عنه، لا ممّا يقرّب إليه، فهو عليه السلام قد قتل في سبيل الإحياء لدين جدّه صلى الله عليه وآله وهذه الأعمال ممّا نهى عنها دين جدّه، فكيف يرضى بها، وتكون مقرّبة إليه تعالى؟! والله تعالى لا يطاع من حيث يعصي، كما ذكرنا آنفاً.

وانتحال بعض الجهّال عذراً لذلك، بما ينقلون من «أنّ إحدى الطاهرات

---

(١) وسائل الشيعة ١٢: ١٩٣ حديث ١٦٠٦٣، عن أمالي الصدوق: ٣٢٦ حديث ١٧، بسنده عن سليمان بن مهران، قال: دخلت على الصادق جعفر بن محمّد عليهما السلام، وعنده نفر من الشيعة، فسمعته وهو يقول: «معاشر الشيعة كونوا زيناً لنا، ولا تكونوا شيناً علينا، قولوا للناس حسناً، واحفظوا ألسنتكم، وكفّوها عن الفضول وقبيح الأعمال».

(٢) معاني الأخبار: ٣٣ ـ ٣٦ حديث ٤.

(٣) ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنْ الْمُتَّقِينَ﴾ المائدة (٥): ٢٧.

نطحت جبينها بمقدّم المحمل، حتّى رُؤي الدم يجري من تحت قناعها»[١]، هو من هذا البحر، وعلى هذه القافية، اللذين مرّت الإشارة إليهما.

وهكذا ما يجري من التمثيل والتشبيه للوقعة، فإنّه في نفسه مشتمل على كثير من المحرّمات، وموجب لهتك الحرمة، وفتح باب القدح للذين يحاولونه بما استطاعوا، فيكون منهيّاً عنه بقوله عليه السلام: «ولا تكونوا شيناً علينا»، نعم التمثيل الخالي عن المحرّمات والشائنات لا بأس به، ولكن أين هو؟!

فعلى من يُريد التقرّب إلى الله تعالى ونبيّه صلى الله عليه وآله وأوليائه بالبكاء والحزن لمصاب الحسين عليه السلام، أن لا يتعدّى ما رسمه الرضا نقلاً عن أبيه عليهما السلام، ممّا مرّ، وإلّا كان من ﴿**الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا**﴾[٢].

---

(١) إشارة إلى رواية مسلم الجصّاص، الذي روى أنّه شاهد العقيلة زينب عليها السلام، نطحت جبينها بمقدّم المحمل، عندما رأت رأس الإمام أخيها الحسين عليه السلام فوق الرمح.

رواها مرسلة العلّامة المجلسيّ (ت ١١١١ هـ) في بحار الأنوار ٤٥: ١١٤. وقد كتبنا مقالة مفصّلة عن هذه الرواية بعنوان «رواية مسلم الجصّاص: زينب عليها السلام نطحت جبينها بالمحمل»، ناقشنا فيها متنها وسندها، ونصّ المقالة في هذه المجموعة ٩: ٢٥٩.

(٢) الكهف (١٨): ١٠٤.

(٤)

قطعة من كتاب

كشف الحقّ لغفلة الخلق

تأليف

السيّد محمّد مهدي الموسويّ القزوينيّ

(ت ١٣٥٨ هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

[المقدّمة]

الحمد لله الهادي عموم الخلق بآياته المنيرة إلى سبيل الحقّ، فأظهر سبحانه ببيّناته المحجّة، مقيماً على عباده بعدله الحجّة ﴿**لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ**﴾(١) فسبحانه ما ألطفه بالعباد في دعوته لهم إلى سبيل الرشاد، وتحذيره لهم من التردّي في ظلم الفساد.

وأفضل الصلاة المرضيّة، والتسليمات البهيّة، والتحيّات العليّة، على سيّدنا المصطفى وعترته خير البريّة، وعلى صحبه الخيرة البررة، وعلى التابعين لهم بإحسان.

أمّا بعد، فيقول العبد المذنب الحقير، الفقير إلى رحمة ربّه العزيز الكبير، محمّد مهدي، خلف المرحوم السيّد صالح القزوينيّ، نوّر الله مرقده:

هذه نبذة من مسائل الحقّ؛ لتنبيه غفلة الخلق، عزمتُ على تسطيرها؛ من باب وجوب النصيحة لبني ديني، محبّة لهم، وشفقة عليهم، وتأدية لحقوق إخوَّتي معهم، فالمأمول منهم النظر إليها بعين المودة والرضى والقبول، فنقول لهم:

---

(١) الأنفال (٨): ٤٢.

إنّه من المعلوم ـ حتّى عند من له أدنى شعور يميّز به بين الظلّ والحَرور[١] ـ أنّ الدين الحقّ هو المتلقّى عن صفوة الخلق؛ لجعل الله سبحانه لهم معدنه وحفظته، ليعلّموه للعباد، ويروّجوه بينهم ويشيّدوه، فما شيّدوه هو الحقّ، وما لم يظهروه فهو ليس من الدين الذي ينبغي معرفته وتقصد متابعته.

ونحن ـ شهد الله سبحانه ـ في صدد بيان الحقائق الشرعيّة، والرشد إلى الدقائق الدينيّة، المعروفة لدى حفظة الدين، المشهورة بين جمهور المسلمين، المتّفق على نقل سُنن خاتم النبيّين عليها، صلّى الله عليه وعلى عترته الطاهرين، فإنّ المتفق عليه هو سبيل العباد إلى الفوز برضى الله سبحانه يوم المعاد.

وسيرى القارىء بعين نجابته، ويتدبّر بنظر بصيرته وحسن سريرته، رسالتنا هذه منزّهة عن قذر التعصّب، ومقدّسة من نجس التحزّب، فيتنوّر قلبه بنور الحقّ الذي يجده فيها، ويرضي الله بالعمل على البيّنات التي تحويها.

فينبغي لنا التعرّض لنبذة من البيّنات، التي تدلّ على تعيين صفوة الخلق، حملة الشريعة وحفظتها، الذين تجب على الناس طاعتهم؛ لجعل الله سبحانه دينه عندهم، فالناس عيال عليهم في وجوب تعلّم الدين الحقّ منهم، وفي وجوب المتابعة لهم.

ومن هنا تعرف عظمة شأنهم، ورفعة مقامهم، وشرف قدرهم عند الله

---

(١) قال تعالى في سورة فاطر (٣٥): ١٩ ـ ٢١ : ﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾﴿وَلاَ الظُّلُمَاتُ وَلاَ النُّورُ﴾﴿وَلاَ الظِّلُّ وَلاَ الْحَرُورُ﴾.
والظلّ: هو الفيء، وجمعه ظلال وظلول.
والحرور: شدّة الحر ليلاً كالسموم.
انظر: الصحاح ٢: ٦٢٨ «حرر».

سبحانه.

وحينئـذٍ فتعظـيمهم تعظـيم الله، وحـبّهم حـبّ الله، وطـاعتهم طاعـة الله، ومعصيتهم معصية الله، فمن خالفهم فقد خالف الله. فأيّ عاقل يرضى من نفسه بالمخالفة لله، ولم يلتزم بمتابعة مَن جعل سبحانه دينه عندهم؛ ليفوز بإطاعته لله.

فنسأله سبحانه التسديد لنا، ولسائر عباده، بمعرفة حملة دينه الشريف، والتوفيق لمتابعتهم، وهو حسبنا ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير.

وقد سمّيتُ ما قصدتُ بيانه في هذه السطور ـ الذي هو نور تجلّى على جانبي الطور ـ: «كشف الحقّ لغفلة الخلق»، وقد رتّبته على مقاصد ثلاثة وخاتمة:

فأوّل المقاصد: نتعرّض فيه لخمس آيات من الفرقان العظيم، المقصود منها حملة الدين بالسنن، التي دلّت على ذلك، وبالسنن التي شملتهم وسائر صفوة الله من خلقه.

ثاني المقاصد: في بيان كون نصرة الحسين بن علي بن أبي طالبعليهما السلام للدين، لم يتفق لغيره مثلها في العظمة، وما تفضّل به الله سبحانه عليه من عظيم المثوبات.

ثالث المقاصد: في بيان ما يلزم على المسلمين تأديته، في حقّ الحسينعليه السلام من وظائف المحبّة.

الخاتمة: في ما قد ترتّب على قتله من حزن محبيه وسرور مبغضيه، وما جعله الناصبة من المبتدعات في يوم شهادته، وما قد سنّه أهل السنّة من صيام ذلك اليوم.

المقصد الأوّل

آيات نزلت في أهل البيت عليهم السلام

المقصد الأوّل

فأوّل المقاصد نشرع فيه بقوله سبحانه في سورة آل عمران ﴿إِنَّ اللَّـهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[1] [ثمّ شرع المؤلّف في بيان معنى هذه الآية، وآيات أُخرى في أهل البيت عليهم السلام، ثمّ ذكر المقصد الثاني].

(١) آل عمران (٣): ٣٣.

المقصد الثاني

في بيان عظمة نصرة الحسين عليه السلام للدين

المقصد الثاني

في بيان عظمة نُصرة الحسين عليه السلام للدين، وشدّة غيرته على تشييده له وترويجه، إلى درجة لم يقم فيها غيره من مروّجيه.

ولسنا نقدّمه في هذه النصرة العجيبة على جدّه وأبيه وأخيه صلّى الله عليه وعليهم وسلّم، بل نقول:

هو الذي تفرّد وحده بهذه النصرة، ولم يتّفق لهم موقف مثل موقفه، ولو يلي فرد منهم بمثل موقفه العسر، لحصلت منهم النصرة بمثل نصرته، ومن جميل قيامه بهذه النصرة ـ وهو دونهم في الفضل ـ يُعلم بأنّهم معادن لمثل هذه النصرة وزيادة عليها.

ولقد فاضت صُحف العالم ممّا رسمه المسلمون وغيرهم من الناس، في بيان رفعة درجة هذه النصرة وعظمة شأنها، ولقد نطق الحقّ على لسان مَن لم يعتقد بنبوّة جدّ الحسين صلّى الله عليه وعلى عترته وسلّم، حيث قال بأنّ الحسين أوّل سياسيّ دينيّ في العالم.

ومن المعلوم لدى ذوي المعرفة والشعور، الذين يميّزون به بين الظلّ والحرور، المطلعين على خصوصيّات ذلك الموقف المدهش من عين صافية، أنّ صاحبه عديم النظير في رجال الدين.

وما قد ورد عليهم من عظيم الصدمات في نصرتهم للدين دون ما ورد عليه، فصبرَ ورضي بما جرى عليه، وبما علم بأنّه يجري عليه طاعة منه لله وتقرباً إليه في ترويجه دينه، فبذل عامّة ما تحت يده وسلطنته من خيار قومه، الذين لم يوجد يومئذ في الدنيا لهم شبيه في الفضل. قاله الحسن البصريّ وغيره.

ومن صفوة شيعته ونفسه المقدّسة، وهو وهم في شدّة العطش، وعياله للسبي وللتأسير صبيته، وحمل رؤوسهم جميعاً رؤوس السمهريّات[(١)]، يُطاف بها بين الخلق من الطفّ إلى الشام؛ نصرة منه للدين. ولم يرض بالبيعة ليزيد الفاسق الفاجر الشّريب الخمير، فلم يبق شيئاً هو تحت قدرته ولم يبذله في سبيل طاعة الله ورضاه.

فأبان ببذل هذه النفائس العظيمة والدرر اليتيمة، فساد إمامة يزيد للخلق، وأنّ سياسته سياسة قيصريّة وكسرويّة، وأنّ السياسة الشرعيّة المحمديّة منزّهة عن سياسة بني أُميّة. فيزيد هو المستحلّ للخمر، ولنكاح أُمّهات الولد وللبنات، وغيرهن من كبائر الموبقات، نقل ذلك عنه شهاب الدين أحمد بن حجر[(٢)] وغيره.

ولقد حاز هو ومتابعوه ومعاونوه غاية الشقاوة، بما قد نبّهنا عليه من

---

(١) السَمْهَريّةُ: القناةُ الصلبة، ويقال: هي منسوبة إلى سَمْهَرٍ: اسم رجل كان يقوِّم الرماح، يقال: رمحٌ سَمْهريّ، ورماحٌ سمهريَّةٌ. الصحاح ٢: ٦٨٩ «سمهر».

(٢) الصواعق المحرقة: ١٩٤ وفيه: «إنّ أهل السنّة اختلفوا في تكفير يزيد بن معاوية وولي عهده من بعده: فقالت طائفة: إنّه كافر ... وقالت طائفة: ليس بكافر ... وعلى القول بأنّه مسلم، فهو فاسق شرير سكّير، كما أخبر النبيّ صلّى الله عليه وسلّم».

شناعات فعالهم المقرحة للقلوب، المجرية للدموع من العيون دماً، المضرمة لحشى المسلم بنار الحزن والكروب، بصفوة عصبة مَن لم يحبهم لم يدخل في قلبه إيمان، الذين مَن يستحلّ منهم ما حرّمه الله، ملعون لله ولخاتم رسله ولكلّ نبيّ مجاب، الذين المؤذي لهم مؤذٍ لله ولرسوله.

فما حال مَن فعل بهم هذه المفجعات المدهشة، والمؤلمات الموحشة؟! نعوذ بالله من متابعة الهوى إلى هذه الدرجات من خطير الموبقات.

[قول البعض بإسلام يزيد]

ثمّ العجب العُجاب ـ الذي حقّ للمؤمن الموت من تصوّره ـ ما زعمه بعض مَن يزعم بأنّه من المسلمين، بأنّ يزيد الجبّار العنيد خليفة المسلمين، فيا لها من طامة مُدهشة.

فليت شعري، بأيّ برهان شرعيّ جاز التفوّه بهذه البدعة العظمى؟! وما قد مرَّ من آيات الفرقان العظيم، والسنن الشريفة، نصب عين مَن زعم بهذه البليّة الكبرى. فهل يتصوّر مسلم صيرورة مَن توعّده الله بالعقوبة ـ الملعون لله ولخاتم رسله وكلّ نبيّ مُجاب، الذي لم يدخل في قلبه إيمان ـ مسلماً، فكيف يعقل صيرورته خليفة المسلمين؟!

فما ندري ما الموجب لهذه الغفلة الغريبة عن آيات الفرقان العظيم، وعن السنن المتضافرة، التي دلّت على عدم إيمان مَن لم يحبّ أهل البيت، وعلى أنّ مؤذيهم مؤذٍ لله ورسوله، المعدّ له أليم العقاب ومهينه، والذين المستحل منهم ما حرّمه الله ملعون لله ولرسوله ولكلّ نبيّ مُجاب.

وهل يرضى مَن يُؤمن بالله وبرسوله وبالمعاد، بأن يزعم بإيمان مَن هذه طاماته؟!

فبأيّ وجه يلقى الله، مَن جعل شرّ الظلمة ـ بهتكه حرمة الله، وحرمة رسوله، وحرمة سادة عترته ـ مسلماً وخليفة على المسلمين؟!

ما ندري ما نقول في شيء ينزّه الغفلة عن ذلك، وقد صدر عن جماعة يقال في حقّهم: فحول، بل هم في معرفة الشريعة يدّعون نقّاد المنقول.

نعم، لقائل القول في حقّهم: حشرهم الله محشر يزيد؛ لكون زيادة حبّهم له دعتهم إلى جعله مسلماً وخليفة على المسلمين، والمحبّ ـ على ما مرّ ـ يحشر في زمرة محبوبه.

[قول البعض بأنّ الحسين عليه السلام ألقى نفسه في التهلكة]

ثمّ في المقام أُعجوبة، ليست دون ما مرّ في الشناعة على مبدعها، وهي: زعم بعضهم بأنّ الحسين عليه السلام ملقٍ بنفسه إلى التهلكة؟!

فيالله!! العجب من صدور مثل هذه المدهشات، من قوم لهم اليد الطولى في معرفة صُحف التفاسير والحديث والسِير وغير ذلك.

فكيف جاز لهم التفوّه بهذه البدعة العظيمة، والفرية الوخيمة، وهم عالمون بما تقدّم نقله من السنن الصحيحة، المعروفة لدى مشاهير الحفظة، المودعة في صحفهم المعتمدة، وجميعها قد دلّ على رفعة قدر الحسين وعظمة شأنه.

فهل يتصوّر في حقّه إلقاؤه بنفسه إلى التهلكة؟! وهو سيّد شباب أهل الجنّة، مَن لم يحبّه لم يدخل في قلبه إيمان، مَن طهّره الله من الرجس، مَن قرنه الله سبحانه مع خاتم رسله في صلاته وصلاة الملائكة عليه، إلى غيرها ممّا مرّ من آيات الفرقان ومن السنن.

فحقّ القائل في المقام القول: بأنّ مَن حارب الحسين، ومَن عاون على حربه وقتله، وقتل ولده وسائر قومه وصحبه، ملقون نفوسهم إلى التهلكة العظمى، من حيث محاربتهم لمن المؤذي لهم مؤذٍ لله ولرسوله، والمستحلّ قتالهم ملعون لله ولرسوله، ولسائر النبيّين المجابة دعوتهم.

بل ليلفت القارىء نظره، إلى خصوص السنّة، التي دلّت على أنّ مَن لم

يحبّ مؤمني بني هاشم لم يدخل في قلبه إيمان، فإنّه حينئذٍ يرى هلكة مَن قتلهم، وفعل بهم ما نبّهنا عليه، ممّا دلّ على شدّة بغضهم لهم.

وحسبَ الغافل تنبيهاً على هلكة مَن فعل هذه الموجعات المفجعات بعترة خير البريّات، ما مرّ من خبر الثقلين، الذي دلّ على هلكة مَن تقدّم على العترة، وهلكة مَن تأخّر عنهم ولم يتابعهم[1]. فما حال مَن قتلهم، وفعل بهم ما يذيب الصخور، فما حال القلوب؟!

ولو قطعنا النظر عن عامّة ما مرّ، فالغافل ينتبه من غفلته، ويعرف الحقّ من جليّ حجته، من الخبر الذي صحّحه الحاكم، وصحّحه الذهبيّ في تلخيصه، وقال: هو على ما شرط مسلم، وصحّحه غيرهما مرفوعاً: «إنّ الله أوحى إلى خاتم الرسل صلى الله عليه وآله يقول: إنّي قتلتُ بيحيى بن زكريا سبعين ألفاً، وسأقتل بابن ابنتك سبعين ألفاً وسبعين ألفاً»[2].

فهل مَن هذه رفعة شأنه عند الله إلى هذه الدرجة، يقال في حقّه بأنّه مُلقٍ بنفسه إلى التهلكة؟! فليلتفت الغافل إلى ما نبّهناه عليه من الحقّ الذي يجب متابعته، وليحمد الله سبحانه على توفيقه له إلى معرفة الحقّ عن دليله.

---

(١) روى الشيخ الكليني في الكافي ١: ٢٨٦ حديث ١ باب «ما نصّ الله ورسوله على الأئمّة عليهم السلام واحداً واحداً»، قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «من كنت مولاه فعليّ مولاه، أُوصيكم بكتاب الله وأهل بيتي، فإني سألت الله عزّ وجلّ أن لا يفرّق بينهما حتّى يوردهما عليّ الحوض، فأعطاني ذلك. وقال: لا تعلّموهم فهم أعلم منكم. وقال: إنّهم لن يخرجوكم من باب هدى، ولن يدخلوكم في باب ضلالة».

(٢) المستدرك على الصحيحين ٣: ١٧٩ باب «استشهد الحسين يوم الجمعة يوم عاشوراء»، تلخيص المستدرك بهامشه ٣: ١٧٨ وفيه: هذا حديث نظيف الإسناد مُنكر اللفظ.

[قول البعض بأنّ الحسينعليه السلام قتل بسيف جدّه]

وممّا بيّناه تبيّن فساد ما زعمه بعض البُله، عادمي الشعور، الذين ليس لهم حاسّة التميّز بين الظل والحرور، بقولهم بأنّ الحسينعليه السلام قُتل بسيف جدّهصلى الله عليه وآله؛ لما عرفته من أنّ قتله كان بسيف الشيطان، بأيدي مَن لم يدخل في قلوبهم إيمان، وهم آل أبي سفيان وشيعتهم الوغد الطغام.

فإن فُرض وجود بقيّة في العالم من هذه الفرقة، فعليهم بالنظر إلى ما كشفناه لهم من الحقّ، في هذه الرسالة المختصرة، فإن تدبّروه بعين البصيرة فقد يزول البُله عنهم، ويرفضون ما هم عليه من خبيث السخافة، ويتّبعون الحقّ، وينجون بفضل الله من شرّ وسوسة الشيطان.

فظهر من البيانات السالفة، التي قامت عليها ضرورة عموم المسلمين، وأهل الخبرة والعلم من سائر الناس، أنّ الحسينعليه السلام قد بذل جميع ما عنده: من نفسه، وولده، وصفوة قومه، والخيرة من صحبه، ونسائه، وصبيانه، فسلمهن إلى السبي، وسلّمهم إلى التأسير، وسلّم ماله إلى النهب.

ونظر بعينه إلى مَن يعزّ عليه قد غيّر وجوههم حرّ الظمأ، ثم نظر إليهم مُبضّعين بالسيوف، مضرّجين بدمائهم على الترب، تصهرهم الشمس.

إلى غير هذه من الموجعات المقرحة للقلوب، المضرمة للحشى بنار الكروب، مثل نظره إلى نسائه، وصبيته قد حرق الظمأ قلوبهن وقلوبهم، ونار

الحزن على قومهن تلظى في قلوبهن، وخوف السبي قد ظهر عليهن، ودموعهن جارية ممّا جرى عليهن من هذه الصدمات المفجعات وغيرها، فصبرَ على ذلك جميعه وغيره، ورضى به في سبيل تشييده للدين وترويجه ونصرة منه لله.

فليُلفت نظره القارىء إلى هذه البليّات والصدمات، التي لم يتفق ورود جميعها في العالم على رسول من رسل الله العظام، فإنّه يرى ـ بعين البصيرة ـ درجة الحسين عليه السلام في مقام نصرة الدين في غاية العظمة، لبذله شؤونه جميعها في ترويجه، ورضاه بجميع الصدمات التي لم ترد على غيره.

فلم تبق مصيبة وبليّة يتصوّر صدورها من العدى على من عادوه، لم تصدر عليه، بأشجى وجه وبأشدّ لوعة. فثبت لها عليه السلام بالصبر الجميل، وبالرضى بما قدّره عليه الربّ الجليل.

ولو لم يرض بذلك، لصدرت منه البيعة ليزيد، فهو قد آثر عليه السلام رضى ربّ العالمين، في بذله عامة شؤونه في سبيل تشييد الدين.

وحينئذٍ فيتوجّه له القول: بأنّ الله سبحانه، بالنظر إلى عظمة فضله على العباد، وسعة رحمته عليهم، وتلطّفه عليهم بالجزيل في قبال القليل، بالتفضل بجزيل ما عنده، الذي ليس له نهاية على مَن بذل عامّة ما عنده من الشؤون وما تحت يده، حتّى نفسه، وسائر ما يتعلّق بها من: ولده، وقومه، وعياله، وصحبه، وماله في سبيل رضاه سبحانه، مقابلة منه سبحانه للحسين عليه السلام بالمثل.

ولو كان فضله سبحانه عديم المثيل، فالذي ـ جلّ شأنه ـ يضاعف الحبّة المبذولة في سبيله إلى سبعمائة ضعف وزيادة، حقّه بذل جزيل ما عنده الغير

المنتهي إلى نهاية، لمن قد بذل عامّة ما عنده، وما تحت يد تصرّفه، وما يتعلّق به من بعد بذله نفسه، وما تعلّق بها في سبيل نصرته سبحانه.

[أجر من حزن وبكى على الحسين عليه السلام]

وقد تفضّل سبحانه على الحسين عليه السلام، بما قد ورد في شريعته المقدّسة، من المثوبات الغير المتناهية في حقّ مَن حزن على الحسين، ومَن بكى عليه، ومَن تباكى، ومَن قال بيت شعر في مرثيته فبكى أو أبكى غيره، فقد وعد سبحانه مَن فعل شيئاً من هذه على الحسين، الخلود في الجنّة التي نعيمها لن يفنى[1].

وحسبَ المسلم في معرفة عظمة فضل الله سبحانه على الحسين عليه السلام، ما في مناقب[2] إمام أهل السنّة أحمد بن حنبل، حيث روى بإسناده عن الحسين عليه السلام أنّه قال: «من بكى علينا، فخرجت من عينه دمعة، أو قطرت قطرة، بوّأه الله الجنّة»[3]، نقله عنه في «ذخائر العقبى»[4].

---

(١) انظر كامل الزيارات لابن قولويه: ٢٠١ ـ ٢١٢ باب ٣٢ و ٣٣.

(٢) وهو كتاب «فضائل الصحابة» الذي يعبّر عنه كثيراً بـ«المناقب».

(٣) فضائل الصحابة ٢: ٦٧٥ ـ ٦٧٦ حديث ١١٥٤، وفيه: عن الربيع بن منذر، عن أبيه، قال: كان حسين بن علي يقول: «مَن دمعتا ـ كذا ـ عيناه دمعة أو قطرت عيناه قطرة فينا أثواه الله عزّ وجلّ الجنة».

(٤) ذخائر العقبى في مناقب القربى: ٥٢ الباب الخامس «في فضل أهل البيت عليهم السلام»، فصل «ذكر ما لمن توجّع لهم». وهذا الكتاب لأحمد بن محمّد الطبريّ المكيّ (ت ٦٩٤ هـ).

ومنه تعلم درجات فضل مَن بكى عليه، وبذل شيئاً من ماله في مآتمه، ومَن تحمّل مشقّة السفر وطوى الفيافي والجبال، وبذل المال في سبيل زيارته، ومَن بكى ولطم وجهه وصدره حزناً عليه، ومَن عاون بنفسه وماله ذريّته حبّاً له، ومَن روى العطاشى من ماله في سبيل محبّته، إلى غير هذه من الشؤونات المبنيّة على حبّ فاعلها له.

وقد ورد من طرق الشيعة، بيان جملة من المثوبات العظيمة، على القيام بالوظائف المتعلّقة بالحسين عليه السلام، ليس المقام محلّ التعرّض لها، فمن يرد معرفتها فعليه بالنظر إلى عاشر «البحار»[1] وغيره.

ومَن دقّق النظر في ما بيّناه، وجد أنّ القطرة من العين، حزناً على الحسين عليه السلام، من حيث هي قطرة دمع، غير موجبة لهذه المثوبة العظمى، بل مَن نظر بعين البصيرة، يجدها برهاناً جلياً، على أنّ ذلك لما قد حزن في القلب من الدرّة اليتيمة، وهي محبّة الحسين عليه السلام، المستلزمة لمحبّة جدّه وأبيه وأُمّه وأخيه، وسائر قومه وبنيه، وقد عرفت في ما مضى حشر المحبّ مع محبوبه.

وحينئذٍ، فيتسنّى لنا القول: بأنّ عامّة ما يصدر من الناس، ممّا يدلّ على هذه المحبّة الشريفة، موجب للحشر في زمرة صفوة الله من خلقه.

وما يصدر منهم، ممّا يدلّ على عدم وجود هذه المحبّة في قلب فاعل ذلك، فهو موجب للحشر في زمرة مَن لم يدخل في قلوبهم إيمان، وهم مثل آل أبي سفيان، ومَن تابعهم على قتل صفوة عباد الرحمن.

فإظهار الحزن عليه، بلطم الوجوه والرؤوس والصدور وغيرها، من

---

(١) انظر المجلّد ٤٥ من بحار الأنوار.

سمات الحزن الغير المنهي عنها شرعاً، حاله حال قطرة الـدمع، وسـيأتي التنبيـه على ذلك، ومن الله التوفيق.

المقصد الثالث

في بيان ما يلزم محبّي خاتم الرسل ومحبّي عترته

المقصد الثالث

في بيان ما يلزم محبّي خاتم الرسلﷺ، ومحبّي عترته، من شؤون التعظيم والتوقير له ولهم، التي هي سمات المحبّة وخصائصها، فمن لم يقم بها فليس بمحبّ البتة.

ومن المعلومات البيّنات، التي هي من جملة الضروريّات الجارية عليها سيرة ذوي العقول المستقيمة، وأرباب الفطرة المقدّسة السليمة، وقد ندبت إليه ملل الحقّ، تعظيم وتوقير وتجليل ذوي الفضل والشرف من الخلق، خصوصاً الدعاة منهم إلى سبيل الحقّ.

ولذلك نوّه سبحانه بتعظيمهم وتجليلهم وتوقيرهم في فرقانه العظيم، فصلّى سبحانه هو وملائكته على عصبة منهم، وسلّم على عصبة، وجعل صلاته وبركاته على عصبة، وتفضّل على عصبة بقبول الطاعات، وبالرضى على عصبة، وترحّم على عصبة بأُجور مالها من حساب.

إلى غير هذه، من تنويهات الله سبحانه بالخيرة من عباده، مثل وصفه لهم بقوله: ﴿**وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا**﴾[1].

---

(١) الأنبياء (٢١): ٧٣.

وقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[١].

وقوله: ﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾[٢].

منوّهاً بزيادة شرفه بعظم خلقه، وبوجوب متابعة الخلق له. فتجليل وتعظيم مَن لهم على الناس حقّ التعليم، أولى من تعظيم مَن ليس له هذه المنزلة العظيمة، فإنّهم هم القائدون لهم إلى الفوز بجنّات النعيم. وهو حقّ عظيم جسيم، يستلزم تمجيد أهله بأسمى شؤون التعظيم.

ولقد مجدّهم سبحانه بقوله: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾[٣]، أي مَن نجّاها من العمى إلى الهدى.

وقال صلى الله عليه وآله لعليّ، لما بعثه إلى حصن خيبر ـ ما معناه ـ: لئن يهد الله بك نفساً فهو خير لك من حمر النعم[٤].

إلى غيره ممّا يضيق المقام وغيره عن حصره، فكيف بتعظيم مَن قد هدى الخلق إلى سبيل الحقّ بعامة ما عنده من الشؤون، وصبر على عجائب المفجعات والشجون، وتحمّل ما لم يتفق تحمّل مثله لغيره، رضىً منه بما قدّره الله عليه، ترويجاً منه للدين الحنيف، فإنّه يستحقّ من عامة المسلمين غاية التعظيم من جهات:

---

(١) القلم (٦٨): ٤.

(٢) الحشر (٥٩): ٧.

(٣) المائدة (٥): ٣٢.

(٤) في مستدرك وسائل الشيعة ١٢: ٢٤١ حديث ١٣٩٩٩، نقلاً عن مصباح الشريعة: ٥٣٥: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: «لئن يهد الله بك [على يديك] عبداً من عباده، خير لك ممّا طلعت عليه الشمس من مشارقها ومغاربها».

[وسائل تعظيم الإمام الحسين عليه السلام: نشر خصاله الحميدة وفعاله السديدة]

منها: تعظيمهم له بنشر خصاله الحميدة وفعاله السديدة: من علمه، وحلمه، وصبره، وفتوّته، وحميّته، وغيرته على الدين، وعظيم شجاعته، وجميل موقفه في ذلك الموقف المدهش، وحسن رضاه بما قدّره الله عليه، ومحاسن سيرته، وجليل جوده، وبذله عامّة شؤونه في سبيل ربّه.

فيعرفه الناس حقّ المعرفة، فتميل طباعهم إلى محبّته، وتهشّ نفوسهم إلى التحلّي بمحاسن سيرته، ويرون صغر مصائبهم في جنب مصيبته، فيهتدون إلى الصبر عليها من جميل صبره، وإلى بذل ما يعزّ بذله عليهم في نصرة الدين، بعد نظرهم إلى بذله جميع شؤونه.

ففي نشر محاسنه بعد وفاته، رشد للناس إلى متابعته عليها في نصرة الدين، فيصير مروّجاً لدين الحقّ في حياته وبعد وفاته. فبيان محاسن سيرته، وصبره، وجميل موقفه العظيم، طبّ عظيم للغافلين، ورشد إلى الحقّ للجاهلين.

فعلى محبّيه، مروّجي الدين، ترتيب محافل وسيعة وجمع الناس فيها، وتعيين العارف بمحامد خصاله عليه السلام؛ ليصعد المنبر ويبيّنها للناس، ويعظهم بها، ويحثّهم على التخلّق بها، قال سبحانه ﴿**وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى**

الْقُلُوبِ﴾[1].

ومعلوم أنّ ما نبّهنا عليه من باب تعظيم معالم الدين، ومن باب رشد الخلق إلى الحقّ المبين، ومن باب المعاونة على البرّ والتقوى، وهو الندب على الميّت المعلوم الرجحان.

فإنّه عليه السلام لم يجد بما قد جاد به، من عظيم النفائس العديمة النظير لغير تشييد الدين، وقد شيّده حال حياته، وسنَّ سنّة حسنة يشيد بها بعد وفاته، وهي جريان محبّيه على بيان جميل صفاته وفعاله إلى يوم القيامة؛ ليقتدي الخلق به في التحلّي بما يرضي الله سبحانه عليهم من خير الخصال وجميل الفعال.

---

(١) الحجّ (٢٢): ٣٠.

[جعل يوم ولادة الإمام الحسين عليه السلام عيداً]

ومنها: تعظيمهم له بجعل يوم تولّده مثل يوم تولّد جدّه، ويوم تولّد أبيه وأُمّه وأخيه وسائر العترة من بنيه، يوم عيد وسرور من حيث تولّدهم فيه، وهم نور الله ورحمته ونعمته على عباده، ومن المعلوم حصول السرور بمن هم نور الله ورحمته ونعمته على عباده.

فعلى محبّيهم التظاهر بالسرور في أيام تولّدهم، ومعاملة ذلك اليوم معاملة العيد، من نشر الشكر فيه لله سبحانه على هذه النعمة في ذلك اليوم، من بذل ما يلزم العيد للمؤمنين فيه، من الطيب والحلويّات والطعام وغيرها، وزيارة المؤمنين بعضهم بعضاً، وتبارك بعضهم لبعض بمن قد ولد من صفوة الله من خلقه.

وهذه سيرة المحبّين بالنسبة إلى محبوبهم، ولقد جرت سيرة عموم الخلق على جعل يوم تولّد عظمائهم يوم عيد وسرور، ويهيّئون لهم مجالس عظيمة، يتظاهرون فيها بالسرور، ويبذلون فيها المال الخطير.

ولم يرد في الشريعة، ما يشير إلى المنع من هذه السيرة في حق أعاظم المسلمين، فتعظيمهم من هذه الوجهة تعظيم لله سبحانه، فإنّ من عظّم وليّ الله وناصر دينه، فقد عظّم الله سبحانه من دون ريب.

[جعل يوم شهادة الإمام الحسينعليه السلام يوم حزن وعويل]

ومنها: تعظيمهم له بجعل يوم شهادته، وتحمّله تلك المصائب العظيمة والمفجعات المدهشة الجسيمة، يوم حزن وعويل وكآبة وضجة وعجة، بإظهار الشجون، وجريان العيون على سيّد المظلومين وأعظم المصابين، وقدوة المجاهدين في سبيل ربّ العالمين.

ولو تدبّر القارىء، عزيز ما بذله في نصرة الدين، وعظيم ما تحمّله وصبر عليه، من صدمات المنافقين، وجسيم ما تألّم منه وتأذّى من المفجعات، التي هي بنار الوجد للحشى محرقات، لما فارق الحزن مدّة الحياة عليه، وللطم وجهه وصدره، ولحثى الترب على هامته ووجهه ولحيته، تأسفاً عليه، وتأسياً بجدّه المصطفىصلى الله عليه وآله، لما نقله الترمذي في سننه عن أُم سلمة أُم المؤمنين، من رؤيتها له في المنام باكياً والترب برأسه ولحيته، فسألته عن ذلك، فقال: «قتل الحسين آنفاً»[1].

وعن ابن عباس مثله في المعنى[2]، فعيّن ذلك اليوم، فوجدوه قد قُتل فيه.

---

(١) سنن الترمذي ٧: ٣١٢ حديث ٣٧٧١، كتاب المناقب، بسند عن سلمى قالت: دخلتُ على أُمّ سلمة وهي تبكي، فقلت: ما يبكيك؟ قالت: رأيتُ رسول اللهصلى الله عليه وآله ـ تعني في المنام ـ وعلى رأسه ولحيته التراب، فقلت: ما لك يا رسول الله؟ قال: «شهدتُ قتل الحسين آنفاً».

(٢) في بحار الأنوار ٤٥: ٢٣٠ عن أمالي الشيخ الصدوق: ٢٩ حديث ١، بسنده عن ابن عباس، ←

قال: بينا أنا راقد في منزلي، إذ سمعت صُراخاً عظيماً عالياً من بيت أُمّ سلمة زوج النبيّ صلى الله عليه وآله، فخرجت يتوجّه بي قائدي إلى منزلها، وأقبل أهل المدينة إليها الرجال والنساء.

فلمّا انتهيت إليها قلت: يا أُمّ المؤمنين ما لك تصرخين وتغوثين؟

فلم تجبني وأقبلت على النسوة الهاشميات، وقالت: يا بنات عبد المطّلب أسعدنني وأبكين معي، فقد قُتل والله سيّدكنّ وسيّد شباب أهل الجنّة، قد والله قُتل سبط رسول الله وريحانته الحسين.

فقلتُ: يا أُمّ المؤمنين، ومن أين علمت ذلك؟

قالت: رأيتُ رسول الله في المنام السّاعة شَعِثا مذعوراً، فسألته عن شأنه ذلك، فقال: «قتل ابني الحسين عليه السلام وأهل بيته اليوم، فدفنتهم، والسّاعة فرغت من دفنهم».

قالت: فقمتُ حتّى دخلت البيت وأنا لا أكاد أن أعقل، فنظرتُ فإذا بتربة الحسين التي أتى بها جبرئيل من كربلا، فقال: «إذا صارت هذه التربة دماً فقد قتل ابنك» وأعطانيها النبيّ، فقال: «اجعلي هذه التربة في زجاجة أوقال في قارورة ولتكن عندك، فإذا صارت دماً عبيطاً فقد قتل الحسين». فرأيت القارورة الآن وقد صارت دماً عبيطاً تفور.

قال: فأخذت أُمُّ سلمة من ذلك الدَّم فلطخّت به وجهها، وجعلت ذلك اليوم مأتماً ومناحة على الحسين عليه السلام، فجاءت الركبان بخبره، وأنّه قُتل في ذلك اليوم.

قال عمرو بن ثابت: إنّي دخلتُ على أبي جعفر محمّد بن عليّ منزله، فسألته عن هذا الحديث وذكرت له رواية سعيد بن جبير هذا الحديث عن عبد الله بن عباس، فقال أبو جعفر عليه السلام: «حدّثنيه عمر بن أبي سلمة عن أُمّه أُمّ سلمة».

قال ابن عباس في رواية سعيد بن جبير عنه، قال: فلمّا كانت اللّيلة القابلة رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وآله في منامي أغبر أشعث، فذكرت له ذلك، وسألته عن شأنه فقال لي: «ألم تعلم أنّي فرغت من دفن الحسين وأصحابه».

قال عمرو بن أبي المقدام: فحدَّثني سدير، عن أبي جعفر عليه السلام: «أنّ جبرئيل جاء إلى النبيّ صلى الله عليه وآله بالتربة التي يقتل عليها الحسين عليه السلام»، قال أبو جعفر عليه السلام: «فهي عندنا».

ويهتدي المسلم إلى عظمة مصيبته، وشدّة تأثيرها في العالم، إلى ما ليس يحوطه بيان، ويقصر عن تقرير فجعتها اللسان، بما ظهر يوم قتله وبعده من سمات عظمة غضب الرحمان على قتلته، وقتلة قومه وصحبه، بأشرّ ما يتصوّر من القتل على آل أبي سفيان.

فإنّ سماءه قد بكت عليه دماً عبيطاً، واسودّت بأعظم ما يتصوّر، وبقيت ثلاثة أيام مظلمة، وكُسفت الشمس، وضَربت النجوم بعضها ببعض، وما رُفع حجر ذلك اليوم إلّا ووجد تحته دم جديد، وبقي أثر الدم على الثياب حتّى تقطّعت، والمياه التي كانت في الحباب وغيرها صارت دماً ذلك اليوم، وقد وقع مثل مطر الدم على الحيطان والبيوت في خراسان والكوفة والشام.

ولما جيء بكريم الحسين عليه السلام إلى قصر عبيد الله بن مرجانة، سالت حيطانه دماً، وأنّ الشمس كانت سبعة أيام بعد قتله تُرى على الحيطان ـ من شدّة حمرها ـ كأنّها فرش ولحف معصفرة، ومن يوم قتله ظهرت هذه الحمرة التي في سمائه، وهي باقية إلى اليوم، ولم تكن قبل يوم قتله.

قال عبد الرحمن ابن الجوزي: «إنّ غضبنا يؤثّر حمرة في وجوهنا، والله سبحانه منزّه عن الجسميّة، فأثر غضبه هذه الحمرة»[١]. انتهى.

نقله بالمعنى عن جماعة من مشاهير أهل العلم من أهل السنّة، مثل شهاب الدين أحمد بن حجر[٢] وغيره.

---

(١) في روح البيان في تفسير القرآن، لإسماعيل حقّي الجلوتي (ت ١١٣٧ هـ) ٢: ٩٥: «إنّ غضبنا يؤثّر في حمرة الوجه، والحقّ منزّه عن الجسميّة، فأظهر تأثير غضبه على من قتل الحسين بحمرة الأُفق؛ إظهاراً لعظيم الجناية».

(٢) الصواعق المحرقة: ١٧١.

فليلفت المحبّ لله ولرسوله ولعترته، نظرة إلى هذه النبذة، دون غيرها ممّا هو من بابها، وليتدبّر في معانيها بعين البصيرة، فإنّه يرى يقيناً باتاً بأنّ مصيبة الحسين عليه السلام ما مثلها مصيبة مفجعة، ولم يصدر في العالم مثلها صدمة موجعة؛ لعدم حدوث ما سمعت في العالم بقتل رسول من رسل الله العظام.

فإذ ثبت عظمها إلى هذه الدرجة، وعلم تعظيم الله سبحانه لها، بجعل العالم بأجمعه حزيناً كئيباً متغيّر الحال ـ حسبما سمعته من جهتها ـ لزم محبّيه ومحبّي جدّه وأبيه واُمّه وأخيه، التظاهر بضروب سمات الحزن عليه إلى يوم القيامة، متابعة لحزن سمائه عليه بهذه الحمرة، وعظم المصاب وعظم المصيبة قاضيان بعظم الحزن.

وقد عرفت غالب سمات الحزن عليه، والغضب على ظالميه، فيلزم التأسّي بذلك.

ويُرشد إلى عظمة عناية الله سبحانه بالحسين عليه السلام ـ مضافاً إلى ما مرّ ـ ما ثبت من عقوباته الفادحة لمن قتله، ولمن عاون على قتله، ولمن رضى بقتله: إمّا بالقتل، وإمّا بتسويد الوجه، وإمّا بإذهاب الملك في مدّة يسيرة، نقله شهاب الدين وغيره عن الزهريّ.

وعن أبي الشيخ: «إنّه جرى بين جماعة ذكرُ انتقام الله سبحانه ممّن عاون على قتل الحسين عليه السلام، بالبليّات المخزية قبل الموت، فقال شيخ بأنّه ممّن عاون على قتله، ولم يصبه شيء من ذلك، ثمّ قام ليصلح المصباح فأخذته النار، فجعل ينادي: النار النار، ورمى بنفسه في النهر، فلم يزل يحترق حتّى مات لعنه الله سبحانه.

وعن منصور بن عمّار، قال: إنّ بعضهم ابتُلي بالعطش، فكان يشرب القرب فلم تروه، وبعضهم طال ذكره فكان يلويه على عنقه عند ركوبه الفرس، وبعضهم بالعمى، وبعضهم بالمسخ بالخنزير»[1]، إلى غير هذه ممّا نقله نقّاد المنقول.

«وقد روى الترمذي[2] ـ وصحّحه ـ: أنّه لما جيء برؤوس ابن مرجانة وصحبه، جاءت حيّة فتخلّلت الرؤوس، فدخلت في منخر ابن مرجانة، فمكثت هنيئة ثمّ خرجت، ثمّ فعلت ذلك مرّتين أو ثلاثاً.

وقد قتلَ المختار ابن أبي عبيد قتلةَ الحسين عليه السلام بأقبح ما يتصوّر من القتل، وخصّ شمرَ بن ذي الجوشن بمزيد نكال، فأوطأ الخيل صدره وظهره؛ لفعله ذلك بالحسين، فشكر الناس ذلك للمختار» قاله شهاب الدين أحمد ابن حجر وغيره[3].

وممّا مرّ نقله ممّا دلّ على عظمة عناية الله سبحانه بالحسين، بإظهاره سمات الحزن عليه من سمائه وما فيها، ومن أرضه وما عليها، وبانتقاماته المخزية من ظالميه، تبيّن فساد توهّم بعضُ الغفلة عن حقيقة الحال، في زعمهم بأنّ جدّ الحسين صلى الله عليه وآله أفضل من الحسين بدرجات، فيلزم على الشيعة جعل يوم فقده في الحزن بأقسامه، أعظم من الحزن على سبطه الحسين.

---

(١) الصواعق المحرقة: ١٧٢ .

(٢) سنن الترمذي، باب المناقب ٥: ٦٦٠ حديث ٣٧٨٠، قال عنه «حسن صحيح»، الكامل في التاريخ ٣: ٨، سير أعلام النبلاء ٣: ٥٤٩، قال: «صحيح».

(٣) الصواعق المحرقة: ١٧٤ ـ ١٧٥ .

وذلك بأن نقول لهم: بأنّ الشيعة إنّما تفعل ذلك بأعظم ما يتصوّر في حقّ الحسين، من حيث شدّة مظلوميّته، وعظم الصدمات التي وردت عليه، التي لم يرد مثلها على غيره من صفوة الخلق، فليس فعلهم ذلك حزناً عليه من حيث الفضل فقط.

ويشهد لهم ما مرّ نقله: من ظهور سمات الحزن عليه، وآيات غضب الله على ظالميه ـ ما لم يظهر يوم موت خاتم الرسل صلى الله عليه وآله ـ ومن انتقام الله سبحانه من ظالميه، ما لم ينتقم من ظالمي غيره.

وقد أبقى سبحانه آيةً من آيات الحزن عليه والغضب على ظالميه، إلى اليوم وما بعد اليوم، وهي الحمرة السماويّة، ولم تكن قبل يوم قتله، فأبقاها سبحانه؛ ليعلم الناس بعظمة مصيبته، فيشتغلون بالحزن عليه، ويجعلون مصائبه نصب أعينهم بدون نسيان لها منهم.

كما أنّ هذه الحمرة ـ التي هي من سمات حزن سمائها عليه ـ نصب أعينهم، فيحقّ عليهم النياحة والندب والنحيب والعويل والعجيج والضجيج، كلّما ينظرون إلى هذه الحمرة، لذكرهم بها مصائبه العظيمة، وصدماته الجسيمة المفتّتة للصخور، فكيف بالقلوب؟!

ولعظمة مصيبته، ورد أنّ أُمّ سلمة أُمّ المؤمنين بكت عليه حتّى غشي عليها، وأنّ الجنّ ناحت عليه، ولم يرد أنّها بكت على جدّه حتّى غشي عليها، وأنّ الجن ناحت عليه. نقل ذلك شهاب الدين أحمد بن حجر[1] وغيره.

---

(١) الصواعق المحرقة: ١٧٠.

وورد من طُرق أهل البيتعليهم السلام: «أنّ الفاطميّات لطمن الوجوه وشققن الجيوب حزناً عليه»[١]، ولم يرد مثل ذلك من الهاشميّات على خير البريّات.

ولقد بكاه خاتم الرسلصلى الله عليه وآله، قبل يوم قتله بما يزيد على خمسين سنة بإخبار جبرئيل له بقتله[٢]، وبكاه مَن الحقّ معه وهو مع الحق، ولمّا وصل إلى

(١) منها رواية خالد بن سدير عن الإمام الصادقعليه السلام أنّه قال: «لقد شققنَ الجيوب ولطمنَ الخدود الفاطميّات على الحسين بن عليعليهما السلام، وعلى مثله تُلطم الخدود وتُشقّ الجيوب».

انظر: تهذيب الأحكام ٨: ٣٢٥، حديث ١٢٠٧ .

(٢) كامل الزيارات: ١٢١ باب ١٦ «ما نزل به جبرئيلعليه السلام في الحسين بن علي انّه سيقتل» وفيه:

لما هبط جبرئيلعليه السلام على رسول اللهصلى الله عليه وآله بقتل الحسينعليه السلام، أخذ بيد عليّ فخلا به مليّاً من النهار، فغلبتهما العبرة ...».

وفيه أيضاً: ١٢٥:

دخلت فاطمةعليها السلام على رسول اللهصلى الله عليه وآله وعيناه تدمع، فسألته: ما لك؟

فقال: إنّ جبرئيلعليه السلام أخبرني أنّ أُمّتي تقتل حسيناً، فجزعت وشقّ عليها، فأخبرها بمن يملك من ولدها، فطابت نفسها وسكنت».

والمستدرك على الصحيحين ٤: ١٩ وفيه:

حدّثني سلمان قال: دخلت على أُمّ سلمة وهي تبكي، فقلتُ ما يبكيك؟

قالت: رأيت رسول اللهصلى الله عليه وآله في المنام يبكي وعلى رأسه ولحيته التراب، فقلت: ما لك يا رسول الله؟

قال: «شهدت قتل الحسين آنفاً».

ومسند أحمد ٣: ٢٤٢، ومجمع الزوائد ٩: ١٩٠، وصحيح ابن حبّان ١٥: ١٤٢، والمعجم الكبير للطبراني ٣: ١٠٦، وموارد الضمآن ٧: ١٩٨، والإكمال في أسماء الرجال: ١٧٢، واللفظ لمسند أحمد:

عن أنس بن مالك: أنّ ملك المطر استأذن ربّه أن يأتي النبيّصلى الله عليه وآله فأذن له، فقال لأُمّ سلمة: ⇙

أرض الطف عند مضيّه إلى صفين[١].

نقل ما دلّ عليه أرباب العلم بالمنقول، مثل شهاب الدين أحمد بن حجر[٢] وغيره.

«أملكي علينا الباب لا يدخل أحد».

قال: وجاء الحسين ليدخل فمنعته، فوثب فدخل، فجعل يقعد على ظهر النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وعلى منكبه وعلى عاتقه، قال: فقال الملك للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم: أتحبه؟

قال: «نعم».

قال: أما أنّ أُمّتك ستقتله، وإن شئت أريتك المكان الذي يقتل فيه، فضرب بيده فجاء بطينة حمراء فأخذتها أُمّ سلمة فصرّتها في خمارها.

قال: قال ثابت: بلغتها أنّها كربلاء.

(١) الإرشاد ١: ٣٣٢ وفيه:

عن جويرية بن مسهر العبدي، قال: لما توجّهنا مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام إلى صفّين، فبلغنا طفوف كربلاء، وقفعليه السلام ناحيةً من العسكر، ثمّ نظر يميناً وشمالاً واستعبر ثمّ قال: «هذا ـ والله ـ مُناخُ ركابهم وموضع منيّتهم».

فقيل له: يا أمير المؤمنين، ما هذا الموضع؟

قال: «هذا كربلاء، يقتل فيها قومٌ يدخلون الجنّة بغير حساب»، ثمّ سار.

فكان الناس لا يعرفون تأويل ما قال حتّى كان من أمر أبي عبد الله الحسين بن عليعليه السلام وأصحابه بالطفّ ما كان، فعرف حينئذ من سمع مقاله مصداق الخبر فيما أنبأهم به.

ومجمع الزوائد ٩: ١٩١ وفيه:

وعن أبي هريمة، قال: كنتُ مع عليّ رضي الله عنه بنهر كربلاء، فمرّ بشجرة تحتها بعر غزلان، فأخذ منه قبضة فشمّها، ثمّ قال: «يُحشر من هذا الظهر سبعون ألفاً، يدخلون الجنّة بغير حساب» رواه الطبرانيّ، ورجاله ثقات.

(٢) الصواعق المحرقة: ١٧٠.

وممّا بيّناه صار يومُ شهادته يومَ حزن وعويل عند عموم المسلمين، فإنّهم يجتمعون: إمّا في المساجد، وإمّا في غيرها من المجالس، ويتلون ما جرى منه ذلك اليوم ومن قومه وصحبه، وما جرى عليه وعليهم من البغاة الظلمة، فيحزنون ويبكون ويعولون؛ صلة منهم لرسول الله، وحباً منهم لعترته.

على الخصوص فرقة الشيعة منهم، من حيث حُسن تصوّرها لما مرّ من عظيم مصائبه، وتفرّده في القيام بهذه النصرة للدين، والصبر عليها.

ومن تصوّرها لحزن العالم بأجمعه عليه، صار حزنها عليه في غاية الشدّة طول السنة، ويعظم حزنها ويتضاعف في أيام مصيبته؛ تأسياً منهم بجدّه وأبيه وأُمّه وأخيه وسائر بنيه؛ لما رووه عنهم من عظمة حزنهم عليه في أيام شهادته وغيرها، عند ذكر مصائبه المشجية المفجعة، المؤلمة للقلوب.

وفّقنا الله وسائر المسلمين، للتأسّي في هذه المصيبة العظمى بخيرة عباده الصالحين، ورزقنا جميعاً ما قد تفضّل به من عظيم المثوبات على المحزونين فيها الباكين المعولين.

[بيان فضل الإمام الحسين عليه السلام وفضل أهل البيت عليهم السلام]

ومنها: تعظيمهم له ببيان ما هو صدق وما هو مظنون الصدق، ممّا روي في فضله وفضل سائر أهل البيت، وممّا قد جرى عليه من عظيم الصدمات من المردة البغاة، وما جرى منه في قبالهم من النصيحة لهم، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن. ومن حسن صبره على عظيم ظلمهم، ومن باهر شجاعته في دفعه لصيالهم عليه، وعلى مَن نصره وحامى عنه، فإنّ في هذه جميعها عبرة لمن يعتبر، وبصائر عظيمة لمن يستبصر.

ومَن ليس له لياقة لتمييز الصدق ومظنونه، من غيره في هذه الجهات وغيرها من المنقول، فعليه بأن يتعلّم ذلك من أهل المعرفة بالمنقول، وليس له نقل ما سمعه جميعه في الباب وغيره.

ولو وجده مرسوماً في كتاب، فإنّ جملة من الكتب ما بُنيت على تمييز جامعيها؛ لما نقلوه فيها بين ما يعتمد عليه وغيره، بل قد بُنيت على نقل مطلق ما روي من خبر مُرسل، وخبر معضل ومجهول وضعيف، وما هو عامّ لم يرد منه عمومه، وما هو مطلق قد خفي على ناقله مقيّده، وما هو ظاهر لم يقصد منه ظاهره، إلى غير هذه من الخصوصيّات التي هي شأن العالم بالمنقول معرفتها.

وقد تعدّى بعضُ الناس عن ملطق المنقول، فأخذ يفتري من نفسه بعض

ما يوجب هيجان المستمعين، ويعظّم حزنهم وعويلهم وزفيرهم؛ لتحصل منهم الضجّات العظيمة، فيعظم في نفوسهم ويصير مقدّماً على غيره من المعزّين عندهم، فتحصل له الوجاهة ويعظم صيته.

وهو في غفلة عن شدّة حرمة الكذب على الله وعلى رسوله وعلى عترته صلّى الله عليه وعليهم وسلّم، ولقد لعن الله سبحانه في فرقانه العظيم عامّة الكاذبين[1].

ولعظمة حرمة الكذب على المشار إليهم، ورد ما دلّ على أنّ مَن كذب على أحد منهم، وكان صائماً، فسد صومه[2].

وخبر «من بكى أو أبكى أو تباكى»[3] وما بمعناه، مختصّ بنقل ما هو

(١) آل عمران (٣): ٦١.

(٢) انظر: وسائل الشيعة ١٠: ٣٣ ـ ٣٥ باب ٢ من أبواب ما يمسك الصائم «باب وجوب إمساك الصائم عن الكذب على الله وعلى رسوله وعلى الأئمّة عليهم السلام».

(٣) الأمالي للشيخ الصدوق: ٢٠٥ وفيه:

عن أبي عمّارة المنشد، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: قال لي: «يا أبا عمارة، أنشدني في الحسين ابن عليّ عليه السلام».

قال: فأنشدته فبكى، ثمّ أنشدته فبكى، قال: فوالله مازلت أنشده ويبكي حتّى سمعت البكاء من الدار.

قال: فقال لي: «يا أبا عمراة، من أنشد في الحسين بن علي عليه السلام فأبكى خمسين فله الجنّة، ومن أنشد في الحسين شعراً فأبكى ثلاثين فله الجنّة، ومن أنشد في الحسين فأبكى عشرين فله الجنّة، ومن أنشد في الحسين فأبكى عشرة فله الجنّة، ومن أنشد في الحسين فأبكى واحداً فله الجنّة، ومن أنشد في الحسين فبكى فله الجنّة، ومن أنشد في الحسين فتباكى فله الجنّة».

⇦

صدق، دون معلوم الكذب، فإنّ الله سبحانه «لن يُطاع من حيث يعصى»[(١)]، وقد أمرونا بأن نصير زيناً لهم عليهم السلام، ونهونا عن أن نكون شيناً عليهم[(٢)]. والكذب عليهم مُزرٍ في حقّهم، فهو شين عليهم البتة.

فأين الكذب من قولهم «رحم الله من أحيى أمرنا»؟![(٣)] فهل تتصوّر

وفي ثواب الأعمال للصدوق: ١١١ وفيه:

عن أبي هارون المكفوف، قال: قال لي أبو عبد الله: «يا أبا هارون أنشدني في الحسين» فانشدته... فلمّا فرغت قال: «يا أبا هارون، من أنشد في الحسين عليه السلام شعراً فبكى وأبكى عشرة كتب لهم الجنّة، ومن أنشد في الحسين عليه السلام شعراً فبكى وأبكى خمسة كتب لهم الجنّة، ومن أنشد في الحسين عليه السلام فبكى وأبكى واحداً كتب لهما الجنّة، ومن ذكر الحسين عليه السلام عنده فخرج من عينيه مقدار جناح ذبابة كان ثوابه على الله عزّ وجلّ ولم يرضى له بدون الجنّة».

(١) في وقاية الأذهان: ٣٩٤ قال: مروي عنهم عليهم السلام، وفي الجواهر ٢٢: ٤٦، والقواعد الفقهيّة ١: ٢٦ : إنّه قول وليس حديثاً.

وفي معاني الأخبار للشيخ الصدوق: ٢٤٠، حديث ١، باب «معنى العبادة» فيه:

عن خيثمة بن عبد الرحمن الجعفي، قال: سأل عيسى بن عبد الله القميّ أبا عبد الله عليه السلام وأنا حاضر، فقال: ما العبادة؟ قال: «حسن النيّة بالطاعة من الوجه الذي يطاع منه».

(٢) في الكافي ٢: ٧٧ باب الورع، الحديث ٩ بسنده عن أبي أُسامة عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث له قال: «وكونوا زيناً ولا تكونوا شيناً».

وفيه أيضاً ٢: ٢١٩ باب التقيّة، الحديث ١١ بسنده عن هشام الكندي عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث له قال: «كونوا لمن انقطعتم إليه زيناً ولا تكونوا عليه شيناً».

وفي الفقه المنسوب للإمام الرضا عليه السلام: ٣٥٦ حديث ٩٥ وعنه في مستدرك الوسائل ٨: ٣١٤ الحديث ١٣ عن الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال: «كونوا لنا زيناً ولا تكونوا شيناً».

(٣) وهي رواية الفضيل بن يسار، قال له الإمام الصادق عليه السلام: «تجلسون وتتحدّثون»؟

رحمة في الكذب عليهم؟! وقد عرفت شدّته في حقّهم.

وهل يتصوّر حبّهم للمجالس التي يكذب فيها عليهم؟!

فليتق الله مَن سوّل له الشيطان الكذب عليهم:

إمّا ليعظم سرور الغفلة من محبّيهم، بما قد وصفهم به من الفضل، الذي هو كذب في حقّهم، وهم بريئون منه.

وإمّا ليعظم حزنهم وعويلهم وزفيرهم، فيعظم حينئذٍ في نفوسهم، ويصير مطلوباً عندهم محترماً وجيهاً، فيحصل له ما يؤمله من هذه الدنيا الدنيّة الفانية.

أما علم سخيف العقل ضعيف اليقين، بأنّ ما كان لله ينميّه الله سبحانه؟! فلنفرض حصول وجاهة له في الدنيا عند الغفلة عن الحقيقة، فهل يتصوّر حصول وجاهة له عند الله، وعند مَن كذب عليهم يوم القيمة؟! أما بلغه لعنهم من يستأكل بهم الناس؟! نعوذ بالله من شر متابعة الهوى.

قال: نعم جُعلت فداك.

فقال عليه السلام: «إنّ تلك المجالس اُحبّها، فأحيوا أمرنا يا فضيل، فرحم الله من أحيى أمرنا».

انظر: قرب الإسناد: ٣٦ حديث ١١٧، ثواب الأعمال: ١٨٨ ثواب من ذكر عنده أهل بيت النبيّ عليهم السلام، وذكر نحوه.

[لعن ظالمي الإمام الحسين عليه السلام]

ومنها: تعظيمهم لله ولرسوله وعترته صلى الله عليه وآله، بالتظاهر بلعن مَن ظلم الحسين وسائر العترة، والتبرّي منهم طاعة لله ولرسوله، وجرياً على ما سنّه الله ورسوله.

فلقد لعن الله سبحانه في فرقانه العظيم الظالمين، وذمّهم، وتوعّدهم بعقوباته[1].

وجرى على هذه السنّة الحسنة رسوله صلى الله عليه وآله، في سنّته في حقّ عامة الظالمين، وخاصّة ظالمي عترته، بما تقدّم من خبر: «ستّة لعنتهم، ولعنهم الله، وكلّ نبيّ مجاب»[2].

---

(١) ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ الأعراف (٧): ٤٤ .
﴿هَؤُلاَءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ هود (١١): ١٨ .
﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾ إبراهيم (١٤): ١٣ .
﴿وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ آل عمران (٣): ٥٧ .

(٢) قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «ستة لعنتهم، ولعنهم الله، وكلّ نبيّ مجاب: الزائد في كتاب الله، والمكذّب بقدر الله، والمستحل لحرم الله، والمستحل من عترتي ما حرّم الله، والمتسلّط بالجبروت ليذلّ من أعزّ الله ويعزّ من أذلّ الله، والتارك لسنتي». المستدرك للحاكم ١: ٣٦ حديث ١٠٢ .

وروى البخاريّ في صحيحه وغيره صحيحاً، ما دلّ على أنّه: من أقوى عرى إيمان الرجل الحبّ في الله، والبغض في الله [١].

فمن لم يتجاهر في لعن شرّ الظلمة، مخالف لما قد سنّه الله ورسوله من التجاهر بلعنهم.

ولعن من نبّهنا على ظلمهم جهرةً، أولى من غيرهم، حيث يزعمون بأنّهم مسلمون، يغشون بذلك الغفلة، وهم الذين جرّتهم خبائثهم إلى قتل عصبته بأشرّ قتل، ورفعة قدرها بلغت إلى حدّ مَن لم يحبّهم لم يدخل في قلبه إيمان، ومنهم سيّد شباب أهل الجنّة.

فالمجاهرة بالتبرّي ممّن قتلهم، من أعظم تعظيم شعائر الله، ومن باب رشد الغفلة إلى معرفة رؤوس المنافقين ومتابعيهم ومعاونيهم، على ما فعلوه من الشرّ والفساد بقتلهم صفوة العباد، وسبيهم بنات النبوّة وعقائل الرسالة، وتأسير صبيتها.

فإنّ فعالهم هذه الشنيعة، لم تصدر حتّى من رؤوس الكفرة وطغاتها في حقّ بقايا رسلهم، بل لم تصدر دويهيّة مثلها تفطر الصخور دماً عبيطاً في العالم، وتمطر بها سماءه دماً. إلى غير ذلك ممّا مرّ نقله، الذي دلّ على عظمة جسارتهم على صفوة الله من بريّته، وخير الدعاة إلى معرفته وأفضل القادة إلى طاعته.

---

(١) قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «أوثق عرى الإيمان الحبّ في الله والبغض في الله». ذكره البخاري في الكنى ١: ٨٢ رقم ٨٠٢.

وذكره أحمد بن حنبل في مسنده حديث ١٨٥٢٤ بلفظ: «إنّ أوثق عرى الإيمان أن تحبّ في الله وتبغض في الله».

والعجيب الغريب ممّن يتحاشى عن لعن يزيد وشيعته، ممّن يدّعي معرفة علم المنقول، وهو عارف بما تقدّم من ثابت النقول، التي دلّت على شدّة نفاق يزيد، ومن تابعه وعاونه على ما مرّ من عظيم المفجعات.

فليت شعري، ما باله لم يجر على ما سنّه الله سبحانه في فرقانه من المجاهرة بلعن الظالمين والمنافقين، وما سنّه خاتم رسلهﷺ وشرّعه من لعن الظلمة، على الخصوص المستحلّين من عترته ما حرّمه وقد علم المتحاشي عن لعن شرّ المنافقين والظلمة، باستباحتهم من العترة من العظائم الموبقات، ما لم يستبحه رؤوس الكفرة من سائر المؤمنين.

أما درى من نفسه، بأنّ تحاشيه عن لعنهم، والتبرّي منهم، وعدم التظاهر بذلك في حقّهم، من أعظم المشاقات لله ولرسوله؟!

وما ذا يُجيب الله يومَ حشره، عن تحاشيه عن لعن الهاتكين حرمة الله وحرمة رسوله، بزحفهم إلى صفوة خلق الله، الذين لم يكن لهم يومئذٍ في الدنيا شبيه في الفضل؟! فقتلوهم بأشرّ قتل، ثمّ عتوهم ـ بعد هذه الطامة العظمى ـ على بنات الرسول وصبيته، وسبيهم لهن وتأسيرهن، يسوقونهن معهم على أقتاب الجمال من بلد إلى بلد، بين المعادين لله ولرسوله، عصمنا الله وسائر المسلمين من متابعة زخارف الشياطين.

ثم العجب العجاب ممّن زعم بأنّ يزيد بن معاوية الجبّار العنيد مسلم، ولم يصدر منه ما يوجب كفره، فليت شعري أما علم بالسنّة الصحيحة؟! وهي: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»، نقله ـ في الجامع الصغير[1] ـ

(١) جمع الجوامع ٧: ٢٤٥ حديث ٢٣٦٩١.

السيوطي عن البخاريّ[١] في صحيحه، وعن صحيح السجستانيّ[٢] والنسائيّ[٣] عن ابن عمر مرفوعاً وصحّحه.

ونقل مثله عن مسند إمام أهل السنّة أحمد بن حنبل[٤]، وصحيح الترمذيّ[٥] والنسائيّ[٦]، والحاكم في مستدركه[٧]، وابن حبّان في صحيحه[٨] عن أبي هريرة مرفوعاً، وعن طب [الطبرانيّ][٩] عن وائلة مرفوعاً وصحّحه.

فما حال من فعلَ تلك الطامات الموبقات المفجعات بعترة خير البريّات، الذين مَن لم يحبّهم لم يدخل في قلبه إيمان، فهل يجوّز مَن له أدنى شعور كونهم مسلمين؟!

أما درى مَن زعم بأنّهم مسلمون، بأنّه يدخل في آية ﴿**وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾[١٠].

---

(١) صحيح البخاريّ ١: ١١ حديث ١٠. وفيه «المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه».

(٢) سنن أبي داود ٢: ١٤٨. وانظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود ٧: ١٢٨ حديث ٢٤٨١.

(٣) سنن النسائي بشرح السيوطي ٨: ١٠٤ حديث ٤٩٩٥.

(٤) مسند أحمد بن حنبل ٢: ٢٢٤ حديث ٧٠٨٦.

(٥) سنن الترمذي (تحفة الأحوذي) ٢: ٣١٧ حديث ٢٦٢٧.

(٦) سنن النسائي (بشرح السيوطي) ٨: ١٠٥ حديث ٤٩٩٦.

(٧) مستدرك الصحيحين ٥: ٢٣٦٣، نقلاً عن البخاري ١: ٥٣ حديث ١٠، ومسلم ١: ٦٥ حديث ٦٤ باب الإيمان.

(٨) انظر: موارد الضمآن إلى زوائد ابن حبّان ١: ١٢٩ حديث ٢٧. والحديث في صحيح ابن حبان ١: ٩٤ رقم ١٩٧.

(٩) المعجم الكبير ١٢: ٤٤.

(١٠) الحشر (٥٩): ٤.

وفي آية: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[١] حيث زعم بأنّ أعظم رؤوس المنافقين ـ الذي لم يدخل في قلبه إيمان ـ مسلم.

وفي قوله: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقْ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ﴾[٢].

فلقد تبيّن الهدى لمن زعم بأنّ يزيد مسلم، بما قد مرّ من آيات الفرقان العظيم، ومن السنن، وغير ذلك ممّا هو بمعناه ممّا دلّ على نفاق يزيد ومتابعيه، وكونه أعظم رؤوس المنافقين، فمن زعم بأنّه مسلم، فقد دخل في الستّة الذين لعنهم الله ورسوله وكلّ نبيّ مجاب[٣]؛ لتركه ـ بما زعمه ـ للسنن المتقدّمة جميعها، فهو مشاقّ للرسول بتركه لها بعد تبيّن الهدى.

فليتنبّه الغافل ممّا نقلناه إلى شدّة نفاق يزيد ومتابعيه، وليحمد الله ويشكره على ما وفّقه له من معرفة الحقّ عن البيّنات القاطعات. ولو ينصف المحبّ لله ولرسوله ولعترته، لما غفلَ عن لعن يزيد ومتابعيه دقيقة، حتّى ينقض عمره وهو مشغول بالتبرّي ولعن إمام المنافقين، المستحلّ ما حرّمه من عترة خاتم النبيّين صلّى الله عليه وعلى عترته الطاهرين.

وحسبه كونه من رؤوس المنافقين، ما بيّناه، نعم تتضاعف شدّة نفاقه بعد

---

(١) الأنعام (٦): ١٤٤.

(٢) النساء (٤): ١١٥.

(٣) المستدرك للحاكم النيسابوري ١: ٣٦ حديث ١٠٢، وفيه قال النبيّ صلّى الله عليه وآله: «ستّة لعنتهم، ولعنهم الله، وكلّ نبيّ مجاب: الزائد في كتاب الله، والمكذّب بقدر الله، والمستحل لحرم الله، والمستحل من عترتي ما حرّم الله، والمتسلّط بالجبروت ليذلّ من أعزّ الله ويعزّ من أذلّ الله، والتارك لسنّتي».

النظر إلى وقعة الحرّة، وما يُدريك ما وقعة الحرّة؟! وإلى ما فعله بالكعبة المعظمة؟! ضاعف الله عقوباته عليه.

[العمل على نشر الديانة الحقّة]

ومنها: تعظيمهم له ولجده ولسائر العترة، بنشر الديانة الحقّة، التي قد سعى عليه السلام في ترويجها وتشييدها، ببذله ما مرّ بيانه من النفائس العظيمة والدرر اليتيمة في مقام بيانها للخلق، فتحمّل في ترويجها من عظيم الصدمات ما لم يتفق تحمّله في العالم حتّى لرسل الله العظام.

ولم يكن له مقصد في ما بذله وتحمّله من البغاة الطغاة، سوى تشييد دين جدّه خير البريّات، طاعة منه خالصة مخلصة لله في ذلك. وقد نوّه الله سبحانه طاعته له بما مرّ من تخصيصه له بآياته، التي دلّت على عظم مصيبته لديه، وعلى قبوله طاعته منه، بانتقاماته الفادحة من ظالميه بأيسر مدّة، على ما مرّ نقل مختصر من ذلك.

فعلى المعزّين بيان شيء من هذه الديانة للخلق، يأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر، ويحرّضونهم على التخلّق والتحلّي بالصفات الحميدة، ويحذّرونهم من التردّي في ذميم الخصال من الجهل والحمق والحرص والجبن والبخل والحسد والكبر، إلى غيرها. ثمّ التعرّض لطرف من الصدمات، التي قد وردت على العترة الطاهرة؛ ليبكي الحاضرون فيُثابون على ذلك.

ولقد وفّق الله سبحانه جماعة من المعزّين إلى ما نبّهنا عليه، فصارت

سيرتهم على نشر الدين الحقّ من توحيد الله سبحانه، وما يتعلّق به، ومن نبوّة خاتم الرسلﷺ، وما يلزمها إلى سائر ما يجب تنبّيه الغفلة عليه ورشدهم إليه من اُصول الدين وفروعه.

فنسأل الله التفضّل على سائر المعزّين، بالجري على هذه السيرة الحسنة، التي هي سنّة الله التي قد سنّها لرسله وخلفائهم ومَن تلقّى الديانة عنهم. وهي الغاية الحسنى لبعثة الرسل، ولقيام خلفائهم من بعدهم.

فأحسن شيء يتصوّر في العالم، المتحلّي بخلق رسل الله وخلفائهم صلّى الله عليهم جميعهم وسلم، يرشد الخلق إلى سبيل الحقّ، فيالها من سعادة هي مبنى عامّة جهات الطاعات لله سبحانه.

[زيارة قبور أهل البيت عليهم السلام]

ومنها: تعظيمهم له ولجدّه وأبيه وأُمّه وأخيه والصفوة من بنيه، بزيارة قبورهم الشريفة؛ لما ورد من السنّة الصحيحة التي قد ندب فيها النبيّ صلى الله عليه وآله إلى زيارتها، فأمر الناس فيها بزيارة مطلق القبور(١)، وهي شاملة للقريب منها، الغير المتوقّف زيارتها على شدّ الرحال، وللبعيد منها والمتوقّف زيارتها على شدّ الرحال.

وما ورد من النهي عن شدّ الرحال لغير المساجد الثلاثة(٢)، ليس له دخل بشدّ الرحال إلى زيارة القبور، فأين القبور من المساجد حتّى يشملها النهي، بل هما شيئان مختلفان في المعنى.

فالحكم الذي رتّبه النبيّ صلى الله عليه وآله على أحدهما بالخصوص، لن يترتّب على ثانيهما من دون ريب؛ لكونهما موضوعين مختلفين.

ثمّ من المعلوم أنّ القبور باعتبار مَن دُفن فيها، مختلفة من حيث ضعف

---

(١) في مسند أحمد بن حنبل ٣: ١٨٦ بسنده عن أبي هريرة، قال: زار النبيّ صلى الله عليه وآله قبر أُمّه فبكى، وبكى من حوله ... «فزوروا القبور فإنّها تذكر الموت».

(٢) قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «لا تُشدّ الرحال إلّا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول، والمسجد الأقصى».

انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري ٢: ٧٦ حديث ١١٣٢.

الشرف وعظمته، فبعد رجحان زيارة مطلق القبور، فرجحان زيارة قبور معشر مَن لم يحبّهم لم يدخل في قلبه إيمان، أعظم وأقوى من زيارة غيرها، فهم لهم حقّ الزيارة من وجوه:

منها:

أنّهم لهم حقّها؛ لكونهم مؤمنين.

ومنها:

أنّهم لهم حقّ الزيارة؛ لكونهم صفوة الله من خلقه.

ومنها:

أنّهم لهم حقّها؛ لكونهم في منزلة مَن لم يحبّهم لم يدخل في قلبه إيمان.

ومنها:

أنّهم لهم حقّها؛ لكونهم قادة الخلق إلى سبيل الحقّ، فلهم حقّ الهدى للخلق بتعليمهم لهم الدين الحقّ.

ومنها:

أنّهم لهم حقّ الزيارة؛ لكونهم على رفعة شأنهم مظلومين، وأعظمهم مظلوميّة شهيد الطف.

ومنها:

أنّهم لهم حقّها؛ لكون زيارتهم صلة لرسول الله، موجبة لسروره، فإنّه يُسرّ صلى الله عليه وآله بتعظيم عترته، بزيارة اُمّته لهم في حياتهم وبعد وفاتهم.

فهذه الجهات قاضية برجحان تقديم زيارة قبورهم بعد زيارة قبر

جدّهم، على زيارة قبور غيرهم من أهل العلم والتقى. وقد ورد من طرق الشيعة ما دلّ على عظمة المثوبات لمن يزورهم من المؤمنين عارفاً بحقّهم[١]، وفّقنا الله وسائر المؤمنين لزيارة قبورهم.

وقد ورد من طرقهم ما بُيّن فيه فضل ومثوبة مَن يزور قبور سائر المؤمنين، وبأيّ كيفيّة في زيارتها تحصل المثوبات العظيمة[٢].

(١) انظر: كامل الزيارات، أبواب ثواب زيارة المعصومين عليهم السلام.

(٢) كامل الزيارات: ٥٢٨ باب ١٠٥ «فضل زيارة المؤمنين وكيف يزارون».

[تعظيم أماكن قبور أهل البيت عليهم السلام]

ومنها: تعظيمهم بقاع محالّ قبورهم المنوّرة، فإنّ المؤمنين بعد معرفتهم بالجهات التي دلّت على مضاعفة رجحان زيارة قبورهم على غيرها، يهرعون إلى زيارتها من عامّة الجهات، فيحتاجون ـ باجتماعهم لزيارتها وللمكث حولها ـ للصلاة ولذكر الله سبحانه، إلى ما يظلّهم ويحفظهم من حرّ الشمس والمطر، ومطلق البرد والحر.

فيلزم حينئذٍ جعل بناءات[1] وسيعة حولها، حافظة لنفس القبور والفرش التي حولها، والقناديل المسرجة في الليل في بقاعها، ولمن يزورها ممّا بيّناه وغيره، فإنّها من أعاظم البيوت التي أمر الله سبحانه **﴿أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾**[2].

روى ما دلّ عليه السيوطيّ في «الدر المنثور» عن ابن مردويه، عن أبي بكر، أنّه سُئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن قوله سبحانه **﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾**.

فقال: «هي بيوت النبيّين».

---

(١) بناء، جمعه: أبنية.

(٢) النور (٢٤): ٣٦.

فأشار إلى بيت عليّ وقال: بيته منها؟

فأجابه صلى الله عليه وآله: «إنّه من أفاضلها»[1].

وبيوت ولد علي بيوته، ومن المشاهد المحسوس ذكر اسم الله سبحانه علناً بالصلاة فيها، وبمطلق ذكر الله ودعائه، فآية ﴿أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ﴾ شاملة بعمومها لهذه البيوت، حتّى لو لم يرد تفسيرها بها.

وما ورد من تفسير هذه البيوت بالمساجد[2]، ليس ينافي ما نقلناه وما بيّناه؛ لحصول ذكر الله في عامة هذه البيوت والمساجد بالمشاهدة والعيان من دون ريب.

وما من منافاة لدى ذوي المعرفة والشعور: بين تعمير ما حول القبور بهذه البناءات العالية، المستفاد رجحان بنائها على هذه الهيئة المشاهدة من نفس السنّة، التي دلّت على رجحان زيارة القبور.

وبين الخبر الذي دلّ على تسوية القبور، فإنّ معنى تسويتها: جعلها مسطّحة غير مسنّمة، على ما جرت عليه عادة الناس من تسنيم القبور.

---

(١) الدر المنثور ٥: ٩١، وفيه: «وأخرج ابن مردويه عن أنس بن مالك وبريدة، قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله هذه الآية: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ﴾فقام إليه رجل فقال: أيّ بيوت هذه يا رسول الله؟ قال: «بيوت الأنبياء»، فقام إليه أبو بكر فقال: يا رسول الله هذا البيت منها؟ بيت عليّ وفاطمة، قال: «من أفاضلها».

(٢) في الدر المنثور ٥: ٩٠ : وأخرج عبد بن حميد عن قتادة: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ﴾ قال: هي المساجد، أذن الله في بنيانها.

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن مجاهد: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ﴾ قال: في مساجد أن تُبنى.

ومن هذه الجهة وردت السنّة بتسطيحها، ونهت عن تسنيمها.

فأين معنى خبر تسوية القبور، من تعمير ما حولها بالبناءات العالية المحيطة بالقبور من عامة جهاتها؟! فإنّ هذه العمارة بضرورة العقل والمشاهدة خارجة عن القبر، وعن تسطيحه المأمور به، وعن تسنيمه المنهي عنه.

وكلّ شيء لم يرد فيه نصّ شرعيّ، ولم يكن في فعله ضرر، ففعله جائز، فكيف بالشيء المستفاد رجحان فعله من الشيء المأمور به شرعاً، ومحاسنه عديدة بيّنة، فهل يرتاب في حسن فعله ورجحانه مسلم؟! فهذه البناءات المنيفة، حالها ما عرفتَ في الحسن من جهات، قد لزمت من رجحان زيارة القبور.

ولقد جرت عادة المسلمين في الطائف ومكّة المعظّمة والمدينة المنوّرة ومصر والشام وغيرها، على تعمير هذه البناءات ـ بغير نكير منهم ـ حول القبور التي قد شرّفت بعالم مشهور، ورئيس مؤمن معروف، وامرأة مؤمنة جليلة، وصحابيّ جليل، وغيرهم ممّن يستحقّ زيارة التعظيم، مثل سادة أهل البيت ووجوههم في القرون الماضية إلى اليوم.

[تحريم الوهابيّة البناء على القبور]

لكن قد حدثت فرقة قبل عصرنا بقرن، تزعم بأنّها مسلمة بلسانها، لكنّها خالفت سائر المسلمين في جملة من العقائد، ونحن نحملها على الغفلة والجهالة في ما خالفت فيه فرق المسلمين، وهي تسمّى «فرقة الوهابيّة»، تُعزى إلى مُبدعها مَن سُمّي بمحمد بن عبد الوهاب، شعارها تكفير عامة مَن خالفها من المسلمين، فاستباحت دماءهم وعرضهم ومالهم، فقتلت مَن قتلت منهم مستبيحة عرض مَن قتلته وماله.

وهي تزعم بأنّ مذهبها إمام أهل السنّة أحمد بن حنبل، وهو بريء منها، ما من شيء من عقائدها عنده البتة.

وقد اجتمعتُ مع عالم معروف من علمائها، ـ قد سكن الكويت ـ مرّة منفردين، فأثبتُ له خروجهم عن الدين، بما قد عرفه هو وغيره من السنن الصحيحة المودعة في مسند أحمد بن حنبل والصحيحين وغيرها، مضافاً إلى جملة من آيات الفرقان، فأفحمته بها.

ومرّة في محضر جماعة من إخوتي وأحبائي من أهل السنّة من أهل الكويت، زرتهم بعد مجيئهم من سفر الحجّ، فوجدتُ ذلك العالم عندهم، فجرى البحث بيني وبينه لكلمة خرجت منه، وهي حمده الله سبحانه على قتل

الوهابيّة ـ في هجومهم على الجهرة ـ لرجال من مسلمي الكويت.

فأثبتُ مخالفته ـ وسائر الوهابية ـ لدين المسلمين بعقائدهم المشار إليها، فأفحمته بذلك في محضر الجماعة، وحصل لهم السرور بما فعلته به، وهذه القضيّة شُهرت في الكويت إلى اليوم وما بعده.

فهذه الفرقة بعد الحرب العامة بمدّة، تسلّطت على الحرمين، فعدت على هذه البناءات الشريفة: ما كان منها في الطائف، وفي مكّة المعظّمة، وفي البقيع الشريف، فهدمت قباب أئمة الدين وغيرهم من معاريف الصحابة.

فلينظر القارئ شدّة مشاقتهم لله ولرسوله، في هدمهم البيوت التي أمر الله ﴿أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ وهم يزعمون بأنّهم مسلمون.

فليت شعري، ما وجه تحقيرهم عصبة، مَن لم يحبّهم لم يدخل في قلبه إيمان، إلى هذه الدرجة بحيث يهدمون بيوتهم بدون وصول ضرر من وجودها إليهم، وعدم عود منفعة لهم من تهديمها، ولم يؤذهم بشيء من دفن في بقاعها.

ولعلّهم حيث تأخّر بهم الزمان عن المعاونة لبني اُميّة وبني العباس على ظلمهم لهم، عاونوهم ـ بعد ما قبض الله دولهم ـ بهدم بيوتهم التي هي بيوت أفاضل النبيّين.

فيالها من طامة عظيمة، وجرأة وخيمة، على توهين مَن عظّمهم الله ورسوله. فأين المسلمون الحافظون لحرمة الله وحرمة رسوله في تعظيم عترته؟ فهل ماتت منهم الغيرة على الدين؟ وهل ضعفت منهم الحميّة على أئمة المسلمين، عترة رسول الله ربّ العالمين؟

فإنّه لم ترد صدمة عظيمة على الدين، ومصيبة مفجعة لعموم المسلمين ـ بعد وقعة الطفّ وفخ ـ مثل هذه.

فعلى المسلمين يلزم بيان حسن هذه البناءات شرعاً، وعدم كونها بدعة محرّمة لهذه الفرقة، وعدم وجود غير المنفعة منها لمن يزور هذه القبور، ولنفس هذه القبور المنوّرة، حتّى يلتفت مَن هدمها إلى الحقيقة، ويتبيّن له أنّ ما جرت عليه سيرة المسلمين من تعميرهم البناءات العالية الفخيمة، من جملة فعالهم الحسنة، منافعاً عديدة جميلة، حسبما نبّهنا على الظاهر البيّن منها.

فيأسف وقتئذٍ مَن صدرت جسارته على هذه لها، ويلفت نظره إلى تجديدها بأحسن تعمير وبأتقنه، صلةً منه لرسول الله صلّى الله عليه وآله، بتعظيمه لسادة عترته، أئمّة الدين وسادة المسلمين.

وحينئذٍ تعلم محبّته لسادة عصبة مَن لم يحبّهم لم يدخل في قلبه إيمان.

ومن أظهر معاني المحبّة وأعظمها: تعظيم حرمة قبر المحبوب وتوقيره، بالمحافظة عليه ممّا ينافي تجليله، وبالمحافظة على مَن يزوره ممّا يؤذيهم حين تشرّفهم بزيارته، من حرّ وبرد ومطر وغيرها، ولو بتعمير قبّة محيطة على القبر الشريف، وشيء من الجهات التي حوله، على ما تقدّم منّا بيان حسنها لدى عموم المسلمين في حقّ قبور عظمائهم.

وما من مانع من تعميرها يخطر بالبال، بعد تنبّه هذه الفرقة إلى حسن هذه الهيئة، التي هي حسنة في نظر جمهور المسلمين، من الجهات التي قد بيّناها سابقاً.

فمنعهم عن تجديد بنائها يزول قطعاً، بل الذي نفهمه حسن الوفاق منها

لسائر المسلمين، بأشدّ السعي على تجديد بنائها؛ لثبوت المحاسن العظيمة النافعة بسبب هذه البناءات لنفس القبور المقدّسة، ولمن يزورها ويعبد الله سبحانه من حولها.

فحال مَن يعبد الله سبحانه حولها بصلاة نافلة، وصلاة فريضة، وتحميد الله وتقديسه، وبآيات من فرقانه العظيم، وغيرها من الطاعات، حال مَن يفعل هذه ـ وما هو من قبيلها ـ في المساجد وغيرها.

[سبب زيارة قبور الأئمّة والأولياء]

وليس لعاقل رمي مَن يزور هذه القبور وغيرها بالعبادة لها، والسجود لمن دفن فيها، بعد العلم بأنّ مَن يزورها ينطق صادقاً في صلاته حولها بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[1] يخاطب بذلك في غاية الذلّة خاضعاً خاشعاً لربّ العالمين، الذي هو المعبود الحقّ وحده.

بل من ضروريّات دين مَن يزور هذه القبور الشريفة وغيرها، زندقة مَن يعبد غير الله سبحانه، ومن يستعين بغيره ولو بأمر دنيويّ. كيف يتصوّر في حقّه شيء من ذلك، وهو يعتقد عقيدة خالصة منزّهة عن شوب ما ينافيها بقوله سبحانه: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾[2].

وبقوله سبحانه: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[3].

وبقوله: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾[4].

إلى غيرها من النصوص المحكمة الفرقانيّة، التي قد دلّت على كون المتصرّف في العباد جميعهم، حيث يريد هو الله سبحانه وحده، قال سبحانه:

---

(١) الفاتحة (١): ٥.

(٢) النحل (١٦): ٥٣.

(٣) غافر (٤٠): ٦٠.

(٤) النمل (٢٧): ٦٢.

﴿قُلْ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنْ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنْ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[1].

فهل يتصوّر في حقّ مَن هذه عقائده الشرعيّة، العبادة لذوي القبور، والسجود لهم؟! تنزّه مَن يعتقد بذلك عن هذه السفاسف. فأين معنى زيارة القبور من عبادة ذويها؟! فليت شعري هل مَن يزور صالحاً حيّاً يقال في حقّه: قد عبد مؤمناً صالحاً؟!

ومن المعلوم عدم الفرق في معنى الزيارة بين الحيّ والميت، فإنّها عبارة عن قصد الحضور عند المؤمن؛ تعظيماً لشأنه ومحبّة له، بدون قصد شيء دنيويّ.

وليس قصد مَن يمضي إلى القبور، سوى ما ذُكر من المحبّة لمن دُفن فيها وتعظيم شأنهم:

إمّا لكونهم مؤمنين.

وإمّا لكونهم أئمة الدين، فلهم على سائر المؤمنين حقّ المحبّة والتعظيم.

وإمّا لكونهم مؤمنين رحماً لمن يزورهم؛ تأدية منه لحقّ الرحميّة، مضافاً إلى تأدية حقّ كونهم مؤمنين. فما من فرق بين زيارة الحيّ والميّت، لدى من يلفت نظره إلى معنى الزيارة.

فإن قيل: قد جرت عادة غالب زوّار القبور، على طلب الحاجات من

(١) آل عمران (٣): ٢٦ ـ ٢٧.

المدفونين فيها.

قيل: نعم، من باب التوجّه والتوسّل بمن قد دُفن فيها إلى الله سبحانه؛ لعظم شأنهم عنده وقد يصدر ذلك منهم في حقّ الحيّ الذي له شأن عند الله، متابعين في المقامين للسنّة التي وردت فيهما.

فقد روى البخاريّ في صحيحه، عن أنس: أنّ عمر بن الخطاب استسقى بالعباس، وقال: اللّهم إنّا كنّا نتوسّل إليك بنبيّنا فتسقينا، وإنّا نتوسّل إليك بعمّ نبينا فاسقنا، فيسقون[1].

دلّ الخبر على جريان سيرة الصحابة بمحضر النبيّ صلى الله عليه وآله، على التوسّل به إلى الله سبحانه في طلب المطر، فيسقيهم سبحانه. ولمّا توفّي صلى الله عليه وآله توسّلت الصحابة بعمّه العبّاس، فالخبر دلّ على توسّلهم إلى الله سبحانه بالحيّ الذي له عند الله جاه عظيم.

وقد روى طب [الطبراني] في صغيره حديثاً ـ وصحّحه ـ عن عثمان بن حنيف، في رجل جاءه فشكى عثمان بن عفان إليه أنّه سأله حاجة فلم يلتفت إليه، فقال له ابن حنيف: توضّأ وآت المسجد وصلّ فيه ركعتين، ثمّ قل: اللّهم إنّي أسألك وأتوجّه إليك بنبيّك نبيّ الرحمة، يا محمّد إنّي أتوجّه بك إلى ربّك ليقضي لي حاجتي.

---

(١) في صحيح البخاريّ ـ المناقب ـ ذكر العباس بن عبد المطلب، حديث ٣٤٣٤: حدّثنا الحسن بن محمّد، حدّثنا محمّد بن عبد الله الأنصاريّ، حدّثني أبي عبد الله بن المثنى، عن ثمامة بن عبد الله بن أنس، عن أنس: أنّ عمر بن الخطّاب كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب، فقال: اللّهم إنّا كنّا نتوسّل إليك بنبيّنا صلى الله عليه وآله فتسقينا، وإنّا نتوسّل إليك بعمّ نبيّنا فاسقنا، فيسقون.

ثمّ مضى إلى عثمان فاحترمه وقضى حاجته، فلقي ابن حنيف فشكره على ما علّمه، فقال له: شهدتُ رسول الله صَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ وعنده رجل، فشكى له الحاجة، فأمره بما علّمتك به، فقضى الله له حاجته قبل تفرّقنا[١]. انتهى نقله ملخّصاً.

دلّ على تجويز التوسّل والتوجّه بالحاجات إلى الله سبحانه، بالذي له منزلة عظيمة لديه، حال حياة صاحب القدر العظيم عند الله، وبعد مماته، فإن الله سبحانه يقضيها في الحالين بجاهه العظيم عنده.

وفي «الدر المنثور» عن ابن المنذر، بإسناده إلى سيّدنا محمّد بن علي ابن الحسين صلّى الله على جدّهم وعليهم وسلّم، حديثاً فيه: «إنّ جبرئيل عَلَيْهِالسَّلَامُ علّم آدم عَلَيْهِالسَّلَامُ أن يقول: اللهم إنّي أسألك بجاه محمّد عبدك أن تغفر لي خطيئتي، فغفر سبحانه له»[٢].

وفيه: عن ابن النجّار، بإسناده عن ابن عباس، قال: سألتُ رسول الله صَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ عن الكلمات التي تلقّاها آدم من ربّه فتاب عليه، قال: «سأله بحقّ محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين لما تُبتَ عليّ، فتاب عليه»[٣].

---

(١) انظر: جمع الجوامع ٢: ٨١ حديث ٤٠٤٩ وفيه: قال النبيّ صَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ: «اللهمّ إنّي أسألك وأتوجّه إليك بنبيّك محمّد نبيّ الرحمة، يا محمّد إنّي توجّهت بكَ إلى ربّي في حاجتي هذه لتُقضى لي، اللهمّ فشفّعه فيّ».

وفي الهامش نقله عن سنن الترمذي، حديث ٣٥٧٨، وعن عمل اليوم والليلة لابن السني: ٦٢٢.

(٢) في الدر المنثور ١: ١١٩ : «وأخرج ابن المنذر عن محمّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، قال: لمّا أصاب آدم الخطيئة ... اللهمّ إنّي أسألك بجاه محمّد عبدك وكرامته عليك أن تغفر لي خطيئتي. قال: ففعل آدم، فقال الله: يا آدم مَن علّمك هذا؟».

(٣) المصدر السابق.

وفيه عن ابن مردويه، بإسناده عن عليّ عليه السلام حديث فيه: «إنّ آدم عليه السلام قال: «اللهمّ إنّي أسألك بحقّ محمّد وآل محمّد لما تُبتَ عليّ، فتاب عليه»[١].

وهذه المرويّات بعضها يشهد لصحة بعض، ويقوّي بعضها بعضاً، ومنها تطمئن النفوس وتثق بأنّ التوسّل والتوجّه بالحاجات إلى الله سبحانه، بمن له قدر عنده، محبوب لديه، ومرضيّ عنده، ومأمور به من قبله.

وليس ينافي ما نقلناه في قبول توبة آدم، ما ورد من قبولها بأدعيّة خاصة، لم يتعرّض فيها لما نقلناه؛ لتجويز عدم تعرّض مَن نقلنا عنهم لذلك، وعدم تعرّض غيرهم لما نقلوه ممّا سمعته، وخبر ابن المنذر وابن مردويه قد تضمّنا ما نقلناه من التوجّه وغيره، ممّا دعا به آدم لتقبل توبته، فليس بينهما تناقض.

وأمّا مسألة المنذور لصاحبي القبور وسائر الصالحين، الذين هم في قيد الحياة، فهي تتصوّر على وجهين:

فأحدهما: جعلُ المنذور له هو ذلك العظيم: إمّا صاحب القبر، وإمّا الحيّ، فيقول الناذر: لزيد عليّ ذبيحة لو قضى حاجتي.

وما نظنّ بصدوره عن غير فرقتين من المتصوّفة، وهما: أهل وحدة الوجود، وأهل الحلول؛ لزعم هاتين الفرقتين بأنّ مشايخهما هم المتّصفون بصفة الربوبيّة.

وقد قضى بكفر هاتين الفرقتين؛ لهاتين العقيدتين الشنيعتين، جماهيرُ أهل العلم والمعرفة.

---

(١) المصدر السابق ١: ١٢٠.

وثاني الوجهين: جعلُ المنذور له هو الله سبحانه، لكن النذر يُصرف في سبيل ذلك العظيم المقرّب عند الله سبحانه، فيقول الناذر: لله عليّ نذر يستحقّ وفاءه في تفضّله على ولدي بالصحة، فأُسلّم إلى عبده زيد ذبيحة، على تقدير حياة مصرف النذر.

وعلى تقدير مماته فيقول: لله عليّ نذر في توسعته الرزق عليّ، فأبذل مائتي درهم في سبيل زيد، أي فأُقسمها في ذوي الفقر والمثوبة منها لزيد.

وهل مسلم يتصوّر فيه مخالفة لتوحيد الله سبحانه، فإنّه نظير مَن يتصدّق على فقير بشيء من المال لله سبحانه، ويجعل مثوبة ما تصدّق به لغيره من أبيه وأُمّه وسائر قرباه. ومثل مَن يصوم يوماً لله سبحانه، ومَن يصلّي ركعتين لله، ومَن يعمر لله سبحانه، ويهدي مثوبة هذه الطاعات منه لله إلى مَن يحبّه من قرباه وغيرهم.

وما من محذور في هذه، وما هو من قبيلها، فإنّها طاعات قد صدرت من العبد لله سبحانه وحده، وقد قصد فاعلها وصول مثوباتها إلى غير محبّة منه لذلك الغير، ولم يجعل نفس الطاعة لذلك العظيم المحبوب، حتّى يلزم المخالفة للشريعة المقدّسة، فلن يتصوّر محذور فيها البتة.

وممّا شرحناه يُعلم حال النذور للمآتم، فإنّ معناها بذل ما قد فرضه المسلم لله على نفسه من قدر معيّن من الذهب وغيره فيها على المسلمين، فيقول: لله عليّ نذرٌ في تفضّله عليّ بالعافية من المرض، بذلُ ليرة على المسلمين في المأتم.

فهي حينئذٍ نظير وجوه من الهدي، فإنّه صدقة يتقرّب بها إلى الله

سبحانه، وتُبذل لذوي الفقر من المسلمين.

فمعنى النذر للمآتم: بذلُه فيها بعد نذره لله سبحانه.

وليس معناه: النذر للمآتم دون الله سبحانه، فيصير بدعة محرّمة، بل هو مثل مطلق الصدقات، من حيث كون المتصدّق يفعلها لله سبحانه.

ومعنى فعلها لله: بذلها لذوي الفقر والفاقة من المسلمين، طاعة لله في ذلك، وقد بيّنهم سبحانه في آية الصدقات[1]، وبيّن من مصارفها غيرهم على ما هو مبيّن في محلّه.

وبالجملة، فهذه جميعها يقصد المسلم فعلها لله سبحانه، صارفاً لها في محالّها التي قد عُيّنت لها:

إمّا بأصل الشريعة، مثل الصدقات المالية من الزكاة، ومن الفطرة، وجملة من وجوه الهدي، بل جميعها.

وإمّا بالنذور، مثل ما نبّهنا عليه ونظائره.

ونحن نأمل من متابعي إمام أهل السنّة أحمد بن حنبل، النظر بعين البصيرة إلى ما نبّهناهم عليه، وإلى غيره ممّا قد جعلوه من المنكر الموجب لكفر فاعله، وهو عند جماهير المسلمين غير منكر.

مثل شرب التتن، فإنّه من حيث عدم ورود نصّ خاصّ على حرمته أو حليّته، مثل شرب القهوة، وجماهير أهل العلم على حليّة ما هذه حاله.

فما ندري ما وجه شربهم للقهوة والشاي، وهما من هذه الحيثية، مثل

---

(١) التوبة (٩): ٦٠ ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنْ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

شرب التتن؟! وما من دليل يجوّز شرب هذين ويحرّم شرب التتن.

قال سبحانه: ﴿**خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا**﴾[1] أي خلق ما فيها جميعه منفعة لكم، وما فيه مضرّة قد بيّنه سبحانه، فما لم يحرّمه ولم يبيّن مضرّته، ولم يرَ عباده فيه مضرّة، فإباحته موجّهة، وليس لتحريمه وجه.

(١) البقرة (٢): ٢٩.

[اختلاف العلماء في الفتوى]

ولو قطعنا النظر عن هاتين الجهتين، فنقول: من المعلوم أنّ مخالفة مجتهد لغيره من المجتهدين، في بعض المسائل الفرعيّة، عن الدليل الذي قد زعم حجيّته، غير موجبة لفسقه وفسق من قلّده، بل قد ورد ما دلّ على كون المجتهد المخطئ يثاب بأجر، والمصيب يثاب بأجرين[1].

فنحن نفرض خطأ المجتهد المفتي بإباحة التتن، وبإباحة تعمير القباب على القبور، وبإباحة شدّ الرحال إلى زيارتها، فقلّده جماعة من المسلمين على ذلك، فهل من سبيل لمن خالفه في هذه الفتاوى إلى تفسيقه، وتفسيق من قلّده، وجعلهم مُبدعين؟! وخبر «يُثاب بأجر» نصب عينيه.

ومن البيّن في محلّه، أنّ المسائل الفرعيّة، الغير المنصوص عليها بالخصوص، مختلف فيها على قولين:

قول: بأنّها محظورة، يحرم فعلها.

وقول: بأنّها مُباحة، يجوز فعلها.

---

(١) صحيح البخاريّ، الباب ٢١ «أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ»، حديث ٧٣٥٢، وفيه بسنده عن عمرو بن العاص، أنّه سمع رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ يقول: «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثمّ أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثمّ أخطأ فله أجر».

وقد ذهب الجمهور من أهل العلم، إلى كونها مباحة، وقد نقل مثل الشيخ تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، المعروف بابن تيميّة، في «منهاجه»، في صحيفة المائة والخمس والعشرين من أوّل جلد منه، إباحة ما لم يرد فيه نصّ شرعيّ عن الحنفيّة، وعن كثير من الشافعيّة والحنبليّة.

فتدبّر أيّها القارئ في ما نقلناه، فسترى أنّ المجوّز لما مرّ قد قلّد الكثير من الحنبليّة وغيرهم، فلو فرض عدم تقليده لهم، فما ذهبت إليه مطابق لما قالوه، فلم يبتدعه من نفسه حتّى يذم عليه. وليس المسائل الفرعيّة المختلف فيها بين المجتهدين ممّا تجر إلى التفسيق، فكيف توصل إلى التكفير؟

فهذه صحف أئمة المسلمين ومشاهير المجتهدين، قد فاضت بما قد جرى بينهم من المخالفات، ولم تنجر مخالفاتهم إلى شيء من ذلك، بل كلّ منهم مأمور بالعمل على ما قد زعمه حجّة له ولمقلّديه من الدليل.

وقد قالصلى الله عليه وآله: «المسلم مَن سلم المسلمون من لسانه ويده»[(١)].

وقال في الخبر المتّفق على صحّته ما معنى قوله: «من شهد الشهادتين، وصلّى الخمس، وصام شهر رمضان، وحج البيت، وسلّم الزكاة إلى أهلها، فقد حرم دمه وماله»[(٢)].

---

(١) جمع الجوامع ٧: ٢٤٥ حديث ٢٣٦٩١، وفيه«المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه».

وتقدّمت مصادره قبل عدّة صفحات من هذه الرسالة.

(٢) الحديث مروي عن عبدالله بن عمر، قال: سمعتُ رسول اللهصلى الله عليه وآله يقول: «بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمّداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحجّ، وصوم رمضان».

ومن المعلوم أنّ مَن فعل من المسلمين ما مرّ ـ هو يشهد بالشهادتين، إلى تمام ما نقلناه من معنى الخبر ـ فدمه وماله محرّمان، فلزم على الحنابلة وغيرهم من المسلمين المحافظة على شرف خاتم الرسل صلّى الله عليه وآله وعليهم وسلّم، بإطاعة قوله، ومتابعة ما قد شرّعه لهم، وقال سبحانه: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾(١).

ومن المعلوم أنّ إخوّتهم وتحريم دمائهم ومالهم، قد ثبتت بالخبر المشار إليه، ولو شرب بعضهم التتن مستبيحاً له، ورفض بعضهم شربه محرّماً له، من حيث وفاقهم في ما قد بني الدين الحقّ عليه، وهي الخمسة التي قد تقدّم بيان ورود الخبر الثابت الصحّة فيها.

ونحن نحذّر عموم المسلمين من المخالفة لهذه السنّة الشريفة الثابتة الصحّة، من حيث إخوّتنا لهم، ووفاقنا معهم على هذه السنّة، وغيرها من الضروريّات الدينيّة الثابتة بآيات الفرقان العظيم والسنن الثابتة الصحة، ونقدّسهم عن المشاقّة للرسول صلى الله عليه وآله، في رفضهم لسنّته هذه وغيرها من السنن، بمجرد مخالفة مَن عمل بهذه السنّة لهم في مثل شرب التتن، وجعل القباب على القبور، وشدّ الرحال لزيارة القبور، إلى غيرها من المسائل المختلف فيها، غير المضرّ المخالفة فيها بما قد بني عليه الدين، وبضروريّاته المعلومة الثبوت عند عموم فرق المسلمين.

☜ انظر: صحيح البخاريّ، كتاب العلم، حديث ٨٧.

(١) الحجرات (٤٩): ١٠.

فالحذر الحذر يا إخوتنا المسلمين من الدخول في قوله سبحانه: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقْ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ﴾[١].

فلقد تبيّن الهدى بالخبر المشار إليه، وهو حرمة دم ومال مَن جرى على مقتضاه، ولو فعل ما مرّ بيانه من المسائل المباحة عنده، المحترمة عند غيره من المسلمين؛ لعدم مدخليّتها بضروريّات الدين وبما بنى عليه.

نعم، قد شاعت جملة من المناكير المتّفق على حرمتها عند عموم فرق المسلمين، مثل: الزنا، وشرب الخمر، والسرقة، والنميمة، والغيبة، والبهتان، والغش، وقطيعة الرحم، وشهادة الزور، وقذف المحصنات، والربا، ونقص الوزن، إلى غيرها.

فهذه يجب على عموم المسلمين التعاون على نهي مَن يفعلها باللسان وغيره، ممّا يترتّب عليه حسم مادّة المنكر والفساد، قال سبحانه: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ﴾[٢].

فعلى مَن له وجاهة عند الناس وعظمة، وفي قلوبهم خوف منه، السعي وبذل الهمّة في تأديبهم؛ لرفض المناكير المعلوم كونها مناكير عند عموم المسلمين، فإنّه هو المطلوب منه.

فأمّا النهي لمن يرى حليّة شرب التتن، وشدّ الرحال لزيارة القبور، وتعمير القباب على القبور، وما هو مثلها، فليس بنهي عن المنكر عند فاعلها،

---

(١) النساء(٤): ١١٥.

(٢) آل عمران (٣): ١١٠.

ولو قهره قاهر على رفضها فهي عنده مباحة، ولم تصر بالقهر محرّمة.

وما يترتّب على القهر عليها سوى التفرقة بين المسلمين، وجعل الحقد في قلوب بعضهم على بعض، والله سبحانه قد حرّض عباده على عصمة جميعهم بدينه، ونهاهم عن التفرقة عنه. وقد بانت عصمتهم جميعهم بدينه باتفاقهم على مبانيه وسائر ضروريّاته، فما الباعث إلى التفرقة بمسائل لم يجعلها الله سبحانه موجبة للتفرقة؟!

فنسأل الله سبحانه التفضّل على مَن صار مفرّقاً بين المسلمين، بما هو ليس بمفرّق بينهم، التنبّه إلى وخامة ما فعله، فأضعف فرق المسلمين به، حيث جعلهم مبتلين من جهته بالمضاغنة والمشاحنة، ومحاربة بعضهم بعضا، فأشغلهم بما ليس بشغل يرضى به الله ورسوله، وتحصل منه فائدة لدين المسلمين ولهم، بل قد شغلهم بما قد منعهم عن السعي في تقوية دينهم وحفظه، عمّن يريد الوهن فيه.

[التأكيد على وحدة المسلمين]

ولذلك نرى غيرنا يوماً فيوماً في ترقّي من حيث الدين والدنيا، من حيث تعاضدهم وتعاونهم على ذلك. وعمد فرق المسلمين طلباً للرئاسة وغيرها، من زخارف هذه الدنيا الفانية، صار شغلهم وعملهم غارة بعضهم على بعض، وقتل بعضهم بعضاً، ونهب بعضهم مال بعض، وهذه جميعها مخالفة للشريعة المقدّسة.

فأين وجوب المعاونة على البرّ والتقوى[1]، وإخوّة المؤمنين بعضهم لبعض[2]، و«المسلم مَن سلم المسلمون من لسانه ويده»[3]، و«المؤمن للمؤمن مثل البنيان، يشدّ بعضه بعضاً»[4]، والعصمة بحبل الله جميعاً[5]؟

إلى غيرها من المباني الدينيّة، التي بالجري عليها يقوى الدين، وينتشر

---

(١) ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ المائدة(٥): ٢.

(٢) ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ الحجرات (٤٩): ١٠.

(٣) مسند أحمد بن حنبل ٢: ٢٢٤ حديث ٧٠٨٦، وتقدّمت الإشارة إليه.

(٤) رواه أبو موسى الأشعري عن النبيّ ﷺ إنّه قال: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضا».

انظر: صحيح مسلم، كتاب البرّ والصلة والآداب، حديث ٤٨١٢.

(٥) ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا﴾ آل عمران (٣): ١٠٣.

بين الخلق، ويحصل العزّ لمتابعيه.

وقد نرى بأعيننا ذهاب العزّ والسطوة منّا؛ لشغل ذوي القدرة منّا بعضهم ببعض بالقتال ونهب المال. ليس لهم همّة غير طلب رئاسة بعضهم على بعض.

أما يلفتون نظرهم إلى ما دهاهم من الضعف والذلّ من هذه السيرة الذميمة الوخيمة! فليت شعري بم يُجيبون الله عن مخالفاتهم لما قد نبّهنا عليه من عظيم المباني الدينيّة، التي بها تقام الشريعة، وتحصل العزّة لعموم المسلمين، وتحقن بها دمائهم، وتزيد بها ثروتهم.

ومنها يقدرون على التعاون على تعمير ديارهم بأصناف المزروعات والمنسوجات، وعلى تعليم جهلتهم وصبيتهم المسائل الدينيّة والدنيويّة، فقد ترى الجهل بهاتين المنزلتين العظيمتين شائعاً؛ لشغلهم بما سمعته، فما لهم من فرصة يسعون فيها إلى تحصيل هاتين المنزلتين، اللّتين بهما يحصل شرف الدنيا والعقبى، وهم عنهما غافلون، وفي ما يحجزهم عنهما مشتغلون.

فليتدبّر مَن له رئاسة ووجاهة وثروة من المسلمين، إلى حال بني دينه من الذلّ الذي قد دهاهم، من جهة تعاونهم على قتل بعضهم لبعض، ونهب بعضهم مال بعض.

ومن الجهل الذي قد غمرهم، إلى حدّ صار به غالبهم عارياً عن معرفة ضروريّات الدين، فإن سُئل عن معنى التوحيد، وعن معنى الرسول، وعن معنى الصلاة، وعن معنى الصيام، وعن معنى الزكاة، إلى غيرها، لم يدرِ ما يقول.

والسرّ معلوم، وهو شغلهم بما مرّ، وبالمنافسات بأُمور الدنيا، من طلب زيادة الجاه والمناصب والمال، ولو بقتل مَن يطلبها مثلهم. فلم يبق لهم وقت

يصرفونه في تعلّم الضروريّات الدينيّة، وفي تحصيل الخصال الجميلة، وتعليمهم لها لغيرهم من قرباهم ورعاياهم.

بل لو يجدون وقتاً يزيد على هذه لصرفوه بالمضيّ إلى «التياتر»[1] والسينما، وسماع صندوق الصوت، وما شابهها من السفاسف المضرّة بدينهم ودنياهم.

ومن هذه الجهات ترى الموجّه منهم بزيادة المال والرجال، في غاية من الجهل بأُمور دينه، فليس يقدر على صلاة ركعتين على مقتضى ما جاءت به الشريعة.

دعنا من جهله بطرق التجارة الشرعيّة، ومن عدم معرفته بالمعاشرة لقرباه وعياله وبني دينه وغيرهم.

فما ندري لِمَ لَمْ يلفت المسلمون نظرهم إلى الغاية التي قد بُعث بسببها خاتم النبيّين صلّى الله عليه وعلى عترته الطاهرين، وهي تقديس النفوس، وتحليتها بالخصال الجميلة في هذه الدنيا، والفعال الحسنة، على مقتضى ما وردت به الشريعة، وحفظها من الخصال الذميمة والفعال القبيحة؛ ليحصل لهم الفوز يوم القيامة برضى الربّ سبحانه عنهم، فيدخلهم جنّاته خالدين فيها بالعيش الرغيد، ولهم فيها بفضله المزيد.

فإن صار نظرهم ملفوتاً إلى هذه الغاية، التي ليس لحسنها نهاية، يحصل منهم التأسّف على ما مضى من عمرهم المصروف في ما ينافي هذه الغاية، ويرفضون ما قد تعوّدوه من الفعال القبيحة، وما لبسوه من الخصال الذميمة،

---

(١) كلمة فارسيّة، معناها: المسرح الذي تقام عليه التمثيليّات.

ويقبلون على تحصيل ما يوجب لهم الوصول إلى هذه الغاية الحسنة.

ووقتئذٍ يتعاونون على البرّ والتقوى، وصغيرهم يعظّم كبيرهم، بمتابعته له على ما يأمره به من الخير، وكبيرهم يرحم صغيرهم وجاهلهم بإرشاده لهما إلى ما ينتفعان به، وينهيه لهما عما فيه ضررهما.

فتحصل لهم جميعهم سعادة النشأتين بهذه السيرة الحسنة، التي قد جرى عليها سلفهم الصالحون، فيقوّمون بهذه شعائر الدين، وتظهر من خصالهم وفعالهم محاسنه، فيهتدي إلى الدخول فيه مَن ليس من أهله؛ لدخول حبّه له في قلبه، من حسن سيرة متابعيه، وبها يعلمون حقّيّته.

فيا إخوتنا، أيّها المسلمون، نصفاً لنفوسكم العزيزة، ودينكم الحسن الشريف، بإظهاره بين الخلق بنفس تظاهركم بالمتابعة له، ورفضكم ما قد خالفه من المحرّمات، وممّا ليس في فعله شيء من المثوبات. فإن قمتم بذلك فقد نجّيتم نفوسكم من العقوبات، وشيّدتم دينكم على سائر الديانات.

ومن المعلوم كون المسلم شديد الغيرة على دينه، وعلى نفسه وعرضه وولده. وشدّة غيرته تقوده إلى تعلّم الدين، وتعليمه لعياله ومَن يعزّ عليه، وترويجه بين الخلق بقوله وفعله. فنسأل الله سبحانه التفضّل علينا، وعلى سائر المسلمين، بالتوفيق؛ لتعلّم دينه وتعليمه وترويجه بالقول والفعل بين الناس، فإنّه مجيب دعوة المضطرّين.

وهل يصبر الحرّ الغيور لذلّة ... بجهل وروض العزّ بالعلم مشرق
فنهضاً لتحصيل العلوم فإنّها ... لصاحبها في جوهر العزّ تنسق
تعلّم لها تعظم عياناً وعلّمن ... بها للورى فالفوز فيها معلّق

ففي هذه الدنيا هي الحسن وحدها وفي الحشر نور بالسـعادة محـدق
فسعياً لهـا فهـي الحيـاة لصـحبها ومنها عبير الحمـد للحشـر يعبـق
وهل سـيّدٌ يرضـى بجهـل لقومـه ومـن عـزّهم بـالعزّ حقّـاً يطـوّق
وهل يا ترى العليـا تـؤتى بغيرهـا وهل غيرها مجد به الرشـد مطبـق
فلن تجـدنّ للخيـر مبنـى بغيرهـا وللشرّ غير الجهـل مجـرى يـدفق
فرفضاً لخزي الجهل بالعلم فالهدى بذي العلم يأتي للـورى فيصـدق
وليس بهذي الفوز بـالعلم وحـده بدون صدور الفعـل للعلـم يطبـق
فإبليس مسلوب المحاسن مذ سعى ببغي غدى بـين الخليلـين يفـرق
فمن قد سما للمجد فالعلم وصـفه ومن قد هوى للذلّ بالجهل ملصق

الخاتمة

تشتمل على مطلبين

وأمّا الخاتمة

فتشتمل على مطلبين، قد ترتّبا على شهادة الحسين عليه السلام:

أحدهما: حزن محبّي جدّه وأبيه وأُمّه وأخيه ومحبّيه صلّى الله عليه وعليهم وسلّم عليه، ونياحتهم وبكاؤهم وعويلهم عليه؛ لشدّة مظلوميّته.

وثانيهما: سرور مبغضيه في يوم شهادته، وجعلهم له يوم عيد وسرور.

وقبل بيان هذين المطلبين نُقدّم مقدّمة، وهي:

إنّه ربما يخطر في قلوب بعض الغفلة، ويمرّ على خاطر بعض الجهلة، أنّ ما تفعله الشيعة من ترتيب المآتم، والنياحة والعويل واللطم، وغيرها على الحسين عليه السلام، مظاهرة منهم مذهبيّة، بها يظهر مذهبهم. فلو لم يفعلوها لصار مذهبهم مندرساً، وديانتهم منطمسة.

وليست الحال على ما توهّموه، فإنّ توهّمهم يزول بنفس نظرهم إلى صحف المسلمين المعتمدة، المتضمّنة للسنن المعروفة، وبالصحة لدى الحفظة موصوفة.

فإنّه وقتئذٍ يرى بعين الحقيقة، ظهور ما عليه الشيعة من الطريقة لدى الصحابة رضي الله عنهم، في عصر النبيّ صلى الله عليه وآله، وتبيّنها لديهم تبيّناً شائعاً معروفاً، منزّها عن الريب والشبهات، بما قد سمعوه بأسماعهم ووعوه بقلوبهم،

من السنن الشريفة، مثل خبر الثقلين، وخبر الغدير، وخبر المنزلة، وخبر «وليّ كلّ مؤمن بعدي»، وخبر «بك يا عليّ يهتدي المهتدون من بعدي» إلى غيرها ممّا مرّ نقله، ومما لم ننقله، الذي هو بمعنى ذلك.

وقد نقل ذلك خيار التابعين وحفظتهم عنهم وتابعوهم، وهذه حال الطبقات البعديّة في نقل ذلك عن الطبقة المتقدّمة، تنقل الطبقة المتأخّرة إلى اليوم وما بعد اليوم، وقد جعلت هذه السنن وغيرها طبقات الحفظة في صحفهم المعتمدة.

ولما نبّهنا عليه، قال إمام الحفظة الذهبيّ في «ميزانه»[١]، وشيخهم وخاتمتهم أحمد بن حجر في «لسانه»[٢] وغيرهما: «ولقد كثر التشيّع في

---

(١) في ميزان الاعتدال ١: ١١٨ رقم ١٢٥٢، في ترجمة أبان بن تغلب: «أبان بن تغلب [م، عو] الكوفيّ، شيعيّ جلد، لكنّه صدوق، فلنا صدقه وعليه بدعته.

وقد وثّقه أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وأبو حاتم، وأورده ابن عدي وقال: كان غالياً في التشيّع.

وقال السعديّ: زائغ مجاهر.

فلقائل أن يقول: كيف ساغ توثيق مبتدع، وحَدُّ الثقة العدالة والاتقان؟ فكيف يكون عدلاً مَن هو صاحب بدعة؟

وجوابه: أنّ البدعة على ضربين: فبدعة صغرى، كغلوّ التشيّع، أو كالتشيّع بلا غلو ولا تحريف، فهذا كثير في التابعين وتابعيهم، مع الدين والورع والصدق، فلو رُدَّ حديثُ هؤلاء لذهب جملة من الآثار النبويّة، وهذه مفسدة بيّنة.

ثمّ بدعة كبرى، كالرفض الكامل والغلوّ فيه، والحطّ على أبي بكر وعمر، والدعاء إلى ذلك، فهذا النوعُ لا يحتجُّ بهم ولا كرامة».

(٢) لسان الميزان ١: ٩ مقدّمة الكتاب.

التابعين وتابعيهم مع الثقة والديانة، فلو ردّ ما نقلوه لذهبت آثار النبوّة». انتهى.

فكثرة التشيّع في هاتين الطبقتين ـ اللتين هما من خير القرون ـ سببه السنن المشار إليها، التي قد حملوها عن أوّل طبقة من طبقات خير القرون. فتبيّن أنّ قيام هذه الشريعة وثبوتها وجريانها بين الناس، بنقل الشيعة لها عن الصحابة، بحيث لو لم يقبل نقلهم لذهبت الشريعة، وقُبل نقلهم لها لوثاقتهم وديانتهم.

فإذا عرفتَ ما بيّناه، علمتَ بأنّ ترتيب المآتم وتشييدها عاماً فعاماً، مظاهرة حبّية، في قبال الناصبة المظهرين للسرور؛ تبعاً لبني اُميّة في شهادة سيّد شباب أهل الجنّة، وسائر ولد عبد المطلب، الذين مَن لم يحبّهم لم يدخل في قلبه إيمان.

ولو كانت مظاهرة مذهبيّة، لما جعل إخوتنا أهل السنّة الحزن شعارهم في يوم شهادة المشار إليهم، باجتماعهم في المساجد وغيرها، يتلون ما جرى على خير عترةٍ من الصدمات، فيحزنون لذلك، وينتحبون ويعولون، وتجري دموعهم شجناً على الذين مَن لم يحبّهم لم يدخل في قلبه إيمان؛ تأسياً منهم بخاتم الرسل صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وصلة منهم له بإظهار سمة محبّتهم لقرباه، يرجون بذلك نيل المثوبات بصلة خير البريّات.

[سبب حرص الشيعة على تشييد المآتم الحسينيّة]

نعم، حرص الشيعة على تشييد المآتم وترويجها منبعث عن جهات:

منها:

التظاهر بشدّة المودّة لمن مَن لم يحبّهم لم يدخل في قلبه إيمان؛ وذلك بإظهار شدّة الحزن في ما ورد على سادتهم من الصدمات المفجعة، والمصائب الموجعة، المذيبة للصخور، فما حال القلوب ممّن يحبّهم؟!

ومنها:

طمعهم في نيل المثوبات، التي قد وعد الله سبحانه الباكين والمحزونين لمصابهم، ودون جميعها ما تقدّم نقله عن إمام أهل السنّة أحمد بن حنبل، من الخبر الذي دلّ على أنّ «مَن بكى لمصابهم فخرجت من عينه قطرة بوّأه الله الجنّة»(١).

وقد بيّنا في ما مضى السرّ في هذه المثوبة العظيمة، وفوق جميعها ما مرّ نقله عن إمام أهل السنّة أحمد بن حنبل، وعن الترمذيّ في «سننه»، وبيّنا صحّته، وهو ما دلّ على حشر المحبّ لعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام مع خاتم الرسل صلى الله عليه وآله في درجته، ومن أعظم سمات المحبّة شدّة حزن المحبّ

---

(١) فضائل الصحابة ٢: ٦٧٥ ـ ٦٧٦ حديث ١١٥٤.

في مصائب محبوبه.

ومنها:

بيـان صـبر سـيّد شـباب أهـل الجنّـة ومَـن تابعـه فـي مقـام تشـييد الـدين وترويجه، بأيّ درجة عظيمة، ورضـاه ورضـاهم بمـا قـدّره الله سـبحانه علـيهم؛ ليعرف الخلـق ذلـك، فتحصـل مـنهم المتابعـة لـه ولهـم فـي تحمّـل المصـائب العظيمة؛ لتشييد الحقّ وترويجه بين الخلق.

ومنها:

بيـان بغـض بنـي اُميّـة ومتـابعيهم لخـاتم الرسـل وعترتـهﷺ، وشـناعة ظلمهم لهم؛ ليعرف الناس حـالهم فـي خـروجهم عـن الـدين، فيبـرأون مـنهم، ويتجاهرون بلعنهم، ويهتـدون بـذلك إلـى محبّـة العتـرة، فيلتفتـون إلـى سـامي مقامهم، فيعظّمون مَن بقي منهم، ويحفظونهم من شرّ معاديهم، يوقرون بـذلك رسول اللهﷺ ويحترمونه.

ومنها:

التنبيه منهم لمن قد غفل عن مقامات أهل البيـت، وعـن ظلـم بنـي اُميّـة لهم، الظلم الفاحش المدهش، فلعلّهم يلفتون نظرهم إلى الحقّ فيهتـدون إليـه. ولقد هدى كثير من الغفلة إلى الحقيقة، بعد نظرهم إلـى مـا تفعلـه الشـيعة مـن هذه المظاهر الحسينيّة.

فكم من مشاهد لها عاد إلى محلّه منزعجاً من ظلم بني اُميّـة، فنظـر إلـى الصحف المتضمّنة لشرف أهل البيت، ولسـيرة بنـي اُميّـة معهـم، فاهتـدى مـن ذلك إلى الحقّ.

وكم من مشاهد لها عاد إلى مقرّه، وهو يفحص من أهل الديانة، الذين لهم خبرة بهذه المطالب، فأظهروه على الحقيقة، فمال إلى الحقّ وتبعه.

وحيث تقرّرت هذه المقدّمة، التي قد ثبت منها حُسن مآتم التعزية على الحسين عليه السلام من جهات عديدة، جهة منها كافية في ثبوت حسنها شرعاً، فكيف بجميعها!

فاعلم بأنّ مصيبة الحسين عليه السلام، على ما مرّ التنبيه عليها، أعظم مصيبة وقعت في العالم، وقد عرفتَ حزن العالم بأجمعه عليه.

فمحبّوه حيث ثبت عندهم ذلك، صار حزنهم عليه مستديماً عظيماً، خصوصاً في زمان صدور الظلم الفاحش عليه فيشتدّ بكاؤهم، ونحيبهم، وضجيجهم، وعجيجهم، ولطمهم رؤوسهم ووجوههم وصدورهم عليه.

بل حقّ المحبّ له الحزن الموجب لزهوق روحه؛ تأسّفاً عليه ممّا قد دهاه من الصدمات المدهشة، التي قد غيّرت العالم جميعه بضروب الحزن عليه، والغضب على ظالميه، فلن ينساها محبّوه، وما لهم من سلوة عنه سوى التظاهر بضروب الحزن عليه.

ولقد جرت عادة الناس على الحزن في موت عظمائهم وسادتهم من جهة محبّتهم لهم، فما حال المحبّين لعصبة مَن لم يحبّهم لم يدخل في قلبه إيمان، وقد علموهم بالحال التي قد تقدّم التنبيه عليها في شدّة ظلم العدى لهم، فهل يتصوّر مفارقة الحزن عليهم لهم، بل المنصف يعلم بأنّ الحزن العظيم عليهم حقّه المقارنة لهم إلى الموت، فهذه جهة تقضي بها المحبّة الصادقة.

وجهة غيرها، وهي التأسّي بخاتم الرسلﷺ؛ لما تقدّم نقله عنه أنّه بكى على ريحانته لما علم بأنّه يُقتل قبل زمان شهادته بما يزيد على خمسين سنة[١].

وفي عالم البرزخ حزن عليه وبكاه، ولكلّ مؤمن برسول الله أُسوة حسنة.

ومن المعلوم أنّ حزن المحبّ على محبوبه؛ لكونه محبوبه، ولكونه مظلوماً، حسنٌ شرعاً، ولذلك صدر من خاتم الرسلﷺ بكاؤه على ريحانته.

ومثله لطم الوجوه والرؤوس والصدور، فإنّ خبر: «ليس منّا مَن لطم الوجوه، وشقّ الجيوب، ودعا بدعوى الجاهليّة»[٢] غير شامل للمقام؛ من حيث إنّه قد دلّ على حرمة ذلك لعدم الرضى بما قضاه الله سبحانه.

فأمّا مَن فعل ذلك لمحض حبّ المفقود ولعظمة مظلوميّته، وهو قد رضي بما قضاه الله سبحانه، فلم يدلّ الخبر الشريف على منعه، بل قد يشمّ منه رجحان ما خالفه. ولذلك ورد عن أهل البيتعليهم السلام: «ولقد لطمن الفاطيات الوجوه وشققن الجيوب على الحسينعليه السلام، وعلى مثله تلطم الوجوه وتشق الجيوب»[٣].

وقد جرت عادة الشيعة على ذلك في حقّ الحسينعليه السلام، بترتيب المآتم، وبيان ما جرى عليه من الجور الفاحش، فيجتمعون فيها ويؤدّون حقّ المحبّة،

---

(١) تقدّمت الإشارة إليه، وانظر كامل الزيارات: ١٢١ باب ١٦ «ما نزل به جبرئيلعليه السلام في الحسينعليه السلام إنّه سيقتل».

(٢) صحيح البخاريّ ٢: ٨٣ باب «ليس منّا مَن ضرب الخدود»، و٤: ١٦٠ باب «قصة زمزم».

(٣) تقدّمت الإشارة إليه، انظر تهذيب الأحكام ٨: ٣٢٥، حديث ١٢٠٧.

من التنويه بمحاسن خصاله وجميل فعاله؛ ليقتدي به فيها السامعون، ويستنّ بما قد سنّه المؤمنون، في بذل ما يعزّ عليهم في تشييد الدين وترويجه بين الخلق، ويحزنون عند تعرّض القارئ لشيء من الظلم الذي قد ورد عليه، ويبكون ويعولون ويلطمون.

فيعمّرون المآتم بذلك، وبإطعام الطعام، وحسن الخدمة للمستمعين بما يناسب شؤونهم، ويبذلون المال الجزيل في هذه السبيل، تعظيماً منهم لمن قد عظّمه الله سبحانه، بما قد مرّ من عظيم التعظيمات.

وهذه السيرة الحسنة قد تلقّوها من خاتم الرسل صلى الله عليه وآله؛ لصدورها منه في حقّ خديجة أُمّ المؤمنين، فقد روى مسلم في «صحيحه»، وغيره من الحفظة، عن أُمّ المؤمنين عائشة، أنّه صلى الله عليه وآله كان يذبح الشاة ويفرّقها في صويحبات خديجة أُمّ المؤمنين[1].

فإنّه لو لم يكن بذل الطعام محبوباً عند الله في سبيل الميّت، لما جرت سيرته صلى الله عليه وآله على ذلك، فإطعام الطعام في سبيل الموتى ـ خصوصاً المعظّمين منهم ـ من سنن خاتم الرسل صلى الله عليه وآله.

ثمّ ليتدبّر القارئ في ما ورد من طرق أهل البيت عليهم السلام في الحزن عليه؛ ليعرف الوجه الذي يمشي فيه إليه، مضافاً إلى ما مرّ من خبر الفاطميّات، ففي «البحار» في الموثّق عن الرضا عليه السلام أنّه قال: «من تذكّر مصابنا فبكى وأبكى كان معنا في درجتنا يوم القيامة، ومَن ذكّر بمصابنا فبكى أو أبكى لم تبك عينه يوم تبكي العيون، ومَن جلس مجلساً يحيى فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم

(١) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، فضائل خديجة، حديث ٢٤٣٥.

تموت القلوب»[1].

وروى فيه حديثاً صحيحاً عن الصادقعليه السلام أنّه قال: «مَن ذكرنا أو ذُكرنا عنده، فخرج من عينه مثل جناح بعوضة، غفر الله ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر»[2].

وروى صحيحاً على المختار عن الرضاعليه السلام، قال فيه: «يا بن شبيب، إن سرّك أن تكون معنا في الدرجات العلى، فاحزن لحزننا وافرح لفرحنا»[3].

وروى صحيحاً عن الصادقعليه السلام أنّه قال: «من أنشد في الحسينعليه السلام بيتاً فبكى أو تباكى فله الجنّة»[4].

وروى فيه صحيحاً عنهعليه السلام، قال فيه: «اللهمّ ارحم تلك الوجوه التي غيّرتها الشمس، وارحم تلك الخدود التي تقلّبت على قبر أبي عبد الله، وارحم تلك العيون التي بكت رحمة لنا، وارحم تلك القلوب التي جزعت واحترقت لنا، وارحم تلك الصرخة التي كانت لنا»[5] الخبر.

وفيه خبر مسمع كردين، أنّ الصادقعليه السلام قال له: «هل تزور قبر الحسينعليه السلام»؟

فقال له: إنّي رجل معروف، ولي معادون، فأخشى وصول خبري إلى

---

(١) بحار الأنوار ٤٤: ٢٧٨، حديث ١، الباب الرابع والثلاثون «ثواب البكاء على مصيبته ومصيبة سائر الأئمّةعليهم السلام»، نقلاً عن أمالي الصدوق: ١٣١، حديث ١١٩.

(٢) كامل الزيارات: ٢٠٢، الباب ٣٢، الحديث ٣ و ٩، ثواب الأعمال: ٨٤.

(٣) الأمالي للشيخ الصدوق: ١٩٣، المجلس ٢٧، حديث ٥، عيون أخبار الرضاعليه السلام ١: ٢٦٩، الباب ٢٨، حديث ٥٨.

(٤) كامل الزيارات: ٢٠١، الباب ٣٢ و ٣٣.

(٥) الكافي ٤: ٥٨، حديث ١١، باب فضل زيارة أبي عبد الله الحسينعليه السلام».

بني اُميّة، فيميلون عليّ.

فقال له: «هل تبكي عليه لما أصابه»؟

قال: إي والله، ويظهر ذلك على وجهي.

فقال عليه السلام: «أما إنّك من الذين يعدّون من أهل الجزع لنا، والذين يفرحون لفرحنا، ويحزنون لحزننا، ويخافون لخوفنا، ويأمنون إذا آمنا»[1] الخبر.

وروى غيره، وفيه «نفس المهموم لظلمنا تسبيح، وهمّه لنا عبادة، وكتمان سرّنا جهاد في سبيل الله»[2].

وفيه خبر من جملته: «وإنّ الحسين عليه السلام لينظر إلى مَن يبكيه، فيستغفر له، ويسأل أباه أن يستغفر له، ويقول: أيّها الباكي لو علمت ما أعدّ الله لك لفرحت أكثر ممّا حزنت، وإنّه ليستغفر له من كلّ ذنب وخطيئة»[3].

وفيه خبر عن الصادق عليه السلام، قال فيه: «تجلسون وتتحدثون»؟

قلت: نعم.

قال: «إنّي تلك المجالس اُحبّها» إلى قوله: «رحم الله من أحيى أمرنا»[4].

وفيه خبر عنه عليه السلام، دلّ على دخول أبي هاون المكفوف عليه، فاستنشده شيئاً من الشعر في الحسين عليه السلام، فأنشده، فبكى من حوله صحبه، وسمعتُ

---

(١) كامل الزيارات: ٢٠٣، حديث ٧.

(٢) بحار الأنوار ٤٤: ٢٧٨ حديث ٤، عن أمالي الشيخ المفيد: ٣٣٨ حديث ٣.

(٣) بحار الأنوار ٤٤: ٢٩٢ حديث ٣٥، نقلاً عن كامل الزيارات: ١٠١.

(٤) وسائل الشيعة ١٤: ٥٠١ حديث ١٩٦٩١، نقلاً عن ثواب الأعمال: ١٠٨ حديث ١.

جارية من البيت تنادي: يا أبتاه[١]، إلى غيرها ممّا هو بمعناها.

فمن نظر إليها بعين البصيرة، لوجد غالبها قد سيق لبيان مثوبة مَن بكى لهم، والمبكي غيره، والمتباكي. وبعضها دلّ على بيان سبب ذلك من الشعر، ومن بيان ما جرى عليهم، فما من عموم في الباب يدلّ على رجحان جميع ما يوجب حزن محبّهم وبكائه عليهم.

وجملة منها دلّت على جريان سيرتهم، وهي بكاؤهم ونحيبهم عندما يذكرون مصابه عليه السلام، فيشتدّ حزنهم إلى حدّ يغمى على بعضهم بسبب ذلك.

وهو ليس بعجيب، فقد يغمى على غيرهم من الناس من شدّة حزنهم وبكائهم على فقد مَن يحبّونه، وقد عزّ عليهم موته.

وقد جرى الكثير في حقّ غيرهم، فالعادة جارية بعروض الغشية بشدّة الحزن والنحيب على الفقيد العزيز غالباً. ومتابعة سيرتهم في الباب وغيره، هو المعوّل عليه لدى محبّيهم. وإباحة ما لم يرد فيه نصّ، بعد فرض عدم وجود ضرر فيه، غير جارية في المقام؛ لكونه مقام عبادة، فتفتقر إلى طلب شرعيّ، وما من طلب.

ومَن نظر إلى شدّة عنايتهم في مسألة الحسين عليه السلام، وعدم صدور غير ما نقلناه عنهم فيها، وما هو مثله في المعنى، يعلم يقيناً بأنّ المقصود تشييد ما جرى عليه ديدنهم: من ذكر مصائبه عليه السلام، والتظاهر بالتألّم منها، والنحيب والعويل، إلى تمام ما سلف.

وذكر صبره عليها، وبذله نفسه وسائر ما يعزّ عليه في سبيل تشييد دين

---

(١) ثواب الأعمال للشيخ الصدوق: ١١١ .

الله وترويجه، ونحن بتسديد الله سبحانه قد جرينا على منهاجهم، ولم نعثر على دليل يقضي بالتجاوز عمّا شيّدوه وروّجوه بين محبّيهم.

[بدعة اتخاذ يوم عاشوراء يوم فرح وسرور]

وثاني المطلبين ـ الذي قد ترتّب على شهادة الحسين عليه السلام ـ مبتدعات قوم ممّن يقرّ بالشهادتين، وهم يجعلون يوم شهادة سيّد شباب أهل الجنّة يوم عيد وسرور، ويظهرون فيه الزينة، فيختضبون ويكتحلون، ويلبسون الثياب الفاخرة، ويطبخون الطعام الجيّد، الذي هو من مختصّات يوم العيد، ويوسّعون على عيالهم في النفقات.

وهذه السيرة منهم جارية إلى اليوم، نقل ذلك عنهم أهل العلم والمعرفة بالمنقول، مثل الشيخ تقي الدين أحمد، المعروف بابن تيميّة في «منهاجه»[1]، وشهاب الدين أحمد بن حجر[2]، وغيرهما، ناصّين على بدعة ذلك، وعدم ورود الخبر له جهة صحّة يشير إلى شيء منها.

ونحن نأسف على مَن يشهد الشهادتين، حيث يتظاهر بالبغض لخاتم الرسل ولعترته صلّى الله عليه وعليهم وسلّم، علناً، عاماً فعاما، من جهة جعله يوم مصيبته وحزنه ومصيبتهم وحزنهم يوم عيد وسرور. وقد بلغه حزن العالم جميعا، حسبما مرّ نقل ذلك على الحسين، ومَن معه من بني هاشم، الذين لم

---

(١) منهاج السنّة ٤: ٥٥٧.

(٢) الصواعق المحرقة: ١٨١.

يكن لهم يومئذٍ في الدنيا شبيه، قاله حسن البصري، نقله عنه صاحب «التذكرة» وغيره.

وعلم بانتقامات الله سبحانه من قتلتهم في الدنيا قبل العقبى، من حيث قتلهم ظلماً عصبة مَن لم يحبهم لم يدخل في قلبه إيمان.

وأظهر سمات المحبّة وأعظمها في تأثر القلوب، الحزن لحزن المحبوب، والسرور لسروره. وحزن خاتم الرسل صلى الله عليه وآله لقتل عترته معلوم، في ما مرّ نقله.

وسرور بني أُميّة في يوم قتلهم، ثابت من دون ريب.

فالمسرور في يوم حزن خاتم الرسل صلى الله عليه وآله ـ من جهة حزنه التي هي قتل عترته ـ مبغض له من دون شبهة، ومحبّ لعدوِّه؛ لتبعيّته له على سروره، وحال المبغض لمثله صلى الله عليه وآله معلومة ذميمة العاقبة.

فأيّ عاقل يبغض نبيّ الرحمة، ويحبّ عدوِّه؟!

فما ندري ما الباعث لهم إلى رفض التأسّي بمن حبّه إيمان وبغضه نفاق؟!

والتأسّي به هدى ولزومهم للتأسّي بالمنافقين، المعلومة شدّة نفاقهم بقتلهم ظلماً ـ بأشرّ قتلة ـ جماعة مَن لم يحبهم لم يدخل في قلبه إيمان.

ولعلّ القوم جهلة، إلى حدّ صدرت منهم المتابعة لبني أُميّة على مبتدعاتهم، بدون الفحص عن السنن التي قد دلّت على قباحة نفاقهم. فنحن نهدي من بقي منهم، إلى النظر في هذه السنن وغيرها، ممّا دلّ على رفعة شرف عترة خاتم الرسل صلى الله عليه وآله، ووجوب مودّتهم.

وقد نبّهنا عليها في هذه الرسالة المختصرة؛ نصحاً منّا لبني نوعنا، لنرشدهم إلى الحقّ، محذّرين لهم من بغض خاتم الرسلﷺ وعترته، ومحرّضين لهم على محبّته ومحبّتهم، فيحزنون لما يحزنه ويحزنهم، ويسترّون بما يسرّه ويسرّهم، ليحصل لهم الفوز بالحشر في زمرته وزمرتهم.

ومن المعلوم لدى مَن له أدنى شعور، أنّ المسلم هو الذي يحبّ ما يحبّه خاتم الرسلﷺ، ويبغض ما يبغضه، فيسترّ بما يسرّه، ويحزن لما يحزنه، فيأنس بما يسرّه، ويتألم ممّا يؤلمه.

فالمسرور والمأنوس بما قد حزن منه خاتم الرسلﷺ، ليس بمسلم؛ لحقده بذلك عليه ومشاقته له، وقد قال سبحانه: ﴿**وَمَنْ يُشَاقِقْ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ**﴾(١).

ومن المعلوم أنّ سبيل المؤمنين، هي التأسّي بخاتم الرسلﷺ في ما يسرّه ويأنس به، وفي ما يحزنه ويتألم منه. وهل يرضى العاقل من نفسه التأسّي بحال من عادى خاتم الرسلﷺ، إلى حدّ قتل عترته ظلماً، وهم الذين مَن لم يحبّهم لم يدخل في قلبه إيمان؟!

بل العاقل همّه وغايته وسعوده بالسعي للتأسّي بمن التأسّي به خير محض، ورفض التأسّي بعصبة لم يصدر منها سوى الشرّ العظيم، الذي قد غضب الله عليهم من جهة بآياته العظيمة الخارقة للعادة. وقد قدّمنا نقل جملة منها، فيها عبرة وبصيرة لذوي الشعور.

فحفظاً لنفوسكم يا قوم من هذه الورطة العظمى، الموجبة لمشاقّة خير

---

(١) النساء (٤): ١١٥.

الرسل صلى الله عليه وآله، بالتوبة منها، وبالتأسّي به في الحزن والتألم ممّا حزن له وتألم منه؛ ليحصل لكم الفوز بالحشر في زمرته، رزقنا الله وسائر المسلمين ذلك، وغيره مما يوجب لنا مغفرته ورضاه، آمين يا ربّ العالمين.

هل سرّ قلب والحزين محمّد　　　فحشاه في نار الجوى تتوقّد
من وقعة ما في الدهور نظيرها　　　من عظم فجعتها يقام ويقعد
حازت بنوه بها مقاماً مجده　　　للحشر صوت الرشد فيه يغرّد
حقّ لمن هذي نتيجة سعيهم　　　وقد القلوب بزفرة تتأبّد
هم خير صيد للبريّة حبّهم　　　دين ومبغضهم شقي ملحد
قد غالهم شرّ الورى بجيوشه　　　صرعى دعتهم والثرى متوسّد
بالسبي قد سيقت بقاياهم على　　　عجف المطا ونحيبهم يتنضّد
ممّا يرون على الصعيد حماتهم　　　صرعى وعن جنس اللباس تجرّد
والخيل قد جالت عليهم عنوة　　　حتّى غدت منها العظام تقصد
من غير دفن بالهجير جسومهم　　　ورؤوسهم فوق القنا تتأوّد
لهفي لجيل مطرب بمصابهم　　　عاماً فعاماً للسرور يجدّد
هل شمّ حبّهم الذي في حزنهم　　　يسر بل من بغضهم يتزوّد
يسرّ في هذي المصائب مسلم　　　في عترة الهادي النبيّ ويسعد
يا ليت شعري فالمنافق مَن　　　لو يرتضي هذه الفعال موحّد
جعل السرور بهذه ليزيد هل　　　قد صار عندهم نبيّاً يعضد
مَن يقتدِ بيزيد في ما سنّه　　　يُحشر بزمرته فبئس المورد
والمبتغي حسن المآب بجدّهم　　　فليقتدِ لينال نعم المقعد
هل قد تناسى مَن يسرّ بحزنهم　　　ايابها الله الطغاة يهدّد
منها السما مطرت دماً في يومهم　　　والشمس قد كسفت لهم تتوجّد

ودجى النهار دم المياه عليهم بعض لبعض في الرزيّة يسعد
والنجم منتشر يضارب بعضه بعضاً فيبدي للمصاب ويرشد
حسب اللبيب بما جرى من هذه من خارق منه الهدى يتشيّد

ثمّ نحن لنعجب من غفلة أهل العلم والمعرفة من اخوتنا من أهل السنّة، من حيث ذهابهم إلى ندب صيام يوم العاشر من المحرّم. وعلى مقتضى ما ثبت من طرقهم من السنن، قد صار صيامه منسوخاً، فهو ليس بمرضي لله ورسولهﷺ؟!

وها نحن نوقظهم من هذه الغفلة، بإظهار الحقّ لهم؛ ليعرفوه بعين البصيرة، وذلك من باب حبّنا لهم بإخوتنا معهم في الدين، ومن باب وجوب نصيحة المسلمين، ومن باب وجوب التعاون على البرّ والتقوى(١)، فنقول:

قد ثبت في الصحيحين عن عائشة أُمّ المؤمنين، أنّ النبيّﷺ صام يوم العاشر من المحرّم، وأمر الناس بصيامه قبل فرض صيام شهر رمضان، ولمّا فرض صيام شهر رمضان تركه، وخيّر الناس بين صيامه وتركه(٢).

وروى مسلم في صحيحه عن ابني عمر ومسعود مثله(٣).

وروى عنهما أنّهما تركا صيامه بعد فرض صيام شهر رمضان(٤).

وروى فيه عن ابن عباس أنّه قيل لرسول اللهﷺ: إنّ يوم العاشر من

---

(١) ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ المائدة (٥): ٢ .
(٢) صحيح البخاريّ ٤: ٢٤٤ حديث ٢٠٠١، صحيح مسلم، كتاب الصوم: ١١٢٥.
(٣) صحيح مسلم، كتاب الصوم: ١١٢٦.
(٤) صحيح مسلم، كتاب الصوم: ١١٢٧.

المحرّم يوم تعظّمه اليهود والنصارى.

فقال: «فإن أتى العام المقبل صمنا اليوم التاسع»[١]، فلم يأت العام المقبل حتّى توفّي رسول الله صلى الله عليه وآله.

فظهر من الخبر الثابت الصحّة، أنّ مَن صام اليوم العاشر من المحرّم، يصير متشبّهاً باليهود والنصارى، ولذلك قال صلى الله عليه وآله: «فإن أتى العام المقبل صمنا اليوم التاسع»، فأبان به رفض صيام اليوم العاشر منه ونسخه به، ولم نر للخبر معارضاً يقاومه.

فالعمل عليه هو شأن المسلم من حيث إنّ صيامه ـ بعد ثبوت نسخه باليوم التاسع ـ ليس بمأمور به، بل المندوب إليه صيام اليوم التاسع منه. ونحن نقدّس قومنا عن التشبّه باليهود والنصارى. فقد روى السيوطي حديثاً في «جامعه الصغير» وحسّنه، عن سنن السجستاني عن ابن عمرو عن طب [الطبراني] عن حذيفة عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «من تشبّه بقوم فهو منهم»[٢].

ونحن نحمل قومنا واخوتنا على الغفلة في المقام، وننزّههم عن تعمّد المخالفة لمثل هذه السنّة الثابتة الصحّة، وعن المشابهة لغير بني دينهم. فأيّ مسلم يتعمّد رفض السنّة الصحيحة، ويشابه غير أهل دينه؟!

تمَّ بحمد الله وحُسن توفيقه، ما رمنا كشفه من الحقّ لغفلة الخلق، في

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الصوم: ١١٣٤.

(٢) حديث مرفوع: حدّثنا أبو ذوالة، حدّثني أبي عبد العزيز بن مروان، عن جدّه أبان بن سليمان بن مالك الليثي، عن أبي اُمامة الباهلي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «مَن تشبّه بقوم فهو منهم، ومن أحبّ قوماً حُشر معهم».

انظر: عوالي اللآلي ١: ٥٦، سنن أبي داود ٢: ٢٥٥ .

البصرة، خامس عشر ربيع المولود، على يد مصنّفه، الجاني الحقير، الفقير إلى سعة رحمة ربّه العظيم، محمّد مهدي، خلف المرحوم المبرور السيّد صالح الموسويّ القزوينيّ نوّر الله مرقده.

وذلك في سنة ألف وثلاثمائة وخمس وأربعين هجريّة، على مهاجرها وعترته الطاهرين أفضل الصلاة والتسليم وأسنى التحية، وعلى صحبه وعلى التابعين لهم بإحسان، فأسأل سبحانه أن يجعلها خالصة لوجهه العظيم نافعاً بها الغفلة.

والمأمول ممّن نظر فيها طلب المغفرة لمصنّفها من الله سبحانه، ولذوي رحمه جميعهم، ولذوي الحقوق عليه، ولسائر المؤمنين والمؤمنات، فإنّه سبحانه غفّار الذنوب ستّار العيوب.

(٥)

قطعة من كتاب

دولة الشجرة الملعونة الشاميّة

أو

دور ظلم بني اُميّة على العلويّة

تأليف

السيّد محمّد مهدي الموسويّ القزوينيّ

(ت ١٣٥٨ هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

[المقدّمة]

الحمد لله الربّ العظيم، المنّان على عباده بضروب النعيم، الهادي بآياته إلى الدين القويم، موضحاً ببيّناته القاطعة خير محجّة، ومقيماً بها على من طغى نير[1] الحجّة ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾[2].

وأفضل الصلاة والتسليم على النبيّ الرؤوف بالمؤمنين الرحيم، وعلى عترته الطاهرين، قادة الخلق إلى الحقّ المبين، وعلى صحبه البررة المنتجبين، وعلى تابعيهم بإحسان من المؤمنين إلى قيام يوم الدين، آمين رب العالمين.

أمّا بعد، فقد عشعش في قلوب غالب بني الزمان متابعة الهوى والشيطان، فجرّهم ذلك إلى المدهش والطغيان، وهو جعل الباطل حقّاً؛ نقضاً لنصوص الفرقان، ولسنن سيّد بني عدنان.

فليت شعري! أما يستحي مَن سار بهذه السيرة الخبيثة من نفسه، حيث

(١) نِيرُ الطريق: ما يتَّضح منه. الصحاح ٢: ٨٤١ «نير».

(٢) الأنفال (٨): ٤٢.

جعل البغي على الله مِهاد[(١)] رَمسه[(٢)]؟! فهل توهّم بالمتابعة لخير شريعة وهناً عليه، فطفق يسعى لجلب العزّة بنقضها إليه؟

أما درى بأنّ الله المظهر دينه على رغم المبدعين، والمنجي بآياته من شرّ زخارفهم الغافلين؟!

ونحن ـ بحمد الله وحسن توفيقه ـ نرشد مَن حادَ من الخلق عن سنن الهدى وجادّة الحقّ، إلى ما فيه خير النشأتين بآيات الفرقان العظيم، وسنن خاتم النبيّين صلّى الله عليه وعلى عترته الطاهرين، وذلك لما فرضه الله سبحانه على العالم من بيان الحقّ لمن قد جهله من الخلق، ومن الله سبحانه نستمد المعونة والتسديد والتوفيق، فإنّه خير الهادين بآياته إلى سوي الطريق.

يعلم القارئ ـ بعد نظره إلى ما نرسمه في هذه الصفحات ـ بأنّا منزّهون عن قذر التعصّب وخباثة التحزّب، بل صادعون بأمر الله في بيان الحقيقة، وفي الدعوة إلى خير سعادة وطريقة، ننجي بذلك الغفلة، ممّا قد زخرفه لهم المسمّى بـ«أنيس زكريا النصولي» من التنويه بدولة بني اُميّة الشاميّة، مرشدين له ولحزبه إلى الشرعة المحمديّة، ومقدّسين لهم من نجاسة الحمية الجاهليّة؛ حبّاً منّا وشوقاً إلى الدخول في معنى قوله سبحانه: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ**﴾[(٣)].

ونصحاً منّا لمن دخل من بني ديننا في قوله سبحانه: ﴿**وَمَنْ يُشَاقِقْ**

---

(١) المِهاد: الفِراش. الصحاح ٢: ٥٤١ «مهد».

(٢) الرَمْسُ: تراب القبر. الصحاح ٣: ٩٣٦ «رمس».

(٣) آل عمران (٣): ١١٠.

الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ﴾[١].

ونسأله سبحانه التفضّل عليهم بالتوفيق للنصولي من خبث الباطن والتحلّي بدرر الحقّ، فإنّه المنّان على عباده بالتسديد إلى معرفة الحقّ ومتابعته.

وقد سمّينا هذه الهدية لبني ديننا «دولة الشجرة الملعونة الشاميّة»، أو «دور ظلم بني أُميّة على العلويّة»؛ متابعة منّا لنصّ الفرقان العظيم، ولسنّة النبيّ الرؤوف بالمؤمنين الرحيم، صلّى الله عليه وعلى عترته الطاهرين، قادة الخلق إلى سبيل الحقّ.

[ثمّ شرع المؤلّف ببيان مطالب كتابه، إلى أن وصل إلى البحث الذي هوموضوع هذه المجموعة، وهو الشعائر الحسينيّة، فقال]:

---

(١) النساء (٤): ١١٥.

[نقل كلام أنيس النصوليّ]

قال النصوليّ في الصحيفة الثالثة والثلاثين إلى الصحيفة الستّين ما ملخصه: «إنّ يزيد كان يميل إلى الشدّة في تقويم دعائم ملكه، فكتب إلى الوليد يستحثّه على أخذ البيعة من الحسين عليه السلام، فأبى عنها، وسار إلى مكّة، فوصل خبره إلى أهل الكوفة، فأتته رسلهم يشجّعونه على القدوم إليهم. وقد تتابعت إليه كتبهم في مدّة قليلة، حتّى ملأت خرجين.

ولم يضرب متولّي الكوفة من قبل يزيد دعاة العلويّين بيدٍ من حديد، وكان يميل إلى الحسين عليه السلام، يدلّنا على ذلك قوله لمن يهوى بني اُميّة لما جعل يلومه ويتّهمه بالضعف: «فإن أكن ضعيفاً وأنا في طاعة الله، أحبّ إليّ من أن أكون قويّاً في معصية الله».

وإنّ أهل الكوفة قصدهم الدنيا والدرهم، وقد بذلهما ابن مرجانة لهم، فساعدوه على محاربة سيّد شباب أهل الجنّة.

وقد حصل الوهن للحسين عليه السلام بأُمور:

منها: وثوقه بالكوفيّين، وقد علم شقاقهم بحقوق أبيه وأخيه من قبل، ولم يقبل قول مَن نصحه بعدم المسير إليهم.

ومنها: أنّه عليه السلام لم يهتم بنشر دعوته بين الناس؛ ظنّاً منه أنّ القوم

سيقومون ببيعته.

ومنها: تخليته عن الحجاز واليمن، وفيهما أنصاره وشيعة أبيه، وأمتازت اليمن ببعدها عن مركز سلطنة يزيد، فكان يمكنه بثّ دعاته في أقطار العالم وهو مأمون مطمئن، وقد أشار عليه ابن عباس بالمسير إليها[١].

ومنها: تشجيع ابن الزبير من طرف خفي على الحسين عليه السلام على المسير إلى الكوفة.

ومنها: يقظة بني اُميّة بإرسالهم الشديدين من رجالهم ـ مثل ابن مرجانة ـ إلى المصرين.

ومنها: تملّك جيوش بني اُميّة المياه، وسدّهم طرقها عن الحسين عليه السلام وصحبه، ومنعهم له عن ورودها.

ومنها: ارتياب الحسين عليه السلام في إمامة نفسه، فاعترف ليزيد صريحاً بإمارة المؤمنين، وأنّه مستعدّ لمبايعة يزيد، يروي لنا ذلك الطبريّ[٢].

---

(١) في تاريخ الطبري ٥: ٣٨٣ ـ ٣٨٤: «فلمّا كان من العشيّ أو من الغدّ، أتى الحسينَ عبدُالله ابن عباس، فقال: يا بن عمّ، إنّي أتصبّر ولا أصبر ... فإن أبيتَ إلّا أن تَخرج، فسر إلى اليمن، فإنّ بها حصوناً وشعاباً، وهي أرض عريضة طويلة، ولأبيك بها شيعة، وأنت عن الناس في عزلة، فتكتب إلى الناس وترسل وتبثّ دعوتك».

(٢) وهذا غير صحيح قطعاً، فإنّ الإمام الحسين عليه السلام لم يعترف بإمارة المؤمنين ليزيد الفاسق. نعم، ذكر الطبريّ كلاماً للناس، بعد ملاقاة الإمام الحسين عليه السلام لعمر بن سعد، إذ قال: «وتحدّث الناس في ما بينهم، ظنّاً يظنّونه أنّ حسيناً قال لعمر بن سعد: اُخرج معي إلى يزيد بن معاوية وندع العسكرين.

قال عمر: إذن تُهدم داري.

⇐

ويروي لنا الكثير من المؤرّخين، أنّ يزيد بكى لموت الحسين عليه السلام، وقال: ويحكم قد كنتُ أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين، لعن الله ابن زياد، والله لو كنتُ صاحبه لعفوت عنه.

وقد احترم ابن زياد نسوة الحسين عليه السلام، فأجرى عليهنّ الرزق وكساهنّ وسيرهنّ إلى يزيد، فأدخلن بيته فاستقبلتهنّ بنات أبي سفيان باكيات نائحات على قتيل الطفّ وما من شكّ في كون يزيد لم يفكر البتة بقتل الحسين عليه السلام،

قال: أنا أبنيها لك.

قال: إذن تؤخذ ضياعي.

قال: إذن أعطيك خيراً منها من مالي بالحجاز.

قال: فتكرّه ذلك عمر، قال: فتحدّث الناس بذلك، وشاع فيهم من غير أن يكونوا سمعوا من ذلك شيئاً ولا علموه».

ثمّ قال الطبريّ: «قال أبو مخنف: وأمّا ما حدّثنا به المجالد بن سعيد والصَّقعَب بن زهير الأزديّ وغيرهما من المحدّثين، فهو ما عليه جماعة المحدّثين، قالوا: إنّه قال: اختاروا منّي خصالاً ثلاثاً: إمّا أن أرجع إلى المكان الذي أقبلتُ منه، وإمّا أن أضع يدي في يد يزيد بن معاوية فيرى في ما بيني وبينه رأيَه، وإمّا أن تسيّروني إلى أيّ ثغر من ثغور المسلمين شئتم، فأكون رجلاً من أهله، لي مالهم وعليّ ما عليهم.

قال أبو مخنف: فأمّا عبد الرحمن بن جندب فحدّثني عن عقبة بن سمعان، قال: صحبتُ حسيناً فخرجتُ معه من المدينة إلى مكّة، ومن مكّة إلى العراق، ولم أُفارقه حتّى قُتل، وليس من مخاطبته الناس كلمة بالمدينة، ولا بمكّة، ولا في الطريق، ولا بالعراق، ولا في عسكر إلى يوم مقتله إلّا وقد سمعتها. ألا والله ما أعطاهم ما يتذاكر الناس وما يزعمون، من أن يضع يده في يد يزيد بن معاوية، ولا أن يسيّروه إلى ثغر من ثغور المسلمين، ولكنّه قال: دعوني فلأذهب في هذه الأرض العريضة حتّى ننظر ما يصير أمر الناس».

تاريخ الطبري ٥: ٤١٣ ـ ٤١٤.

ولم يأمل أن تتطوّر المسألة العلويّة إلى هذه الدرجة من المهابة، ولمّا وضع رأس الحسين بين يديه تمثّل بقول الشاعر:

نفلّق هاماً من رجال أعزّه   علينا وهم كانوا أعقّ وأظلما[1]

ومهما تحامل المتطرّفون من المؤرّخين على يزيد بقولهم: ساءت معاملته مع آل الحسين، فلنا من شهادة السيّدة سكينة ابنته، ما يرد عليهم قولهم، فقد قالت فيه: ما رأيتُ كافراً بالله أحسن من يزيد، فإنّه قد كساهم وأوصى بهم، ومضى معهم رسوله إلى المدينة مقرّ سكناهم.

---

(١) في تاريخ الطبري ٥: ٤٦٠ : «قال أبو مخنف: حدّثني الصّقعب بن زهير، عن القاسم بن عبد الرحمن، مولى يزيد بن معاوية، قال: لمّا وضعت الرؤوس بين يدي يزيد ـ رأس الحسين وأهل بيته وأصحابه ـ قال يزيد:

يُفَلِّقْنَ هاماً من رجالٍ أعِزَّةٍ   علَينا وهُم كانُوا أعَقَّ وأظْلَما

أما والله يا حسين، لو أنا صاحبك ما قتلتك».

وتمام الأبيات الشعريّة، كما في «الأنوار الحسينيّة» المطبوعة ضمن هذه المجموعة ٣: ٣٧٧:

نُفَلِّقُ هاماً من رجالٍ أعِزَّةٍ   علَينا وهُم كانُوا أعَقَّ وأصبَرا
وأكرم عندَ الله منّا محلّة   وأفضل في كلّ الأمور وأفخَرا
عدوّنا وما العدوان إلّا ضلالة   عَليهم ومَن يعدُوا على الحقّ يَخْسرا
فإن تعدلوا فالعدل ألقاه آخراً   إذا ضمّنا يوم القيامة محشرا
ولكنّنا فُزنا بملكٍ مُعجّل   وإن كانَ في العُقبى ناراً تَسعرا

وقال لعنه الله متمثّلاً بقول الحصين بن الحمام:

أبى قَومُنا أن ينصفُونا فأنْصَفَت   قواضبُ في أيماننا تقطرُ الدَما
يُفَلِّقْنَ هاماً من رجالٍ أعِزَّةٍ   علينا وهُم كانُوا أعَقَّ وأظْلَما

بكى المسلمون الحسين متألّمين لفاجعته، وتعقد الشيعة في عاشر المحرّم لذكرى مقتله محافل مؤثّرة. فتجدهم يضربون صدورهم بأيديهم، ويشجّون رؤوسهم بالحديد، فيموت بعضهم!! ولعلّ العلم في المستقبل يصدّهم عن مثل ذلك، فيحوّلون مجرى حزنهم إلى فعل الخير وبثّ الفضيلة بين بنيهم وبناتهم.

وليس للقارئ التوهّم أنّ بين الحسين عليه السلام وبين يزيد مباغضة شخصيّة، كما يدّعي البعض، فلقد وفد الحسين عليه السلام على معاوية، وكان جنديّاً في الجيش الذي سار لغزوة القسطنطينية بأمرة يزيد.

وما رسمناه هو الذي نظنّه الحقيقة من فاجعة الحسين عليه السلام، بل والمبالغات التي يدّعيها بعضهم خالية عن البرهان الثابت»[١] انتهى سمعاً لمنادي الحقّ.

(١) الدولة الأُمويّة في الشام: ٣٢ ـ ٥٠.

[جواب المؤلّف على كلام أنيس النصوليّ
حرص يزيد على السلطة]

أمّا حرص يزيد على السلطنة الفاجرة، فمن الحقائق البديهيّة، التي ليس يستريب فيها مَن نظر إلى تاريخه المشؤوم عليه، الذي جعل العالم مندهشاً من طامّاته التي صدرت منه؛ لشدّة حرصه على الرئاسة بالباطل، ووزره مع وزر مَن عاضده على بليّاته على أبيه؛ لكونه هو الذي غدر الناس، فأخذ البيعة منهم له، مخالفاً في ذلك للخبر الثابت الصحّة المروي في « الجامع الصغير»، وهو الذي دلّ صريحاً على أنّ «مَن جعل شخصاً على عشرة وفيهم أرضى لله منه، فقد خان الله ورسوله وجماعة المسلمين»[1].

فلينظر المسلم إلى هذه الخيانات العظيمة من معاوية؛ لعلمه وعلم غيره من المسلمين بفسق يزيد، وهو قد جعله سلطاناً على عموم المسلمين، الذين فيهم مثل الحسين وسائر فتيان بني هاشم عليه وعليهم السلام، الذين لم يكن لهم يومئذٍ في الدنيا شبيه، قاله الحسن البصريّ، فانظر صحيفة المائة والثمان من «الصواعق المحرقة»[2]، وفيهم جماعة من خيار الصحابة ومعاريفهم وخيار التابعين.

---

(١) جمع الجوامع ٦: ٤١٥ حديث ٢٠٢٢٥ وفيه: «مَن استعمل رجلاً من عصابة وفيهم مَن هو أرضى لله منه، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين».

(٢) الصواعق المحرقة: ١٩٤ .

[فاجعة الطفّ]

فأوّل طامّة صدرت منه، قد سوّدت تاريخه إلى ورود جهنّم، فاجعة الطفّ، وما يدريك ما فاجعة الطفّ؟! يخرس اللسان الطلق الذلق عن بيانها بخصوصيّاتها، ويقصر القلم عن الجريان في تدوين مشجياتها.

حسب المسلم ـ لتصوّر عظمتها وشدّة تأثيرها ـ ما صدر في العالم من سمات الغضب من الله على فاعليها، من الخارقات للعادة المدهشات، التي لم يصدر شيء منها في العالم في قتل النبيّين وغيرهم من عباد الله الصالحين.

وسيأتي التنبيه على نبذة منها، وبعضها إلى اليوم وما بعده باق؛ ليدوم حزن المؤمنين، وبكائهم ولطمهم ونياحهم وضجيجهم وعجيجهم، على سيّد شباب أهل الجنّة وسائر آل الرسول صلّى الله عليه وعليهم وسلّم.

وعقبها بسبي بنات النبوّة ومحجّبات الرسالة على أقتاب الجمال، يسار بهنّ مثل سبي الكفرة، من بلد إلى بلد، من أرض الطفّ إلى الكوفة، فأُدخلن على الدعي ابن مرجانة، وقد أذن للناس بالدخول إلى مجلسه، فخاطب عقيلة بني هاشم بقوله: الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم وأكذب أُحدوثتكم.

فقالت: «الحمد لله الذي أكرمنا بمحمّد وطهّرنا من الرجس، إنّما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر».

قال: كيف نظرت صنع الله بأهل بيتك؟

قالت: «كتبَ عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم، فتحاجّون عنده وتخاصمون».

فغضب ابن مرجانة وقال لها: لقد شفى الله نفسي من طاغيتك والعصاة المردة من أهل بيتك. انتهى، نقله ملخّصاً من صحيفة المائتين والاثنتين والستّين من وقائع سنة إحدى وستّين من الطبريّ.

فانظر إلى هذه الطامّات المدهشة، القاضية بزندقة فاعلها، وطغيانه على الله، حيث يسبون بنات الرسول سبي الكفرة، ويدخلونهنّ المجالس، وينطقون بالكفر الجليّ، وهو قول الزنيم: الحمد لله الذي قتلكم وفضحكم وأكذب اُحدوثتكم.

يخاطبون به أهل بيت النبوّة، ومعدن الرسالة، مَن طهّرهم الله من الرجس، ومَن المتقدّم عليهم هالك، والمتأخّر عنهم هالك، ويظهرون الشماتة بقتل سيّد شباب أهل الجنّة، وسائر أهل بيته الذين مَن لم يحبّهم لم يدخل في قلبه إيمان، ويصفونه بالطغيان، ويصفون أهل بيته بالمردة.

فليت شعري فمَن أهل الدين الحقّ؟! وسيأتي نقل سيرة يزيد معهن، فهل هذه الزندقة وخبيث الشماتة من ابن مرجانة معنى قول النصوليّ: «وقد احترم ابن زياد نسوة الحسين»؟

نفرض صدقه في دعوى: أنّه أجرى عليهنّ الرزق وكساهن، فهل يقابل ما زعمه ما هذي به أميره من هذه الطامات؟!

ثمّ ليت شعري لمَ نهبَ لباسهنّ وطعامهنّ، ثمّ صدر منه ما زعمه

النصوليّ؟!

وهل يحلّ في دينه ما فعله أميره ابن مرجانة؟!

أما علم بأنّ مَن استحلّ ذلك منهنّ كافر ليس بمسلم؟!

فأيّ مسلم يجترئ على ذلك؟! بل مخاطبة أميره لها بما سمعتَ كافٍ في كفره.

فأيّ عترة له في ما زعمه ناصره من الكسوة وغيرها في حقّهنّ؟! فإنّ الكفرة يطعمون ويكسون مَن يأسرون من أدنى المسلمين، وهذه عادة جارية قد قضت بها الطبيعة البشريّة، ليس للديانة فيها مدخليّة.

[واقعة الحرّة]

وفي السنة الثانية من سلطنته جهّز جيشه المشؤوم إلى حرم الرسول صلى الله عليه وآله المدينة المنوّرة، فأباحها ثلاثة أيام بالقتل والهتك والنهب، قاله الطبريّ في الصحيفة السادسة إلى ما بعدها من وقائع سنة ثلاث وستّين[1]، وغيره من المؤرّخين.

وقال ابن قتيبة في الصحيفة المائة وإحدى وستّين: بلغ عدد القتلى يوم الحرّة من قريش ومن أنصار الله ورسوله ومهاجرة العرب والوجوه سبعمائة، ومن سائر الناس عشرة اُلوف[2].

وقال في الصحيفة التي بعدها: وقتل من الصحابة فيها ثمانون، ولم يبق منهم بعدها بدريّ[3].

قال شهاب الدين أحمد بن حجر في صحيفة المائة والاثنتين والثلاثين من الصواعق: «إنّ عبد الله بن حنظلة الغَسيل قال: والله ما خرجنا على يزيد

---

(١) تاريخ الطبريّ ٥: ٤٩١.

(٢) الإمامة والسياسة ١: ٢٣٧، وفيه: «فبلغ عدّة قتلى الحرّة يومئذٍ من قريش والأنصار والمهاجرين ووجوه الناس، ألفاً وسبعمائة، وسائرهم من الناس عشرة آلاف، سوى النساء والصبيان».

(٣) المصدر السابق ١: ٢٣٩.

حتّى خفنا أن نُرمى بالحجارة من سمائها، فإنّه رجل ينكح أُمّهات الولد والبنات وسائر المحارم من أُخت وغيرها، ويشرب الخمر، ويترك الصلاة»[١].

وفي «التذكرة» زيادة عليه وهي: «ويقتل ولد النبيّين»[٢].

وقد ثبت في الصحيحين الخبر الذي نصّ صريحاً، على أنّ من يكيد أهل المدينة يذوب ذوبان الملح في المياه[٣]، أي يذهب إيمانه مثل ذهاب الملح في المياه.

وفي «التذكرة» وخبر أوّل جيش يغزو القسطنطينية مغفور له، ويزيد كان في الجيش، يخصّصه خبر: من أخاف مدينتي، بل ينسخه[٤].

وفي «المسند» و«صحيح مسلم»: «مَن أخاف أهل المدينة ظلماً، أخافه الله، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»[٥].

وفيها من طريقه: إنّ ألف امرأة ولدت يوم الحرّة بدون بعل[٦].

---

(١) الصواعق المحرقة: ١٩٥.

(٢) تذكرة الخواصّ ٢: ٢٧٤.

(٣) انظر: صحيح البخاريّ ٣: ٢٧، كتاب فضائل أهل المدينة، صحيح مسلم ٤: ١١٣ كتاب الحجّ، باب فضل المدينة ودعاء النبيّ صلى الله عليه وآله بالبركة.

(٤) تذكرة الخواصّ ٢: ٢٧٢.

(٥) مسند أحمد بن حنبل ٢٧: ٩١ حديث ١٦٥٥٧، صحيح مسلم ٤: ١٢٢ كتاب الحجّ، باب فضل المدينة.

(٦) تذكرة الخواصّ ٢: ٢٧٦، وفيه: «وذكر أيضاً المدائنيّ عن أبي قرّة، قال: قال هشام بن حسّان: ولدت ألف امرأة بعد الحرّة من غير زوج».

وانظر: الردّ على المتعصّب العنيد المانع من ذمّ يزيد: ٦٧، والمنتظم ٦: ١٥ حوادث سنة ٦٣، والبداية والنهاية ٨: ٢٢٤.

ومن طريق غيره: إنّ عشرة آلاف امرأة ولدن من غير بعل[(١)].

ونقل عنه جملة من الشعر، دلّت على عدم إيمانه بالبعث، منها قوله:

فإنّ الذي حـدّثت عـن يـوم بعثنـا أحاديث طسم تَجْعل القلبَ ساهياً[(٢)]

ولمّا فعل جيشه المشؤوم بأمره ما فعل بأهل المدينة، توجّه إلى مكّة المعظّمة، فرمى الكعبة بالمجانيق وهدمها، قال ذلك في «التذكرة» عن جدّه عبد الرحمن بن الجوزيّ[(٣)].

وقال مثله الطبريّ في صحيفة ١٤ من وقائع سنة ٦٤ [(٤)].

فهذه البليّات المخرجة فاعلها عن دين خير البريّات، هي الشدّة التي

---

(١) تذكرة الخواصّ ٢: ٢٧٦، وفيه: «وغيره يقول: عشرة آلاف امرأة».

(٢) المصدر السابق ١: ٢٧٨، وفيه: «وقال ابن عقيل: وممّا يدلّ على كفره وزندقته ـ فضلاً عن جواز سبّه ولعنه ـ أشعاره التي أفصح فيها بالإلحاد، وأبان عن خبث الضمير وسوء الاعتقاد، فمنها: قوله في قصيدته التي أوّلها:

عُلّية هاتِي واعلني وترنّمي بذلك إنّي لا أُحبّ التّناجيا
حديثُ أبي سفيان قدماً سما بها إلى أحد حتّى أقام البواكيا
ألا هات فاسقيني على ذلك قهوةً تخيّرها الغسيّ كرماً شآميا
إذا ما نَظرنا في أُمورٍ قَديمةٍ وجدنا حلالاً شربها متواليا
وإن متُّ يا أُمّ الأحيمد فانكحي ولا تأملي بعدَ الفراق تلاقيا
فإنّ الذي حُدّثت عَن يوم بعثنا أحاديث طسم تجعل القلبَ ساهيا
ولابدّ لي من أن أزور محمّداً بمشمولة صفراء تروي عظاميا
ولو لم يمسّ الأرضَ فاضل بردها لما كان عندي مسحة في التيمّم

(٣) تذكرة الخواص ٢: ٢٧٦ ، الردّ على المتعصّب العنيد المانع من ذمّ يزيد: ٧٠ .

(٤) تاريخ الطبري ٥: ٤٩٦ .

قصدها النصوليّ في تثبيت يزيد دعائم ملكه بها، فيالله العجب من يزيد ومن مادحيه!! حيث إنّه تسنّم سرير الرئاسة باسم إنّه مسلم، فثار بعد تسلّطه على هدم شرف المسلمين وعزّهم بهذه الطّامات العظيمة.

[ما يوجب ذمّ يزيد ولعنه]

وما نقله عن يزيد من حثّ عامله على أخذ البيعة من الحسين عليه السلام، موجب لذمّه يزيد به ولعنه، من حيث دخول يزيد بذلك في خبر: «ستّة لعنتهم، ولعنهم الله، وكلّ نبيّ مجاب»[1]، من جهات ثلاث:

منها: تركه للسنن التي دلّت على إمامة الحسين عليه السلام، مثل خبر الثقلين، وخبر السفينة، وغيرهما.

ومنها: استباحة يزيد من العترة ما حرّمه الله، وذلك بجعله لهم رعيّة بأخذ بيعتهم له، وهو الذي تجب عليه البيعة لهم.

ومنها: تسلّطه على خير أُمّة بالجبروت؛ لعدم حقّ السلطنة له لخير أُمّة.

فهذه اللعنات قد وقعت على يزيد من هذه الجهات، ومَن لُعن بها بعيد عن مقام السلطنة الشرعيّة.

---

(١) قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «ستّة لعنتهم، ولعنهم الله، وكلّ نبيّ مجاب: الزائد في كتاب الله، والمكذّب بقدر الله، والمستحل لحرم الله، والمستحل من عترتي ما حرّم الله، والمتسلّط بالجبروت ليذلّ مَن أعزّ الله ويعزّ مَن أذلّ الله، والتارك لسنتي». المستدرك للحاكم ١: ٣٦ حديث ١٠٢.

[سبب ذهاب الإمام الحسين عليه السلام إلى الكوفة]

وما ذكره من طلب أهل الكوفة الحسين عليه السلام ليسير إليهم، فهو من المسائل المعلومة عند عامة أهل السير، وهو الموجب لمسيره عليه السلام إليهم؛ ليقيم الحجّة عليهم، فإنّه لو لم يُجب دعوتهم لقامت الحجّة لهم عليه؛ لقولهم له: قد دعوناك للبيعة، وقد بايعنا نائبك الذي بعثته، فلمَ لَمْ تأتنا لتصير إماماً علينا، ونصير نحن عوناً لك على مَن خالفك بقتالنا له معك؟ فهذه الحجّة تلزمه حتّى لو علم بأنّهم خاذلوه.

أما قد علم الله سبحانه بأنّ الكفرة يقتلون رسله؟! ومع ذلك بعثهم إليهم فقتلوهم. فإنّه لو لم يبعثهم إليهم لما قامت الحجّة الملزمة لهم عليهم؛ لقولهم: لو بعثتهم إلينا لصدّقناهم ولتابعناهم ونصرناهم. فأقام ـ جلّ شأنه وعظمت حكمته ـ عليهم الحجّة في بعثه الرسل إليهم وقتلم لهم، فما لهم من عذر به يعتذرون.

وما فعل الحسين عليه السلام هو المطلوب لله، المرضيّ عنده. ولذلك لم يلتفت إلى قول مَن منعه عن التوجّه إليهم، ولم يركن إلى قول مَن طلب منه المسير إلى اليمن، وإلى قول مَن طلب منه المقام في الحجاز؛ لعدم طلب أهل اليمن منه ذلك، ومثلهم أهل الحجاز، فليس لهم حجّة عليه.

وعدم ضرب النعمان العلويّين بيد من حديد؛ ليشفي النصوليّ غليله، قد

بيّن النعمان بنفسه الوجه في ذلك بقوله: «فإن أكن ضعيفاً وأنا في طاعة الله، فذلك أحبّ إليّ من أن أكون قويّاً في معصية الله»[(١)].

كيف يجترئ المسلم على قتل عصبة، مَن لم يحبّهم لم يدخل في قلبه إيمان؟! نعم قد ودَّ مَن نطق بهذه الزندقة، أنّ الخلق بأجمعهم يصيرون مثل إمامه يزيد وابن مرجانة وشمر وغيرهم، في أنّهم يلفون في دم هذه العصبة المقدّسة.

---

(١) تاريخ الطبريّ ٥: ٣٤٠.

[دعوى تخلّي الإمام الحسين عليه السلام عن الحجاز واليمن]

وما زعمه من تخلّي الحسين عليه السلام عن الحجاز واليمن، وفيهم أنصاره الحقيقيّون، فهو زعم خالٍ عن الحقيقة، فإنّه لو فُرض صدقه فيه، فأيّ يمانيّ قد دعاه إلى وطنه ليبايعه؟

ومَن الحجازيّ الذي تابعه؟

ومَن منهم حين خروجه من بين أظهرهم مانعه؟ بعد قيام الحجّة عليه بطلب أهل الكوفة وبيعتهم نائبه. فإنّ المحبّة والنصرة إنّما يُعرفان بآثارهما، ولم يرَ لهما ما يدلّ عليها من الحجازيّين واليمانيّين في هذه القضيّة من شيء، وهل يثبتان بمحض دعوى النصوليّ؟!

وما زعمه عن تشجيعات ابن الزبير، هو مثل سابقه خال عن الحقيقة، بل تثبيطه له عن المسير ومنعه له عنه ليس يجدي نفعاً، بعد دعوة أهل الكوفة وبيعتهم نائب الحسين عليه السلام، وقيام الحجّة بذلك.

وما زعمه من وهن الحسين بأُمور: منها: وثوقه بالكوفيّين، فقد عرفتَ عدم المنافاة بين علمه بغدرهم به وبين وجوب مسيره إليهم؛ ليقيم الحجّة عليهم.

نعم، لجهل النصوليّ بالشرعيّات وبعده عنها، زعم ما زعم.

والعاميّ البحث حين تُتلى عليه آية ﴿قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ﴾[1]، يعلم علماً يقيناً بأنّ السياسة الدينيّة مبنيّة على إقامة الحجّة الملزمة. فعلم الله وعلم رسله وخلفاؤهم بأنّ الناس يقتلونهم، غير موجب لعدم بعث الرسل إليهم، وعدم دعوتهم إلى متابعة الحقّ.

نعم، تأبى السياسة الدنيويّة من ذلك، التي هي مبنى ما زعمه النصوليّ في بعض المقامات من ذلك، وفي بعضها يحسن الورود في مورد العطب، وذلك في ما لو كان فيه غاية محمودة من حصول عزّ به، وبتركه يلزم الذلّ ورسل الله وخلفاؤهم في معزل عن الدنيا وسياستها وعما فيه ذلّ.

وحيث كانت سياسة بني اُميّة سياسة دنيويّة جوريّة، مضادّة للسياسة الدينيّة، تيقّظت زعماؤهم إلى حدّ منعت المياه ـ المباحة للوحوش وللكفرة ـ عن عصبة مَن لم يحبّهم لم يدخل في قلبه إيمان، فتركت حتّى صبيانهم ملتهبة قلوبهم من حرّ الظمأ.

---

(١) آل عمران (٣): ١٨٣ .

[دعوى عدم اهتمام الإمام الحسين عليه السلام في نشر الدعوة لنفسه]

وما زعمه من عدم اهتمام الحسين عليه السلام في نشر الدعوة لنفسه، من عجائبه؛ لما هو معلوم لدى الخلق ولديه، من أنّ الحسين عليه السلام لم يطلب المبايعة لنفسه، بل الذي صدر منه عدم البيعة ليزيد، وذهابه إلى مكّة هرباً من ذلك. روى ما دلّ عليه الطبريّ في الصحيفة المائة والتسعين من وقائع سنة ستّين[1]، وغيره من أهل السير.

ولمّا علم أهل الكوفة بذلك، كاتبوه ـ وهو في مكّة ـ على البيعة له، فأرسل إليهم ابن عمّه مسلم بن عقيل. الخبر ذكره الطبريّ في الصحيفة ١٩٤ من وقائع هذه السنة[2]، وذكر غيره مثله. فأهل الكوفة هم الذين دعوه إلى المبايعة، بدون تقدّم طلب لها منه إليهم وإلى غيرهم، فأجابهم إليها؛ لكونهم دعوه لينصروه على تسلّم حقّه الذي جعله الله له من غاصبه.

---

(١) تاريخ الطبريّ ٥: ٣٤١.

(٢) المصدر السابق ٥: ٣٤٧.

[دعوى ارتياب الإمام الحسين عليه السلام بإمامة نفسه]

وأمّا ما زعمه من ارتياب الحسين بإمامة نفسه، فهو من بهتانه البيّن؛ لوجوه:

منها: ما مرّ من خبر الثقلين وغيره، ممّا دلّ على أنّ إمامة الخلق إلى يوم القيامة حقّ لعترة أهل البيت عليهم السلام.

ومنها: هل يرتاب مثل الحسين عليه السلام في إمامة نفسه، وهو الذي قد مرّ بيان نبذة من رفعة شأنه في قبال الفاسق الفاجر يزيد؟! فما ندري لم هذى النصوليّ إلى هذه الدرجة؟!

ومنها: ما نبّهنا عليه في المقام، من دعوة أهل الكوفة له إلى ذلك، وبعثه أمينه إليهم؛ ليأخذ البيعة عليهم، فمضى وبايعه منهم اُلوف.

ومنها: ما نقله الطبريّ في الصحيفة المائتين والعشرين من وقائع سنة ستّين عن الحسين عليه السلام أنّه خيّر ابن سعد بين ثلاث:

إمّا أن يدعه ينصرف من حيث أتى.

وإمّا أن يدعه يذهب إلى يزيد.

وإمّا أن يدعه يذهب إلى ثغر من الثغور[1]. الخبر.

---

(١) تاريخ الطبريّ ٥: ٣٨٩.

وبمعناه نقل الطبريّ عنه عليه السلام في صحيفة المائتين والخمس والثلاثين من وقائع سنة إحدى وستّين[(١)].

نعم، في صحيفة المائتين والاثنتين والعشرين من وقائع سنة ستّين عبارة: «فناشدهم الحسين الله أن يسيّروه إلى أمير المؤمنين، فيضع يده في يده»[(٢)].

وفي صحيفة المائتين والستّ والثلاثين من هذه السنة، من كتاب كتبه ابن سعد إلى ابن زياد يذكر فيه: «أو يأتي أمير المؤمنين فيضع يده في يده»[(٣)].

وحينئذٍ فيتعارض ما نقلوه عنه، فيعمل حينئذٍ على المرجّحات، وهي في المقام ثلاثة:

أحدها: السنّة التي دلّت على إمامة عترة أهل البيت عليهم السلام دون غيرهم من الخلق، مثل خبر الثقلين وغره.

وثانيها: ما علم من إجابة الحسين عليه السلام أهل الكوفة إلى مبايعتهم له، وقد بايعه على يد ابن عمّه مسلم بن عقيل ثمانية عشر ألفاً، قاله النصوليّ في صحيفة ٤٥[(٤)].

وفي صحيفة ٤٨ قال: «روى لنا المؤرّخون أنّه بايعه بين اثني عشر ألفاً وبين عشرين ألفاً»[(٥)].

وروى ابن قتيبة أنّه بايعه أكثر من ثلاثين ألفاً، وذلك في الصحيفة الثالثة

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ٤١٣.

(٢) المصدر السابق ٥: ٣٩٢.

(٣) المصدر السابق ٥: ٤١٤.

(٤) الدولة الأمويّة في الشام: ٣٨.

(٥) المصدر السابق: ٤٢.

من ثاني جزئي كتاب «السياسة»[(١)].

وثالثها: خطبته عليه السلام التي نقلها عنه الطبريّ في صحيفة **٢٤٣** من وقائع سنة إحدى وستّين، حيث طلب منه القوم النزول على حكم بني أُميّة، فأقسم بالله لهم أنّه لن يعطيهم ذلك[(٢)].

ولو كان مرتاباً في إمامة نفسه، فما وجه يمينه؟! فإن المرتاب في شيء لن يتصوّر منه اليمين على طرف من طرفيه، بل شأنه العظيم يجلّ عن وصف الفاسق الفاجر الجبّار العنيد يزيد الملحد بأمير المؤمنين. فأين مَن طهّره الله من الرجس من وصف علم الفجور بذلك؟! وعمر بن عبد العزيز ـ ليس له هذه المنزلة ـ ضربَ مَن وصفه بذلك عشرين سوطاً، على ما مرّ نقله، فتدبّر ثمّ تبصّر.

بل نفسُ امتناعه عن البيعة ليزيد في زمن معاوية وبعده، وخروجه من المدينة هرباً من ذلك، وحده برهانٌ جليّ دلّ على أنّ يزيد لديه ليس بأمير المؤمنين، وهو وقتئذٍ لم يكن قد طلبه أهل الكوفة ليبايعوه.

بل هل يخطر في قلب أدنى المسلمين معرفة، أنّ يزيد الفاسق الفاجر يليق بإمارة المؤمنين؟! فكيف يجوز ذلك في حقّه مَن طهّره الله من الرجس وهو سيّد شباب أهل الجنّة.

والعاقل يعلم بأنّ الحسين عليه السلام إنّما خيّرهم بين هذه الخصال؛ ليقيم عليهم الحجّة. فمن تدبّر في ما بيّناه علم يقيناً بأنّ الحسين عليه السلام لم يتفوّه ولن يتفوّه بأنّ يزيد أمير المؤمنين، فيحمل ذلك على أنّ الناقل عنه من شيعة يزيد

(١) الإمامة والسياسة ٢: ٨.

(٢) تاريخ الطبريّ ٥: ٤١٤.

فعبّر عنه بأمير المؤمنين.

وما قاله من إرسال بني اُميّة الشديدين من رجالهم إلى المصرين، فلسنا ننازعه فيه، بل نفسّر عبارته بإرسالهم شديديّ الزندقة والبغض والحقد على أهل البيت، الذين مَن لم يحبّهم لم يدخل في قلبه إيمان.

فصدر منهم من القساوة في حقّهم ما لم يصدر في الظلم من الزنادقة في حقّ مَن عادوهم من المسلمين، وذلك بتركهم لهم ولعيالهم وصبيتهم ظمايا، ورضّهم جسد الحسين عليه السلام بعد قتله بأرجل الخيل، ذكره صاحب «مقاتل الطالبيّين»[١]، وصاحب «التذكرة»[٢]، والطبريّ في صحيفة ٢٦١ من السنة البعديّة[٣]، وغيرهم.

وسلبهم بنات النبوّة بعد قتله، حتّى «أنّ المرأة كانت تُنازع ثوبها من على ظهرها فتُغلب عليه»، قاله الطبريّ في الصحيفة المائتين والسّتين من وقائع سنة إحدى وستّين[٤].

وتركهم جثته وجثث أهل بيته وصحبه مسلوبة عارية من جنس اللباس، مرّملة بدمائها على وجه الثرى، تصهرها الشمس، وتسفي عليها الرياح، تزورها العِقبانُ[٥] والرَخَم[٦]، قاله في صحيفة ٢٦٤ الطبريّ من وقائع هذه

---

(١) مقاتل الطالبيّين: ٢٤٥.

(٢) تذكرة الخواصّ ٢: ١٧٠ ـ ١٧١.

(٣) تاريخ الطبريّ ٥: ٤٥٥.

(٤) المصدر السابق ٥: ٤٥٣.

(٥) العِقبان، جمع عُقاب: وهو طائر. الصحاح ١: ١٨٧ «عقب».

(٦) الرَخَمُ، جمع الرَخَمَةُ: طائر أبقع يُشبه النسر في الخلقة. الصحاح ٥: ١٩٢٩ «رخم».

السنة[١]، وبمعناه قال صاحب «الفصول المهمّة»[٢] وغيره.

وقرعهم ثنايا سيّد شباب أهل الجنّة بالقضيب، فعل ذلك به ابن مرجانة، قاله الطبريّ في صحيفة ٢٦٢ من وقائع هذه السنة[٣]، ويزيد فعل مثله كما يأتي.

فهل في هذه الطامّات الشنيعة تهاويل، وقد نقلها معتمد النصوليّ وغيره من معاريف أهل السير؟!

(١) تاريخ الطبريّ ٥: ٤٦٠.

(٢) الفصول المهمّة: ٣١٨.

(٣) تاريخ الطبريّ ٥: ٤٥٦.

[دعوى بكاء يزيد لقتل الحسين عليه السلام]

وأمّا زعمه من أنّ يزيد بكي لمرأى الحسين عليه السلام، فهو ولو قاله بعض المؤرّخين، ونقله الطبريّ في صحيفة ٢٦٤ من وقائع هذه السنة[١]، لكنّه عقّبه في هذه الصحيفة بضرب ثغر الحسين عليه السلام بالقضيب، وهو يقول: «نفلّق هاماً من رجال»[٢] إلى تمامه، فأين بكاؤه من ضربه ثغره بالقضيب؟!

وقال في صحيفة ٢٦٧ من وقائع هذه السنة إلى ما بعدها: «إنّ يزيد جعل رأس الحسين عليه السلام بين يديه ومعه قضيب، فأخذ ينكت[٣] في ثغره وهو يقول: إنّه كان وإيّانا كما قال الحُصين بن الحمام المرّيّ:

نُفلّق هَاماً من رجالٍ أعزّةٍ   عَلينا وهُم كانُوا أعَقَّ وأظْلَما

فقال له رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، يقال له أبو برزة: أتنكتَ بقضيبك في ثغر الحسين عليه السلام، وقد رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يَرشفه؟! أمّا أنت يا يزيد تأتي يوم القيامة وابن زياد شفيعك، ويأتي الحسين عليه السلام ومحمّد صلى الله عليه وآله

(١) تاريخ الطبريّ ٥: ٤٦٠.

(٢) المصدر السابق ٥: ٤٦٠، وتقدّم الكلام عن هذا البيت في أوائل هذه الرسالة.

(٣) النكت: أن تنكت في الأرض بقضيب، أي تضرب بقضيب فتؤثر فيها. الصحاح ١: ٢٦٩ «نكت».

شفيعه»[١].

وقال في «التذكرة»: «والمشهور عن يزيد أنّه لمّا حضر رأس الحسين عليه السلام بين يديه، جمعَ أهل الشام، وجعل ينكت عليه بالقضيب ويقول أبيات ابن الزّبعري[٢]:

ليتَ أشياخي ببدرٍ شَهدُوا جزعَ الخزرجِ منْ وقعِ الأسلْ
قد قتلنا القرمَ[٣] من ساداتهم وعدلناه ببدرٍ فاعتدلْ

قال الشعبيّ: وزيد فيها:

لَعبت هاشمُ بالملكِ فَلا خبرٌ جاءَ ولا وحيٌ نَزَلَ[٤]

لينظر القارئ إلى كفر يزيد وقساوة قلبه، حيث نكت ثغر الحسين عليه السلام، وهو ينفي نبوّة جدّه بأفحش بيان، وهو قوله: «لعبت هاشم» فيا عظيم جرأته على الله، وعلى خاتم رسله بنسبة اللعب إليه بإتيانه هذه الشريعة المقدّسة، التي ما مثلها شريعة لدى من تدبّر حكمها ودقائقها وحقائقها.

ولقد قلّد بذلك جدّه أبا سفيان في قوله لعثمان ـ وقد مرّ نقله ـ وقلّد أباه في تقريره مَن سلّم عليه بالنبوّة، وقد مرّ ذلك. كيف!! وهو الذي نسبَ إلى من طهّره الله من الرجس، ومَن لم يحبّهم لم يدخل في قلبه إيمان، أنّه «أعقّ

---

(١) تاريخ الطبريّ ٥: ٤٦٥.

(٢) قالها يوم أحد، كما في السيرة النبويّة لابن هشام ٣: ١٤٤، ومقتل الحسين للخوارزميّ ٢: ٦٧، والمناقب لابن شهر آشوب ٤: ١٢٣.

(٣) القَرْمُ: أي السيّد. الصحاح ٥: ٢٠٠٩ «قرم».

(٤) تذكرة الخواصّ ٢: ١٩٥.

وأظلم»، ولذلك قتله.

قال السيوطيّ في تاريخه: إنّ يزيد سُرّ بقتل الحسينعليه السلام، ولمّا مقته الناس تظاهر بالحزن عليه، وحقّ لهم أن يمقتوه[١].

وفي «التذكرة»: «قال مجاهد: لم يبق أحد من الناس لم يسبّ يزيد، ولم يعبه، ولم يتركه. وقال الزهري: لما جاءت الرؤوس كان يزيد في منظره على جَيْرون، فأنشد لنفسه:

لمّا بَدت تلكَ الحمول وأشـرقت　　تلكَ الشّموس على رُبـا جَيْـرُون
نَعُبَ الغرابُ فقلتُ صح أو لا تصح　　فلَقد قضيتُ من الغَريمِ دُيوني»[٢]

ليتدبّر القارئ في معاني مقاله، ثمّ ليتبصّر في شدّة طغيانه، فإنّه قد زعم أنّ خير الرسل وخيرة عترته «أعقّ وأظلم» من حيث قتلهم مَن صال عليهم من سلفه العتاة الكفرة، شيبة وعتبة والوليد، فأظهر حقده وسروره بقتله سيّد شباب أهل الجنّة، فقضى بقتله له وسائر أهل بيته من غريمه ـ وهو خاتم الرسلصلى الله عليه وآله ـ ديونه.

فبان منه أنّ قتله سيّد شاب أهل الجنّة، من جهة حقده على خاتم الرسلصلى الله عليه وآله، بقتله سلفه الكفرة يوم بدر، فأخذ ثاره منه بقتل ريحانته، فهو قد عادى الحسينعليه السلام من جهة حقده على جدّه.

فثبت من ذلك فساد ما قاله النصوليّ من عدم وجود مباغضة بين الحسين ويزيد من هذه الجهة، ولعدم رضاه بالبيعة له في زمن أبيه وبعده، فإنّه

---

(١) تاريخ الخلفاء: ٢٠٨.

(٢) تذكرة الخواصّ ٢: ١٩٦.

أعظم باعث ليزيد على بغض الحسين عليه السلام، وطلب يزيد ما ليس حقّه، وهو على تجاهره بالفسوق، أعظم سبب لبغض الحسين عليه السلام له، وعلم من قوله هذا أنّه مبغض للحسين عليه السلام، لكونه من ذرّية مَن قتل سلفه، فأخذ بثاره منه بأن قتل ريحانته وجماعة من أهل بيته.

فليت شعري! هل مسلم يقابل دم عصبة مَن لم يحبّهم لم يدخل في قلبه إيمان، بمعشر كفرة عتاة مهدورة دماؤهم بأمر الله ورسوله؟!

ونحن من باب المماشاة ليزيد نقول له: قد قتل من الكفرة المردة سلفك يوم بدر ثلاثة، وقتل من بني هاشم عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، فبقي دم رجلين، قَتلتم سيّدنا حمزة في اُحد، فبقي لكم دم رجل، فلمَ قتلتَ من بني عبد المطلب ثمانية عشر، لم يكن لهم يومئذ في الدنيا شبيه؟ نقل ذلك في «الصواعق» عن الحسن البصري في صحيفة ١١٨ منه[١].

ولم جلتَ على جسومهم بعد القتل؟ وسلبتَ ما عليها من لباس وغيره؟

ولم نهبتَ ما في رحلهم من عزّ؟

ولمَ سبيتَ بناتهم وصبيانهم من بلد إلى بلد، بعد سلب ما عليهنّ من حليّ وحلل؟

ولمَ حملتَ رؤوسهم من بلد إلى بلد على عالي السنان؟

ولمَ نكتَ ثغر سيّدهم بالقضيب؟ فمَن يا يزيد أظلم وأعق وأطغى؟

أما نظرتَ إلى عظيم الفضل وحميد السيرة، ممّن قضيتَ منه ديونك، حيث ملكَ جدكَ وأباكَ وعمومتكَ يوم فتح مكّة، فأطلقهم منا منّة عليهم،

---

(١) الصواعق المحرقة: ١٧١.

وشرّف جدّك بأن جعل بيته بيت أمان لمن دخله، وشرّفَ أباكَ بأن جعله يكتب له الرسائل ما بينه وبين العرب؟!

فهل سبيَ لكم جارية؟!

وهل سلبَ لكم امرأة؟

وهل نهبَ ما في رحالكم؟

وهل حملَ رؤوس سلفكم الكفرة على القناة؟

وهل جعلَ الخيل تجري على جسوم مَن قُتل من سلفكم؟

وهل صارَ في صدد هبة بعض بناتكم لبعض الناس؟

وهل نكتَ ثغر كافر منكم بقضيب؟

فلمَ تفتري علناً وما تستحي حتّى من نفسك، حيث زعمتَ بأنّ آل هاشم «أعق وأظلم»؟ وهذه سيرتهم الجميلة وسيرتكم الخبيثة، فهل يجوز مَن له أدنى شعور يميّز به بين الظلّ والحرور، كون يزيد ومعاونيه على هذه الطامّات الفظيعة مسلمين؟!

حاشى ثمّ حاشى من وجود نفحة إيمان في قلوب قوم، هذه بعض ظلمات فعالهم، في حقّ عصبة مَن لم يحبّهم لم يدخل في قلبه إيمان.

ونقول هنا: بأنّه لو ثبت أنّ يزيد بكى لمرأى الحسين عليه السلام، ثمّ صدر منه ما صدر بعد بكائه، فبكاؤه كان لشدّة فرحه، حيث شاهد عدوّه على الحال التي هي غاية في سروره.

وقد صدر منه كثير من ذلك في مقام السرور، يدلّنا على ما نقول: نكته ثغر الحسين عليه السلام بالقضيب بعد بكائه، وقوله متشمّتاً متشفّياً «فلقد قضيت من

الغريم ديوني»، وقوله: «لعبت هاشم بالملك» إلى غيرها ممّا دلّ على سروره وشماتته وتشفّيه بقتل الحسين وآله عليهم السلام.

وشاهدٌ غيره ـ وهو ما سيأتي نقله ـ من خطابه لعقيلة بني هاشم، بما هو غاية من البغض والحقد والطغيان، وهو قوله لها: بأنّ له هبة اُختها فاطمة، لمن طلبها منه.

وقوله ـ والعياذ بالله ـ بأنّ أباها أمير المؤمنين وأخاها سيّد شباب أهل الجنّة، خارجان عن الدين.

وشاهدٌ غيره، وهو ما تمثّل به من الشعر، الذي دلّ على أنّ الحسين عليه السلام «أعقّ وأظلم».

ومن المعلوم عدم حصول رقّة في قلب مَن علم بأنّ عدوّه هو العاق الظالم له، المستحقّ لهذه الصفات الفظيعة. فإنّه لو لم يكن مستحقّاً لها ـ بزعم يزيد ومتابعيه ـ لما صدرت منهم عليه، مظهرين الشماتة بصدورها عليه والسرور.

فلو فرض حصول رقّة في قلب يزيد على الحسين عليه السلام، حين نظر إلى كريمه الشريف وإلى عياله مسبّيات، فبكى لذلك، لما نكت ثغره بالقضيب، ولما خاطب عياله بما مرّ من طغيانه، بل لعظّم كريمه وحريمه ولحسن صنيعه في حقّهما.

قال صاحب «التذكرة»: والذي دلّ على حقده على آل الرسول صلى الله عليه وآله، وعصبيّته لقومه الكفرة، أنّه استدعى ابن زياد إليه، وحباه بالمال الخطير والتحف العظيمة، وقرّب مجلسه، ورفع منزلته، وأدخله على نسائه، وجعله

نديمه، وسكر ليلة وقال للمغنّي غنّ، ثمّ قال يزيد بديهاً:

اسقِني شـربةً تُـروّي فـؤادي ثُمّ مُل فَاسْقِ مثلها ابـنَ زيـادِ
صاحب السرّ والأمانة عنـدي ولتسـديد مغنمـي وجهـادي
قاتل الخارجيّ أعنـي حُسـيناً ومبيـد الأعـدآء والحسّـادِ[1]

فانظر، فهل ترى في هذه السيرة الشنيعة من يزيد ـ التي لم تصدر من غيره من الكفرة في حقّ رئيس من المسلمين ـ لمحة حزن على الحسين وآل الحسين عليهم السلام؟ نعم ليس يبعد تظاهره بالحزن عليهم بعد ما مقته الناس، ولعنه ابن زياد من هذه الجهة.

---

(١) تذكرة الخواصّ ٢: ٢٧٧ ـ ٢٧٨.

[معاملة يزيد لعائلة الحسين عليه السلام]

وأمّا قوله: «ومنهما: تحامَلَ المتطرّفون من المؤرّخين على يزيد بقولهم: ساءت معاملته مع آل الحسين عليه السلام»[1] إلى تمامه، فهو بمعزل عن الصدق وغمض عن الحقّ، فهل تتصوّر إساءة فوق إساءة حمل عقائل النبوّة وبنات الرسالة ومحجّبات بيت الطهارة، سبايا على أقتاب المطايا، يهدين من الطفّ إلى الكوفة، إلى مجلس الدعي ابن مرجانة، وجرى منه في حقّهن ما مرّ نقله من خبث المعاملة والنفاق؟!

ومنه إلى مجلس الطاغي العنيد يزيد، وهنّ بذلّ السبا، فقام شاميّ فاستوهبَ من يزيد فاطمة بنت علي أمير المؤمنين عليه السلام، وقال له: هب لي هذه الجارية، يشير إليها.

قالت بأبي وأُمّي ونفسي: فأرعِدْتُ وفَرِقْتُ وظَننتُ أنّ ذلك جائز لهم، فأخذتُ بثياب أُختي زينب، وكانت تعلم أنّ ذلك غير كائن، فقالت: «كذبتَ والله ولؤُمتَ، ما ذلك لكَ وليس له».

فغضب يزيد وقال: إنّ ذلك لي، ولو شئت فعله لفعلتِ.

قالت له: «والله ما جعلَ الله ذلك لك، بغير خروجك من ملّتنا وتديّنك

(١) الدولة الأُمويّة في الشام: ٤٩.

بغير ديننا».

فاستطار يزيد غضباً وقال: إنّما خرج من الدين أبوكِ وأخوكِ.

قالت زينب: «بدين الله ودين أبي وأخي اهتديتَ أنتَ وأبوك وجدك».

قال يزيد: كذبتِ يا عدوّة الله.

قالت: «أنتَ أمير تشتم ظالماً وتقهر بسلطانك» الخبر.

فانظر صحيفة الخمس والستّين بعد المائتين من وقائع سنة إحدى وستّين من الطبريّ، فسترى قد نقلنا هذه الفاضحات ليزيد وشيعته منها[١].

وروى صاحب «التذكرة» وغيره مثله في الجملة[٢].

فنقول لمن عبد يزيد من دون الله: لو صدقتَ في زعم حُسن سيرة يزيد مع آل الرسول صلى الله عليه وآله، لبعثَ إليهم قبل دخولهم إلى الشام، مَن يدخلهم على وجه يليق بشأنهم إلى بيته معزّزين محترمين.

ولما عاملهم بهذه المعاملة، التي تجري من المسلمين في حقّ الكفرة نوعها. أمّا مثلها في الشناعة والفظاعة والقساوة والقباحة، فلم يجرِ حتّى من عتاة الكفرة في حقّ مَن عادوهم من المسلمين.

وأمّا ردّ يزيد لهم إلى وطنهم، فلم يصدر ذلك باختيار منه، بل لمّا شاهد مقتَ الناس له، وتظاهرهم بلعنه، ظهر منه لعن ابن مرجانة، وتعظيمه لهم عليهم السلام.

وكيف يصدق النقل عن السيّدة سكينة في مدحها ليزيد[٣]، وقد

(١) تاريخ الطبريّ ٥: ٤٦١ ـ ٤٦٢.

(٢) تذكرة الخواصّ ٢: ٢٠٣ ـ ٢٠٤.

(٣) الدولة الأُمويّة في الشام: ٤٩.

شاهدت منه ما مرّ نقله من كفريّاته، وشناعة شماتته وتشفّياته، وعظمة طغيانه وتهتكاته، في حقّ أبيها أوجدّها وعمّتها خاصّة، وفي حقّ سائر أهل بيتها عامّة؟!

وهل مسلم يقابل كسوة يزيد لهن بأعظم الحليّ والحلل، بنفس ورودهن إلى مجلسه المشؤوم مسبّيات، وهو يظهر الشماتة بمحضرهن، وينكت ثغرَ سيّدهن بقضيبه؟!

بل سبي مسلمة من سائر المسلمات، لن يقابل بعامّة تُحف الدنيا لدى الحرّ الغيور، فكيف سبي عقائل النبوّة؟!

فليت شعري هل سبيهنّ معنى قولهﷺ: «أُذكّركم الله في أهل بيتي، أُذكّركم الله في أهل بيتي، أُذكّركم الله في أهل بيتي»، قاله ثلاثاً. ثبت عند مسلم في «صحيحه»[١] وغيره.

لكن مَن قال: «لعبت هاشم بالملك»[٢] إلى تمامه، كيف يعتني بهذه السنّة وغيرها؟!

فهل تنمحي هذه الجسارة العظيمة والطامّة الوخيمة، بكسوة يزيد لهنّ بعدها حتّى باختياره؟ كيف! والمسلمون وغيرهم يعلمون، بأنّه لم يفعل ذلك لغير قطع ألسنة الخلق عن سبّه ولعنه.

وليس يجديه ذلك، بعد ثبوت شدّة شقاقه لله ولرسوله، بتهتّكاته وشماتاته وتشفّياته بقتل وسبي مَن طهّرهم الله من الرجس، الذين مَن لم

---

(١) صحيح مسلم ٤: ١٨٧٣ حديث ٢٤٠٨.

(٢) تذكرة الخواصّ ٢: ١٩٦، وتقدّم الكلام عن هذه الأبيات الشعريّة.

يحبّهم لم يدخل في قلبه إيمان، والمتقدّم عليهم هالك، والمتأخّر عنهم هالك، فما حال من فعل بهم ذلك؟!

[بكاء المسلمين على الحسين عليه السلام]

وأمّا قوله: «بكى المسلمون الحسين عليه السلام متألّمين لفاجعته»[1] إلى نهاية قوله، فهو مثل ما سبقَ من تعصّباته وتحزّباته، وذلك فإنّ مَن بكى على الحسين عليه السلام، إنّما بكاه لعظم فاجعته، وفظاعة رزيّته، وتناهيها صدمة ولدمة وحرقة في القلوب، وتصرّفاً في عالم الوجود.

ولقد تآسى المسلمون، من سنّيهم وشيعيّهم، في بكائهم عليه، بجدّه المصطفى صلى الله عليه وآله، فإنّه بكاه حزناً عليه في هذه الدنيا قبل مصيبته بما يزيد على خمسين سنة، وبكى عليه يوم قتله في عالم البرزخ.

ففي الصحيفة المائة والخامسة عشر من «الصواعق»: عن ابن سعد، عن الشعبيّ، قال: مرّ عليّ عليه السلام في مسيره إلى صفّين بنينوى، فسأل عنها فقيل: كربلاء، فبكى حتّى بلّ الأرض من دموعه، ثمّ قال: «دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله فوجدته يبكي، فقلت له: ما يبكيك»؟

قال: «كان عندي جبرئيل آنفاً، فأخبرني أنّ ولدي الحسين يُقتل بشاطئ الفرات، بموضع يقال له: كربلاء، ثمّ قبض جبرئيل قبضة من تراب فشمّني إيّاه، فلم أملك عينيّ أن فاضتا».

---

(١) الدولة الأُمويّة في الشام: ٤٩.

ورواه أحمد عن عليّ عليه السلام باختصار.

وروى الملّا أنّ عليّاً عليه السلام مرّ بموضع قبر الحسين عليه السلام فقال: «هاهنا مناخ ركابهم، وهاهنا موضع رحالهم، وهاهنا مهراق دمائهم، فتية من آل محمّد صلى الله عليه وآله يُقتلون بهذه العرصة، تبكي عليهم السماء والأرض».

وأخرج الترمذيّ: أنّ أُمّ سلمة رأت النبيّ صلى الله عليه وآله باكياً وبرأسه ولحيته التراب، فسألته، فقال: «قتل الحسين آنفاً».

وروى أيضاً: أنّ ابن عباس رآه صلى الله عليه وآله نصفَ النهار وبيده قارورة فيها دم، فسأله، فقال: «دم الحسين، ما زلتُ أتتبّعه منذ اليوم، فنظروا فوجدوه قد قُتل ذلك اليوم»[١].

ومثله روى ابن عبد البرّ في «استيعابه» وابن حجر في «إصابته» حديث ابن عباس.

فثبت ممّا نقلناه تأسّي المسلمين بالحزن على الحسين عليه السلام، بجدّه خاتم الرسل صلى الله عليه وآله، وتبعه في ذلك تأسّي أمير المؤمنين وأُمّ سلمة أُم المؤمنين.

ففي صحيفة المائة والخامسة عشر من «الصواعق»: أنّها بكت عليه حتّى غشي عليها، وأنّها سمعت نوح الجنّ عليه[٢].

ونقل خبر سماعها نياحة الجنّ عليه خاتمة الحفظة في «إصابته» وغيره.

وهذا فيه إشارة إلى عظم مصيبته وشدّة فجعتها؛ لعدم ورود نياحة الجنّ

---

(١) إلى هنا انتهى كلام الصواعق المحرقة: ١٧٠ ـ ١٧١. وانظر: مسند أحمد بن حنبل ١: ٨٥، وسنن الترمذي ٣: ٢٦٦ حديث ٣٧٧١.

(٢) الصواعق المحرقة: ١٧٢.

على مَن هو قد قتل مظلوماً، مثل أبيه أمير المؤمنين، ولم ينقل أنّ أُمّ سلمة أُمّ المؤمنين بكت عليه حتّى غشي عليها.

[من سمات غضب الله سبحانه على قاتلي الحسين عليه السلام]

والمسلّم تفرّد فاجعة الحسين عليه السلام في العظمة وشدّة التأثير حتّى أصبح يوم مصيبته وبعده، من سمات غضب الله سبحانه على قاتليه، ومن سمات الحزن عليه وعظيمها، فإنّه بعد نظره إلى ذلك وتدبّره فيه، بكى حزناً وتأسّفاً عليه مدى العمر إلى يوم القيامة، لحقَ له ذلك ونحن نذكر قليل من ذلك عبرة لمن يعتبر وتبصرة لمن يستبصر.

ففي صحيفة المائة والسادسة عشر من «الصواعق»: «عن أبي نعيم،عن نصرة، قالت: لمّا قُتل الحسين عليه السلام أصبحنا وجبابنا وجرارنا مملوءة دماً.

وروي في أحاديث غيره مثله.

وممّا ظهر من آيات الله يوم قتله: أنّ السماء اسودّت حتّى رؤيت النجوم في النهار، ولم يرفع حجر ولم يوجد تحته دم جديد.

وعن أبي الشيخ: أنّ العدس الذي كان في عسكرهم تحوّل إلى الرماد.

ونحر العسكر ناقة، فكانوا يرون في لحمها مثل الفيران، فلمّا طبخوها صارت مثل العلقم.

وأنّ السماء احمرّت لقتله، وكسفت الشمس حتّى بدت النجوم نصف النهار، وظنّ الناس أنّ القيامة قد قامت.

وعن عثمان ابن أبي شيبة: أنّ السماء مكثت بعد قتله سبعة أيام تُرى

على الحيطان، كأنّها لحف معصّفرة من شدّة حمرتها، وضربت النجوم بعضها بعضاً.

وعن ابن سيرين: أنّ الدنيا اظلمّت ثلاثة أيام، ثمّ ظهرت الحمرة في السماء.

وعن أبي سعيد: ما رفع حجر في الدنيا ولم يوجد تحته دم عبيط.

وفي خبر: أنّه مطر كالدم على البيوت والجدران بخراسان والشام والكوفة.

وأنّه لما جيء برأس الحسين عليه السلام إلى قصر ابن زياد، سالت حيطانه دماً.

وأنّ السماء احمرّت آفاقها ستّة أشهر بعد قتله، ثمّ لم تزل هذه الحمرة تُرى بعد ذلك.

وعن ابن سيرين وابن سعد: أنّ هذه الحمرة لم تكن قبل قتل الحسين عليه السلام.

قال ابن الجوزي ـ وهو من أعاظم حفظة الحنابلة ـ: وحكمته أنّ غضبنا يؤثّر حمرة الوجه، والحقّ تنزّه عن الجسميّة، فأظهر غضبه على قتلة الحسين عليه السلام بهذه الحمرة؛ تعظيماً للجناية.

قال: وأنين العباس وهو مأسور يوم بدر، منعَ النبيّ صلى الله عليه وآله النوم، فكيف بأنين الحسين عليه السلام؟!

وما مرّ من أنّه لم يرفع حجر في الشام أو في الدنيا ولم يوجد تحته دم جديد، وقع يوم قتل عليّ عليه السلام»[1] انتهى ملخّصاً موضحاً بعضه.

---

(١) إلى هنا انتهى كلام الصواعق المحرقة: ١٧٢.

يُستفاد من هذه النبذة شيئان:

أحدهما: أنّه لم تلد الدهور مثل فاجعة الحسين في العظمة؛ لتأثيرها في العالم بصدور هذه الخارقات للعادة. ولم يصدر مثلها في قتل رسل الله وخلفائهم، سوى مطر الدم وحده في قتل أمير المؤمنين عليه السلام.

ومن المعلوم أنّ الحسين عليه السلام دون أبيه في الفضل، لكن مصيبته أعظم من مصيبة أبيه من جهات عديدة غنيّة عن البيان، فأعظميّة مصيبته دعت إلى هذه الخارقات جميعها وغيرها ممّا لم نذكره.

ومن هنا يُعرف وجه شدّة حزن محبّيه عليه مستمرين بإقامة المآتم عليه، ينوحون ويبكون ليلهم ونهارهم حزناً عليه، ممّا جرى من ضروب الظلم الفاحش من الطغاة المردة عليه وعلى أهل بيته وعياله وصحبه.

وثانيها: أنّ موقف الحسين عليه السلام، ذلك الموقف الهائل المدهش للعقول، بشدّة ثباته وصبره على عظيم الصدمات، لم يكن له غاية سوى محض رضى الله؛ بتشييده لدينه القويم، وعدم قبوله الركون إلى الظلمة، وعدم رضاه بسلطنة الفاسق الفاجر على اُمّة جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله.

فأقدم على تضحية نفسه القدسيّة، ونفوس مَن معه من أهل بيته الطاهرين، الذين لم يكن لهم يومئذٍ في الدنيا شبيه. قاله ابن عبد البر في «استيعابه» عن الحسن، وقاله غيره عنه مثله.

ورضي بسبي عياله، وبما جرى عليه وعليهم بين ذلك من المفجعات والمؤلمات: من عطش العيال، وسلبهم، ونهب المال، وغير ذلك من عظيم الصدمات، التي لم يتفق لرسول من رسل الله وخليفة ورودُ جميعها عليه،

فصبر عليه السلام على جميعها، ورضي بورودها عليه؛ لمجرّد المحافظة على ديـن الله سبحانه، وتثبيت أنّ مثل يزيـد ـ المتجـاهر بضـروب الفسـوق والفجـور ـ لـيس بأهل لصيرورته في صفّ سادة المسلمين وخلفائهم الذين تجب طاعتهم.

[مخالفة يزيد لآيات القرآن الكريم]

وما صدر في العالم من الخارقات، من جهة عظمة الظلم الذي جرى عليه، شهود صدق وبيّنات حقّ دلّتنا على خلوص قصده عليه السلام لله سبحانه.

وسرّ ذلك بيّن، وهو كون يزيد قد خالف ـ بتأمّره على المسلمين ـ عدّة نصوص محكمة من الفرقان المبين:

منها: آية ﴿**أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ**﴾ إلى ﴿**كَيْفَ تَحْكُمُونَ**﴾[1]، فمن تجاهر بالفسوق ليس له حقّ المتابعة على غيره، بل على العدول رشده إلى الحقّ، بزجرهم له عمّا صدر منه من الفسوق.

ومنها: آية ﴿**وَمَنْ يُشَاقِقْ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى**﴾ إلى ﴿**وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ**﴾[2]، فلقد ثبتت مشاقّات يزيد للرسول من بعد تبيّن الهدى له، بتحريم ما قد فسق به، ومَن هذه حاله يقود مَن تابعه إلى جهنّم، فمتابعته محرّمة من دون ريب.

ومنها: آية ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنْكَرِ**﴾[3]، ويزيد قد صار خارجاً من ﴿**خَيْرَ أُمَّةٍ**﴾ بأمره بالمنكر وفعله له،

---

(١) يونس (١٠): ٣٥.

(٢) النساء (٤): ١١٥.

(٣) آل عمران (٣): ١١٠.

وبتركه المعروف ونهيه عنه، الذي منه تركه المبايعة للحسين عليه السلام ونهيه عنها حتّى بالمحاربة ومن المنكر البيعة له، فأمر بها وحثّ عليها في منتهى الحرص والشدّة، إلى سائر ما مضى من طامّاته.

حسب الحرّ اللبيب، في معرفة مخالفة بيعة يزيد وسلطنته، آية من هذه دون جميعها، ودون غيرها.

[مخالفة يزيد لعدّة سُنن ثابتة]

وخالف في تأمّره عليهم عدّة سُنن ثابتة، معروفة عند حفَظة السُنّة، ونحن ـ تنبيهاً للغفلة ـ نُشير هنا إلى نبذة منها:

فمنها: ما مرّ من خبر الثقلين، فإنّه قد دلّ على وجوب متابعة العترة أهل البيت عليهم السلام؛ لحصول الهدى لمن تابعهم، ومَن لم يتابعهم فهو ضالّ، وثبوت هلكة مَن تقدّم عليهم ومَن تأخّر عنهم.

ومنها: ما مرّ من السُنّة الثابتة المعروفة بالصحّة، مثل خبر الثقلين عند الحفظة، وهي التي دلّت على أنّ مَن لم يحبّ أهل البيت لم يدخل في قلبه إيمان، فما حال مَن جرّه بغضهم إلى قتلهم؛ لعدم بيعتهم له، فهل يوجد في قلب مثله لمحة إيمان؟

ومنها: ما مرّ من خبر «ستّة لعنتهم ولعنهم الله وكلّ نبيّ مجاب»[1]، فقد دخل فيه يزيد من جهات:

منها: تسلّطه على خير أُمّة بالجبروت، فأذلّ مَن أعزّه الله وعظّمه بالتقوى ورشد العباد وهم أهل البيت، ومَن تابعهم من عباد الله الصالحين، فأمّر عليهم مَن أذلّه الله مثل ابن مرجانة، وغيره من العتاة المردة الفجرة.

---

(١) تقدّمت الإشارة إليه قبل عدّة صفحات.

ومنها: استباحته من العترة ما حرّمه الله، من جعلهم رعيّة له، ومن قتالهم وقتلهم، وسبيهم ونهب مالهم، ووصفهم بما هم عنه منزّهون، قد طهّرهم الله منه، وقد رماهم يزيد المفتري على الله به، فدخل في قوله سبحانه ﴿**فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ**﴾(١) وهو ما مضى نقله من خطابه لعقيلة بني هاشم.

ومنها: تركه لكثير من السُنن المعروفة، مثل ما دلّ على حرمة الزنا، وحرمة شرب الخمر، وحرمة القمار، وحرمة نكاح المحارم، إلى غيرها. وقد صدرت جميعها من يزيد، تاركاً سننهﷺ الشريفة، وقد مضى نقل ما دلّ على صدورها منه عن «الصواعق»(٢).

حسب المسلم في معرفة عدم إيمان يزيد، وفي خروجه عن صفوف المسلمين، بعض مشاقّاته هذه.

على المسلم التدبّر في رفعة قدر الحسينعليه السلام، من موقفه الذي لم يتّفق لغيره من رجال الله الوقوف في مثله، وفي ما صدر من الخارقات التي دلّت على عظمة صبره، وخلوصه في تشييد الدين طاعة منه لله، وشدّة الظلم الذي صدر عليه.

فإنّ تصوّر ذلك حسناً، وتعمّق في فهمه لمن نسي هذه الفاجعة العظمى، ولصارت مصائبها نصب عينيه. فهو وقتئذٍ مستمر الحزن، كئيب الحال، متبلبل البال، لن تخمد زفرته، ولن ترقى عبرته.

---

(١) الأنعام (٦): ١٤٤.

(٢) الصواعق المحرقة: ١٩٤.

ولقد جعل الله سبحانه له سمة لذلك من تلك الخارقات، منبّهةً له عن الغفلة والنسيان، حين يحول بينه وبين فجعته الشيطان، وهي الحمرة.

فإنّه سبحانه قد جعلها باقية؛ ليعرف الناس رفعة قدر الحسين عليه السلام، وعظمة موقفه المدهش للعقول، والمذيب للقلوب بزفير الحزن. فيؤدي المحبّ حينئذ حقّ المحبّة من النياحة والعويل، ضاجّاً عاجّاً من حرقة المصاب، وجارياً على سبيله في مقام نصرة الدين، فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فادياً في هذه السبيل عامّة ما يعزّ عليه، حيث علم بموقف سيّد شباب أهل الجنّة، ذلك الموقف العظيم، فإنّه يسهل عليه ويهون بذل عموم ما يهمّه حفظه في سبيل تشييد الحقّ وترويجه؛ تأسّياً بمن هو خير منه.

فيرى حقارة بذل عامّة ما يعزّ عليه في هذه السبيل، بالنسبة إلى ما بذله سيّد شباب أهل الجنّة في سبيل الله، فأينَ نفسه من نفسه المقدّسة؟! وأينَ نفوس قومه ـ الذين لم يكن يومئذٍ في الدنيا لهم شبيه ـ من قومه؟! إلى غير ذلك ممّا بذله العديم النظير، فلقد سنّ عليه السلام للخلق في النصرة لدين الحقّ ما لم يسنّه غيره من رسل الله وخلفائهم.

وبذكر فعاله الجميلة، وخصاله الحميدة الجليلة، وحُسن ثباته وعظيم صبره، يتدرّب السامعون إلى متابعته في ذلك، وتصغر الدنيا بأعينهم، فيزهدون فيها، ويرفضون الظلم، ويتحرّون سنن العدل والمعاونة على البرّ والتقوى.

وحيث يلزم من ذكر وعظه عليه السلام ونصحه، وثباته في مقام الذبّ عن دين الله، وصبره على ما جرى عليه من الطغاة، ذكرُ فاحش ظلمهم وخباثة سيرتهم وسريرتهم، فيعظم بأعينهم وقلوبهم قباحة الجور، عظيمه وحقيره، فيرتدعون

عـن فعلـه، ويبـرأون مـن فاعلـه، ويعلنـون بلعـنهم وسـبّهم، فيميـل النـاس عنـد سماعهم ذلك ومشاهدتهم له إلـى العـدل، فيجـري مـنهم لحسـنه فـي نظـرهم، ويرفضون الظلم؛ لقبحه في نفوسهم ووخامة عاقبته.

[سبب إقامة المآتم على الإمام الحسين عليه السلام]

ولهذه الغايات الحسنة الجميلة، جُعلت المآتم على سيّد شباب أهل الجنّة، ولغيرها من جميل الغايات، التي يطول المقام ببيانها، التي يلتفت إليها الحرّ، بعد الغور في هذه الفاجعة وجهات تشييدها للدين.

فيا لهفي على بعض الجهلة، من حيث زعمهم بأنّ ترتيب المآتم عليه بدعة؛ رجماً منهم بالغيب.

فأيّ بدعة تتصوّر في بيان حُسن جهاد سيّد شباب أهل الجنّة، وفي بيان نصائحه ورشده لمن حاربه إلى متابعة الحقّ، وبيان جميل صبره على عظيم الصدمات، التي لم يتّفق صدورها على غيره، وفي شدّة ثباته وشجاعته في مقام النصرة لدين الله، وفي التحسّر والتأسّف عليه ممّا جرى في حقّه من ظلم القوم؟! فتحترق القلوب، وتجري العيون حزناً عليه.

فليت شعري، هل في ترتيب هذه المآتم: شرب المحرّمات، وذكر البهتان باسم الصدق، وسبّ مَن لم يستحقّ السبّ، والتنويه ببغض مَن لم يستحقّ الحبّ؟!

وهل فيها طلب فعل المنكر، والنهي عن فعل المعروف؟!

فإنّها ـ بحمد الله وحُسن توفيقه ـ مقدّسة عن هذه السفاسف وغيرها، مشحونة ببيان الحقائق الشرعيّة، ومتضمّنة لما فيه عبرة وموعظة وسنّة حسنة

من المصادر التاريخيّة، يرى ذلك فيها مَن حضرها وتقلّب فيها.

وما نظنّ بعاقل يرد مناهلها، ويشاهد محاسنها، ويرى جميل غاياتها وحسن تربيتها، ثمّ يتركها.

وهل عاقل يصدّ نفسه عن تحصيل كمالها وجمالها؟! فهو طبعاً بعد تدبّره بما ينشر فيها من الخصال الجميلة، يديم الحضور فيها، ليشرّف نفسه بتعلّم ما فيه سعادتها، ويخلّصها من المرديات التي فيها شقاوتها.

ونحن نلتمس ممّن زعم أنّها بدعة ـ من باب النصيحة له ـ على حضور ولو بعضها، فإن وجدَ فيها شيئاً يخالف الدين الحقّ، بل ولو شيئاً مخالفاً للسياسة، فهو محقّ في قوله. فليجرب نفسه حتّى يشاهد خطأه بنفسه، فيندم على ما فرّطه من عدم حضورها من أمسه.

ويا عجباه ممّن يزعم بأنّها بدعة، وهو لم يحضرها، ولم يشاهد ما يدور فيها؟! فنحن من باب وجوب التعاون على البرّ والتقوى، ندعوه إلى الدخول فيها؛ ليشاهد بنفسه ما يجري فيها من المحاسن، وحينئذٍ يرى أنّ معرفة الدين والدنيا تُستفاد منها بأحسن بيان وبأجلى برهان.

ولعمري، لم ينصف مَن زعم هذه وما هو مثلها، سيّد شباب أهل الجنّة بعدم محبّتهم له، وهم يعلمون أنّه من سادة معشر مَن لم يحبّهم لم يدخل في قلبه إيمان؛ لمنعهم إمامة شعائر الحزن عليه بأعظم ما يتصوّر، بعد علمهم بحزن سيّد أهل العالم جدّه صلى الله عليه وآله، وقد تبعه على ذلك الجماد من العالم وغيره على ذلك.

وقد بقي بعض سمات الحزن وغضب الله سبحانه على ظالميه إلى اليوم

وإلى ما بعده؛ تنويهاً من الله سبحانه في حُسن طاعة سيّد شباب أهل الجنّة له، وفي تفرّد فاجعته في العظمة، وفي شدّة غضبه على ظالميه.

وهل يصدق في دعوى المحبّة له، مَن لم يديم الحزن ممّا جرى عليه؟! بعد علمه بما قد مرّ نقله من عظيم الصدمات التي قد وردت عليه، فرضي بها نصرة منه لدين الله، وقد قبل ذلك سبحانه منه بأحسن القبول، بآياته التي قد مرّت، وبعظيم انتقاماته من ظالميه.

بمَ يُعرف المحبّ من المُبغض؟

من المعلوم أنّ المحبّة مثل البغض، من الصفات القلبيّة الغير المدركة بالحاسّة الظاهرية، فتختصّ معرفتها بآثارها التي تخصّها، ومن جملتها تأثّر المحبّ بالحزن في حزن محبوبه، وتظاهره في بغض مَن ظلمه فأحزنه، فإن لم يحزن لحزنه ولم يتظاهر ببغض مَن ظلمه فهو ليس بمحبّ قطعاً.

فعلى تقدير كون المظلوم في منزلة مَن يحبّه لم يدخل في قلبه إيمان بالله وبرسوله وبالمعاد، فهل يتصوّر عدم حزن محبّه، وعدم بكائه وضجيجه وعجيجه وعويله، ولطمه وجهه ورأسه وصدره عليه، لما قد دهاه من فاحش الظلم، وعدم تظاهره ببغض ظالميه ولعنهم والتبرّي منهم؟!

بل المحبّ عند سماعه ما جرى على محبوبه، الذي هذه منزلته، من الظلم الفاحش المدهش للعقول، المحرق للقلوب، المجري للعيون، لن ينساه البتة مدّة حياته.

فيبكي، ويعول عليه، ويلدم جسمه حزناً عليه بيديه؛ تأدية لحقّ المحبّة الصادقة. فإنّ حزن المحبّ لحزن محبوبه طبعيّ ليس باختياريّ، فإنّه بالمشاهدة متى صدقت المحبّة، لزمها لزوماً بيّناً ضروريّاً حزن المحبّ لحزن محبوبه وسروره لسروره.

وهذه حال ضدّ المحبّة وهو البغض، فإنّه مستلزم لسرور المبغض عند

حزن مبغوضه وحزنه عند سروره، حسبما ظهر السرور والشماتة ليزيد وابن زياد عند وصول خبر شهادة سيّد شباب أهل الجنّة إليهما.

فإقامة المآتم مسبّبة عن صدق المحبّة، وهي على ما عرفتَ قد تضمّنت تشييد ما بسبب ترويجه جرى ما جرى على الحسين عليه السلام وأهل بيته وصحبه، ففي الحقيقة هي قد تأسّست لبيان الدين الحقّ وذكر أعظم مروّجيه، وذكر ما جرى عليهم من الصدمات في ترويجه، وذكر حُسن سيرهم وجميل سُننهم؛ تشويقاً للناس إلى حُسن التأسّي بهم، وإلى ردعهم عن الظلم، وإلى جريهم على العدل.

في بيان زيادة عظمة شأن الحسين عليه السلام غير ما مرّ

في الصحيفة المائة والسادسة عشر من «الصواعق» إلى ما بعدها، ما معناه: (من محادثة جماعة في أنّه ما من رجل عاون على قتل الحسين عليه السلام، ولم يُبتل قبل موته ببليّة، فقال رجل: أنا ممّن عاون على قتله، ولم يُصبني شيء، فقام ليصلح المصباح، فأخذته النار، فجعل ينادي: النار النار، وانغمس في النهر، فلم يزل يحترق حتّى مات لعنه الله.

وعن منصور بن عمّار: إنّ بعضهم ابتُلي بالعطش، وكان يشرب القرب الكبيرة فلن يروى. وبعضهم طال ذكره، حتى إنّه كان يلويه على عنقه عند ركوبه الفرس.

وعن السندي: أنّه ورد عليه ضيف، فجرى حديث أنّه كلّ مَن عاون على قتل الحسين عليه السلام مات شرّ موتة، فقال الضيف: ما تقولونه كذب، هو ممّن حضر، فقام في آخر الليل ليصلح المصباح، فوثبت النار في جسده فأحرقته.

عن الزهريّ، قال: إنّه لم يبق من قَتلة الحسين عليه السلام مَن لم يُعاقب في الدينا: إمّا بقتل، أو عمى، أو تسويد الوجه، أو ذهاب الملك في مدّة يسيرة. إلى غير هذه ممّا نقله في عقوبات قاتليه)[١].

---

(١) الصواعق المحرقة: ١٧٢.

وفي الصحيفة المائة والتاسعة عشر منه قال: «روى الحاكم من طُرق متعدّدة، أنّ النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قال: «قال جبرائيل عليه السلام: قال الله تعالى: إنّي قتلتُ بدم يحيى بن زكريا سبعين ألفاً، وإنّي قاتل بدم ابن نبيّك سبعين ألفاً وسبعين ألفاً».

ولم يصب ابن الجوزيّ في ذكره له في الموضوعات.

وقتل هذه العدّة بسببه، غير مستلزم أنّها عدد عدّة مقاتليه، فإنّ فتنته أفضيت إلى تعصّبات ومحاربات تفي بهذه العدّة»[1] انتهى ملخّصاً.

قلنا: ومَن يَصغي إلى قول ابن الجوزيّ؟! ومثل الذهبيّ حكم بصحّة الخبر على طريقة مسلم وشرطه في صحيحه، ونقل هذه العقوبات وغيرها في «تهذيب التهذيب». فعُلم ممّا نقلناه وشرحناه، عظمة عناية الله سبحانه في فاجعة الحسين، في جعلها بأعين الخلق وفي قلوبهم عديمة النظير في وقعها لديه في خير مقام من القبول.

ومن هذه الجهة بيّن رفعة قدر مَن صدرت عليه فصبرَ عليها وعظمة شأنه بما مرّ، وبما هو مثله من عظيم انتقاماته، بل حتّى سخّر نسوة الجنّ بالنياحة ولطم خدودهن عليه، ففي «التذكرة»: قال الزهريّ: ناحت الجنّ عليه، فقالت:

خيرُ نساءِ الجنّ يبكينَ شجيّات ويلطمنَ خدوداً كالدنانير نقيّات
ويلبسن ثياب السود بعد القصبيات

قال: وممّا حفظناه من قول الجنّ:

مسحَ النبيّ جبينَه وله بريقٌ في الخُدودِ

(١) الصواعق المحرقة: ١٧٦، وفيه: وإنّي قاتل بدم الحسين بن علي سبعين ألفاً.

أبواه مِن عليا قُريش وجدّه خيرُ الجدودِ
قتلوكَ يابنَ المُصطفى فأسكنوا نار الخلُودِ[١]

ومن هذه العنايات الربانيّة، والتعظيمات للحسين الرحمانيّة، يعلم شدّة بغض مَن هذى بأنّ الحسين عليه السلام قُتل في سيف جدّه لله ولرسوله وللحسين.

فيا ليت شعري! ما بال النفاق يصل إلى هذه الدرجة من الشقاق؟! هل يخطر ببال مَن في قلبه مثقال ذرة إيمان أنّ الحسين تصدر منه معصية، تجعل دمه مباحاً شرعاً؟! وهو ممّن طهّره الله من الرجس، وهو سيّد شباب أهل الجنّة، ومن سادة عصبة مَن لم يحبّهم لم يدخل في قلبه إيمان ومَن تقدّم عليهم هالك، ومَن تاخّر عنهم هالك، والمحارب لهم محارب للرسول صلى الله عليه وآله. وقد قتل الله سبحانه بدمه سبعين ألفاً وسبعين ألفاً، وغيّر الكون لقتله بما مرّ من آيات غضبه على قاتليه.

أما درى المخذول الذي قد هذى بهذه الطامّة المدهشة بأنّه ـ والعياذ بالله ـ قد خطّأ الله سبحانه في عناياته العظيمة المشار إليها في شأن الحسين، وخطّأ خاتم الرسل صلى الله عليه وآله في هذه السُنن التي نبّهنا عليها هنا، التي دلّت على أنّ الحسين علم الهدى، مَن تبعه فقد هدي وسعد، ومَن خالفه فقد ضلّ وشقى.

---

(١) تذكرة الخواصّ ٢: ٢١٩ ـ ٢٢٠.

ممّا دلّ على رجحان الحزن عليه

يهتدي المسلم إلى حُسن الحزن على غريب الطفّ ورجحانه ومحبوبيّته لله سبحانه، بما مرّ من حزن الجماد عليه من سمائها وأرضها، فإنّها ـ حسبما عرفت ـ قد بكت دماً عليه، وحال شمسها ونجومها قد عرفتها. فالذي عظمة مصيبته قد جعلها الله سبحانه مؤثّرة في الجماد عالميّة، العلوي منه والسلفي.

فتأثيرها في نوع البشر أولى طبعاً من دون ريب، على الخصوص في جماعة المسلمين منهم، من حيث علمهم بأنّ إيمانهم موقوف على محبّة بني هاشم، فمَن لم يحبّهم لم يدخل في قلبه إيمان، والمحبّ يحزن من جهة الصدمات التي ترد على محبوبه طبعاً، ويستحيل نهيه عن الحزن؛ للزومه للمحبّة لزوماً ضروريّاً، لن يتصوّر مفارقته لها.

نعم، يتصوّر توجّه النهي إلى نفس المحبّة، بعد بيان ما يوجب خروجها من القلب، فإن خرجت لحقها ملزومها.

والمفروض في المقام، أنّ الشريعة المقدّسة قد وردت بوجوب محبّة أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله، فيجب على الخلق تحصيلها، فمتى حصلت لحقها الحزن والسرور. فأمره سبحانه بمحبّتهم قاضٍ بالحزن لحزنهم وبالسرور لسرورهم، لن يفارقاها البتة.

وحيث فاقت فجيعتهم على فاجعات الدهور، وتفرّدت عن غيرها بشدّة

التأثير في العالم، فاق الحزن عليهم من جهتها على الحزن على غيرها، فصار مستديماً لمحبّهم من أوّل عمره إلى نهايته، لن يفتر عنه.

ومن هذه الحقيقة صار ديدن الشيعة على جعل المآتم عليه قرناً بعد قرن، قد طبق الدنيا عويلهم وبكاؤهم وضجيجهم وعجيجهم ونحيبهم ولطمهم ونوحهم عليه؛ لصدقهم في دعوى المحبّة.

وما يبالون بعذل مَن يعذلهم؛ لعظم جرمه عندهم، لكون معنى عذله لهم على الحزن على سيّدهم، نهيه لهم عن محبّته. وهل عاقل يرفض محبّة سيّد عظيم من سادة مَن لم يحبّهم لم يدخل في قلبه إيمان؟!

ثمّ ليتدبّر المنصف في ما نقلناه عن مشاهير أهل المعرفة بالخبر والسير، وفي ما بيّناه، فهل يرى في شيء من ذلك شيئاً من التهاويل؟! بل مَن نظر بعين البصيرة، يرى ذلك حقائق مستنيرة ليس فيها ريب.

لكن النصب رمى النصوليّ في خزي البهتان، حيث زعم أنّ غير ما ذكره في هذه الفاجعة العظمى تهاويل، عامله الله بعدله لو لم يتب من كتمانه الحقّ.

طلب النصوليّ المحال من الشيعة

ما ندري بأيّ وجه وسند طلب النصوليّ من الشيعة رفضهم في المستقبل شعار الحزن على سيّدهم سيّد شباب أهل الجنّة، فزعم أنّ العلم يصدّهم عن الحزن وجعل المآتم[1].

فما باله قد عثر هذه العثرة الفاضحة، حيث زعم أنّ العلم في الزمن المستقبل يرشدهم إلى سدّ باب هذه السعادة العظمى والطاعة النفيسة الكبرى! فما ندري ما الذي عبر على خاطره حين صدور هذه البليّة منه؟! العياذ بالله العظيم من هذه العصبيّة المردية في ظلم النفاق.

أما درى بأنّ سدّ باب المآتم والحزن على سيّد شباب أهل الجنّة، رفض لمحبّتهم لما هو ضروريّ من لزوم حزن المحبّ من جهة ورود الصدمات على محبوبه، وورود الظلم من العدى عليه؟! فمن لم يحزن لذلك ليس بمحبّ قطعاً.

وهل مسلم ينجّس نفسه بعدم محبّة عصبة مَن لم يحبّهم لم يدخل في قلبه إيمان؟! فيستحيل من الشيعة تقدير نفوسهم بهذه الرذيلة، الموجبة لعدم إيمان مَن يتّصف بها.

---

(١) الدولة الأُمويّة في الشام: ٤٩.

وهل ما هذه غايته السوئى يسمّى علماً؟! فليت شعري فالجهل ما هو؟!

ثمّ ليت شعري! أما علم بأنّ الدين الحنيف، إنّما ظهر وتشيّد من نفس المقام الذي قام به سيّد شباب أهل الجنّة، حيث بيّن للخلق عدم لياقة الفسقة الفجرة للرئاسة الدينيّة، وصار لديهم معلوم أن هذه المنزلة هي حقّ سادة عترة خاتم الرسل، الذين مَن لم يحبّهم لم يدخل في قلبه إيمان صلّى الله على جدّهم وعليهم وسلّم؟!

وما هذه حاله يجب على مَن يؤمن بالله وبرسوله، التظاهر به إلى يوم القيامة ترويجاً لدين الله، وتنويهاً بشرف مقام مَن شيّد دينه ليقتدي به الناس من بعده، فأعظم بها من سنّة حسنة قد تضمّنت المحاسن الشرعيّة والسياسيّة في مقام نصرة الدين.

وأمّا مسألة لطم الشيعة وجوههم وغيرها

ليس للنصوليّ وغيره حقّ التعرّض للشيعة في هذه المسألة وغيرها، بعد العلم بأنّهم متابعون للعترة أهل البيت عليهم السلام، فما يعمله أهل المعرفة منهم مأخوذ عن العترة، حسبما دلّ على ذلك خبر الثقلين، وغيره من السنن الصحيحة والحسنة المعروفة عند الحفظة.

وقد ورد من طرق أهل البيت عليهم السلام، ما دلّ على رجحان لطم الوجوه وشقّ الجيوب على الحسين عليه السلام[1]. فلطم الرؤوس ولطم الصدور جائز بطريق أولى؛ لكون رجحان لطم ما هو ألطف، وما هو معيار حسن ظاهر البشر دليل على رجحان لطم ما هو دون هذه المنزلة في اللطافة، فلطم هذه منبعث عن دليل شرعيّ.

فما بال الناس يعذلون عصبة تجري في ديانتها على حسب ما وردت به الشريعة، ونحن لسنا في مقام فتح باب العذل على مَن خالف الشريعة، ولو فتحناه على وجه الحقيقة لضاق بعاذلي الشيعة الخناق، بل لقادهم إلى متابعة الشيعة حسن الوفاق بظهور الحقّ لديهم عن بيّناته الساطعة، ورسوخه في

---

(١) منها رواية خالد بن سدير عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «لقد شققنَ الجيوب ولطمنَ الخدود الفاطميّات على الحسين بن عليّ عليهما السلام، وعلى مثله تلطم الخدود وتُشقّ الجيوب». انظر: تهذيب الأحكام ٨: ٣٢٥، حديث ١٢٠٧.

قلوبهم عن آياته القاطعة، والفطن المنصف يعرف ذلك ممّا قد نبّهنا عليه من السنن الصحيحة في هذه الصفحات.

ونحن لم نكن في صدد بيان ما يشمّ منه الفرقة، حتّى نستوفي المقام في البيان ونعطيه حقّه، وما ذكرناه هنا قد جرّنا إليه بعض مقال النصوليّ البيّن الفساد. ولقد نبّهنا في صدر كتابنا، على أنّ مَن بيّن الحقّ ودعا إليه، لم يكن قد دعا إلى الفرقة، بل الوفاق على العصمة بجبل الجهلة عن حقيقة الله.

لكن الجهّال رموننا بهذه الصفة الخبيثة، فأمّا أهل المعرفة ـ وهم القليل ـ يعلمون بأنّ هذه الطريقة في منتهى درجات الحسن.

وحسب الغافل والجاهل ما نبّهنا عليه في هذه السطور، في بذل همّتها على تحصيل الحقّ بتمامه من مظانّه. لكنّا في مقام بيان موجبات الوفاق، وردّ التوهّمات القاضية بصدود الشقاق ورفعها من القلوب، كما قد بيّناه إلى هنا على ما ترى.

وخبر: «ليس منّا مَن لطم الخدود، وشقّ الجيوب، ودعا بدعوى الجاهليّة»[1]، غير ناظر إلى ما نحن فيه، فإنّ سياقه قد دلّ على أنّ صدور ذلك منبعث عن عدم الرضى بما قدّره الله وقضاه؛ لقوله: «ودعا بدعوى الجاهليّة».

وما يصدر من الشيعة من ذلك، منبعث من شدّة حزنهم على سيّدهم، من حيث عظمة الظلم الذي صدر عليه، بعد علمهم بأنّ ما قضاه الله عليه من ذلك هو خير له عظيم، قد ساقه الله سبحانه إليه. وهذه الجهة غير تلك، فبين مدلول الخبر وبين ما تفعله الشيعة بون بعيد.

---

(١) صحيح البخاري ٢: ٨٣ باب «ليس منّا من ضرب الخدود»، و٤: ١٦ باب «قصّة زمزم».

مسألة الضرب بالحديد

هذه المسألة قد تأسّست قبل ما يقرب من قرن، ممّن ليس لهم إلمام وحُسن معرفة بأُمور الشريعة، فذهب الحبّ بهم إلى ذلك؛ بزعم التأسّي بسيّدهم وخيرة قومه وصحبه؛ لقتل العدى لهم بالضرب بضروب الحديد، فجرّتهم سورة حبّهم لهم إلى جعل نفوسهم تذوق حرّ الحديد تأسّياً بهم، غفلة منهم عن عدم جريان دليل التأسّي إلى هذه الدرجة.

وأهل العلم والمعرفة يظهرون لهم ما ورد رجحانه في مقام التعزية، وعدم شمول ما دلّ على حُسن التأسّي لمثل ذلك، ولعل الله يوفّقهم جميعهم لمتابعة أهل البيت في حزنهم على هذه الفاجعة، فإنّ الجري على ما صدر منهم فيها هو الحقّ دون غيره.

طلب النصوليّ تحويل مسألة المآتم إلى فعل الخير

من الضروريّات لدى الشيعة، أنّ مسألة المآتم من خير الطاعات وأفضل القربات؛ لما ورد في فضلها من طرقهم، وقد ذكرنا نبذةً منها في رسالتنا «كشف الحقّ»[١].

فمن طلب منهم تحويلها إلى غيرها من فعل الخير[٢]، جاهل بالحقيقة، قد حكم رجماً بالغيب، فليته قد درى بأنّه لم يرد ـ حتّى من طرق أهل مذهبه ـ من الفضل في عبادة، مثل ما ورد في مسألة الحزن على الحسين عليه السلام.

حسبه وحسب غيره ما نقله إمام عصره محبّ الدين الطبريّ في كتابه «ذخائر العقبى»[٣] عن إمام أهل السنّة أحمد بن حنبل[٤]، بإسناده عن الحسين عليه السلام أنّه قال: «مَن بكى علينا، فخرجت من عينه دمعة، أو قطرت قطرة، بوّأه الله الجنّة».

قلت: سياقه ناطق بأنّه خبر مرفوع.

---

(١) تقدّمت في هذا المجلّد، الصفحة ٣٠٤.

(٢) الدولة الأُمويّة في الشام: ٤٩.

(٣) أحمد بن محمّد الطبريّ المكيّ (ت ٦٩٤ هـ) في كتابه ذخائر العقبى في مناقب القربى: ٥٢، الباب الخامس: في فضل أهل البيت عليهم السلام ـ فصل «ذكر ما لمن يتوجّع لهم».

(٤) فضائل الصحابة ٢: ٦٧٥ ـ ٦٧٦ حديث ١١٥٤، وفيه: «مَن دمعت عيناه دمعة أو قطرت عيناه فينا قطرة أثواه الله عزّ وجلّ الجنّة».

فأيّ عبادة حال مثوبة قطرة دمعة منها الجنّة؟! فهل يصل خيرٌ إلى هذه الدرجة؟! وسرّ ذلك بيّن، فإنّ هذه القطرة على محبّة الباكي حزناً على أهل البيت خير دليل، ومحبهم مؤمن، والمؤمن محلّه المعدّ له الجنّة. فليستبصر النصوليّ، وليقض بما نزل من عند الله، والله الهادي إلى الحقّ بإذنه.

فإن قيل: لم يصدر الحزن في هذه الفاجعة زمن الصحابة، والتابعين، وتابعيهم، وتابعي تابعيهم.

قلنا: من المعلوم عدم قدرة مَن ذُكر على التظاهر بالحزن؛ لكون جماعات منهم في زمن بني اُميّة، المعلنين ببغض أهل البيت، وسبّ سيّدهم علناً على المنابر. وجماعات منهم في زمن بني العبّاس، وحالهم معلومة في بغض العلويّين والشيعة وقتلهم لهم.

فهل يقدر محبّ للعترة على التظاهر بالحزن عليهم في هذه الحال؟ نعم قدر المحبّون على التظاهر بالحزن على صفوة الله من خلقه، من زمن آل بويه إلى اليوم، ذكر ما دلّ عليه صاحب «الكامل» في ما صدر بعد الثلاثمائة من الوقائع، ولم يحضرني الكتاب حين التحرير.

ونحن نأسف على مَن يزعم أنّه مسلم، ونعجب منه وهو يجبر غيره على سدّ المآتم على أهل البيت، بعد علمه بأنّ الحزن على العترة تأسّ بجدّهم، وهذه بعض مثوباته.

ثمّ من المعلوم أنّ شغل الشيعة بالمآتم في بعض سويعات الليل والنهار، غير صادّ لهم عن تعليمهم ولدهم وبناتهم، وعن تعلّمهم ما يوجب رقيّهم من العلوم الدينيّة والدنيويّة. فإنّهم في غالب الساعات فارغون، قادرون على تنوير

قلوبهم بمحاسن العلوم النافعة.

والذي نظنّه من النصوليّ، أنّ منعه عن المظاهرة الحسينيّة، صادر عن حبّه لشرّ قبيلة، من حيث إنّ هذه المظاهرة تسوّد وجوههم بأفحش الظلم لصفوة الله من خلقه، فتستمر ذكرى فضائحهم بين الناس، فتصبّ عليهم بالسبّ واللعن منهم ليوم القيامة. فحاول بزخارفه تحصيل هذه الغاية، وما درى أنّ الله غالب على أمره ومظهر دينه ولو كره المنافقون، ولقد حاول المحال كيف تستر مخازي مَن سوّدت سيرهم الخبيثة وجوههم إلى يوم النشور، ولبست عصورهم عظيم الجور من بين العصور.

ثمّ ما ندري بأيّ برهان زعم وفود الحسين عليه السلام على معاوية بعد أخيه، وصيرورته جنديّاً في الجيش؟![(١)] ومثل خاتمة الحفظة قال في ترجمته له في «إصابته»: إنّه بعد رجوعه مع أخيه بعد المصالحة إلى المدينة، لم يخرج منها إلى أن مات معاوية[(٢)].

فأيّ باعث له على ذلك؟ فهل عنده البهتان لتحقير سيّد شباب أهل الجنّة، دين إلى هذه الدرجة من التوهين، حيث يجعله جنديّاً تحت رئاسة الفاسق الفاجر، وخبر الثقلين نصب عينيه؟!

فهل في ذلك مدحة ليزيد؟ وهل يتصوّر قبول ذلك من مثل الحسين عليه السلام؟!

قال في الصحيفة ٣٤٣: أغرق المتآمرون من بني أُميّة المتأخّرون في

(١) الدولة الأُمويّة في الشام: ٤٩.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة ٢: ٦٩ رقم ١٧٢٩.

مجونهم واستهتارهم، وحصل منهم السرف الفاحش في متابعتهم الهوى والتلذّذ بالفسوق والفجور، مخالفين سيرة معاوية وعبد الملك بن مروان والوليد بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز[1]. انتهى نقل معناه ملخصاً.

لقد بان من السنن المتقدّمة أنّ القوم ليس لهم حقّ التأمّر على الخلق، وهم بالنظر إلى تاريخ غالبهم على قسمين:

قسم منهم قد صدر منه السرف في قتل عباد الله ظلماً بغير حقّ، بدون فعل فسوق وفجور بحسب الظاهر، وجعلهم مال الله حقّاً لمن عاونهم على ذلك، وسبّهم إماماً، سابّه سابّ لخير الرسل صلى الله عليه وآله، مثل زعيمهم الكبير معاوية بن أبي سفيان، فإنّه قد قتلَ من عباد الله الصالحين الجماعات العظيمة؛ لمحض حبّهم ومتابعتهم إمام البررة، المنصور من الله مَن نصره، المخذول مَن خذله، الذي محبّه مؤمن ومبغضه منافق.

ومن المعلوم أنّ قتل المؤمنين ظلماً ليس يقاربه فساد وعصيان، بل المعاصي غيره دونه ذنباً من دون ريب. ويزيد مثل أبيه من هذه الجهات، وغيرها ممّا مرّ بيانه.

ومثله عبد الملك، الذي قد حمد النصوليّ سيرته؛ لتسليطه الحجّاج المبير[2] على عباد الله الصالحين، ففعل فيهم ما فعله من القتل وغيره[3]. وعمدة رجال مَن ذكرنا مَن نصّ النصوليّ بنفسه على قسوتهم في القتل وشدّتهم، فلم

---

(١) الدولة الأُمويّة في الشام: ٢٢٣.

(٢) البُورُ: الرجل الفاسد الهالك الذي لا خير فيه. الصحاح ٢: ٥٩٧ «بور».

(٣) الدولة الأُمويّة في الشام: ٩٦.

تقم سلطنة بني اُميّة على غير سيوفهم، وهم: زياد بن أبيه، وعبيد الله بن زياد، والحجّاج بن يوسف. ذكرهم بهذه الصفة في صحيفة ٣٤٥، ووصفهم في نهاية هذه الصحيفة ـ وفي قليل من التي بعدها ـ بإجبارهم على كثير من الفظائع؛ لتأييد سلطة بني اُميّة على الناس[1].

فليت شعري هل مثل هذه السياسة الخبيثة يستحسنها مسلم، ويلزم مَن لم يسر عليها؟!

وقال في حقّ الوليد بن عبد الملك في الصحيفة ٢١٢ إلى ما بعدها: «نهج الوليد على منهج أبيه عبد الملك، فجعل سيف النقمة والشدّة في يد،

---

(١) قال في كتابه الدولة الأُمويّة في الشام: ١٠٣ :

«الولاة الأمويّون في العراق وقسوتهم»: أسند الأمويّون ولاية المصرين إلى رجالٍ قساةٍ، لا يعرفون الرحمة، ولا تتخلل الشفقة إلى قلوبهم، فاتَّبعوا سياسة الشدّة بحذافيرها، وراحوا يتّهمون الناس على الظنّة، فجرَّدوا السيف على الرؤوس وأعْمَلوا السوط في الظهور، وجعلوا السجن مقبرةً للزعماء المعارضين.

ولو تصفَّحنا تاريخ الولاة الأمويّين في العراق أمثال: زياد ابن أبيه، وعبيد الله بن زياد، والحجاج بن يوسف وغيرهم، لتحقَّقْنا أنّ مُلك بني اُميّة لم يقم إلّا على سيوفهم، ولا تتوطّد أركانه إلّا على أسنتهم.

فمنعوا الشعب أن يَنْتَقِدَ سياسة الحكومة، أو يندِّد بأعمال رجالها، أو يسدِّد سهام غضبه إلى مبادئها، وكانوا يحرصون على ذلك حرصاً شديداً، حتّى إنّهم اُجبروا مراراً على ارتكاب كثير من الفظائع في سبيل تنفيذ هذه السياسة، وقطعاً لألسنة الناس المريرة.

وسادت سياسة القسوة في الحجاز أيضاً، فحرّموا على الحجازيين إيواء العراقيين المعارضين للحكومة الأموية في بلادهم، وهدّدوا مَن يخالف هذه القوانين بالإعدام، وإني موردٌ لك أشْهَرَ الخطب التي عَثَرْتُ عليها لهؤلاء الولاة؛ لتتعرف تماماً إلى ما نقصد بسياسة الشدّة والإرهاب، ولتفهم معنى خَنْق الحريّة الكلاميّة والسياسيّة خنقاً لا حياةَ لها من بعده».

وغار العدل والرحمة في يد، وكان عظيم السطوة، يهون عليه القتل في تنفيذ مصالح الدولة»[١].

الذي نفهمه أنّ النصوليّ ليس له إلمام بمعالم الدين، وبما يجب عليه سير المسلمين، بل هو في معزل عن هذه المنزلة الرفيعة، التي قد ضحّى رسل الله وخلفاؤهم صلّى الله عليهم جميعاً وسلّم نفسوهم في تثبيت ذلك ونشره بين الخلق؛ ليعرفوه فيجري عملهم عليه.

بل المستفاد من عبائره في المقام وغيره، تحسين سيرة السلطان القامعة لمن خالفه ولو بقتل أعاظم الخلق، المنتقدين خبث سيرته وضروب جوره وثورتهم عليه. ولذلك قال في الصحيفة ٤٠: بأنّ الغريب من النعمان بن بشير، حيث لم يضرب العلويّين بيد من حديد، فيخمد صوتهم ويشلّ ساعدهم[٢].

فهذه العصبيّة والحميّة الجاهليّة دلّتنا على كونه سياسيّاً صرفاً، ظالماً قاسياً، مشغوفاً بحبّ شرّ قبيلة، ملتزماً بالمخالفة لدين المسلمين، مصوّباً شرّ طامتهم في ما فعلوه من الفظائع؛ لتثبيت دعائم دولتهم، التي لم يحصل للناس منها غير السوئى.

وهو لم يذمّ المستهترين منهم، من حيث المتابعة للهوى بالتلذّذ بأقسام الفسق والفجور، بل عابهم من حيث إهمالهم تدبير اُمور المملكة، والنظر في شؤون الرعيّة، نصّ عليه في ضمن ما نقلناه عنه ملخّصاً في المقام[٣].

---

(١) الدولة الأُمويّة في الشام: ١٥٠.

(٢) المصدر السابق: ٣٧.

(٣) المصدر السابق: ٢٤٣.

والقسم الثاني من جبابرة بني أُميّة: مَن صار مشغوفاً علناً بالفسوق والفجور، ومنه يزيد بن معاوية، فقد حاز شرّ الفعال من القتل ظلماً، ومن المجاهرة بالفسوق والفجور، وترتيب المجالس للمغنّين والمغنّيات.

وأول المروّجين لها معاوية بن أبي سفيان، قاله النصوليّ في الصحيفة ٣٠٨ إلى ما بعدها، بعد تصديقه بتنزّه مَن تخلّف قبله عن ذلك، ثمّ ذكر عظم المال المصروف في هذه الجهة(١).

وذكر في الصحيفة ٢٩٥ بذلهم المال العظيم لذوي الشعر ليمدحوهم فيتغنّون بذكرهم وجودهم، عوضاً عن نشر عيوبهم وفضائحهم(٢). نعم، نزّه عمر بن عبد العزيز عن فظائحهم من ضروب الظلم، ومثله بعده هشام بن عبد الملك في تحرّيه العدل ورفض الظلم(٣). انتهى نقل معناه.

لينظر القارئ إلى سيرة القوم في جعلهم مجالس للمغنّين والمغنّيات، وبذل الخطير من بيت المال في وجه ذلك، وهو قد جعل ليصرف في وجه تشييد الدين ومصالح المسلمين. ولو كان ذلك سائغاً في الدين، لصدر من صاحب الشريعة فعله، ولتبعه عليه مَن تخلّف عنه. بل الناظر بعين البصيرة يرى ذلك بدعة خبيثة، صرف في سبيلها الخطير من مال الله سبحانه بدون رخصة منه.

وحال صاحب البدعة معلومة، وقد روى الشيخان في الصحيحين،

---

(١) الدولة الأُمويّة في الشام: ٢٢١.

(٢) المصدر السابق: ٢٠٧.

(٣) المصدر السابق: ١٥٣.

الحديث الذي دلّ على أنّ «مَن سنَّ سنّة سيّئة كان له مثل وزر مَن عمل فيها، ولم ينقص من وزر مَن تابعه عليها شيء»[١].

وأمّا سرف هشام بن عبد الملك في لباسه، فلم يشابهه فيه ملك من الملوك، فقد نقلَ النصوليّ عنه في الصحيفة ٢٨٣ «أنّه خرج حاجّاً، فحمل ثياب ظهره على ستمائة جمل (العقد الفريد)»[٢].

وقال: «قال ابن قتيبة عن سرفه في ذلك: وكان قد حُبِّب إليه التكاثر من الدنيا والتمتّع بالثياب، ولم يلبس ثوباً يوماً فعاد إليه» إلى تمام ما نقله عن «العقد الفريد»[٣]، وقد سلّم النصوليّ بنفسه في الصحيفة ٢٨٤ أنّ هشاماً كان مسرفاً في اللباس[٤].

فهل الذي هذه حاله يستحقّ مقام النيابة عن النبيّ صلى الله عليه وآله، وقد نصّ الفرقان العظيم على أنّ المسرفين لله غير محبوبين[٥]، فإنّ خليفة النبيّ هو الذي يحكيه في سيرته وقوله، فهل جلس النبيّ صلى الله عليه وآله مجلس المغنّين والمغنّيات؟

وهل جرت عادته على ما جرى عليه هشام وغيره في مسألة الثياب؟ فليت شعري! هل جُعل مال بيت المسلمين ليتمتّع به هشام وحده إلى هذه

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة، حديث ٣٣٣٦، صحيح مسلم، كتاب العلم، باب مَن سَنَّ سنّة حسنة، حديث ١٦٧٧.

(٢) العقد الفريد ٣: ١٧٧.

(٣) الدولة الأُمويّة في الشام: ١٩٨.

(٤) المصدر السابق: ١٩٩.

(٥) ﴿يَابَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ الأعراف (٧): ٣١.

الدرجة من السرف دون غيره من المسلمين؟!

وفي الصحيفة ٢٦٣ من وقائع سنة ١٢١ من الطبريّ ما مختصره: إنّ هشاماً قال لزيد بن عليّ بن الحسين عليهم السلام: بلغني يا زيد أنّك تتحدّث بأن تصير خليفة، ولستَ بأهل لذلك، فإنّك ابن أمة.

فقال له زيد: إنّه ليس عند الله أولى وأعظم من نبيّ ابتعثه، وقد كان إسماعيل ابن أمة من خير النبيّين، وأخوه ابن صريحة مثلك، فاختاره الله عليه، فأولد خيّرهم وهو محمّد صلى الله عليه وآله، وما على رجل من ذلك جدُّه رسول الله ما كانت أُمّه.

فقال له هشام: اخرج.

فقال له: أخرج فتجدني حيث تكره[1].

لينظر المنصف إلى هذه المفاوضة، فسيرى غضب هشام على زيد، وتحقيره له بأنّه ابن أمة، وبأمره له بالخروج من عنده غضباً على الحقّ، فإنّ ما قاله زيد عين الحقّ، وهل شأن خليفة الرسول مجانبة الحقّ والغضب على مَن نطق به؟!

ولقد برهن له زيد على كونه أولى منه بالسلطنة؛ لكون جدّه رسول الله، ولكونه أعلم منه بالحقّ، فبيّن له جهله وخطأه، فأرشده إلى الحقّ بما قاله من البرهان المتين الجليّ، قال سبحانه: ﴿**أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ**﴾ إلى ﴿**فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**﴾[2].

---

(١) تاريخ الطبريّ ٧: ١٦٥ ـ ١٦٦.

(٢) يونس (١٠): ٣٥.

ولما خرج عليه لظلمه بطلب أهل الكوفة منه، وجّه إليه يوسف بن عمر الثقفي، فخان به غالب صحبه، فقتله عسكر يوسف بن عمر، فدفنه مَن بقى من صحبه، فاستخرجه من قبره وصلبه، ثمّ أحرقه وذرى رماده في المياه. انتهى نقل معناه من الصحيفة ٣٢١ إلى ما بعدها من كتاب النصوليّ، وقد نقله عن كتب: الفخريّ، ومختصر الدول، والتنبيه[١].

وقال الطبريّ في صحيفة ٢٧٧ من وقائع سنة ١٢٢: إنّهم بعدما استخرجوه صلبوه بعد قطعهم رأسه، وبعثوه إلى الشام إلى هشام، فأمر فنصب على باب مدينة دمشق، ثمّ بعث به إلى المدينة، ولم يزل زيد مصلوباً حتّى مات هشام، فأمر به الوليد فأُنزل وأُحرق[٢].

يتسنّى للعارف القول بأنّ القوم مسلمون بألسنتهم دون قلوبهم؛ لشدّة بغضهم وحقدهم عصبة مَن لم يحبّهم لم يدخل في قلبه إيمان، حيث إنّ غايتهم قد بلغوها في قتل من يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر.

فما الباعث لهذه الخباثة، حيث يخرجونه من قبره ويصلبونه عدّة سنين، ثمّ ينزلونه ويحرقونه؟!

فما ندري! ما يجيبون الله ورسوله عن فظائعهم هذه؟! وهل مسلم يلقى الله ورسوله بصحيفة هذه بعض فظائعها؟! والعجب منهم حيث يسمّون مَن هذه بعض طامّاته ومشاقاته لله ورسوله خليفةَ المسلمين.

---

(١) الدولة الأُمويّة في الشام: ٢٢٧، نقلاً عن: الفخري: ١١٩ـ١٢٠، ومختصر الدول: ٢٠٠، والتنبيه والإشراف: ٧٢٣.

(٢) تاريخ الطبري ٧: ١٨٩.

فالظليمة الظليمة من عصبة، شرفهم وعزّهم وتسلّطهم على الخلق باسم المتابعة لجدّ زيد وسائر عشيرته، ومن جهة نهيهم لهم عن المناكير، ورشدهم لهم إلى الخير، وبيان شريعة جدّهم لهم، يستبيحون دماءهم، ويقتلونهم ويأسرون عيال عظمائهم، ويحرقون بعضهم بعد قتلهم وصلبهم.

نعم، قد صدق الله ورسوله بأنّهم الشجرة الملعونة، وبأنّهم شرّ قبيلة، وبأنّهم لن يصل منهم إلى الناس غير الشرّ.

فالذين شرّهم وظلمهم وسوء فعالهم في حقّ معشر مَن لم يحبّهم لم يدخل في قلبه إيمان، ما مرّ التنبيه عليه، فما حالهم في حقّ سائر الخلق، حين يتوهّمون في حقّهم المعارضة لهم في ما قد غصبوه من السلطنة، التي هي حقّ العترة الطاهرة، الغير المفارقة للفرقان العظيم إلى ورود الحوض؟!

وأمّا عمر بن عبد العزيز، فقد سار بسيرة العدل على قدر معرفته وتمكّنه، وتزهّد في لباسه وطعامه، وهو الذي رفع السبَّ عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام.

لكنّا نحن نأسف عليه، حيث تسنّم مرقاة عظيمة ليست له بحقّ، بل قد غصبها من أهلها، فإنّ النبيّ صلى الله عليه وآله جعل خلفاءه على اُمّته عترته، ولم يجعل غيرهم خلفاء، بل ساءه تعاور بني اُميّة على منبره الشريف، وقد مضى في صدر الكتاب نقلُ بعض ما دلّ على ذلك. فهذه المنزلة الرفيعة ـ حسبما نطقت بها الشريعة ـ حقّ العترة، وما لغيرها فيها من نصيب، نعم بعض الظلم دون بعض في القباحة:

فتارةً يغصب الرجل منصب السياسة الشرعيّة من صاحبه، ويعدل بين الخلق على قدر معرفته ومكنته، وذلك مثل عمر بن عبد العزيز.

ومرّة يغصبه رجل ويظلم الناس، فيقتل جماعات ظلماً، وينهب مالهم، ويسرف في صرف بيت المال، ويؤمّر عليهم مَن هو مثله في القسوة والجور، حسبما فعل ذلك معاوية وخلفه عليه ولده يزيد وغالب بني اُميّة، على ما سوّد تاريخهم وجوههم وصحائفهم بين الخلق، فألبستهم خباثة سيرهم لباس الخزي إلى يوم القيامة.

[قاعدة تقديم المفضول على الفاضل]

وأمّا ما نقله عن الشيعة وعن زيد في الصحيفة ٣٢٠ إلى ما بعدها، من مجادلتهم له في شأن الشيخين، فنصّ لهم صريحاً بتجويز إمامة المفضول مع وجود الفاضل، وبأنّ عليّاً عليه السلام أفضل، وصيرورة أبي بكر خليفة لمصلحة لحظها الصحابة، وقاعدة دينيّة حقّ عليهم رعايتها، وهي تسكين ثائرة الفتنة وتطييب قلوب العامّة.

فإنّ عهد الحروب التي جرت في زمن النبوّة قريب، وسيف أمير المؤمنين عليّ عليه السلام من دم المشركين من قريش وغيرهم لم يجف بعد، والضغائن في صدور القوم من طلب الثأر موجودة.

فما كانت القلوب تميل إليه كلّ الميل، فكانت المصلحة أن يقوم في مقام النبيّ صلى الله عليه وآله وقتئذٍ، رجل قد عُرف باللين والتودّد والتقدّم بالسير، والسبق إلى الدين الحنيف، والقرب من رسول الله صلى الله عليه وآله.

أما ترى أبا بكر لمّا عزم على تقليد ذلك عمر في مرضه، زعق الناس ينادون: تولّي علينا فظاً غليظاً؟!

وكذلك يجوز كون المفضول إماماً، والفاضل قائم يرجع إليه في المسائل الشرعيّة ويحكم بحكمه[1]. انتهى ملخصاً، وهو قد نقله عن الشهرستانيّ.

---

(١) الدولة الأُمويّة في الشام: ٢٢٦، نقلاً عن الشهرستانيّ في الملل والنحل ١: ٢٠٩.

قلنا: أمّا صاحب «مقاتل الطالبيّين» ـ الذي قد تحرّى سيرهم ونقلها بأسانيدها ـ فلم ينقل عن زيد وبعض صحبه تعرّضهم له في حقّ الشيخين.

وأمّا الطبريّ فقد روى في الصحيفة ٢٧٣ من وقائع ١٢٢ عن زيد، بعد ما قال له جماعة من رؤوس من تابعه: «ما قولك في أبي بكر؟

فقال لهم زيد: إنّ أشدّ ما أقول فيهما إنّا كنّا أحقّ بسلطان رسول الله صلى الله عليه وآله من الناس أجمعين، وقد استأثر القوم علينا ودفعونا عنه، ولم يثبت بذلك لهم كفر»[١]. انتهى ملخصاً.

ولم يتعرّض في مقاله لهم ومحاجّته معهم لما نقله الشهرستانيّ[٢].

وقول زيد مأخوذ من قول جدّه أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، حسب ما نقله عنه الطبريّ في صحيفة ٢٠٢ من وقائع سنة ١١[٣].

وبمعناه نقل ابن قتيبة في الصحيفة العاشرة من كتاب «السياسة»[٤]، وغيرهما نقل مثلهما.

ومَن تدبّر في ما مرّ نقله من السنن وغيرها مثل خبر «خليفتي فيكم»، وخبر «وليّ كلّ مؤمن بعدي»، وخبر «بك يا عليّ يهتدي المهتدون من بعدي»، وخبر «الغدير»، وخبر «المنزلة» وما بمعناه.

وفي ما ثبت في الصحيحين وغيرهما من قصّة السقيفة، من ثبوت بنائها

---

(١) تاريخ الطبريّ ٧: ١٨٠ـ١٨١.

(٢) الملل والنحل ١: ٢٠٩.

(٣) تاريخ الطبريّ ٣: ٢٠٨.

(٤) الإمامة والسياسة ١: ٣٢.

على قول أبي بكر: «إنّي أختار لكم أحد هذين الرجلين»، يشير إلى أبي عبيدة وعمر، فقال له عمر: «بل نحن نبايعك مدّ يدك»، فمدّ يده فبايعه، وتابعه على ذلك غالب مَن حضر فيها.

لعلم[١] علماً يقينيّاً باستئثار القوم على عليّ عليه السلام، ودفعهم له عن مقامه، الذي جعله الرسول صلى الله عليه وآله له. فبعد ثبوت النصّ على أنّه هو الخليفة دون غيره، فمَن يصغي إلى قول مَن جوّز إمامة المفضول مع وجود الفاضل وغيره، قال سبحانه: ﴿أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ﴾[٢].

وأمّا ما زعمه من المصلحة في تقديم أبي بكر، فمن العجائب! أما درى مَن تفوّه بذلك بقوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمْ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[٣]؟! وهل يا ترى غير الله ورسوله ـ المنحصر نطقه بالوحي ـ أعرف وأعلم بالمصلحة للعباد؟!

وزعمهم بأنّ لعليّ عليه السلام في قلوب الناس ضغائن، وسيفه لم يجف من دمائهم، من العجب العجاب! فما ذنب عليّ عليه السلام في ذلك؟! لو فرض جعل الناس ذلك ذنباً له، فإنّه لم يفعل من نفسه الموجب لضغنهم، بل بأمر محتّم عليه من ربّه ونبيّه، قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾[٤] فعليّ عليه السلام آلة صرفة.

---

(١) خبر لما تقدّم من قوله: ومَن تدبّر.

(٢) البقرة (٢): ١٤٠.

(٣) الأحزاب (٣٣): ٣٦.

(٤) الأنفال (٨): ٦٥.

فلو فرض وجود حقد وضغن في قلوب مَن قتل منهم، فعلى الله وعلى رسوله، دون عليّ؛ لكونه مبعوثاً منهما، وبأمرهما قد قَتل من قَتل.

ثمّ يقال: أنتم أعلم أم الله؟! فعلى فرض وجود الحقد والضغن في القلوب على عليّ عليه السلام، فقد علمه عالم الغيب والشهادة، فلو كان ذلك مانعاً من جعل عليّ عليه السلام خليفة على الخلق، لما جعله الله سبحانه خليفة، ولعيّن غيره، بل الله سبحانه قد علم بأنّ مبغض عليّ منافق مهدور الدم، ولذلك خاطب رسوله بقوله: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ**﴾[1] فعلى المسلمين جهاد مَن في قلبه ضغن وحقد لعليّ من جهة قتله الكفرة العتاة الفجرة.

وأمّا ما زعمه من دعوى سبق أبي بكر إلى تصديق خاتم الرسل صلى الله عليه وآله[2]، فهو مخالف للسنّة الصحيحة الثابتة المرويّة في مسند أحمد، ونقله الطبريّ، وغيرهما من الحفظة، وهي الحديث الذي خاطب به النبيّ صلى الله عليه وآله فاطمة بضعته بقوله: «أما ترضين أنّي زوّجتك أوّل أُمّتي سلماً، وأكثرهم علماً، وأعظمهم حلماً»[3]، وما بمعناه، ونقله في «منتخب كنز العمال»[4] عن ابن جرير وصحّحه.

وعن كتاب «الذريّة الطاهرة» بسياق: «يا فاطمة والله لقد أنحكتك أكثرهم علماً، وأفضلهم حلماً، وأقدمهم سلماً»[5].

---

(١) التوبة (٩): ٧٣.

(٢) الدولة الأُمويّة في الشام: ٢٢٦.

(٣) مسند أحمد بن حنبل ٣٢: ٣٣، تاريخ الطبريّ ٢: ٣١٠.

(٤) كنز العمال ١١: ٦٠٥.

(٥) الذرية الطاهرة: ٩٣.

وفيه وفي «الجامع الصغير» حديث وحسّنه، وهو: عن أبي نعيم وابن عساكر مرفوعاً فيه: «الصدّيقون ثلاثة: مؤمن آل يس، ومؤمن آل فرعون، وعليّ بن أبي طالب وهو أفضلهم»[١].

وفيها: «خبر السبّق ثلاثة» مرفوعاً، وقد حسّنه السيوطيّ، وهو عن طب [الطبرانيّ] وابن مردويه: «السبق ثلاثة: فالسابق إلى موسى يوشع بن نون، والسابق إلى عيسى صاحب يس، والسابق إلى محمّد عليّ بن أبي طالب صلّى الله عليهما وعلى آلهما وسلّم»[٢].

ونقله صاحب «الصواعق» في الصحيفة ٧٤ عن الديلميّ عن عائشة أُمّ المؤمنين، وعن طب [الطبرانيّ] وابن مردويه عن ابن عباس[٣].

ولهذه المنقبة العظيمة، ولخبر النور وخبر المنزلة وغيرها، روى البخاري في صحيحه[٤]، وغيره من الحفظة مثل أحمد بن حنبل[٥] وأهل السنن غير السجستاني، خبر: «عليّ منّي وأنا من عليّ» نقله عن أحمد، ومن بعده صاحب

---

(١) جمع الجوامع ٥: ٩٧ حديث ١٣٧٤٠، نقلاً ـ في الهامش ـ عن الدر المنثور للسيوطيّ ٣: ٢٦٢، وأمالي الشجري ١: ١٣٩، وكنز العمال حديث ٣٢٨٩٧ و ٣٢٨٩٨، وتفسير القرطبي ١٥: ٣١٩.

(٢) جمع الجوامع ٥: ٢٧ حديث ١٣١٨٣، نقلاً ـ في الهامش ـ عن مجمع الزوائد ٩: ١٠٢، والمعجم الكبير للطبرانيّ ١١: ٩٣، والدر المنثور ٥: ٢٦٢، وكنز العمال حديث ٣٢٨٩٦، والبداية والنهاية ١: ٢٣١.

(٣) الصواعق المحرقة: ١٠٧.

(٤) صحيح البخاري ٥: ٢٠٥ حديث ٤٣٥٠.

(٥) مسند أحمد بن حنبل ٣٨: ١١٨.

«منتخب كنز العمال»[1]، وصاحب «الصواعق» في الصحيفة ٧٣ بزيادة: أنّه لن يؤدّي عنه غير نفسه المقدّسة وغير عليّ صلّى الله عليهما وعلى آلهما وسلّم[2].

وممّا نبّهنا عليه هنا من النصوص، عُلم فساد قول مرّ، قال: بأنّ عليّاً أوّل مَن أسلم من الصبيان، وأبا بكر أوّل من أسلم من الرجال[3]. وقد قال هو عليه السلام: «صلّيت قبل الناس بسبع سنين»، نقله عنه إمام أهل السنّة أحمد في مسنده[4]، وغيره من الحفظة، ونقله عنه السيوطيّ في «موضوعاته»، يستدلّ به على صحّة مَن روى ذلك عنه، ذكره في صحيفة ١٦٧ من أوّل جزئيها.

وروى ابن عبد البرّ في «استيعابه» عن العباس، ما دلّ صريحاً على أنّ أوّل مَن آمن وصلّى عليّ وخديجة[5]، في ترجمة عليّ، وترجمة عفيف الكندي من عدّة طرق[6]، وهذه تشهد لما بيّناه، وتبيّن فساد القول المزبور.

ولقد بيّنا في محلّه عدم لياقة أبي بكر لهذه المنزلة الرفيعة؛ لما صدر منه من المثالب التي دلّت على جهله وعصيانه لله ولرسوله صلى الله عليه وآله، بل لو قطعنا النظر عن هذه الجهة فنحن في غنية عنها بما مرّ من السُنن وغيرها، التي قد نطقت بأنّ عليّاً عليه السلام هو الخليفة دون مَن تقدّم عليه.

وما زعمه من كون المفضول يأخذ من الفاضل ويحكم بحكمه، فهو

---

(١) منتخب كنز العمال ٥: ٩٧.

(٢) الصواعق المحرقة: ١٠٨.

(٣) المصدر السابق: ١٠٦.

(٤) مسند أحمد بن حنبل ٦: ٣٤٨.

(٥) الاستيعاب ٣: ١٠٩٥ـ١٠٩٦.

(٦) المصدر السابق ٣: ١٢٤١ـ١٢٤٢.

بيّن الفساد؛ لتماميّة الدين وكماله على عهد خاتم النبيّين، وبيانه صلى الله عليه وآله جميع ما يحتاجه الناس إلى يوم القيامة، روى ما دلّ عليه الشيخان في الصحيحين، ولم يأت خبر عنه ولو ضعيف يجوّز ما ذكر، قال سبحانه ﴿**ءَاللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ**﴾[1].

ثمّ ما الباعث لذلك! وعالم السرّ والعلن، العارف بمصلحة العباد، وبمن يهديهم إلى سبيل الرشاد، قد عيّنه لهم، وحثّهم على طاعته ومتابعته، ولم يجوّز لهم العدول عنه إلى غيره ولو من يأخذ عنه الحكم فيحكم به، فلقد سدّ سبحانه بتعيينه الخليفة باب عذر الخلق في جعلهم غيره خليفة.

ونحن بتسديد الله سبحانه، قد شرحنا هذه المطالب شرحاً مبسوطاً، دفعنا فيه ما يورد عليها من الشُبهات بساطع البيّنات في عدّة صحف؛ حبّاً منّا لبني نوعنا في رشدهم إلى الحقّ.

وهنا حيث تعرّض لها صاحب الكتاب، لزمنا التنبيه عليها؛ تنبيهاً للغفلة ونصحاً للجهلة، فيهتمون بالبحث عن الحقيقة، بعد رفض التقليد لغيرهم بدون هدى من الله سبحانه.

بل قصدنا وصولهم إلى الحقيقة عن البيّنات القاطعات الشرعيّات، التي هي عند المسلمين معلومات، ومن جملة المسلّمات عندهم، لم تنفرد بتسليمها فرقة دون فرقة.

وما نقلناه نحن من السنن وما بمعناها من المرويّات، المتّفق عليها عند عموم المسلمين، السنّة منهم والشيعة، يرى ذلك عياناً مَن سبر صحف الفريقين

---

(١) يونس (١٠): ٥٩.

المعتمدة.

وحيث لم نكن في صدد بيان هذه المطالب، لم ننقل عامّـة مـا ورد فيهـا من السنن، وما قيل عليها من الشُبه، بل تعرّضنا لها بالعارض، بقدر ما تعرّض له صاحب الكتاب، ومقصودنا منها قد نلناه، وهو رشد القارئ إلى رفض التقليـد، وتحصيل الدين الحقّ عن الدليل الشرعيّ، المسلّم الثبـوت عنـد عمـوم حفظـة علوم الدين من المسلمين.

[المختار الثقفي]

عزى النصوليّ في الصحيفة ١١٥ ـ تبعاً لغيره من مؤرّخي أهل طريقته ورجاليهم ـ إلى المختار بن أبي عبيدة الثقفي، دعوى الوحي ونزول جبرئيلعليه السلام؛ مسندين ذلك إلى خبر يروونه، دلّ على أنّ في ثقيف رجلين: أحدهما كاذب، وثانيهما مبير. مفسّرين الكاذب منهما بالمختار، والمبير بالحجّاج[1].

ونحن في حيرة ودهشة من ذلك:

فأمّا معنى المبير: فهو موجود في الحجّاج، ينبئنا عنه تاريخه الخبيث.

وأمّا معنى الكاذب في المختار من الجهة التي زعموها فيه، فلم نرَ في تاريخه شيئاً نشير إليها، بل ما زعموه في تاريخه من دعوته إلى بيعة ابن الزبير في أوّل أمره، وجعل ابن الزبير له متولّياً على الكوفة، ينافي ذلك: «بدعوى الوحي ويتولّى عمّن هو دونه» من المحال. نصّ عليه ابن قتيبة في الصحيفة السابعة عشر من ثاني جزئي كتاب «السياسة»[2].

ونصّ النصوليّ في الصحيفة ١٠٧ على دخول المختار في حزب ابن الزبير، وأبلى حسناً في الذبّ عنه في أوّل حصار جيش يزيد الكعبة، وخدم

---

(١) الدولة الأُمويّة في الشام: ٨٣.

(٢) الإمامة والسياسة ٢: ٢٨.

رئيسه خدمة صادقة. إلى تمام قوله فيه[(١)].

ومثله في المحاليّة ما زعموه في حقّه من دعوة الناس إلى أهل البيت، وهو يريد دعوتهم إلى إمامة محمّد بن الحنفيّة، بعث إليه ابن الزبير أخاه مصعباً بجيشه فقتل المختار وصحبه. نصّ عليه ابن قتيبة في الصحيفة المزبورة من كتابه المرقوم[(٢)].

ونصّ عليه النصوليّ في الصحيفة ١٠٨[(٣)].

وروى الطبريّ في الصحيفة ٩٧ من وقائع سنة ٦٦: أنّ المختار طلب من الناس البيعة له على: كتاب الله، وسنّة نبيّه، وعلى الطلب بثار الحسين باذنٍ من أخيه محمّد بن الحنفيّة. فارتاب بعضهم في قوله، فمضى جماعة منهم إلى المدينة يستعلمون الحقيقة، فأذن لهم محمّد بمتابعته[(٤)].

وذكر في الصحيفة ١٠٨ من وقائع هذه السنة بيعة الناس للمختار على: كتاب الله، وسنّة نبيّه، والطلب بثأر أهل البيت عليهم السلام، وجهاد المحلّين، إلى نهاية قوله[(٥)].

وقال في الصحيفة ١٢٤ من وقائع هذه السنة عن المختار أنّه قال: إنّي الكذّاب كما سمّوني لو لم أنتقم من قاتلي آل محمّد صلّى الله عليه وعليهم

(١) الدولة الأُمويّة في الشام: ٧٨.

(٢) الإمامة والسياسة ٢: ٣٢.

(٣) الدولة الأُمويّة في الشام: ٨٧ ـ ٨٨.

(٤) تاريخ الطبريّ ٦: ١٣.

(٥) المصدر السابق ٦: ١٤.

وسلّم، فإنّي بالله أستعين عليهم[١]. انتهى نقل غالبه بالمعنى، فهم منه أنّهم سمّوه بذلك لزعمهم بأنّه جعل الطلب بثأرهم وسيلة إلى السلطنة على الناس، وليس له مقصد باستئصال قتلتهم.

ونقل عن رجل سمّاه ـ وذلك في الصحيفة ١٢٣ من هذه السنة ـ أنّه شاهد الملائكة على خيل بُلق[٢] يقاتلون معهم، فأمره بإخبار الناس بذلك، فصعد المنبر فأخبر الناس به. ثمّ قال المختار له بينه وبينه: إنّي قد علمتُ أنّك لم ترَ الملائكة، ولكن قصدتُ النجاة من القتل، فاذهب عنّي حيث شئت مخافة أن تفسد أصحابي[٣].

وأمّا مسألة الكرسي، فقد نقلها الطبريّ بطريقين:

أحدهما: في الصحيفة ١٤٠ من السنة المشار إليها، وأنّ المختار كان يأمر بحمله أمام المقاتلين وهو يقول: إنّ مَثَله مثل التابوت في آل يعقوب، فافتتنت به السبئيّة، وقتل أهل الشام مقتلة عظيمة، وغيّب بعد فلم يرَ[٤]. انتهى ملخّصاً.

وثانيهما: في الصحيفة البعديّة: أنّ الذي كان يصنع لهم الكرسي عبد الله ابن نوف، ويقول: المختار أمرني به، والمختار يتبرأ منه[٥]. انتهى نقل حاصله.

---

(١) تاريخ الطبريّ ٦: ٥٧.

(٢) البَلَقُ: سوادٌ وبياضٌ، وفرسٌ أبلَقُ وفرسٌ بَلْقَاء. الصحاح ٤: ١٤٥١ «بلق».

(٣) تاريخ الطبريّ ٦: ٥٥.

(٤) المصدر السابق ٦: ٨٣.

(٥) المصدر السابق ٦: ٨٥.

وحيث تناقضت النقول، ليس لذوي العقول الجزم بصحّة نقل معيّن، وفساد غيره بدون دليل يرشده إلى ذلك، والذي قد علمه عامّة المسلمين من سيرة المختار: هو طلبه بثأر الحسين عليه السلام، وتتبّعه قتلته ومَن عاون على قتله، فقتلَ منهم مَن قدر عليه.

وأمّا غيره ممّا يعزى إليه، فلم يثبت في حقّه على الخصوص، بعد تظاهره بأنّه مأمور بذلك من قبل محمّد بن الحنفيّة، وبأنّ مَن بايعه إنّما بايعه على: العمل بكتاب الله، وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله، وعلى الطلب بثأر أهل البيت عليهم السلام.

فلو كان ما عزوه إليه من: دعوى الوحي، والكرسي، وقتال الملائكة معه حقاً، لتفرّق عنه مبايعوه، بل لقتلوه؛ لمخالفة هذه لكتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله.

ولم ينقل ناقلٌ متابعة بعض الناس له على دعوى الوحي، مثل ما نقل عن غيره ممّن هو قبله، ومن صار بعده يدّعي ذلك. فمن تدبّر في مباني بيعته وفي جريان مقاله وسيرته، يرى بُعده عمّا قد رُمي به.

والذي نظنّه رمي بني اُميّة ومتابعيهم له بذلك؛ بغضاً منهم لمن قام عليهم يأخذ ثأر أهل البيت عليهم السلام منهم، قاصدين بذلك بيان خبث سريرته ليبغضه الناس، فالعارف الناقد البصير لن يرى وجهاً لنسبة هذه السخافات إلى مثل المختار غير ما نبّهنا عليه، والله العالم بما تخفي الصدور.

وأمّا نحن فعلينا بالظاهر، فإنّه قد جعل شرعاً سمة للباطن، وقد يتخلّف في مثل المنافقين لقولهم بألسنتهم ما ليس في قلوبهم.

وعلى فرض تحقّق ما عزي إلى المختار، غير تظاهره بأخذ الثأر، فمن المعلوم عدم وصول ضرر منه إلى غيره من الخلق.

فهذه الصحف تخبرنا بعدم متابعة ولو رجل على ما قد نسب إليه من دعوى الوحي وغيره، ولذلك كذّب من زعم بأنّه شاهد الملائكة يحاربون معهم.

وأمّا قوله له بأن يُعلن ذلك للناس، فيجوز كونه من باب الحرب خدعة، تشجيعاً منه لصحبه، لتقوى قلوبهم على محاربة القوم.

والعجب ممّن يرمي المختار بذلك، ويصفه بالكذب، ويحرّم النقل عنه بعد علمه بأنّ شعاره وسيرته قتل المؤذين لرسول الله صلى الله عليه وآله في عترته، المستحلّين منهم ما حرّم الله، والمتسلّطين على أُمّته بالجبروت، المعزّين الذليل عند الله، المذلّين العزيز لديه، التاركين لسنّته، وهم من هذه الجهات ملعونون لله ولرسوله ولكلّ نبيّ مُجاب[1].

وقد مضى التنبيه على الخبر الثابت الصحة، الذي دلّ على لعنهم. ولم يدلّ دليل على تضليل المختار لرجل من عباد الله، ولم يصر سبباً لقتل مَن لم يرض الله بقتله، بل قد جعله الله سبحانه منتقماً من شرّ عباده، قتلة صفوة خلقه، الذين قال سبحانه فيهم: «وإنّي قاتل بابن بنتك سبعين ألفاً وسبعين ألفاً»[2]، فأجرى قتلهم على يد المختار.

---

(١) قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «ستّة لعنتهم، ولعنهم الله، وكلّ نبيّ مجاب: الزائد في كتاب الله، والمكذّب بقدر الله، والمستحل لحرم الله، والمستحل من عترتي ما حرّم الله، والمتسلّط بالجبروت ليذلّ مَن أعزّ الله، ويعزّ مَن أذلّ الله، والتارك لسنّتي». المستدرك على الصحيحين ١: ٣٦ حديث ١٠٢.

(٢) الصواعق المحرقة: ١٧٦.

فهل مَن هذه حُسن خدمته لله ولرسوله يوصف بالكذب ويرفض، ويقبل نقل مَن قد وسمه الله ورسوله بإمام الدعاة إلى النار، وثبت نفاقه ببغضه أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام، وبسبّه له على المنابر، ومن سبّه فقد سبّ رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد ضلّ بسببه مئات اُلوف من الخلق ببغضهم وسبّهم له، وقتل في سبيل ذلك اُلوف عديدة يدعون إلى النار، واُلوف عديدة يدعون إلى الجنّة.

وبعد هذه جميعها جبر الناس على مبايعة يزيد الفاسق الفاجر الشرّيب الخمير، فصدر منه ما صدر من عظيم الطامّات، فقد سنّ معاوية بجبر الناس على بيعته سنّة سيئة، فله مثل وزر مَن عمل فيها، ولم ينقص من وزرهم شيء، روى ما دلّ عليه الشيخان في الصحيحين.

فمَن هذه بعض طامّاته، وشاقاته لله ولرسوله، كيف يُقبل ما نقله ويصدّق عليه، ويجعل إماماً للمسلمين وخليفة عليهم تجب طاعته؟! فهل يجوّز مسلم جعل الله إمام الدعاة إلى النار خليفة على عباده، يقودهم إلى النار؟! فلينظر القارئ إلى شعار المختار وإلى شعار إمام الدعاة إلى النار، ولينصف الحقّ من نفسه؛ ليجعله قرينه في رمسه.

[دعوى كون الشاعر كثير عزّة شيعيّاً]

قال النصوليّ في الصحيفة ٣٠٤ يصف كثير عزّة الشاعر المعروف بقوله: «وكان من أشدّ أرباب الشعر تعصّباً للبيت العلويّ، ولقد غالى في التشيّع، وذهبَ مذْهبَ الكيسانيّة، وقال بالرجعة والتناسخ»[1]. انتهى.

ما زعمه من أشديّة كُثَير عزّة في التعصّب للبيت العلويّ، من جملة غلطه المدهش، حيث زعم تعصّب رجل للبيت الذي مَن لم يحبّ أهله لم يدخل في قلبه إيمان، وهل يجسر مسلم على وصف المحبّ لمن هذه منزلتهم عند الله سبحانه بأنّه متعصّب؟!

ولقد مرّ في صدر الكتاب نبذة من السنّة، التي دلّت على أنّ بني عبد المطلب صفوة الله من خلقه، وعلى أنّ مَن لم يحبّهم لم يدخل في قلبه إيمان.

فثبت من هذه السنّة أنّ العلويين أفضل خلق الله سبحانه، فمَن فضّلهم على غيرهم ليس بمغالٍ البتة، بل هو قد جرى بذلك على ما جاءت به الشريعة المقدّسة. وقد نطق خبر الثقلين ـ وما بمعناه ـ على كون الهدى لغيرهم من الناس إنّما يحصل لمتابعة العترة، لكونهم أعلم من غيرهم، والمتقدّم عليهم هالك، والمتأخّر عنهم هالك، والعترة هم صفوة العلويّين وخيرتهم.

---

(١) الدولة الأُمويّة في الشام: ٢١٤.

فمَن فضّل عليهم غيرهم هو المغالي في حقّ ذلك الغير؛ لرفعه له عن مقامه.

وهل يتصوّر كون المهدي إلى الحقّ أفضل من هاديه إليه؟!

وهل يجوز كون العصبة، التي مَن لم يحبّها لم يدخل في قلبه إيمان، دون المحبّ لها بالفضل؟!

ولن يتصوّر معنىً لكون كُثَير غالياً في التشيّع، سوى ما بيّناه، وهو على ما نبّهنا عليه مبنى التشيّع وحقيقته، ومَن خالفه غالٍ من دون ريب في حقّ غير العترة، ولقد نقل صاحب «الصواعق» عن الشافعي محمّد بن إدريس في الصحيفة ٨٨ قوله:

يا أهلَ بَيتِ رسول الله حُبّكم   فرضٌ منَ الله في القرآنِ أنزلَهُ
كَفاكُم مِنْ عَظيمِ القَدْرِ أنّكم   مَن لَم يُصلِّ عليكم لا صَلاة لَهُ[1]

أي مَن لم يقل بعد التشهّد من صلاته: اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد، فصلاته باطلة. فانظر هل يصل مخلوق إلى درجة العترة في الفضل، حتّى يصير المحبّ لهم المفضّل لهم على غيرهم مغالياً؟!

وما زعمه من كون كُثَير عزّة كيسانيّاً، لم نتحقّقه، بل ذكره القاضي ابن خلّكان في «الوفيات»، فاقتصر على وصفه بأنّه غالٍ في التشيّع، شديد التعصّب في آل أبي طالب، ولم يصفه بأنّه كيسانيّ.

وأمّا ذمّه له من حيث قوله بالرجعة، فهو ليس بذم لو تدبّر، من حيث

---

(١) الصواعق المحرقة: ١٣٠.

ثبوت الرجعة من طرق أهل البيت، الذين هم أعلم من غيرهم، وهم المقارنون للفرقان العظيم، الذي فيه تبيان كلّ شيء، الغير المفارقين له إلى يوم القيامة إلى ورود الحوض على سيّدهم المصطفى صلّى الله عليه وعليهم وسلّم.

فالجاحد للرجعة قد جحدها عن جهل؛ لعدم تلقّيه علم الشريعة من معدنه، ولو كان قد تلقّاه منهم لما جحدها.

ونحن نسأله عن قوله سبحانه: ﴿**وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا**﴾(١) وهذه في سورة النمل، فقد دلّت على حشر فوج من كلّ أُمّة ممّن يكذّب بآيات الله، دون عموم المكذّبين، حسبما قال سبحانه ﴿**وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا**﴾(٢) وما بمعناه، فبان منهما ثبوت حشرين:

حشر عام للمكذّبين وغيرهم جميعهم.

وحشر خاصّ ببعض المكذّبين من كلّ أُمّة.

وحشر القيامة هو حشر العامّ، فلن يتصوّر فيه غيره، فلزم كون حشر البعض هو الذي قصد منه الرجعة.

وبالجملة، فالقول بالرجعة هو مذهب أهل البيت عليهم السلام، الذين عندهم علم الفرقان جميعه، المنزّه عن الباطل، وما خالف ما ثبت عنهم هو الباطل.

وما نسبوه إلى الكيسانيّة من القول بالتناسخ والرجعة، العهدة فيه على مَن نسبه إليهم، فإنّ القول بالرجعة منافٍ للقول بالتناسخ بديهة، فلن يجتمعا البتة.

فمعنى الرجعة مثل معنى المعاد يوم القيامة: وهو عبارة عن عود مَن

---

(١) النمل (٢٧): ٨٣.

(٢) يونس (١٠): ٢٨.

مات بنفسه من روحه وبدنه، بدون نقصان شيء منه.

والتناسخ: عبارة عن حلول الروح في بدن غير بدنها الذي قد حلّت فيه في الدنيا أوّل مرّة، بل تنتقل منه إلى غيره، على ما بيّن في محلّه، فبينهما مناقضة بيّنة.

ثمّ أنّ التناسخيّة غير معترفين بالتوحيد والنبوّة والمعاد، والكيسانيّة معترفون بذلك، غير جاحدين لشيء منه، فكيف تستقيم نسبة القول بالتناسخ إليهم.

ونسب ابن حزم في الصحيفة ٩١ من أوّل جلد من «الفِصل» القول بالتناسخ إلى بعض المتابعين للشريعة، وردّه بأنّه منافٍ للدين.

وذكر صاحب كتاب «الفرق الكيسانيّة» من الصحيفة ٣٧ إلى ما بعدها، وذكر فرقهم، ولم يصفهم بالتناسخيّة بالمعنى المعروف. نعم نسب إلى بعض فرقهم القول بتناسخ روح الربّ ـ تعالى وتنزّه عمّا يقول الظالمون ـ إلى جسوم رؤسائهم بزعمهم، وخصّ كثير عزّة بأنّه من الفرقة الذين يزعمون بحياة محمّد ابن الحنفيّة، ونقل عنه بعض شعره في ذلك، والله أعلم بالحقائق.

قد تمّ بحمد الله وحُسن توفيقه ما قصدنا نقله من الحقائق، التي قد جعلها النصوليّ خلف ظهره، وصيّر عوضها المخازي والمفتريات التاريخيّة والدينيّة، فصيّرها غايته وشعاره، معلناً بأنّها هي الحقائق دون غيرها.

وطابق تماميّة هذه الصفحات في اليوم السادس والعشرين من شهر رمضان المبارك، من شهور ألف وثلاثمائة وخمس وأربعين هجريّة، على مهاجرها وعترته البررة وصحبه الخيرة أفضل صلاة وتسليم وتحيّة مرضيّة.

وقد كتبه بيده الفانية بتوفيق الله سبحانه، ناصر الحقّ ومروّجه بين الخلق، المفتقر إلى رحمة ربّه محمّد مهدي الموسويّ القزوينيّ، غفر الله تعالى ذنوبه، وذنوب أبويه، وذنوب سائر قرباه، وذوي الحقوق عليه، وذنوب سائر المؤمنين والمؤمنات، فإنّه غفّار الذنوب، ستّار العيوب، بجاه المصطفى وعترته الخيرة البررة صلّى الله عليه وعليهم وسلّم آمين.

(٦)

علماؤنا والتجاهر بالحقّ

للسيّد هبة الدين الحسينيّ الشهرستانيّ

(ت ١٣٨٦ هـ)

علماؤنا والتجاهر بالحقّ

قلّما حظي الزمان في القرون الأخيرة الاستبداديّة بعلماء مثل علماء عصرنا الزاهر، فإنّهم ـ وأيم الله تعالى ـ جدّدوا لنا عصر علمائنا الإصلاحيّين، كالشيخ المفيد والمرتضى وأحزابهما، فإنّهم كانوا ـ والحقّ يقال ـ أحرار الضمائر، أحراراً في البيان، أحراراً في الأعمال، لا يراعون الرأي العامّ، ولا تدور بهم مائلة العوام، وكانوا ينطقون بالحقّ الصراح لديهم سواءً وافق العموم أو خالف، وكان رأي العوامّ من شجاعاتهم الأدبيّة تابعاً لرأيهم، وكانوا هم المديرون لرأي الفرقة حيثما مال الحقّ.

وأمّا في القرون الأخيرة، فالسيطرة أضحت للرأي العامّ على رأي الأعلام، والسبب لذلك هل كان استبداد الدولة؟ أو الجهل الفاشي في الأُمّة؟ أو ظهر كثير من الجهّال أو طلاب الدنيا في ملابس العلماء؟ ذلك أمر يطول شرحه.

فصار العالم والفقيه يتكلّم ـ من خوفه بين الطلّاب ـ غير ما يتلطّف به بين العوامّ، وبالعكس، ويختار في كتبه الاستدلاليّة غير ما يفتي به في الرسائل العمليّة، ويستعمل في بيان الفتوى فنوناً من السياسة والمجاملة؛ خوفاً من هياج العوامّ.

حتّى أنّه بلغنا عن فقيه، سأله أحد السوقيّين، عن يهوديّ بكى على الحسين عليه السلام، فوقعت دمعته على ثوبي، هل نجس به الثوب أم لا؟ فأجاب المسكين ـ خوفاً منه ـ: إنّ جواب هذه المسألة عند الزهراء عليها السلام.

وسأل سوقيّ آخر فقيهاً، عمّن يشجّ رأسه للحسين عليه السلام، فأجابه كذلك، إلى غير ذلك.

لكن هذه الحالة تهدّد الدين بانقراض معالمه، واضمحلال اُصوله؛ لأنّ جُهّال الاُمم يميلون ـ من قلّة علمهم، ونقص استعدادهم، وضعف طبعهم ـ إلى الخرافات، وبدع الأقوام والمنكرات.

فإذا سكت العلماء ولم يزجروهم، أو ساعدوهم على مشتهياتهم، غلبت زوائد الدين على اُصوله، وبدعه على حقائقه، حتّى يمسي ذلك الدين شريعة وثنيّة همجيّة، تهزأ بها الاُمم.

لكن عصرنا الحاضر ولله الحمد، قد ضمّ بين جنبيه نفوساً أبيّةً من العلماء الصالحين، وألسنةً حرّةً لفقهاء مصلحين، ينبغي لنا أن نفتخر بهم على كلّ اُمّة.

فما بخلوا بالنصح لاُمّتنا وإن اُهينوا، ولا تساهلوا عن كلّ إقدام في تبديل حكوماتنا الجائرة الاستبداديّة بالحكومة الدستوريّة العادلة، ولم يألوا جهداً في الأمر باتّحاد المسلمين، وحفظ كيان الدين، وترقّي البلاد، ونشر المعارف بين العباد، وغير ذلك ممّا ينفع الاُمّة نفعاً جوهريّاً، ولم تزعزعهم ثورة العامّة عليهم، ولا اتّبعوا العوامّ في فتاويهم جنباً أو سياسة.

حتّى أنّ مسألة نقل الجنائز المتغيّرة، التي اعتكف العوامّ عليه منذ قرنين، واعتقدوا على أنّه من ضروريّات الدين، حتّى على الأوجه الشنيعة. لكن هؤلاء

الأبطال ـ أبطال حومة الإصلاح، وأحرار شرعة الدين ـ لم يلتفتوا نحو الرأي العامّ جنح بعوضة، وفاهوا بالحقّ جهراً، وصدعوا بالحقيقة عند مساسّ الحاجة والسؤال.

فإنّني بعد ما نشرتُ رسالتي في تحريم نقل الجنائز[1]، ضجّ الجهّال

---

(١) رسالة إصلاحيّة، طبعت أوّلاً في مجلّة «العلم»، ثمّ طبعت مكرراً.

وقد خالف الشهرستانيّ في هذه القضيّة آراء العامة، ونتيجة لذلك صوّر البعض الشهرستانيّ على أنّه كافر ومُلحد، وتعرّضت حياته للخطر، وأُغلقت مجلّته (العلم) في أواخر العام ١٩١١م، وأُجبر على مغادرة النجف والعراق، وأمضى عامين في الهند. (الشهرستانيّ رائد حركة التجديد في العراق: ٢).

بل ولم يكتف السيّد أيضاً بإصداره هذه الرسالة، بل توخّى في معالجته لهذه القضيّة إثارةَ الرأي العامّ ضدّ النقل، من خلال المجالس والندوات، التي أراد من وراء التركيز فيها على هذه المسألة ـ فضلاً عن إثارة الرأي العام ـ كسبَ موقف الفقهاء والعلماء والمتعلّمين إلى جنبه في إثارة الرأي العام ضدّها؛ لأنّ هدف الإصلاح عنده لابدّ أن يقوم به رجال الدين، ممّن يتمسّك بصريح المعقول وصحيح المنقول.

فطالب فقهاء عصره بإيضاح الأمر إلى الناس، وإطلاعهم على حقيقة الأمر ـ كما هي فلسفته ـ في «أنّ كشف الحقائق المهمّة، وإزاحة قناع الشكوك عن محيّا بنات الأفكار، لا يكون إلّا بالبراهين العقليّة والمعاني الفلسفيّة، أو بالأدلّة الشرعيّة في المسائل الدينيّة».

وقد أورد في كتابه عدداً من القصص، التي تقشعر لذكرها الأبدان. (انظر تحريم نقل الجنائز: ٦).

وقد ورد ما يؤيّد ذلك في مذكّرات فريدريك روزن حين يقول: إنّ الزوّار الذين يتدفّقون على العتبات المقدّسة في العراق، يجلبون معهم بقايا موتاهم، ويدفنونهم في ثرى كربلاء، المضمّخ بدماء الشهداء.

وهذه الجثث التي تلف باللباد، تشاهد متدلّية من ظهور الإبل، بمجموعات من أربع جثث إلى خمس جثث. وبالرغم من هذه العادة، فإنّ الزيارة إلى كربلاء تجمع بين النزهة ومتطلبات ←



العبادة». (هبة الدين الشهرستانيّ: ١٠٦، نقلاً عن «العراق في مذكّرات الدبلوماسيين الأجانب»: ٧٢).

ويقول الأُستاذ جعفر الخليليّ عن هذه الرسالة ـ تحريم نقل الجنائز ـ وما جرى بعد طبعها، ناقلاً بعض القصّص منها:

«ثمّ قرأتُ كتاب «تحريم نقل الجنائز»، وهناك استطعتُ أن أفهم حركة السيّد الشهرستانيّ أكثر، خصوصاً في الكتاب الأخير «تحريم نقل الجنائز».

وفهمتُ جيداً سبب الهياج العظيم الذي جُوبه به الشهرستانيّ، حتّى أصبحت حياته في خطر، واعتُبرت دعوته هذه ـ التي حمّلها كتابه ـ دعوة مخالفة للشرع، وقد تجرّأ البعض فنسبَ له الكفر والزندقة، وطلب منه أن يستغفر ربّه ويتوب، في حين كان قد بلغ مرحلة الاجتهاد وأُوغل فيها.

ودعوة تحريم نقل الجنائز من الأماكن النائية إلى النجف الأشرف، تلخّص في أنّ السيّد هبة الدين، كان لا يُبيح نقل هذه الجنائز، إذا ما أخلّ هذا النقل بحرمة الميّت، بحيث يسبّب نتونة الجثة وتفسّخها أو الاستهانة بها، وحصر النقل في دعوته على الأماكن القريبة.

وقد أورد في كتابه هذا ـ الذي قرأته بعد حدوث الضجة والهياج بمدّة طويلة ـ عدداً من القصص التي تقشعر لذكرها الأبدان، ومن بين تلك الشواهد من القصص التي أوردها في كتابه، وظلّت عالقة بذهني هي:

إنّ قافلة كانت تحمل نحو مائتي جنازة، من الجنائز التي كانت مدفونة في قبور مختلفة من البقاع الإيرانيّة على سبيل (الأمانة)، حتّى إذا مرّ الزمن الذي يكفي لامتصاص الأرض موادّ الجثّة وتعرّق العظم، أُخرجت هذه الهياكل العظيمة، وصُرّت عظام كلّ جثة في صرّة، وحُملت في صناديق؛ للاتجاه بها إلى العراق، ودفنها في العتبات المقدّسة.

وكان أن وصلت هذه القافلة إلى المحمّرة (خرمشهر اليوم) وأُنزلت في ساحة الكمرك، فشبّت في تلك الليلة النار في أحد الأماكن القريبة، ثمّ ما لبثت أن اتّصلت بدائرة الكمرك، ثمّ بالجنائز، فأحرقتها ولم تتركها إلّا رماداً.

وسأل السيّد هبة الدين: ترى مَن هو المسؤول عن هذه الحادثة، وأمثالها من الحوادث، غير

سُكوت أهل الفتيا، الـذي يُطمِع سكوتُهم المتـاجرين بالجنـائز، فيسـلبون حرمـة الميّـت، فضلاً عمّا يسبّب هذا النقل من انتشار الجراثيم وعدوى الأمراض.

وقد حمل في كتابه هذا بشدّة، وعزّز رأيه بعـدد كبيـر مـن فتـاوى كبـار العلمـاء بتحـريم نقـل الجنائز، إلّا في الحدود المقبولة عقلاً، وأثبت كلّ تلك الفتـاوى بـالزنكوغراف زيـادة فـي التأكيد.

وذكّرتني (الأمانة) أمانة دفن الميت برجل لم يزل حيّاً، وكـان قـد جـاء مـن إيـران بقصـد زيـارة العتبات، وكان قد امتطى حماراً جموحاً، أتعبه ركوبه، حتّى شكا إلـى القافلـة أمـره، فعـرض عليـه أحـد أفـراد القافلـة أن يبادلـه حمـاره ليتـولّى تـرويض حمـاره الجمـوح فـي سـاعة أو ساعتين، يُعيده بعدها إليه هادئاً متّزناً.

فنزل الرجل عن حماره، وامتطى حمار صاحبه، الذي تولّى أمر ترويض الحمـار، والـذي راح يوسع الحمار ضرباً من أول وهلة، واندفع حيث يريد الحمار مشرّقاً ومغرّباً، وهو لا يكـفّ عن ضربه بكلّ ما أوتي من قوّة.

أمّا صاحبنا، فما كاد يمتطي حمار المروّض، حتّى ألفى تحته خرجـاً، وفـي جانـب منـه صـرّة، دفعه فضوله أو شهيّته للأكل أن يفتح في الصرّة فتحة؛ ليستخرج منها ما يحتوي عليـه هـذا الكيس من المأكول، فإذا به كسر من الخبـز (المحمّـس) المعجـون بالتوابـل مـن الأمـلاح والحوامض والمجفّف على النار، وبدأ يخرج من هذه الصرّة بعض الكسر ويأكلها بشهيّة.

وإذ تمّ ترويض الحمار الجموح، عاد به المـروّض، وقـد أصـبح أطـوع مـن البنـان، فشـكر لـه صاحبه يده وقال له: أرجو أن تغفر لي جرأتـي أو وقـاحتي، التـي دفعـت بـي إلـى أن أمـدّ يدي إلى هذه الصرّة من خرجك، وأتناول شيئاً من الخبز (المحمّس) قبل استئذانك.

قال الرجل: وأيّ خبز هذا الذي تعنيه؟

وما كاد يشير إلى الصرّة، حتّى صرخ الرجل، ولطم على رأسه، وصاح: تعالوا إليّ، فلقد أكـل هذا أبي، لقد أكل عظام أبي النخرة، وهو يحسبها خبزاً محمّساً، وظلّ يولول.

أقول: وعلى أثر الضجّة التي أحدثتها صـرخة السـيّد هبـة الـدين، والتـي تعـرّض فيهـا للخطـر، اضطرّ السيّد الشهرسـتانيّ أن يُهـاجر مـن النجـف إلـى كـربلاء ويسـتوطنها، علـى مـا نقـل

عليّ؛ حماية لعاداتهم الموروثة، المألوفة لديهم، وزعموا تفرّدي في هذه الفتيا، وكادوا أن يعدّوا ـ من جهلهم ـ رافع البدعة صاحبها. فعزّزت لهم دلائلي بفتاوى العلماء الماضين، فلم يقنعوا إلّا بموافقة الحاضرين، واستفتوا منهم جميعا، فأتتني منهم الأجوبة الموافقة لما ادّعيته ودعوتُ إليه، مساعدةً لسلّاك سبيلنا الإصلاحيّ.

ونحن نذكر لقرّائنا العظام صورة السؤال، وكذلك الأجوبة، لأنّ الاطّلاع عليها اليوم قد بلغ من الأهميّة منزلة كبرى».

انظر: مجلّة العلم، السنة الثانية، ١٩٣٠ م، ص ٢٦٦ .

الرواة». (هكذا عرفتهم ٢: ٢٠٣ ـ ٢٠٥).

(٧)

ما ورد في كتاب «نقض الوشيعة»

تأليف

السيّد محسن الأمين العامليّ

(ت ١٣٧١ هـ)

التطبير

قال[1] في صفحة (ح): «إنّه رأى بالنجف يوم عاشورا ألعاباً رياضيّة يسمّونها التطبير».

قال: «وصوابها لفظاً ومعنى واشتقاقا وأصلاً: هو التتبير، كنتُ أقول كلّما أراها: إنّ هؤلاء بشر؟! ما هم فيه، وباطل ما كانوا يعملون».

إلى أن قال: «وكلّ هذه التمثيلات والألعاب لكان فيها روعة، لو لم يكن فيها إغراء عداوة وبغضاء، ولعجّل الإمام القائم المنتظر الرجعة، لو رأى فيها أثرَ صدقٍ بين ملايين الشيعة».

ونقول: إنّ هذا التطبير لا يعتقد به أهل المعرفة من الشيعة، ولا يستحلّونه، وقد ألّفنا فيه رسالة مطبوعة اسمها «التنزيه لأعمال الشبيه»[2]، ذكرنا فيها فتوى فقهائنا بتحريمه، وأنّه من فعل الجاهلين، فكيف ساغ له أن يُدرجه في ما انتقده من عقائد الشيعة؟!

وأمّا أنّه كان يقول حين يراها: «إنّ هؤلاء بشر؟! ما هم فيه»، فهل كان يقول ذلك حين يرى: السيّارة، والدوسة، وضرب الشيش، وأكل النار، وضرب

---

(١) يقصد به كتاب «الوشيعة في نقد عقائد الشيعة» لموسى جار الله.

(٢) طبعت في المجلّد الخامس من هذه المجموعة.

الدفوف، والصياح الذي يشبه أصوات بعض الحيوانات، والميل يميناً وشمالاً، وخروج الزبد من الأفواه، والأصوات والأنغام في مجالس الذكر؟!

وهل كان يقول ذلك حين يرى الألعاب الرياضيّة، والدوران بالتنورة على رجل واحدة، الذي يسمّيه الإفرنج رقص الإسلام، وغير ذلك ممّا لسنا بحاجة إلى ذكره؛ لاشتهاره؟!

لا نراه تعرّض لذكره، ولا أفادنا ما كان يقوله حين يراه في سياحاته في بلاد الإسلام، فكيف تناساه، وتغاض عنه، ولم يتعرّض لانتقاده؟!

لا تَنه عن خُلقٍ وَ تـأتي مثلَـهُ ... عارٌ عليكَ إذا فَعَلتَ عَظـيمُ[1]

---

(١) من قصيدة حِكمية في نحو أربعين بيتاً، لأبي الأسود الدؤلي: ظالم بن عمرو بن سفيان الكنانيّ (ت ٦٩ هـ):

وهذا البيت إشارة لقوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ سورة البقرة ٢: ٤٤.

ومن هذه القصيدة قوله:

حَسدوا الفَتى إذ لـم ينـالُوا سَـعيهُ ... فـالقومُ أعـداءٌ لـه وخُصـومُ
كَضرائرِ الحَسْناء قُلـنَ لوجهها ... حَسَـداً وبَغيـاً إنّـهُ لَـذَميمُ
والوجهُ يشـرقُ فـي الظـلامِ كأنّـه ... بـدرٌ منيـرٌ والنسـاءَ نُجـومُ
وترى اللَبيبَ مُحسـداً لـمْ يَجتـرم ... شـتمَ الرجـالِ وعرضُـه مشـتُومُ
وكَـذكَ مَـن عظُمـت عليـهِ نعمـةٌ ... حُسّـادهُ سـيفٌ عليـه صـرُومُ
فـاترُكْ مُحـاورةَ السَـفيهِ فإنّهـا ... نَـدمٌ وغَـبٌ بعـد ذاكَ وخـيمُ
وإذا جَريتَ معَ السَفيهِ كمـا جَـرى ... فكلاكُمـا فـي جريـهِ مَـذمومُ
وإذا عَتبـتَ علـى السَـفيهِ ولمتَـهُ ... في مثـلِ مـا تـأتي فأنـتَ ظَلـومُ
لا تَنْـهَ عَـن خُلُـقٍ وتـأتي مثلَـهُ ... عـارٌ عَليـكَ إذا فَعَلـتَ عظـيمُ

انظر: خزانة الأدب ٨: ٥٧٦، شرح شواهد المغني للسيوطي ٢: ٥٧٠.

وما ندري ما يريد بـ «إغراء العداوة والبغضاء» الذي جمجم فيه وأبهم؟! ولعلّه يريد العداوة لمسبّبي قتل سبط الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته وفاعليه، ويروم الدفاع والمحاماة عنهم.

والإمام المنتظر ـ الذي صحّ بوجوده الخبر وتواتر الأثر ـ سواء رأى فيها أثر صدق أم لم ير، فهي ممّا لا يستجيزه أهل المعرفة، كما مرّ، وليس لك أن تعيب ما فيك مثله وأشنع منه.

(٨)

ما ورد في كتاب «أعيان الشيعة»

تأليف

السيّد محسن الأمين العامليّ

(ت ١٣٧١ هـ)

ما ورد في أعيان الشيعة

وردت في أعيان الشيعة أربع عبارات تتعلّق بموضوع هذه المجموعة، ثلاث منها لمؤلّفه السيّد محسن الأمين عند ما كتب ترجمة حياته بيده، وواحدة لولده السيّد حسن الأمين (ت ١٤٢٢ هـ)، أوردها في ترجمة والده.

الأُولى:

قال عند ذكر الشيخ موسى شرارة ومحاولة إصلاحه للشعائر:

«سعى الشيخ موسى رحمه الله سعياً حثيثاً في الإصلاحات الدينيّة، فأنشأ مدرسة تدرس فيها علوم العربيّة من النحو والصرف والبيان، وعلم المنطق، وعلميّ الأُصول والفقه، واجتمع فيها عدّة من الطلاب، استفادوا وأفادوا.

وأحيى إقامة العزاء لسيّد الشهداء، ورتّب لذلك مجالس على طريقة العراق، وسنّ للشعر العامليّ طريقة جديدة، وعقد لقراءته المجالس على غرار مجالس العراق، وسنّ لأهل بنت جبيل عمل الطعام عن روح الميّت ثلاثة أيام، ولم يكن ذلك معهوداً، ومنع النساء عن اتباع الجنازة.

واتفق موت أحد الوجهاء، فعمل أهله طعاماً، ودعوا الشيخ ووجوه تلاميذه، فاتفق أن سَمع بعضُ التلاميذ كلمة استخفاف بهم، من أحد الجالسين في سوق البلدة الصغير، تعود إلى ذهابهم للولائم، فامتنعوا من الحضور،

وغابوا عن الأبصار، وافتقدهم الشيخ، وأبى تناول الطعام حتّى يحضروا، ففتّش عليهم أصحاب الدعوة فلم يجدوهم، وما زالوا يفتّشون عليهم حتّى وجدوهم، وتوسّلوا إليهم في الحضور واعتذروا، فأبوا أن يحضروا، فما زالوا بهم حتّى حضروا.

وجرى من الذاكرين للعزاء بعض الأُمور الموجبة لإعراضه عنهم، فطلب إليّ القراءة في ذلك المجلس، فقرأت، وكان يعظ في المجالس ويقرأ في نهج البلاغة، فقال لي أن أقرأ بدله في النهج، ففعلت.

وقال لي مرّة: كلّ صفاتك حسنة، إلّا شدّة الحياء.

وأنشأ مجالس الفاتحة وقراءة الشعر فيها على طرز العراق، وعلّم الأدباء طريقة النقد في الشعر، وشجّعني على النظم.

ولمّا توفّي الشيخ عبد الله نعمة، عقد له مجلس الفاتحة، ونظم الشعراء في رثائه، وأنا منهم، ونظم هو قصيدة، قال من جملتها في حقّ ولده الشيخ حسن:

وذا حسن الأخلاق من خير دوحة ... وخير بطون أنتجته عقامها

وقال: إنّ وصف البطون بالعقام مُستحسن، ألا ترى إلى قول الشريف الرضي: (وكانوا نتاجاً للبطون العقائم).

وهو اشتباه لم يتفطّن له أحد من الأدباء الجالسين، وتفطّنت أنا له، فإن الرضيّ رضي الله عنه يقول:

إذا نزلوا بالماحل استنبتوا الربى ... وكانوا نتاجاً للبطون العقائم

ومعناه: أنّ البطون العقيمة بسبب المحل والقحط، تعود منتجة ببذلهم وجودهم، لا أنّهم نتجوا من بطون عقائم.

ومن تلك المجالس التي أنشأها أربعة مجالس:

أحدها ليلة الجمعة عنده.

واثنان يوم الجمعة صباحاً، واحد بعد الآخر، وكان يعظ في الأوّل منهما، ويجتمع الطلبة ويتذاكرون في المسائل العلميّة، ويقرأ في نهج البلاغة.

وواحد يوم الجمعة عصراً.

وكان يسأل الطلبة ليلة الجمعة مسائل في العلوم التي يقرأونها عند غيره، من النحو والصرف والبيان والمنطق، فيثني على المصيب، ويلوم المقصّر، وكان يطلب منّي أن أنوب عنه في السؤال في بعض الليالي فأفعل، وكان يقول للمقصّر: الحقّ في هذا على شيخك، وشيخه حاضر.

واتفق ليلة حضور الرجل الظريف الشيخ محمّد مغنية، فلمّا تكرّر من الشيخ هذا القول، التفتَ إلي فقال: وشيخه حقّه على مَن؟

فقال: عليكم؛ لأنّها على الأُصول تنبت الفروع.

واتفق أنّ الشخص الذي كان عنده المجلس الثاني يوم الجمعة، غضب لأمرٍ ما، وأغلق بابه وقت المجلس، وحضر في المجلس الذي يقام عصر الجمعة، فجعل الشيخ يسأله عن سبب إغلاقه بابه، ويتسعطفه، فلمته في نفسي على ذلك على مقتضى نزق الشباب، فما كان من الرجل إلّا أن أعتذر، وقال له: إنّه يعود إلى فتح المجلس في الجمعة القادمة، فعلمت حينئذٍ خطأي وإصابته.

وهذه المجالس التي أنشأها وإن لم تكن كاملة من جميع النواحي؛ لأنّها

كانت على غرار مجالس العراق.

فكتب له بعض الذاكرين «سفينة» ضمّنها ما يُقرأ في مجالس العراق، وفيها جملة من الأكاذيب، وتغييرات للتاريخ الصحيح، إلّا أنّها ـ على ما فيها من عيوب ـ أصلح ممّا كان قبلها، فقد كان يقرأ في جبل عامل في عشر المحرّم ليلاً فقط في كتاب يسمّى «المجالس» مخطوط، من تأليف بعض أهل البحرين، فيه عشرة مجالس مطوّلة جداً، يجتمع منها كتاب ضخم، والسعادة العظمى لمن يحظى بهذا الكتاب ويملكه، وفي أوّله هكذا:

المجلس الأوّل: في الليلة الأُولى من العشر المحرّم: أيّها المؤمنون المجتمعون، ثمّ يشرع في مقدّمة طويلة، ثمّ يبتدىء في ذكر حديث مكذوب، أشبه بالقصص المخترعة في هذا الزمان، أو صحيح، لكن زيد عليه أضعافه من الأكاذيب في أثنائه وفي آخره.

وهذا الكتاب قد رأيته وأنا صغير السن، وعلق بذهني منه حديث عن فاطمة بنت الحسن عليه السلام أنّها رأت طيوراً بيضاء تمرّغت بدم الحسن عليه السلام، وجاءت حتّى وقفت على حائط دارها بالمدينة[1].

ثمّ يبتدىء بالمجلس الثاني، فيقول: المجلس الثاني في الليلة الثانية من عشر المحرّم: أيّها الاخوان المجتمعون، ثمّ يشرع في مقدّمة نظير مقدّمة المجلس الأوّل، وحديث شبيه بحديثه، وهكذا حتى ينتهي إلى الليلة العاشرة.

وهذه المجالس ليس من شرطها ترك التدخين في أثنائها، ولا ترك

---

(١) تقدّم الكلام عنه مفصّلا في هذه المجموعة ٥: ٥٢.

الكلام أحياناً، بل هي أشبه بالقصص التي تُتلى في المقاهي في هذا العصر.

وفي اليوم العاشر تعطّل الأعمال إلى ما بعد الظهر، ويُقرأ مقتل أبي مخنف، ثمّ تزار زيارة عاشوراء، ثمّ يؤتى بالطعام إلى المساجد، وفي الغالب يكون من الهريسة، فيأتي كلّ إنسان بقدر استطاعته، فيأكل منه الفقراء، ويأكل منه قليلاً الأغنياء للبركة، ويفرّق منه على البيوت، كلّ ذلك تقرّباً إلى الله تعالى عن روح الشهيد أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

أمّا القرى التي ليس فيها نسخة المجالس، فيقتصر على قراءة المقتل يوم العاشر، ويقرأ منه في ليلتين أو ثلاث قبل ليلة العاشر كلّ ليلة شيئاً، حتّى يكون الباقي إلى يوم العاشر خاصاً بالمقتل وحده.

وكانت المجالس التي أنشأها الشيخ موسى ـ على ما فيها من عيوب، كما قدّمنا ـ أصلح بكثير ممّا تتقدّمها، وكانت مبدأ الإصلاح لمجالس العزاء.

ولمّا ألّفنا «لواعج الأشجان» و«المجالس السنيّة»، وجدنا أنّ جملة ممّا يقرأه الذاكرون في العراق مكذوب لا أصل له، وبعضه قد زيد فيه أشياء لا أصل لها، منها: المنسوب إلى حبيب بن عمرو، وأنّه قال لأمير المؤمنين ـ لما دخل عليه بعدما ضربه ابن ملجم ـ: إنّ البرد لا يزلزل الجبل الأصم، ولفحة الهجير لا تجفّف البحر الخضم، والليث يضرى إذا خدش، والصلّ يقوى إذا ارتعش»[1].

فهذا الكلام المزوّق لم يذكره مؤرّخ ولا محدّث، وإنّما هو من تزويق بعض الناس، ويقرأه كلّ ذاكر في العراق، واشتملت عليه «سفينة» الشيخ

---

(١) تقدّم الكلام عنه مفصّلاً في هذه المجموعة ٥: ٤٠.

موسى شرارة.

وحضرت يوماً في النجف مجلساً أقامه الشيخ ميرزا حسين النوري في داره، لذكرى مقتل أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، وهو محدّث متتبع، وحيد عصره في ذلك، فقرأ المقتل بنفسه، ونبّه على هذا الكلام المنسوب إلى حبيب بن عمرو: أنّه لا أصل له.

وسمعتُ مرّةً وأنا في سن الطفولة من يقرأ المقتل يوم العاشر، وفيه حديث عن درّة الصدف، وأنّها حضرت يوم العاشر إلى كربلاء؛ لتنصر الحسين عليه السلام، في قصّة طويلة، لم تبق في ذاكرتي[1]، وكنت أستنكر ذلك وأُكذّبه في نفسي.

وممّا غيّره الشيخ موسى شرارة، أن جعل قراءة المقتل في مقتل ابن طاووس، ولمّا ألّفنا «لواعج الأشجان» صارت قراءة المقتل فيه، وصارت قراءة الذاكرين في «المجالس السنيّة»، فخلصت الأحاديث، وصفت من تلك العيوب والأكاذيب.

وكان الشيخ موسى يميل إلى أهل العراق كثيراً، ويتأنّق في العبارات، فإذا ذكر بعض عادتهم قال: هذا سبك العراق. وافتخر عليه بعض أهل البيوتات يوماً، فقال له الشيخ موسى: ما أكثر الدعوى وأقلّ المعنى[2].

الثانية:

ذكر أنّه عند دخوله دمشق سنة ١٣١٩ هـ، رأى ثلاثة أُمور خاطئة منتشرة

---

(١) تقدّم الكلام عنه مفصّلاً في هذه المجموعة ٥: ٤٩.

(٢) أعيان الشيعة ١٠: ٣٤٢ ـ ٣٤٣.

في المجتمع، تحتاج إلى إصلاح، وهي: الأُميّة، والتحزّب والانقسام، ومجالس العزاء.

ثمّ بدأ بذكر عمله في إصلاح هذه الأُمور، وقال عن إصلاح الأمر الثالث:

«وهو إصلاح إقامة العزاء لسيّد الشهداءعليه السلام، فكان فيه خلل من عدّة جهات:

منها: ما يتلوه الذاكرون من الأخبار المكذوبة، والأغلاط الشائنة، وبعض الأعمال التي تجري في المجالس.

ذكر مرّة رجل وقعة الجمل، فقال: كان اسم الجمل عسكر بن مردية.

فقلت في نفسي: الجمل كثيراً ما يُعرف باسم، أمّا أن يقال: ابن فلان، أو ابن فلانة، فلم يسمع به. فسألته فقال: هذا موجود في «البحار»، فراجعت «البحار» فإذا فيه: وكان اسم الجمل عسكراً، ثمّ ابتدأ بكلام جديد فقال: ابن مردويه.

وقرأ قارىء يوماً في الكاظميّة، فلم يذكر في ذلك المجلس حرفاً واحداً صادقاً، وكان إلى جانبي السيّد مهدي آل السيّد حيدر، فقلت له: أقسمت عليك بالله، هل في ما ذكره هذا الرجل حرف صادق؟

قال: لا.

قلت: فلماذا لا تنهون؟

قال: لا نستطيع.

ولما حضر الشيخ موسى شرارة إلى جبل عامل، أحضر معه مجموعة

كتبها له بعض الذاكرين، فيها الصحيح والسقيم، ممّا يتلى في مجالس النجف، وكان فيها خبر مقتل أمير المؤمنين عليه السلام، وفيه كلام للأصبغ بن نباتة، يخاطب به أمير المؤمنين عليه السلام، وقد زيد فيه كلام مسجّع منمّق منه: إنّ البرد لا يزلزل الجبل الأصم، ولفحة الهجير لا تجفّف البحر الخضم، والليث يضرى إذا خدش، والصلّ يقوى إذا ارتعش[١]، ونحو ذلك، وكان الشيخ موسى يتلوه ويعجب من بلاغته.

ولمّا كتبتُ مقتل أمير المؤمنين في «المجالس السنيّة» لم أجد له أثراً في كتاب، وسمعتُ الميرزا حسين النوري مرّة في داره ينكره على المنبر ويقول: إنّه لا أصل له.

وفي تلك المجموعة عدّة أحاديث موضوعة، وبعض الذاكرين يزيد عبارات وجملاً محزنة؛ ليهيّج بها السامعين.

وهؤلاء القرّاء ليس لديهم ذرّة من علم ولا معرفة، وأكثرهم من العوام، ومَن كان ذا معرفة لا يتحرّى إلّا الصحيح.

ومثل هذه الأُمور تجري في كلّ فرقة وكلّ طائفة، فجهدتُ في تنزيه هذه الذكرى المباركة عن مثل ذلك، ونهيت القرّاء عن قراءة مثلها[٢]، وألّفت

---

(١) تقدّم الكلام عنه مفصّلاً في هذه المجموعة ٥: ٤٠.

(٢) ورد في هامش الكتاب: «كتب الأُستاذ محمّد عليّ مروة في الجزء السابع م ٤٢ من مجلّة العرفان الغراء، كلمة في هذا الموضوع، نقتطف منها ما يلي:

ولعلّ من المفيد أن نذكر أنّ أوّل من انتبه إلى الأمر «أي أمر المنابر الحسينيّة»، وفكّر فيه، كان الفقيد العظيم المرحوم السيّد محسن الأمين، فقد اختطّ للإصلاح خطّة عمليّة صحيحة، ففرض على الخطباء رقابة عسيرة، تولّاها بنفسه، منعتهم من أن يسترسلوا في ⟵

كتاب «لواعج الأشجان» في مقتل الحسين عليه السلام، وانتقيته من الكتب المعتمدة، ورتّبته بأحسن ترتيب، وأردفته بكتاب «أصدق الأخبار في قصة الأخذ بالثأر»، وبكتاب «الدر النضيد في مراثي السبط الشهيد»، وبالنعي للشيخ محمّد بن نصار، وطبعته، فراج ذلك رواجاً تامّاً.

التهويش والتهويل.

وكان إذا سمع من أحدهم ـ وهو على المنبر ـ كلمة لم ترضه، لا يتوانى عن أن ينبّهه في الحال، وأن يقطع عليه خطابه؛ ليصحّحها في أذهان الجمهور المستمع، ثمّ يأمر الخطيب بمعاودة الكلام.

ولم يكن يستطيع مع الجيل القديم أكثر من هذا؛ لذلك عمد إلى اختيار جيل جديد من الخطباء، ربّاه بيديه وخرجه بنفسه، فكان أفراده من أحسن الناس ثقافة وتعمّقاً في البحث. وحسبك أنّه اختار فيهم مَن يحسن لغة أجنبيّة، ليكون أكثر وعياً وأبعد إدراكاً.

ولمّا تكامل هذا الجيل، حرّم على الجيل الماضي أن يصعد واحد منه منبراً، ثم تخطفهم الموت واحداً بعد واحد، فخلا الميدان للخطباء المجددين.

وإذا قدر لك أن تحضر واحداً من هذه المجالس عرفت كيف يكون الإصلاح الصحيح والتوجيه الحق، وعلى منهج هذه المدرسة سار مَن جدّدوا بعد ذلك من الخطباء في بيروت وجبل عامل وغيرهما.

ولم يكتف رحمه الله بهذا القدر، بل ثار ثورته الكبرى، على ما يرافق هذه الذكريات، من بدع وضلالات وأعمال شاذة، وألّف رسالته الشهيرة «التنزيه»، داعياً إلى تنزيه الدين من الأباطيل، وتنزيه المحافل من الأضاليل، وجابه العامّة بما لا يتّفق مع عقائدها وتقاليدها المقدسّة ولم يبال غضبها وصخبها.

وعندما حذّره بعض صحابته من خطر ثورة العامة، ابتسم وظلّ مندفعا، فأثار الرجعيون العامّة على هذا التفكير الجديد ثورة عارمة، وتعرّض رحمه الله لأعنف الحملات وأشدها بذاءة، ولكنّه صمد لها بقوّة شخصيّته، حتى فازت دعوته، وعلم الناس أنّها دعوة الحقّ.

ورأينا أنّ تدريب القرّاء على قراءة الصحيح، لا يتمّ إلّا بوضع كتاب، فألّفنا كتاب «المجالس السنيّة في مناقب ومصائب النبيّ والعترة النبويّة» في خمسة أجزاء، الأربعة الأُولى خاصّة بالحسين عليه السلام، وبعضها يزيد على مائة مجلس، وطبعناها مراراً، والخامس خاصّ بالنبيّ والزهراء وباقي الأئمّة الأحد عشر، وقد نفدت نسخه كلّها.

ومن جهات الخلل في إقامة العزاء، جرح الرؤوس بالمدى والسيوف، ولبس الأكفان، وضرب الطبول، والنفخ في البوقات، وغير ذلك من الأعمال.

وكان هذا محرّم بنصّ الشرع وحكم العقل، فجرح الرؤوس إيذاء للنفس محرّم عقلاً وشرعاً، لا يترتّب عليه فائدة دينيّة ولا دنيويّة، بل يترتّب عليه ـ زيادة على أنّه إيذاء النفس ـ الضرر الدينيّ، وهو إبراز شيعة أهل البيت بصورة الوحشية والسخرية.

وكلّ ذلك ـ كلبس الأكفان وباقي الأعمال ـ مزر بفاعله وبطائفته، لا يرضاه الله، ولا رسوله، ولا أهل بيته. فهو من عمل الشيطان، وتسويل النفس الأمّارة بالسوء، سواء أسمّي بالمواكب الحسينيّة، أم بإقامة الشعائر، أم بأيّ اسم كان. فالأسماء لا تغيّر حقائق الأشياء، وعادات الطغام من العوام لا تكون دليلاً للأحكام.

وكانت هذه الأعمال تعمل في المشهد المنسوب إلى السيّدة زينب بقرب دمشق، أحدثه بعض قناصل إيران، ولم أحضره أبداً، ونهيت عنه حتّى بطل، وقد عملتُ في ذلك رسالة «التنزيه»[١]، طُبعت وتُرجمت إلى الفارسيّة،

---

(١) طبعت في هذه المجموعة ٥: ١٠.

وقام لها بعض الناس وقعدوا، وأبرقوا، وأرعدوا، وجاشوا وأزبدوا، وهيّجوا طغام العوام والقشريّين ممّن ينسب للدين، فذهب زبدهم جفاء، ومكث ما ينفع الناس في الأرض.

لقد أشاعوا في العوام: أنّ فلاناً حرّم إقامة العزاء، بل زادوا على ذلك أن نسبوا إلي الخروج من الدين، واستغلوا بذلك بعض الجامدين من المعمّمين.

فقيل لهم: إنّ فلاناً هو الذي شيّد المجالس في دمشق.

فقالوا: قد كان هذا في أوّل أمره، لكنّه بعد ذلك خرج من دين الإسلام. وعمدوا إلى شخص من الذاكرين يسمّى السيّد صالح الحلّي[١]، بذلوا له مالاً على أن يقرأ في مجلس أنشؤوه كمسجد الضرار، ليقرأ فيه السيّد صالح، ويقدح فينا، ورهن بعضهم لذلك داره، وأنفق المال الذي رهنها به في ذلك السبيل»[٢].

الثالثة:

قال في ترجمة الشيخ حسن آل قفطان:

«وقد كان الشيخ عباس نجم النجفيّ، القاريء في عزاء سيّد الشهداء عليه السلام، يحفظ حديثاً في العزاء، ويقرأه في المجالس، وقد سمعناه منه في النجف مراراً.

والمعلوم عند النجفيّين، أنّه رتّبه بعض آل قفطان ليلاً على سطح مسجد الكوفة، وأظن أنّه حديث مكالمة العباس عليه السلام مع حبيب بن مظاهر ليلة العاشر

(١) تقدّمت ترجمته في هذه المجموعة ٥: ٣٥.

(٢) أعيان الشيعة ١٠: ٣٦٢ ـ ٣٦٣.

من المحرم، أو حديث: أين ضلّت راحلتك يا حسان[١]، وكان يقرأه غيره أيضاً.

وقد أتى به بعض علماء جبل عامل ـ وهو الشيخ موسى شرارة معه ـ من النجف ضمن مجموعة، وسمعناه يقرأه في جبل عامل مراراً.

ولمّا ذكرنا في رسالة «التنزيه»[٢] أمر هذا الحديث، بلغنا أنّ القفطانيين في النجف غضبوا من ذلك، فقلنا للناقل: نحن سمعنا ذلك من النجفيّين، المتواتر عندهم أمر هذه الحديث، ولم نأت به من عند أنفسنا»[٣].

الرابعة:

نقل السيّد حسن الأمين العامليّ (ت ١٤٢٢ هـ)، نجل السيّد محسن الأمين، عبارة الشيخ عبد الكريم الزنجانيّ (ت ١٣٨٨ هـ) في حقّ والده بعد وفاته، وذلك في ترجمة السيّد الأمين، قال:

«الراحل العظيم، فقيد الإسلام والمسلمين، السيّد محسن الأمين، ملىء الصفحة بالآثار الناطقة الناصعة، وبرىء الساحة عن التهاون بالقيام بالنهضة الإصلاحيّة الصالحة، وفي الاهتمام بشؤون العبء الدينيّ الأقدس، الذي حمله على كتفه.

لقد كانت السلطات الدينيّة والزمنيّة، تعتبر كلّ محاولة للإصلاح، خروجاً على الدين، وجريمة لا تغتفر، بل كفراً، وفي أوساط المذاهب

---

(١) تقدّم الحديث عنه في هذه المجموعة ٥: ٣٨.

(٢) طبعت في هذه المجموعة ٥: ١٠.

(٣) أعيان الشيعة ٥: ١٩٩.

المتخالفة، والأديان المتباينة، والعقائد المتحجّرة، والتقاليد المترسّخة، وفي بلاد كان الأجنبيّ قد أوجد فيها ـ باسم الدين ـ حجباً كثيفة على الحقّ، قد أحكم كثافتها ضيق الفكر، والتعصّب الذميم، والجهل المطبق.

نهض الراحل العظيم (الأمين) بالإصلاح الدينيّ والاجتماعيّ والثقافيّ، عن طريق التأليف والتصنيف والإرشاد، والدعوة إلى سبيل الرشد بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادل المضلّين بالتي هي أحسن، وأسّس المعاهد والمدارس العصريّة لتثقيف البنين والبنات، ونشر الثقافتين الدينيّة والزمنيّة، محاولاً إزالة الجهل، الذي هو أُسّ الأمراض الاجتماعيّة، حينما كانت هذه الأعمال مسجّلة في قائمة المنكرات عند مختلف الطبقات، حتّى طبقة رجال الدين، ولم يترك الفقيد العظيم مجالاً لأيّة سلطة أن تتّخذ أيّ حجّة عليه للتدخّل بشؤون إصلاحه، والعمل على عرقلة مساعيه.

فنصره الله جلّت قدرته، وأيّده برجال مخلصين، وثبّت الله تعالى قدمه، حتّى سجّل للإصلاح أرقاماً عالية، وأحدث انقلاباً في الأفكار، وانتباهاً للعقول، وضجّة مدويّة، وترك للمسلمين كنوزاً ثمينة من مؤلّفاته وعلومه، وآثاراً جديرة بالبقاء، ومستوجبة للخلود، وخلّف من سيرته وتاريخ حياته، ما يهيب بأعلام الدين للاقتداء به، والتمشّي على طريقته الواضحة الجريئة، ويحفّز المصلحين إلى الأخذ بخطّته، والنسج على منواله، فأصبح قدوة للمصلحين في القرن العشرين»[١].

---

(١) أعيان الشيعة ١٠: ٣٩٥.

(٩)

ما ورد في كتاب «هكذا عرفتهم»

تأليف

الأُستاذ جعفر الخليليّ النجفيّ

(ت ١٤٠٥ هـ)

ما ورد في كتاب «هكذا عرفتهم»

ذكر الأُستاذ المرحوم جعفر الخليلي (ت ١٤٠٥ هـ)، في كتابه «هكذا عرفتهم»، ثمان عبارات تتعلّق بموضوع هذه المجموعة، في تراجمه لمجموعة من الأعلام، وهي:

الأُولى:

قال في ترجمة السيّد رضا الهنديّ:

«وكان قد نقل عن السيّد رضا الهنديّ بيتان من الشعر، الذي تضمّن هذا النوع من البراعة الشعريّة، وحكى جانباً من تفنّنه في البديع، وقد حفظ البيتين المذكورين جميعُ من سَمع بهما، فكثر اللغط عمّن قيل فيه البيتان المذكوران.

فقال البعض: إنّهما قد قيلا في السيّد محسن الأمين، لتبنّيه فكرة الإصلاح الدينيّ، والدعوة إلى تحريم اللطم على الصدور، وشجّ الرؤوس بالسيوف في يوم عاشوراء؛ حزناً على الحسين. تلك الدعوة التي كان لها أنصار، وكان لها خصوم، فكان السيّد رضا من خصومها على ما عرفت.

وقال البعض: إنّ البيتين قيلا في السيّد محسن أبو طبيخ؛ لأنّ السيّد محسن أبو طبيخ كان قد هاجم الإمام الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء في رسالة طبعت باسم «المبادئ والرجال». وفسّر هجومه هذا تفسيراً غير مرضي،

أثار حماة الدين وأهله، فقال السيّد رضا فيه ما قال.

وقال الآخرون غير هذا.

أمّا البيتان اللذان يحفظهما جيعُ من سَمع بهما، على أساس براعتهما البديعية، أو على أساس الغرض الذي يرمي إليه كلّ واحد وفق مزاجه، فهما:

ذريّــة الزهــراء إن عَـددتَ — يوماً ليطرى الناس فيها الثنا
فـلا تعـدّوا (محسناً) منهم — لأنّها قد أسقطت (محسنا)

وسقوط (محسن) هو إشارة ـ كما يعرف المتتبّعون ـ إلى أنّه كان لفاطمة الزهراء عليها السلام ولدان، هما الحسن والحسين عليهما السلام، وكانت حاملاً بثالث أسقطته، وكان قد سُمّي بـ (المحسن) عند سقوطه.

ولقد سألتُ السيّد رضا يوماً، وهو عندي في مكتب (الهاتف)، يحسو الشاي ويدخّن، وكان يسرف كثيراً في التدخين وفي شرب الشاي، فإذا أخذ كفايته منهما، تفتّحت نفسه وفاضت بالرفيع من الأدب، نقلاً ونقداً وإنشاءً.

لقد سألته عمّا إذا كان البيتان المذكوران، قد قالهما في السيّد محسن الأمين حقّاً؟

فقال لي، وقد ظهرت آثار الانزعاج على سحنته، قال:

أنا راض أن توجّه هذا السؤال لنفسك، وترى أيليق بواحدٍ مثلي أن يقول شيئاً من هذا في السيّد محسن الأمين؟!

وفاتني أن أسأله بعد ذلك عن البيتين المذكورين، وفيما إذا كان هو قائلهما حقاً؟

وفي مَن قالهما؟ لأنّنا كنّا قد انتقلنا إلى مواضيع بعيدة، ولم ألتفت

لأهميّة هذا السؤال إلّا بعد وفاته»[١].

الثانية:

قال في ترجمة السيّد أبو الحسن الأصفهانيّ:

«والسيّد أبو الحسن هو الذي جرأ، فحرّم ضرب الرؤوس بالسيوف، ولطم الصدور، وضرب الظهور بالسلاسل، ودقّ الطبول والصنوج، والمزامير، وما يجري عادةً في أيام عاشوراء، باسم الحزن على أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

وهو الذي كان يرى أنّ الطهارة تشمل عناصر كثيرة، ومواد كثيرة، ممّا تضيق بها دائرة العلماء الآخرين. فكان لا يستنجس أرباب الأديان الأُخرى من أهل الكتاب، وله في ذلك رأي خاصّ، يخالف آراء الكثير من معاصريه من علماء الشيعة.

وهو الذي كان ينصح الراغبين بوقف أملاكهم، بالعدول عن تنفيذ هذه الرغبة؛ نظراً لكثرة البراهين الدالّة على ضياع الوقت، وانتهائه إلى مختلف الأيدي العابثة، وكان يقول بأفضلية الانفاق في الوجوه المطلوبة عاجلاً، والتحرّز ـ على قدر الإمكان ـ من الوقف الآيل للتلف والضياع المحتّم.

وهو أوّل مجتهد حكم بطلاق امرأة معدمة، من زوج كان قد حكم عليه بالسجن خمس سنوات، فلم تجد المرأة من ينفق عليها، فتولّى هو طلاقها. ولربّما كان هذا الحكم هو الأوّل من نوعه، منذ أول قيام الإسلام حتّى ذلك اليوم»[٢].

---

(١) هكذا عرفتهم ١: ٣٠ ـ ٣١.

(٢) ظهر لي بعد ذلك أنّ الإمام الشيخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء، كان أسبق من السيّد ←

وأحدثت مرّة كلمة نُشرت لمعروف الرصافي عن وحدة الوجود ـ وهي كلمة من أصل كتاب خطّي للرصافيّ[١] ـ ضجّة كبيرة أثارت علماء بغداد، فأفتى السيّد إبراهيم الراوي بكفر الرصافي، وتبعه علماء آخرون.

فجاء أحد الفضلاء بتلك الكلمة موفداً من بغداد؛ لاطّلاع علماء النجف عليها، واستصدار فتوى مؤيّدة لفتاوى بغداد، واستمهل السيّد أبو الحسن الرسول القادم حتّى يقرأها، وفي اليوم الثاني قال السيّد أبو الحسن للرسول:

إنّه لا يستطيع أن يوافق على اعتبار الرصافيّ كافراً، بمقتضى منطوق هذه المقالة، وذلك لأنّ مثل هذا الرأي كثيراً ما قال به بعض علماء المسلمين، ولم يكفّرهم فيه أحد.

قال لي الشيخ عبد الحسين البشيريّ، وهو من العلماء الروحانيّين، الذين أوفدهم السيّد أبو الحسن للشمال، وإليه يرجع الفضل في إعادة قسم غير قليل من المغالين ـ الذين يغدقون على الإمام عليّ عليه السلام صفات لا يجيزها الإسلام ـ إلى حظيرة الإسلام، قال لي الشيخ البشيريّ:

لم يبق لدي شيء بعد أن غيّرت لتلك الطائفة عقائدها وطقوسها، إلّا أن أحملها على إكرام شواربها، (وقد كان الجميع من تلك الطائفة تقدّس الشوارب، وتعنى بها وتتعهّدها).

قال البشيريّ: سأنتهز من يوم زيارة الأربعين، التي يقدم فيها الزوار على

أبي الحسن في هذه الفتوى. «المؤلّف».

(١) لقد رأيتُ مسودة هذا الكتاب بكامله عند كامل الجادرجي، وقرأ لي فصلا منه. «المؤلّف».

زيارة كربلاء والنجف من جميع الجهات، لأعرض هناك الفكرة على السيّد أبي الحسن، وأطلب منه أن يشير على مَن يزوره من تلك الطائفة، إشارة خفيفة برغبته في إكرام الشارب، وتخفيفه على الأقلّ، وأنا الضمين بأنّهم سيفعلون ذلك عن طيبة خاطر، إذا أحسّوا برغبة السيّد أبي الحسن.

وقال لي البشيريّ: وحين ذاكرت السيّد أبا الحسن بذلك، انتفض السيّد وقال: مالك وهذه القشور؟ ولم لا تترك الناس على سجيتهم!.

وجعل علمه منه واجتهاده، وسلامة ذوقه، وحسن سليقته في استنباط الأحكام وتطبيقها، رجلاً فذّاً، ومن الروحانيّين الأفذاذ في التاريخ.

وبقي عليه أن يثبت لياقته وحنكته الإدارية لهذه الزعامة الدينيّة، ولعل هذه اللياقة هي أهمّ بكثير من اللياقة العلميّة، فلقد كان في السلف من العلماء من كانوا كالشمس في رائعة النهار، من حيث المقدرة العلميّة.

أمّا المواهب الإداريّة، والحنكة التي تتطلّبها الزعامة، فقد كان الكثير منهم دون درجة السيّد أبي الحسن الاعتياديّة؛ إذ كان السيّد على جانب كبير من تلك الموهبة التي يفتقر إليها المجتمع، فيتطلّبها في الزعيم الروحانيّ، أضعاف ما يتطلّب العلم والمعرفة.

وأنّ العلم والمعرفة إنّما يطلبان، فمن أجل الحياة العمليّة، والسيرة المستقيمة التي تحكيها أخلاق الزعيم وحنكته.

وجاء دور تجربة الأخلاق، وما ينبغي أن يوصف به الإنسان، فضلاً عن الزعيم، فعكس السيّد أبو الحسن عن نفسه صوراً رائعة لسموّ الخلق، وعلوّ الهمّة، والنبل، والجرأة، والسخاء.

وكان لقوّة إرادته، وعدم مبالاته بمناوئيه وخصومه، الذين اطّردت نسبتهم مع اطّراد تقدّمه في ميدان الزعامة والشهرة، شأن يذكر عند الذين وقفوا على حقيقته، وعند مَن يقيس أكثر الأُمور بمقياس منافعه الخاصّة وأضراره.

وقد انتهز السيّد صالح الحلّي[1] فرصة تحريم السيّد أبي الحسن شجّ الرؤوس بالسيوف في شهر محرّم، والضرب على الظهور والصدور بالسلاسل.

لقد انتهزها فرصة فشنّ على السيّد أبي الحسن غارةً واسعة عنيفة بكلّ معنى العنف، ولم يترك لوناً من ألوان الزرايّة بالكناية والتصريح، إلّا وصبغ به السيّد أبا الحسن من فوق المنابر، التي كان يرقاها السيّد صالح.

فكان يتصرّف من فوقها بعقول المستمعين، تصرّف المالك، ويميل بها أنّى شاء، بما كان يملك من مقدرة وموهبة وجرأة، رفعته إلى أعلى الدرجات في سماء الخطابة والبلاغة.

والسيّد صالح الحلّي نشأ أوّل ما نشأ، طالباً من طلّاب الفقه والدين، فدرس العلوم العربيّة على طريقة عصره، وولع باستظهار طائفة من نصوص البلاغة، فحفظ القرآن، وحفظ «نهج البلاغة» عن ظهر قلب.

ثمّ رقى المنبر ذات يوم في بيت صديق له، بمناسبة محرّم الحرام، حين استبطأوا مجيء الخطيب، فآنس في نفسه مقدرة، وزاده إعجاب المستمعين إليه رغبة في الاستمرار على صعود المنابر.

فلم يلبث حتّى امتهن الخطابة، وصار أشهر خطباء المنابر الحسينيّة على

---

(١) تقدّمت ترجمته مفصّلة في هذه المجموعة ٥: ٣٥.

غير قصد سابق.

واجتمعت: المقدرة، والجرأة، واللسان الذرب فيه، فأخرجت منه شخصاً قليل النظير، يهابه الجميع، ويخافه الزعماء.

ولقد بلغ من مقدرته أن التزم قراءة المأتم الحسينيّ لجمعيّة «المكّارين»، الذين يؤجّرون حميرهم وبغالهم للمسافرين بين النجف والمدن المتّصلة بها.

فقرأ لهم عشرة أيام، بل الأصح أنّه حاضر لهم عشرة أيام؛ لأنّ خطب السيّد صالح كلّها أشبه بالمحاضرات منها بأيّ شيء آخر، فلم يخرج خلال هذه الأيام العشرة عن حديث الحمير والبغال والقوافل، وأخبارها القديمة والحديثة، وقصصها.

فكان الناس بمختلف طبقاتهم يعافون أشغالهم، ويحضرون تلك المحاضرات، التي ظلّت مدّة طويلة موضوع أحاديث الناس، وتفكّههم، ومثار إعجابهم، وغبطتهم له على هذه الموهبة.

ومن ميزات السيّد صالح، أنّه كان سريع الحفظ، وكانت بينه وبين الشيخ كاظم السبتيّ ـ وهو من مشاهير الخطباء المعاصرين ـ غضاضة، فلم يكد يسمع الشيخ كاظم يقرأ لنفسه قصيدة في رثاء الحسين على المنبر، حتّى يحفظ الكثير من أبياتها لأوّل مرّة.

وهناك يصعد المنبر في نفس اليوم، أو اليوم الآخر، ويقرأ شيئاً ممّا كان حفظ من قصيدة الشيخ كاظم السبتيّ، ولربّما أضاف إليها أبياتاً أُخرى منه، ثمّ يروح مندّداً بالسبتيّ، قائلاً: إنّ هذه القصيدة قديمة، وهي لأحد الشعراء

القدماء، وذلك بدليل حفظي لها من أيام الصغر، ولكن بعض المعاصرين ـ وهو يعني السبتيّ ـ يستغلون جهل الناس فينسبونها لأنفسهم.

هذا السيّد صالح كان رجلاً شعبيّاً، وكان كلامه يفعل في مستمعيه فعل السحر وأكثر، وكان يؤلّف قوّة جدّ كبيرة لمن يستطيع أن يستميله، وقد وقف إلى جانب الدستور «المشروطة» والانقلاب العثماني وقفة مشرّفة، كان لها قيمتها وشأنها في تهيئة النفوس لقبول الدستور ونشر الحرّية.

ولقد بلغ من جرأته أن تحدّى الكثير من كبار العلماء في عصره بشعره وكناياته وأمثاله، فلقد قال عن السيّد كاظم اليزديّ:

فوالله ما أدري غداً في جهنّم (أيزديّها) أشقى الورى أو يزيدها

وقال عن الشيخ كاظم الخراسانيّ (الآخوند)، وقد كان السيّد صالح من مؤيّديه، ولكنّها الشنشنة التي عُرف بها، هي التي تحمله على أن يقول في الذين يؤيّدهم أو الذين يخاصمهم على السواء:

وفتاة تقول وهي تصبّ الماء قلّدت (كاظماً) قلتُ (صبيّ)

ويقصد بالصبيّ هنا (الصابئي) في اللغة الدارجة، ثمّ هنالك تورية أُخرى غير صبّ الماء وغير الصابئيّ، وهي أنّ (كاظم صبيّ) وقد كان رجلاً من زعماء أهل السلاح في النجف، وليس له بالعلم والدين شأن.

وقال البعض إنّ هذا البيت قد قاله في السيّد كاظم اليزديّ، وليس في الملّا كاظم الخراسانيّ الآخوند.

وقال الآخرون: بل إنّ هذا الشعر ليس للسيّد صالح، وإنّما المنشد له كان السيّد صالح.

وكان السيّد صالح من مؤيّدي الحاج ميرزا حسين الخليليّ، وقد جاءه وهو جالس يتقبّل تهاني القادمين بمناسبة زواج ولديه، ورجا منه أن يكتب له كتاباً في حاجة عسيرة شقّ عليه انجازها، وطلب من الشيخ أن ينجز له الكتاب حالاً، ففعل.

وحين ختم الشيخ الكتاب، كما طلب السيّد صالح، قال السيّد صالح للشيخ الخليليّ: لقد أعددتُ لهذا اليوم قصيدتين: إحداهما تتضمّن تهنئتي، والثانية تتضمّن هجائي.

وقلت: إنّي ساقرأ قصيدة التهنئة إذا أنجز الشيخ مهمّتي، وسأقرأ الهجاء إذا امتنع الشيخ أن يقضي حاجتي.

وهنا قبض الشيخ على الكتاب، وقال للسيّد صالح: إذا كنتَ تريد إنجاز مهمّتك بهذا الكتاب الذي استكتبتنيه، فلن تحصل عليه ما لم ترق المنبر، وتقرأ الهجاء الذي أعددته.

فالتوى السيّد صالح وتمانع، ولكنّ الشيخ أصرّ، وأنس السيّد صالح في الشيخ رغبة لسماع هجائه، فأطاع ومع ذلك فلم يكن يهمّ السيّد صالح أن يكون الشيخ راغباً أو لا يكون، كما لا يهمه إذا اقتضى مزاجه أن يقول كلّ شيء في أحد، سواء كانوا ممّن يدين لهم بالولاء أو من صنف آخر.

وصعد السيّد صالح المنبر وهو يضحك، وقرأ قصيدة هجاء فاخرة، استطابها الشيخ، واستعادها له مرّات ومرّات، وهذا مطلعها:

الله آل النبيّ حقّهم ... ما بين آل (الخليل) مقتسم

لقد كان الجميع يخشون السيّد صالح، ويخشون صولته، وأنا اعتقد أنّ

عمّنا الحاج ميرزا حسين الخليليّ، لم يحمل السيّد صالح على قراءة هجائه، وإرغامه على صعود المنبر؛ بناءً على عدم اكتراثه به وعدم خوفه منه، وإنّما لأنّ طلب الشيخ أن يسمع هجاءه من السيّد صالح، يعتبر ضرباً من ضروب التوقّي من نشر السيّد صالح هذا الهجاء، ولونا من ألوان مجاراة السيّد صالح.

فضلاً عن أنّ الحاج ميرزا حسين كان له طبع أدبيّ، كثيراً ما دعاه أن يتحرّى النكتة ويأنس بها، وإلّا فإنّي لا أجرّده من الخوف من السيّد صالح، بعد أن خافه الجميع، وتوقّوه، وحاذروا منه، وحاولوا أن يضمّوه إلى جانبهم؛ ليكسبوا به تحقيق أهدافهم، أو يأمنوا على الأقلّ من شره.

إلّا أنّ السيّد أبا الحسن، هذا الرجل الذي لم يهتم بالسيّد صالح، ولم يكترث بما لفّق وأشاع وعمل، فلم يخف السيّد أبو الحسن على مركزه الدينيّ الذي كان ينافسه عليه أنداد، لهم شأنهم في الزعامة الدينيّة: كالميرزا حسين النائينيّ، والشيخ أحمد كاشف الغطاء، والشيخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء، بل أبدى السيّد أبو الحسن من الجرأة، ما حملته على تحريم الاستماع إلى قراءة السيّد صالح.

واندفع السيّد صالح بكلّ قوّته، إلى محاولة تحطيم شوكة السيّد أبي الحسن، بما كان يلقيه من خطب رنّانة، ولكن الفتوى بتفسيقه وتحريم قراءته، بدأت تعمل أكثر من سحر السيّد صالح في نفوس مستمعيه، وقد كثر الحديث في جميع الأوساط والمدن ذات العلاقة بقضية التحريم، حتّى لقد أرّخ الشيخ عليّ بازي هذا التحريم بالبيت التالي:

أبو حسن أفتى بتفسيق صالح   قراءته أرّختها (غير صالحة)

وجاء وجوه الحلّة وأكابرها بالسيّد صالح مسترضين السيّد أبا الحسن، وملقين به على قدميه، ولكن السيّد أبا الحسن لم يلن، ولم يغيّر رأيه فيه، قائلاً: إنّ السيّد صالح كحرف (أي) التي قيل عنها (أي كذا خلقت).

وعلّم السيّد أبو الحسن الكثير من العلماء درساً، لم يعرفه إلّا القليل منهم، وهو أنّ مجاراة العوام إلى منتهى حدود المجاراة، على حساب المصالح الخاصّة، يجب أن يتجنّبها المجتهد والزعيم الدينيّ، وإن كان في ذلك خسران لزعامته، وفقدان لمركزه.

لأنّ السيّد أبا الحسن حينما قام بتحريم الاستماع إلى قراءة السيّد صالح الحلّي، لم يتأكّد من نجاحه قبال ما يملك السيّد صالح من رصيد شعبيّ، ومقدرة سحريّة، طالما ضمنت له التصرّف بعقول الناس تصرفاً عجيباً.

ومع كلّ هذا، فقد أخذ على السيّد أبي الحسن فقدان الجرأة، والصدع بما يعرف في كثير من المواطن الأُخرى»[1].

الثالثة:

قال في ترجمة السيّد محسن الأمين:

«وأوّل عمل قام به بعد ذلك، هو تحريم الضرب بالسيوف والسلاسل في يوم عاشوراء، ومقاومة الذين يستعملون الطبول والصنوج والأبواق وغيرها، في تسيير مواكب العزاء بيوم عاشوراء، فكان ذلك أوّل ذريعة اتّخذها مخالفوه وخصومه لمهاجمته.

وقد أيّدهم في نشاط الحملة ضدّه، كونها جاءت متّفقة ورغبة العوام

---

(١) هكذا عرفتهم ١: ١٠٦ ـ ١١١.

(السواد) كلّ الاتفاق؛ لذلك اتّسعت الحملة، وكان المجتهد الشيخ عبد الحسين صادق في النبطيّة، والإمام السيّد عبد الحسين شرف الدين في صور، ممّن خالف دعوة السيّد محسن الأمين، فبعثت هذه المخالفة في نفس السيّد محسن روحاً جديدة، زادته حماساً وثورة في وجه القائلين بجواز الضرب بالسيف على الرؤوس في يوم عاشوراء.

وحمله الغضب على إصدار «رسالة التنزيه» التي بنى أحد أسباب غضبته على الرواية القائلة: «من أغضب ولم يَغضب فهو حمار»[١]، وكانت غضبة مضرية، أدّت إلى مشاكل كثيرة، ما كادت تبدأ في جبل عامل بلبنان، حتّى انتقلت إلى العراق، وتحوّلت من مشكلة إصلاحيّة إلى مشكلة شخصيّة.

وقد كان لآل صادق وآل شرف الدين ولآل الأمين، أصدقاؤهم ومؤيّدوهم في النجف، فاندفعت كلّ جهة إلى هدفها بكلّ نشاط، واتّجه الجميع إلى كبار العلماء، يستفتونهم في أمر الضرب بالسيف، كمظهر من مظاهر الحزن على أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

---

(١) لم أجد من يصرّح بأنّها رواية، وفي العهود المحمديّة للشعرانيّ: ٤٦٠ «إنّه من أقوال الشافعيّ».

والشريعة الإسلاميّة ذمّت الغضب في الكتاب والسنّة، منها قوله تعالى: ﴿**وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنْ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ (آل عمران/١٣٤).

وقوله عليه السلام: «الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الخلّ العسل».

وإنّه «جمرة من الشيطان، تتوقّد في جوف المؤمن».

وإنّه «مفتاح كلّ شرّ».

وإنّه «مُمحقّ لقلب المؤمن».

انظر: الكافي ٢: ٣٠٢ ـ ٣٠٥ حديث ١ و ٣ و ١٢ و ١٣ .

فأفتى السيّد أبو الحسن الأصفهانيّ بحرمة الضرب بالسيف، وقال ما مضمونه: إنّ استعمال السيوف والسلاسل والطبول والأبواق، وما يجري اليوم من أمثالها في مواكب العزاء يوم عاشوراء باسم الحزن على الحسين، إنّما هو محرّم وغير شرعيّ[1].

وأفتى الميرزا حسين النائينيّ[2]، والإمام الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء[3]، وجميع كبار العلماء بشرعيّة الضرب، وجوّزوا تلك المراسيم.

وكان السيّد أبو الحسن لم ينفرد بعد بالزعامة الروحانيّة، بل كان في طريق انفراده بها، وكان وقوف منافسيه ـ وقد اجتمعت فتاواهم على خلافه ـ ممّا يؤخّر وصوله إلى مركز الزعامة الدينيّة الكبرى، فقد تلقّى أغلب الناس الفتاوى المخالفة للسيّد أبي الحسن، المؤيّد للسيّد محسن الأمين، بشيء من الارتياح.

وزاد من هياج الناس في وجه السيّد محسن الأمين، تبنّي الخطيب الشهير السيّد صالح الحلّي[4] فتاوى العلماء، وشنّه الغارة الشعواء على السيّد محسن الأمين. وكان السيّد صالح من مشاهير الخطباء، الذين قلّما تجود

---

(١) بحثنا هذا الموضوع بشكل مفصّل في هذه المجموعة ١: ٤٤٦ تحت عنوان «هل حرّم السيّد أبو الحسن الأصفهانيّ التطبير؟»، وأوردنا نصّ منشوره وفتواه العامّة التي لا تدلّ على تحريمه، وذكرنا آراء الأعلام في هذه المسألة.

(٢) انظر: نصّ فتواه في هذه المجموعة ٢: ٤٣٠.

(٣) انظر: كلامه في هذه المجموعة ٣: ١٢٥ رسالة «المواكب الحسينيّة»، و٤: ٣٨١ في كتابه «الفردوس الأعلى».

(٤) تقدّمت ترجمته مفصّلة في هذه المجموعة ٥: ٣٥.

الطبيعة بأمثالهم من حيث اللباقة والخبرة والجرأة[(١)].

فصرخ بالناس وهاجهم ضدّ السيّد محسن الأمين، وانقسم الناس إلى طائفتين ـ على ما اصطلح عليه العوام ـ: (علويين) و(اُمويين). وعُني بالأُمويين أتباع السيّد محسن، وكانوا أقلّية لا يعتدّ بها، وأكثرهم كانوا متستّرين؛ خوفاً من الأذى.

واتّخذ البعض هذه الدعوة وسيلة لمجرّد مهاجمة أعدائه واتهامه إيّاهم بـ (الاموية)، فكثر الاعتداء على الأشخاص، واُهين عدد كبير من الناس، وضُرب البعض منهم ضرباً مبرحاً.

وبلغت الجرأة بالسيّد صالح الحلّي أن يتطاول على السيّد أبي الحسن، ويتناول السيّد محسن بالسبّ والشتم، وتجاوزت به الجرأة كلّ حدّ حتّى قال في السيّد محسن قولته المنكرة:

يا راكباً أما مررتَ بجلّق فابصق بوجه (أمينها) المتزندق

وقد قيل: إنّ البيت المذكور كان لأحد العامليّن، وقد نُسب إلى السيّد صالح الحلّي؛ لأنّه كان ألصق به من غيره؛ لما هو معروف به من جرأة وعدم مبالاة.

ومثل هذه الجرأة، وإن كانت قد أثارت نفوس الغيارى، وهاجت قرائح الشعراء المدركين والعارفين حقيقة الإصلاح، فإنّها لم تفعل ـ ولا بقدر الذرة ـ في نفس السيّد محسن الكبيرة، خصوصاً وكان قد استعرض مواقف النبيّ

---

(١) مرّت إشارة أوسع من هذه عن السيّد صالح الحلّي من استعراض أيام السيّد أبي الحسن. «المؤلّف».

محمّد ﷺ وآل البيت، في دعوتهم الإصلاحيّة فيما ألّف من كتب مدرسيّة، ساق فيها الشواهد والأمثلة لما ينبغي أن يكون عليه الداعي إلى الإصلاح، من استعداد لتقبّل جميع صنوف الأذى وضروب العذاب.

وقد أحسن الشيخ مهدي الحجّار[1] ـ وقد كان من (الأمويين) في الطليعة ـ حين قال من قصيدته يخاطب السيّد محسن:

تأسّ يا (محسن) فيما لقيت بما لاقاه جدّك من بغي ومن حسدِ

وبدافع اعجابي بالسيّد محسن، وانطباعاتي عنه منذ الصغر، وإيماني بصحّة دعوته، أصبحت «أمويّاً»، وأمويّاً قحّاً، في عرف الذين قسّموا الناس إلى: «أمويّين» و«علويّين».

وكنت شاباً فائر الدم، كثير الحرارة، فصببتُ حرارتي كلّها في مقالات، هاجمت بها العلماء الذين خالفوا فتوى السيّد أبي الحسن، والذين هاجموا السيّد محسن. ولمّا كنت يومذاك موظّفاً، فقد نشرت مقالاتي في الجرائد بتواقيع مستعارة.

وتبعني في عملي هذا عدد من (الأمويّين) على حدّ ذلك الإصطلاح، ثمّ ما لبثنا أن تعارفنا نحن (الأمويّين)، وكان الشيخ محسن شرارة في الطليعة من أولئك المتحمّسين لمبدأ السيّد محسن الأمين الإصلاحيّ، ولستُ أذكر شيئاً كثيراً ممّا مرّ، إلّا أنّني كنتُ قد أحسنتُ الدفاع عن السيّد محسن بقلمي ولساني، حتّى لقد هدّدت بالقتل والاعتداء حين انكشف أمري للبعض.

---

(١) تقدّمت ترجمته وقصيدته في هذه المجموعة ١: ٨٤.

وكنتُ أجد في كثير من الأحيان رسالةً أو أكثر، وقد ألقي بها من تحت باب الدار، وهي تتضمّن إلى جانب التهديد بالقتل، شتائم بذيئة تدلّ على خسة وجبن، فكنتُ أسعى لالتقاطها قبل أن يعرف أحد عنها شيئاً ذلك؛ لأنّ لي أمّا كانت ملتهبة العاطفة، وكنتُ أخشى أن يصل إليها خبر التهديد، فتجنّ وتنغّص عليّ حياتي.

وكان لي من حُسن الحظّ من يدفع عنّي الشر.

ومن الحق أن اُشير هنا بالثناء إلى الشيخ عبد الكريم الجزائريّ، فقد كان ممّن ذبّ يومذاك، هو والزاهد الناسك الشيخ عليّ القميّ والفقيه الشيخ جعفر البديريّ، لقد ذبّوا عن السيّد محسن بحرارة، ودافعوا عن رأيه دفاعاً جريئاً، وكان ذلك سبباً لاتصالي الوثيق بالشيخ عبد الكريم الجزائريّ.

ولكنّ التيّار كان جارفاً، والقوّة كلّها كانت في جانب (العلوييّن)، وكان هؤلاء (العلويّون) وأتباعهم يتفنّنون في التشهير بالذين سمّوهم بـ(الأمويّين).

وبلغ من الاستهتار، أن راح حملة القِرب وسقاة الماء في مأتم الحسين بيوم عاشوراء ينادون مرددين: (لعن الله الامين ـ ماء)، بينما كان نداؤهم من قبل يتلخّص في ترديدهم القول: (لعن الله حرملة ـ ماء)، فأبدلوا الأمين بحرملة؛ نكاية وشتماً.

وبعد عدّة سنوات، وحين أثرتُ هذا الموضوع ـ موضوع تحريم الضرب بالسيوف ـ في جريدة «الهاتف»، هاجت النجف وماجت، وكادت تحدث هناك فتنة، وهنا تحوّل النداء على الماء في المآتم الحسينيّة، إلى المناداة باللعن على أفواه سقاة الماء صارخين: (لعن الله الخليليّ ـ ماي).

ولا تَسل عن عدد الذين شُتموا وضُربوا وأُهينوا، بسبب تلك الضجّة التي أحدثتها فتوى السيّد محسن الأمين يومذاك، وكان السبب الأكبر في كلّ ذلك هو (العامليّون)، أعني أهل جبل عامل، الذين كانوا يسكنون النجف طلباً للعلم، وكان معظمهم من مخالفي السيّد محسن.

وممّن دافع عن السيّد محسن خارج النجف، كان السيّد مهدي القزوينيّ في البصرة، وكان السيّد هبة الدين الحسينيّ الشهرستانيّ في بغداد، الذي ساعدنا نحن الذين تولّينا الكتابة والدفاع عن السيّد محسن، مساعدة فعّالة، على أنّ دفاع هؤلاء لم يكن مستغرباً حينذاك، بقدر ما كان يُستغرب دفاع الشيخ عليّ القميّ، ودفاع الشيخ جعفر البديريّ؛ لبعدهما عن روح التجدّد.

وقد أثار هذان الأخيران في ذبّهما عن السيّد محسن، دهشةَ جميع الأوساط واستغرابهم.

أمّا السيّد محسن نفسه، فإنّ لردّه على خصومه أُسلوباً خاصّاً، ينهج به نهج خصمه في الردّ، من حيث الطريقة، لا من حيث الشتيمة، وأنّه ليبدع في العرض على ذلك النسق، وبشيء كثير من الانسجام والتبسّط، حتّى ليدخل بكلامه إلى قلوب قُرّائه بدون استئذان. ولا عجب فقد، كان أديباً بارعاً، وشاعراً، أجاد في كثير من مواضيع الشعر.

فمن أمثلة ردوده: أنّ بعضَ صُحف بيروت[1]، كانت قد نشرت له تحريمه لشجّ الرؤوس بالسيوف، والضرب على الصدور، واستعمال المزامير والطبول في مواكب الإمام الحسين عليه السلام.

---

(١) وهي صحيفة العهد البيروتيّة، وتقدّم الكلام عنها مفصّلاً في هذه المجموعة ١: ٣٤.

فانبرى له أحد كبار الروحانيّين[١] المتسترين، مفنّداً ومكفّراً ومشهّراً بـه، في رسالة مستقلّة طبعها[٢]، وقد جاء في بعضها قوله:

«ومن فواجع الـدهور، وفظـائع الأُمـور، وقاصـمات الظهـور، ومـوغرات الصدور، ما نقلته بعض جرائد بيروت في هـذا العـام، عمّـن نحتـرم أشخاصـهم من المعاصرين الوطنيين ـ يريد به السـيّد محسـن ـ مـن تحبيـذ تـرك المواكـب الحسينيّة، والاجتماعات العزائيّة، بصورها المجسّمة في النبطيّة وغيرها.

فما أدري أصدق الناقل أم كذب؟

فإن كان صادقاً، فالمصيبة على الدين جسيمة عظيمة»[٣].

وقد راعـى السـيّد محسـن فـي ردّه أُسـلوبَ منتقـده فـي سـخريّة مؤدّبـة جميلة، إذ قال:

«إنّ هذا التهويل وتكثير الأسجاع لا يفيد شيئاً، ولو أُضيف إليـه أضـعافه مـن: قاطعـات النحـور، ومجفّفـات البحـور، ومفطـرات الصـخور، ومبعثـرات القبور، ومهدّمات القصور، ومسقطات الطيور.

بل إنّ من فجائع الدهور، وفظائع الأُمور، وقاصمات الظهور، ومـوغرات الصدور: اتّخاذ الطبول والزمور، وشقّ الرؤوس علـى الوجـه المشـهور، وإبـراز شيعة أهـل البيـت وأتبـاعهم بمظهـر الوحشـيّة والسـخرية أمـام الجمهـور، ممّـا لا يرضى به عاقل غيور»[٤].

---

(١) هو الشيخ عبد الحسين صادق العامليّ، وتقدّمت ترجمته مفصّلة في هذه المجموعة ١: ١٦٣.

(٢) وهي رسالة «سيماء الصلحاء» المطبوعة ضمن هذه المجموعة ٤: ٣٨٩.

(٣) سيماء الصلحاء (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٤: ٤٧٨.

(٤) التنزيه لأعمال الشبيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥: ٢٦.

وقد أخذ بعض هؤلاء الخصوم من الروحانيّين على السيّد محسن، محاربته لهذه البدع من: التطبيل والتزمير، ولبس الأكفان، والضرب بالسيف والسلاسل، فقالوا معترضين عليه:

«أتبكي السماء والأرض بالحمرة والدم[١]، ولا يبكي الشيعيّ بالدم المهراق من جميع أعضائه؟»[٢].

فردّ السيّد محسن على هؤلاء بما يلي:

«إنّنا ما رأيناكم أهرقتم دماً طول عمركم للحزن من بعض أعضائكم، لتهرقوه من جميع أعضاكم، فلماذا تركتم هذا المستحبّ المؤكّد تركاً أبديّاً، وهجرتموه هجراً سرمديّاً، ولم يفعله أحد من العلماء في عمره ولو بجرح صغير كبضعة الحجّام؟! ولماذا لم يلبسوا الأكفان، ويحملوا الطبول والأبواق، وتركوا هذه المستحبّات يفوز بها العوام والجهلة دونهم؟»[٣].

واستطاع السيّد محسن أن يوجّه مساعيه توجيهاً عمليّاً، فيحول بين أرباب المآتم الحسينيّة وبين القيام بأيّة حركة تتنافى والشريعة الإسلاميّة، على قدر إمكانياته وفي ضمن حدود تفكيره.

حتّى الخطباء ـ خطباء المنابر الحسينيّة ـ استطاع السيّد محسن أن يفرض إطاعته على كثير منهم، فيحصر خطبهم ضمن دوائر معيّنة من: الموعظة، والإرشاد، وقراءة سيرة الحسين، وتاريخ شهادته. بعد أن كانت الفوضى قد

(١) انظر: تاريخ مدينة دمشق ١٤: ٢٣٠، سير أعلام النبلاء ٣: ٣١٢، تهذيب التهذيب ٢: ٣٠٥.

(٢) سيماء الصلحاء (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٤: ٥٦١.

(٣) التنزيه لأعمال الشبيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥: ٨٣.

عملت عملها فيهم.

حتّى بلغ من تصرّف الخطباء، أن صاروا يروون الكثير من الأخبار الملفّقة والروايات المدسوسة على المنابر، وهي أخبار وروايات ربّما كانت أقرب إلى الكفر منها إلى الإسلام، عند العلماء الشيعة المدركين والواقفين على فلسفة الإسلام.

أمّا النجف وسائر المدن الأُخرى، فقد قابلت دعوة السيّد محسن، وفتوى السيّد أبي الحسن، بردّ فعل قويّ شديد، ظهَر أثره في أوّل شهر محرّم من تلك السنة، فقد ازداد عدد الضاربين بالسيوف والسلاسل، وازداد استعمال الطبول والمزامير والصنوج والأبواق، وكثرت الأهازيج والأناشيد التي تتضمّن النقمة والتحدّي لتلك الحركة الإصلاحيّة.

فخاف (الأمويّون)، واختفى الكثير منهم طوال العشرة الأُولى من المحرّم، وبعدها بأيام، وانسحب البعضُ من الميدان كرهاً أو اختياراً.

وبلغ السيّد محسن خبر هذه الضجّة، كما بلغه خبر الذين ذبّوا عن رأيه، ودافعوا عن حركته، وظهر لي من شكره لي وثنائه عليّ يوم التقيته لأوّل مرّة: أنّه كان قد عرف كلّ شيء عن الحركة في العراق وفي النجف وهو في دمشق.

فلقد كنتُ قد أصدرتُ جريدة «الفجر الصادق»، وكنتُ يومذاك في ريعان الشباب وشدّته، وعصبيّته ـ كما قلت ـ وكنتُ جريئاً بقدر ما كانت تقتضيه طبيعة الشباب المؤمن بحقّه، إن لم أكن أكثره.

فكانت لي مع السيّد صالح الحلّي مواقف مشهورة، ملأتُ بها جريدة

«الفجر الصادق»)، واستطعتُ أن أنتقم للإصلاح الدينيّ منه، انتقاماً ضجّ منه السيّد صالح الحلّي وهاج، وضجّ معه أنصاره وهاجوا، فهدّدوا وأوعدوا، ولكنّي لم أُبال بالتهديد والوعيد، ولم يخفني الإبراق والإرعاد.

ومن الحقّ أن أذكر أنّ اندفاعي في تحدّي السيّد صالح، على تلك الصورة من الجرأة، التي لم يقدم عليها أحد من أقراني، لم يكن وليد جرأتي الذاتيّة وحدها، وشبابي الفائر وحده، وإنّما كان لها ما يسندها ـ كما أشرتُ ـ من الأُمور المشجّعة، فقد كان الحاج عطية أبو كلل[1] يؤيّدني في موقفي؛ لعدة أسباب، والحاج عطية كان أكبر زعيم يهابه المتشدّقون بقوّتهم، والمغرورون بسلاحهم.

وأن أهمّ أسباب تأييد الحاج عطية لموقفي من تلك الجرأة، التي

(١) عطية أبو كلل: ينحدر من أُسرة عربيّة عريقة، هي قبيلة طي، نزحت من «جوف» الواقعة في بادية الشامّ، وأوّل مَن نزح من هذه الأُسرة هو الحاج مراد.

ولد الحاج عطية في مدينة النجف الأشرف سنة ١٨٦٣ م، وتوفّي فيها سنة ١٩٤٢ م، ودفن في مقبرة وادي السلام.

يعتبر الحاج عطية من الشخصيّات النجفيّة المشهورة في القرنين التاسع عشر والعشرين، وله مواقف كثيرة شجاعة في الدفاع عن العراق ومقارعة ظلم الاستعمار الانكليزي، إذ كان من أبرز الشخصيّات التي شاركت في الثورة العراقيّة الكبرى ضدّ الاحتلال البريطاني للعراق، وكان ضمن الإحرار الذين التحقوا بالسيّد الحبوبيّ في حربه ضد المحتلّ الأجنبيّ.

وبعد فشل الثورة، نفته حكومة الاحتلال إلى الهند، مع بقيّة أبطال الثورة، حيث بقي في منفاه سبع سنوات تقريباً.

نقلاً عن موقع «شخصيّات نجفيّة».

سجّلت منها جريدة «الفجر الصادق» جزءاً غير يسير: هو أنّ الحاج عطية كان من مقلّدي السيّد أبي الحسن، إضافة إلى أنّ للحاج عطية صلة صداقة جدّ متينة بأُسرتي.

حتّى كان من مظاهر تلك الصداقة، أنّه خرج من بيته ذات يوم ـ على أثر مشاجرة جرت بينه وبين أولاده وأهله ـ زعلان غاضباً، وعلى كثرة بيوت أرحامه وأصدقائه، فإنّه لم يقصد بيتاً غير بيت عمّي الميرزا كاظم الخليليّ، وقد مكث فيه عدّة أيام، لم يترك أولاده فيها طريقة لم يسلكوها لكسب رضاه، حتّى رضي وانتقل إلى بيته.

هذا فضلاً عن اتّفاق كان قد جرى بيني وبين الحاج عطية، على أن نقوم ببثّ الدعاوة لحمل المواكب ووفود المدن، على أن يتّخذوا من يوم ٢٨ صفر من كلّ سنة ـ وهو يوم وفاة النبيّ ـ يوماً من الأيام الدينيّة الرسميّة؛ لكي يقصد الزوّار من جميع الجهات مدينة النجف، على غرار ما يفعلون في زيارة كربلاء، في يوم الأربعين.

وهذه الحركة وإن لم تخل من نكاية للنجف بمدينة كربلاء، لسبب ليس هذا محلّ ذكره، ولم يكن باعثها الأوّل منفعة النجف، ولكنّها كانت حركة لها أهميّتها الروحيّة والسياسيّة والاقتصاديّة بالنسبة لمدينة النجف.

تلك الحركة التي كان الحاج عطية بطلها الأوّل والأخير، وقد تكلّلت بالنجاح.

ومنذ ذلك اليوم والنجف تغصّ بالمواكب والوفود لزيارتها في هذه المناسبة، حتّى لزم الأمر ـ لكثرة الازدحام، وكثرة المواكب ـ أن تستدعي

الحكومة قوّة احتياطيّة من الشرطة؛ للمحافظة على الأمن والنظام لهذا اليوم من كلّ سنة.

وللآن والكثير لا يدرون بأنّ مُحدث هذه الحركة كانت جريدة «الفجر الصادق»، وكان الحاج عطية أبو كلل، وقد أصبح عشرات الآلاف يؤم النجف في كلّ سنة من مثل هذا اليوم.

أقول: كان كلّ هذا ممّا يسندني، ويشجّعني أكثر للوقوف في وجه السيّد صالح الحلّي، الذي كان الجميع يخشاه ويتهيّبونه، بالإضافة إلى ماكنتُ أنال من تأييد (الأمويّين) وإن كانوا قليلين يومذاك.

ولكي تتكلّل الحملة على السيّد صالح بالنجاح، ويتمّ الانتقام لدعوة السيّد محسن الأمين الإصلاحيّة، قامت جريدة «الفجر الصادق» بالدعوة للخطيب الشيخ محمّد عليّ اليعقوبيّ[1]، الذي يسكن الحيرة

---

(١) ذكره الشيخ محمّد حرز الدين (ت ١٣٦٥ هـ) في كتابه «معارف الرجال» قائلاً:

«الشيخ محمّد علي ابن الشيخ يعقوب ابن الحاج جعفر بن حسين الحلّي النجفيّ، المعروف باليعقوبيّ.

ولد في النجف في شهر رمضان سنة ١٣١٣ هـ، نشأ برعاية والده المقدّس الخطيب الواعظ الشهير الشيخ يعقوب، وأخذ الأدب والخطابة عن والده، والشعر على أدباء الحلّة. وكان شاعراً مجيداً، يتفوّق على غيره بنظم المناسبات في الشعر، ونظمه سهل غير معقّد، يساير عامّة الطبقات في فهمه. ورثى العلماء، وأرّخ عام وفاتهم وهنأهم، أضف إلى أنّه الخطيب الجليل المبرّز في عصره المتأخّر.

ومن شعره هذه المقطوعة نظمها عن لسان حال الفلاحين سنة ١٣٥١ هـ في النجف، مطلعها:

أنّوابنا قرب البرلمان ... فلا تبق أصواتكم هامدة

ولا نفع للشعب في مجلس ... عواصف نوابه راكدة

⇐



مضــت وانقضــت لكــم دورة	**ولكـــــن نتائجهـــــا بـــــاردة**
وهذي ستنقضـي مثيـل أُختهـا	**وتبقـــى مســـاعيكم الخالـــدة**
كـــأنّ انتخاباتنـــا أصـــبحت	**منافعهـــــا لكـــــم عائـــــدة**
أفي الحقّ أن يُستضام الضعيف	**جهــاراً وأعيــنكم لــه شــاهدة**
نُــذاد عــن الحــقّ قســراً كمــا	**تُــذاد الجيــاع عــن المائــدة**
فرحنــا غــداة أتانــا الــوزير	**وروح الســـرور بنـــا ســـائدة**
وقلنــــا سيشــــملنا عفــــوه	**فعـــاد وعـــدنا بـــلا فائـــدة**
سلام على عصر عبـد الحميـد	**ولتحـــــى أدواره البائـــــدة**
فما العذر لـو يقبـل الاعتـذار	**مـــنكم لـــدى الأمـــم الناقـــدة**

ومن شعره قصيدته النونيّة، التي ألقاها في الصحن الغروي، عند قدوم مفتي القدس والخليل أمين الحسيني، مع بعض أعيان مصر، والسيّد جلال.

وفي هذا الحفل ألقى كلمته العالم الجليل والزعيم الاسلامي الشيخ محمّد حسين آل كاشف الغطاء، وتقدّم في ترجمته ماله صلة بالموضوع.

ومطلع قصيدة الشيخ المترجم له قوله:

يحيى الشــعب والبلــد الأمــين	**قــدومك أيّهــا الشــهم الأمــين**

وفي نفس الوقت نالت إعجاباً واستعادة».

وعلّق الشيخ محمّد حسين حرز الدين، حفيد المؤلّف وناشر هذا الكتاب، قائلاً:

«وقرأ فيها [الحلّة] على الحجّة السيّد محمّد القزوينيّ المتوفّى سنة ١٣٣٥ هـ العربيّة والمعاني والبيان، كما أخذ الأدب عنه، وحضر بحثه في الأُصول خارجاً.

مؤلّفاته: البابليات ٤ ج، يبحث عن علماء الحلّة وأُدبائها، من تأسيسها إلى العصر الحاضر، أي القرن الرابع عشر.

وديوان شعر بجزئين، طبع الجزء الأوّل سنة ١٣٧٦ هـ، والثاني جاهز للطبع.

ومقتل الإمام عليّ أمير المؤمنين عليه السلام، طبع في النجف.

والذخائر في السفر، ديوان شعر في مدح النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته ورثائهم، طبع في النجف.

وتعليق على ديوان الشيخ عباس ملّا عليّ النجفيّ.

(الجعارة)[1] يوم ذاك، ليحلّ محلّ السيّد صالح الحلّي، في مهمّة الخطابة في

وتعليق على ديوان الشيخ عبد الحسين شكر، وأخرجه للطبع أيضاً.
وتعليق على ديوان أبي المحاسن الكربلائيّ، وزير معارف العراق السابق، المتوفّى سنة ١٣٤٤ هـ.
وتحقيقات على ديوان الشريف السيّد الرضي، يقع في مائة صحيفة.
وله ملاحظات على جملة من الكتب والدواوين.
إجازاته: أجازه أن يروي عنه الشيخ أقا بزرك الطهرانيّ، والشيخ محمّد حسين آل كاشف الغطاء، والسيّد عبد الحسين شرف الدين العامليّ، والسيّد صدر الدين العامليّ القميّ، والسيّد هبة الدين الشهرستانيّ، والسيّد حسين القزوينيّ الحائريّ حفيد صاحب الضوابط».
وعلّق الشيخ محمّد حسين حرز الدين أيضاً على كلام جدّه المتعلّق بقصيدة الشيخ اليعقوبيّ، التي نظمها عن لسان حال الفلاحين، فقال:
«نظمها عن لسان الفلاحين في الحيرة، يستصرخون بها نواب العراق، حينما خطّط المهندس (باروخ) اليهوديّ جادة على ضفة نهر الفرات، مانعة من الفيضان بين الحيرة وقضاء أبي صخير، وجعلت الحكومة نفقاتها البالغة على أرباب البساتين.
ويومئذٍ كان جلّهم من أهل النجف، وفي طليعتهم السيّد محمّد رضا الصافيّ، والوالد الشيخ عليّ حرز الدين، والشيخ عبد اللطيف الجزائريّ، والشيخ محمّد رضا قفطان.
فقام أصحاب السماحة بالدفاع عن الفلاحين، ومن جملة الخطوات التي قاموا بها: نشر المقطوعة في الصحيفة العراقيّة، وعلى هذا الأثر أُغلقت الصحيفة، وأرادوا اعتقال القائمين بالأمر.
ثمّ أرسلت حكومة بغداد وزيرها إلى الحيرة؛ للإشراف على ظلامة الفلاحين، وكتب الوزير ملاحظاته، ثمّ سقطت الوزارة قبل عودة الوزير إلى بغداد، والوزارة الجديدة سمعت ظلامتهم، وكان النصر بجانب أصحاب السماحة».
(١) الحيرة: مدينة تاريخيّة قديمة، تقع في جنوب وسط العراق.
قال الحمويّ في معجم البلدان ٢: ٣٢٨ : «الحِيرَةُ، بالكسر ثمّ السكون وراء: مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال له: النجف، زعموا أنّ بحر فارس كان يتّصل به.

المآتم الحسينيّة.

فلقيت الدعوة إقبالاً غير قليل؛ بالنظر لما كان يتمتّع به اليعقوبيّ من مواهب ومميّزات، وشعرَ الناس بعد وقت قصير، بما كانت تترك مجالس اليعقوبي من لذّة في نفوسهم.

ونجحت الفكرة، وأصاب السيّد صالح الحلّي شيء كثير من الفشل والانكسار. وبان أثر هذا الانكسار والفشل على السيّد صالح أكثر، حين لمس أنصار الحركة الإصلاحيّة ضعف السيّد صالح وانكساره، وبدا الجوّ يتغيّر، فلم يعد يتردّد اسم (الأمويّين) كثيراً، كما كان يتردّد من قبل.

وزرتُ دمشقَ مصطافاً لأوّل مرّة، وكان أوّل عمل عملته، أن قمتُ بزيارة السيّد محسن الأمين، وكان يسكن بيتاً إلى جوار «المدرسة المحسنيّة»، وجاء عنده ذكر الحركة الإصلاحيّة، فأفاض السيّد كثيراً في وصف العلل والأسباب التي تؤول إلى فشل تعميم الإصلاح، وما يسود الناس من فوضى. وقال:

إنّ الحركة الإصلاحيّة بحاجة إلى أيد فعّالة لإزالة الموانع والعراقيل؛ لكي تتمكّن من انتشال هؤلاء الجهلاء من جهالتهم.

وبالحيرة الخورنق يقرب منها ممّا يلي الشرق على نحو ميل، والسدير في وسط البريّة التي بينها وبين الشام، كانت مسكن ملوك العرب في الجاهليّة في زمن نصر ثمّ من لخم النعمان وآبائه».

والحيرة اليوم، هي ناحية تابعة لقضاء المناذرة «أبو صخير»، ويتبع لهذا القضاء أيضاً المشخاب والقادسيّة، وهذا القضاء يقع ضمن محافظة النجف الأشرف الآن.

وقد أعطى الدعاوة والعظة والإرشاد والجرأة أهميّة كبيرة، وقال: إنّنا يجب أن نعدّ للإصلاح خطباء ماهرين.

وحين جاء ذكر السيّد صالح الحلّي ـ وهو العدوّ الأوّل والأكبر لحركة السيّد محسن الإصلاحيّة ـ قال عنه السيّد محسن بهذا المضمون، الذي أكاد أورده بالنصّ:

«إنّ السيّد صالح الحلّي هو أحسن خطيب عرفته المنابر الحسينيّة، وأنا أودّ أن نعدّ الخطباء على غراره، إذا ما أردنا أن ننبّه الناس ونوقظهم، ونوجّههم توجيهاً صحيحاً».

ثمّ أضاف قائلاً: «أمّا موقفه ضدّ الحركة الإصلاحيّة وضدّي أنا بالذات، فله تفاسير خاصّة، لا يجوز أن تصدّني عن قول الحقيقة»[1].

ودعاني السيّد محسن في تلك الزيارة لحضور مجلس من مجالس المآتم الحسينيّة، تقام في تلك الليلة بدمشق، فقلت له:

«إنّني أشكو التخمة؛ لكثرة ما حضرتُ هذه المجالس، وما سمعتُ من أحاديثها».

قال: «ولكنّك ستسمع في هذا المجلس ما لم تكن قد سمعتَ، وسترى خطباء جُدداً أعددتهم لمثل هذا، وأنا أسعى لإعداد المزيد منهم».

ثمّ قال: «وإنّي أُلزمك بالحضور في هذه الليلة، فإياك أن تتخلّف»،

---

(١) ذكره السيّد محسن الأمين في رسالته «التنزيه» المطبوعة ضمن هذه المجموعة ٥: ٣٥ قائلاً: «ولا ننكر أن فيهم [الخطباء] الفضلاء الكاملين، الذين يفتخر بأمثالهم، وقليل ما هم، كالسيّد صالح الحلّي، خطيب الذاكرين، ومفخرة القارئين، وأمثاله».

ولكنّي خرجت ولم أعد.

وبعد يومين أو ثلاثة زرته في بيته المذكور، فلامني على عدم حضوري المجلس في تلك الليلة.

وأكثرتُ من زيارتي له مدّة إقامتي في دمشق، وقد علمتُ أنّه ينوي القيام بجولة في بعض الأقطار الإسلاميّة: كالعراق، وإيران؛ للوقوف على المصادر التاريخيّة النادرة، لكي يعوّل عليها في إخراج موسوعته الكبرى «أعيان الشيعة».

وجاءت الأخبار تُنبىء أنّ السيّد محسن قادم إلى العراق، فاختلف أنصاره في أمر هذا القدوم: فمنهم مَن رجّحه، ومنهم مَن لم يرجّحه؛ ذلك لأنّ الفتنة ـ فتنة (الأمويّين) و(العلويّين) ـ لم تكن قد خمدت بعد تماماً. وأنّ ردّ الفعل وإن كان قد بدأ أخفّ من السابق، ولكنّه لم يكن بحيث يُستهان به أو تتجاهل عواقبه.

وقد كتبَ البعضُ إلى السيّد محسن، ينصحه بتأجيل قدومه إلى وقت أنسب؛ وذلك خشية أن يلقى ما لا يليق به من الإعراض والتنديد والتحرّش، بصفته البطل الأوّل في تلك الدعوة، التي مسّت السواد في الصميم.

ولكنّ السيّد محسن كان جريئاً، وكان غير هيّاب، فتحرّك من دمشق.

ولستُ أدري كيف؟ كيف انقلب الوضع مرّة واحدة؟ وكيف دبّت في النفوس روح جديدة؟! فإذا بالجماهير كلّها تتحرّك، وتستعد لاستقباله، وجاءت إشارة السيّد أبي الحسن بوجوب التهيؤ لاستقبال السيّد محسن مُلهبة لشعور الناس، فإذا به يُستقبل استقبالاً، لم تشهد النجف نظيراً له في كلّ

المناسبات الماضية.

وإذا بالسُرادق[١] الكبير ـ وهو أكبر ما تملك النجف ـ يُقام خارج المدينة، فلم يبق عالم أو تاجر أو وجيه أو وضيع، دون أن يخرج إلى استقباله، على نحو من الجلال الذي لا يوصف.

وإذا بـ «كلّو الحبيب»، وهو من الزعماء، ومن وجوه الطبقة التي يسمّونها بـ «المشاهدة»، والمعروفة باستخدامها السلاح في حلّ مشاكلها.

إذا بـ «كلّو الحبيب»، الذي كان أكبر دعامة للسيّد صالح الحلّي، وأكبر خصوم السيّد محسن الأمين، إذا به يدنو من السيّد محسن، ويأخذ يده، وينهال عليها بالتقبيل مرّة بعد أُخرى، وهو يقول ويردّد هذا المضمون:

«لعن الله من غشّني، فصوّرك لي (أمويّاً)، فها هو ذا وجهك النورانيّ يشعُ بالإيمان، فاغفر لي سوء ظنّي، وأعف عنّي، فإنّما كان الذنب ذنب أُولئك المغرضين المارقين، الذين شوهوا الحقائق، وقالوا عنك ما قالوا».

وكان وجه السيّد محسن يشعُ بالإيمان حقّاً، وكان بهيّاً وفي غاية البهاء، فقد كانت له جاذبيّة، وسحر، يشعرك بنفس وادعة بعيدة عن التعقيد، لا غموض فيها ولا إبهام، فلا يكاد يراه الرائي إلّا وأحبّه.

ونزل في ضيافة السيّد أبي الحسن أوّل ما نزل، ثمّ انتقل إلى بيت الشيخ خليل مغنية، على ما أذكر.

وقد زرته هناك، وكان محلّه غاصّاً بطبقة كبيرة، ومن بينهم عدد ممّن

---

(١) السُرداق، ويُجمع «سُرادقات»: وهو خيمة كبيرة، يجتمع فيها الناس في مناسبة عامّة. يقال: أقام سُرداق عزاء، واجتمع المدعوّون في السُرداق.

كان قد تألّب عليه، أو كان يؤلّب الناس عليه إلى عهد قريب، ولكنّهم ما كادوا يرونه حتّى ذابوا أمامه، كما يذوب الثلج أمام شمس الصيف الساطعة.

وبالغ الحاضرون في استقبالي وجاملوني، وأنا أدخل مجلسه؛ ستراً لمواقفهم النابية، وخوفاً من أن أُشير ـ وأنا العارف بفعلتهم ـ إلى ما كانوا يبذلون من مجهودٍ ومساعٍ للنيل من السيّد محسن والحطّ من شأنه، وكان معظمهم من «العامليّين»، كما قد أشرت إلى ذلك.

وبُولغ في إكرام السيّد محسن والاحتفاء به، وكثرت الولائم والدعوات التي اُقيمت تكريماً له، وفرضت شخصيّته نفسَها على خصومه فرضاً، فبالغوا هم الآخرون في تكريمه وتبجيله، ولم يخرج من النجف حتّى سقط اسم «العلويّين» و«الأمويّين» نهائيّاً من سجل الاستعمال»[1].

الرابعة:

قال في ترجمة الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء:

«وعُرف الشيخ محمّد الحسين عن طريق التجديد في الاجتهاد والفتاوى، وعن طريق الأدب الذي كان قد مكّنه من الشعر والنثر تمكيناً قوياً، وجعله فذاً من الأفذاذ.

ولكنّه كبشرٍ، لم يستطع أن يتجرّد عن العاطفة التي كانت تتحكّم به أحياناً، فقد كانت بينه وبين السيّد أبي الحسن الأصفهانيّ الموسويّ، وكان السيّد أبو الحسن حينذاك، قد انفرد بزعامة الشيعة في مختلف جهاتهم، انفراداً

---

(١) هكذا عرفتهم ١: ٢٠٧ ـ ٢١٧ .

كاد أن يكون مطلقاً.

لقد كانت بينه وبين السيّد أبي الحسن حزازات، ليس هذا موضع شرحها، وقد حملته هذه العواطف ـ أي حملت الشيخ ـ على أن يتناسى ـ ولو لحين ـ فكرة التجديد، ومبدأ الاجتهاد الذي يجب أن يتمشّى فيه العقل والنصوص الدينيّة جنباً إلى جنب.

فمضى يناوىء تجاه السيّد أبي الحسن، الذي كان قد أيّد السيّد محسن الأمين في تحريم شجّ الرؤوس بالسيوف، وإدماء الصدور باللطم، والضرب عليها في يوم عاشوراء، إذ كان السيّد أبو الحسن قد اعتبر ضرب الظهور بالسلاسل، وشجّ الرؤوس بالسيوف، واللطم على الصدور، ودقّ الطبول والصنوج ـ ممّا كان يجري في أيام عاشوراء ـ بدعة من البدع التي يحاسب عليها الله.

ومع أنّ مثل هذا التحريم كان من مبادىء الشيخ محمّد الحسين، وكان ممّا يتّفق واتجاهاته الإصلاحيّة، ولكن العواطف كانت قد عملت عملها، فلم يؤيّد السيّد أبا الحسن في فتاواه.

وقوبلت فتاوى السيّد بحملة قويّة من الحملات الرجعيّة، التي غذاها خصوم السيّد أبي الحسن، واستغلّ السيّد صالح الحلّي سكوت الشيخ وعدم تأييد السيّد أبا الحسن، في حملاته المختلفة على السيّد أبي الحسن، تلك الحملات التي عملت عملها في وقتها.

ولكنّ السيّد ما لبث أن استظهر عليها، حتّى تلاشت مع الزمن، إلّا أنّه لم يستطع أن يلغي: التطبير، والتزمير، والتطبيل، ودقّ الصدور، الذي بدأ يتضاعف

يوماً بعد يوم حتّى يومنا هذا.

وكنتُ يوم ذاك إلى جانب السيّد أبي الحسن، بل إنّني لم أكن قد تعرّفتُ بالشيخ محمّد الحسين عن قرب بعد، وإن كنتُ أعرف أنّ أبي من أصدقائه، وقلّما كان يتخلّف عن زيارته.

أمّا هو فقد رأيته في بيتنا عدّة مرّات، وأكثرها كان على أثر زلة قدم أبي في الحمّام، التي كُسرت بسببها ساقه، فلازم الفراش قبل أن يجبر الكسر مدة طويلة، مكنتني أن أرى فيها الشيخ محمّد الحسين عن كثب، وهو يتفضّل بزيارتنا عدّة مرات.

ولا أكتم القارئ، لقد كنتُ أشعر بعدم الميل إليه يومذاك؛ بسبب موقفه من حركة السيّد أبي الحسن الإصلاحيّة، ولم أكن أدري أنّ الإنسان لا يستطيع أن يعرف نفسه بعض المعرفة، إلّا زمن طويل.

وحين أصدرتُ جريدة «الفجر الصادق»، تحاشيتُ على قدر الاستطاعة تأييده، وصرتُ أُهاجم السيّد صالح الحلّي، الخطيب الشهير، الذي شنَّ غاراته على السيّد أبي الحسن؛ مستنداً على تأييد الشيخ.

وكانت مهاجمتي للسيّد صالح حقّة، ولكنّها كانت قاسية، عبّرت عن طيش الشباب وحرارته وغروره لحدّ كبير.

والحقيقة أنّ مصاحبةَ السيّد صالح الحلّي للشيخ، واستناده عليه، قد ألحق بسمعة الشيخ محمّد الحسين بعضَ الضرر؛ ذلك لأنّ السيّد صالح قد اشتهر ـ حقّاً أم باطلاً ـ بكونه رجلاً زمنيّاً، يستجيب لعواطفه الآنيّة، دون الالتفات إلى المصالح العامّة، والدواعي العقليّة والفكريّة.

ثمّ هو بعد ذلك جريء في الحقّ والباطل، جريء في الجد والهزل، وقد يسلك في مزاحه مسالكَ وعرة ملتوية، ليس هذا محلّ شرحها.

ولقد صادف مرّة، أن مرّ السيّد صالح بحرمِ الإمام عليّ‏عليه السلام، والشيخ محمّد الحسين يصلّي بالناس في الرواق، ومن عادة الشيخ محمّد الحسين أن يجهر في الصلاة، ويتلو الآيات مفخّمة مضخّمة بعض التفخيم والتضخيم، وما كاد السيّد صالح يسمع الآية الكريمة ﴿**الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾ متلوةً على فم الشيخ، بذلك النحو من الأداء المفخّم المضخّم، حتّى قال يخاطب الشيخ مازحاً، وهو مار من امامه:

إنّك يا سيّدي كسمك أبي خريزه (السردين)، والله لو ظللتُ أنفخ فيك دهراً لما كبرتَ، ولما صرتَ حوتاً قبال السيّد أبي الحسن، فعلامَ هذا التفخيم والتضخيم ﴿**الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾ ؟!!

وحين اُتيح لي بعد ذلك أن اتّصل بالشيخ، وأن أكون مغموراً بألطافه، بحيث بلغ من دالّتي عليه، ومن اللطف الذي أفاضه عليّ، أن صرتُ لا أمتنع أن أمشي معه في صراحتي إلى أبعد حدّ ممكن إذا لم استطع أن أمشي إلى النهاية.

أقول: وحين اُتيح لي ذلك، لم أخف عنه ما كنتُ أشعر به في السابق، من عدم الميل إليه وأسباب ذلك، وقد ازددت حبّاً له بل كدتُ أعبده عبادة، حين رأيته يجيبني بهذه الآية ولا يزيد عليها ﴿**عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ**﴾ وكرّرها مرّتين. وهناك تجسّمت لي طهارة نفسه، وتجلّى لي صدق إيمانه وابتعاده عن التدجيل»[1].

---

(١) هكذا عرفتهم ١: ٣٣٢ ـ ٣٣٤.

وقال في موردٍ آخر من ترجمته للشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء:

«أردتُ ذات يوم أن أقوم بدعوة منظّمة لتهذيب خطباء المنابر الحسينيّة في «جريدة الهاتف»، فقد بلغت المهزلة حدّاً لا يُطاق، من جرّاء صعود عددٍ من أشباه الأُميّين المنابر الحسينيّة، والإتيان بأحاديث ملفّقة مكذوبة على الله ورسوله وأوليائه.

وجئتُ إلى الشيخ مُستفتياً عن رأيه في هؤلاء، الذين يرقون المنابر على هذه الكيفيّة، والذين كثيراً ما يسمعهم الشيخ بنفسه. فرأيته يكاد يتفجر غيظاً، وقد صبّ جامّ غضبه عليهم، وعلى الذين يستقرؤونهم في بيوتهم، وهم يعلمون شأنهم، ويعرفون عجزهم.

فاستكتبته، فكتبَ لي رأيه فيهم، واعتبر الإصغاء إلى مثل هؤلاء الخطباء، وحضور مجالسهم، والاستماع إلى خطبهم، من الأُمور المحرّمة، التي لا يجيزها الشرع بوجهٍ من الوجوه. وقد حدّد في هذه الفتوى مؤهّلات الخطيب وواجبه تحديداً جيّداً، دون أن يهتمّ بالرأي العام، وما يمكن أن ينتهي إليه الأمر.

ولمّا كنتُ أعلم بخطورة المهمّة التي أقوم بها؛ نظراً لكثرة عدد هؤلاء الذين سيصبحون خصوماً للجريدة، اندفعتُ أُعدّ العدّة، وأبحث عن الكتّاب والمساعدين، الذين يمكن التعاون معهم في هذه الحملة، وتهيّأت لي أسباب الحملة عند بعض المفكّرين من الروحانيّين، وكانت جماعة «منتدى النشر» في طليعة المؤمنين بالفكرة، وكان الشيخ محمّد الشريعة أشدهم إيماناً، وأجرأهم في الصرخة.

وكانت جمعية «منتدى النشر» قد تهيّأت لذلك في فتح صفّ من صفوفها المدرسيّة لإعداد خطباء تتوفّر فيهم هذه الشروط، ولقد رجّحتُ أنا أن أستعين بعد ذلك في هذه الصرخة التي نويتُ أن أصرخ بها بخطباء المنابر المثقّفين ثقافة عالية، وممّن لن يكونوا مشمولين بفتوى تحريم صعودهم المنابر.

وكنتُ أحسب أنّ الخطيب الشهير الشيخ محمّد علي اليعقوبيّ سيكون في مقدّمة هؤلاء، الذين يمكن الاستعانة بهم في هذه الحملة، ولكن شيئاً من البرودة حينذاك كان مستحكماً بيني وبين اليعقوبيّ، حمله على أن يطلب مواجهة الشيخ محمّد الحسين، ويقنعه بأن يسحب منّي تلك الفتوى، التي لو كانت قد نُشرت لأضافت حسنة اُخرى إلى حسنات الشيخ محمّد الحسين الكبيرة والكثيرة العدد في ميدان الإصلاح الدينيّ والاجتماعيّ.

وقد لقى الشيخ محمّد عليّ اليعقوبيّ نفسه، من اُولئك الزعانف ـ المحسوبين على رجال المنابر، والذين دافع عنهم اليعقوبيّ ـ الأمرين فيما بعد، وقد جُوزي منهم بما جُوزي «سنمار»[1].

---

(١) من الأمثلة العربيّة الشهيرة، التي لازالت تُستعمل حتّى يومنا هذا، هو «جزاء سنمار»، فيقال: «جزاؤه جزاء سنمار». و«سنمار»: هو مهندس يقال: إنّه آراميّ نبطيّ من سكان العراق الأصليّين، ويُنسب له بناء قصر الخورنق الشهير، حيث إنّه عند انتهائه من بناء القصر، قال لصاحب القصر الملك النعمان: إنّ هناك آجرة ـ يعني مجرة أو طوبة ـ لو زالت لسقط القصر كلّه، وإنّه لا يعلم مكانها غيره. وإنّه يستطيع بناء قصر أفضل من الخورنق، فما كان من صاحب القصر إلّا أن ألقاه من أعلى القصر، كي لا يخبر أحداً عن تلك الآجرة، ويُعتقد أن هذا السبب في ضرب المثل. «موقع ويكيبيديا».

ويستطيع المرء أن يُعلّل موافقة الإمام كاشف الغطاء بسحب الفتوى منّي، بمختلف التعليلات والأسباب، ما عدا الخوف من الرأي العام؛ ذلك لأنّ الإمام في سنيّه الأخيرة قد برهن على أنّه لا يهاب سلطة، ولا يخشى مجتمعاً، ولا يهتم بتهديد.

والشيخ كاشف الغطاء أوّل داعٍ للإصلاح الدينيّ، والإصلاح الاجتماعيّ، وأوّل مجتهد أتقن أداء مهمّة الاجتهاد ضمن حدود الإمكان، لذلك كان من الغريب أن يعدل عن رأيه، ويسحب الفتوى منّي.

ومَشت جمعيّة المنتدى في أمر إصلاح خطباء المنابر، وفَتحت صفّاً خاصّاً للخطباء، وكانت للشيخ محمّد الشريعة وقفته التي لا تُنسى، وأحدثت هذه الوقفة، ضجّة كبيرة في وسط النجف، لم يعبأ بها الشيخ محمّد الشريعة ولم يلن، ولم يتضعضع.

وتبلورت الضجّة والنقمة على جمعيّة المنتدى، حتّى صارت ثورة، فلم يزد الشيخ محمّد الشريعة ذلك إلّا ثباتاً، واستهزأ بالتهديد الذي لقيه.

ولم يكن الشيخ محمّد رضا المظفّر ـ عميد المنتدى ـ حاضراً في النجف يومها، فأصاب أعضاء المنتدى أمام تلك الثورة شيء من الخور، فقرّروا إيقاف حركتهم الإصلاحيّة بالإجماع، ولم يُعارض هذا القرار إلّا الشيخ محمّد الشريعة.

ولو كان المشروع قد نجح، لكنّا قد حصلنا على عدد أكبر من نظراء الخطيب الشيخ أحمد الوائليّ، والخطيب السيّد جواد شبر، وغيرهما ممّن أنجبتهم جمعيّة منتدى النشر.

أقـول: إنّ الشـيخ محمّـد الحسـين، كـان أوّل داعٍ للإصـلاح الـدينيّ والإصلاح الاجتماعيّ، وكان يتمتّع بسليقة قلّ أن تمتّع بها زعيم روحانيّ في استنباط الأحكام.

فلقد لامني حين سمعني أخطب في حفلة تأبين السيّد أبي الحسن الأصفهانيّ، حين قلت: «إنّ السيّد أبا الحسن كان أوّل مجتهد حكم بطلاق امرأة مُعدمة من زوج، كان قد حكم عليه بالسجن خمس سنوات».

فقال لي الشيخ محمّد الحسين: «بل أنا الذي كنتُ أوّل مَن حكم بطلاق امرأة من زوج مسلول، وكان ذلك قبل حكم السيّد أبي الحسن بسنوات».

فيكون الشيخ ـ بناءً على ذلك ـ أوّل من أخذ الحقّ ـ حقّ الطلاق، المفروض أن يكون بيد مَن أخذ بالساق ـ من الرجل، وطلّق الزوجة دون أخذ موافقة الزوج، فسألته عن المسوّغ؟ عن المسوّغ الشرعيّ ـ لا المدني طبعاً ـ الذي يُبيح له إصدار مثل هذا الحكم، بينما لم يسبق لأحد من الأئمّة، فضلاً عن العلماء، من استطاع أن يفتي بمثل هذا، أو ما يشبهه؟

فأجابني بكلّ ثقة وصرامة قائلاً: «إنّ المجتهد مشرّع يا عمّي».

ومن هذا يُستبان، أنّ الشيخ كان يعطي الاجتهاد حقّاً، لم يُعطه أحدٌ قبله من الفقهاء»[1].

الخامسة:

قال في ترجمة الشيخ محمّد جواد الجزائريّ:

«وحتّى قامت قيامة السيّد صالح الحلّي، في وجه المصلح السيّد محسن

---

(١) هكذا عرفتهم ١: ٢٤٤ ـ ٢٤٦.

الأمين، الداعي إلى حرمة التطبير، وما كان يجري في شهر محرّم من كلّ سنة، باسم عزاء الحسين من: ضرب السلاسل، ودقّ الطبول والصنوج. فكـان الشـيخ عبد الكريم الجزائريّ في مقدّمة مؤيّدي السـيّد محسـن الأمـين، بعـد المرجع الروحانيّ الكبير السيّد أبي الحسن الأصفهانيّ.

ولكن الأكثريّة المطلقة من العلماء والناس، وفي طليعـتهم السـيّد صـالح الحلّي، الخطيب المعروف بلباقته وقدرته على تسيير دفّـة الدعايـة، كـانوا ضـدّ حركة الإصلاح، التي نـادى بهـا السـيّد محسـن الأمـين، فلـم يكـن فـي ميـدان الدعوة الإصلاحيّة إلّا فئة قليلة من بعض العلماء، وفئة من الشباب، لا حول لها ولا قوّة، إلّا في ما كانـت تكتبـه مـن المقـالات، وتنشـره فـي بعـض الصـحف العراقيّة واللبنانيّة، وفي وسائل قام بتأليفها ونشرها الشيخ محمّـد الكنجـي، ممّـا كانت تعدّ أكبر أثر نسبيّ في القضيّة.

وكان لابدّ لهذه الأقليّة المؤيّدة لفكرة الإصلاح الـدينيّ أن تتكتّـل، وأن يتعرّف بعضها بعض، فكان الشيخ محمّـد جـواد الجزائـريّ، هـو المحـور لهـذا التكتّل.

ولمّا كنتُ واحداً من الشباب المتحمّسين لفكـرة الإصـلاح، التـي نـادى بها السيّد محسن الأمين، فقد ألفيتنـي فـي زمـرة آل الجزائـريّ، وتحـت شـعاع الشيخ محمّد جواد، الذي كان يساكن أخاه الكبير الشيخ عبد الكريم في بيتـه، ويشاركه في مجلسه.

وبدأتُ أتردّد على بيت الجزائريّ، وأحضر مجلسه منذ ذلك اليوم، تردّد الغريب المتهيّب، على رغم أنّي كنتُ أعلم أنّ أبي قلّما فـارق مجلسـه، وأنّنـي

كثيراً ما التقيته عنده.

ثمّ صار تردّدي على الجزائري تـردّد الجار القريـب، ولـم يطـل الـزمن حتّى صار تردّدي عليه تردّد الصديق الحميم، وعلى الأخصّ حين أصـدرتُ جريدة «الفجر الصـادق»، وحـين وضـعتُ نصب عينـيّ محاربـة السـيّد صـالح الحلّي، وحين تبنّيتُ الدعاية للدعوة الإصلاحيّة على أوسع وجوههـا، وعلـى قدر ما كانت تصل إليه يدي طبعاً»[1].

السادسة:

قال في ترجمة الشيخ محمّد عليّ اليعقوبيّ:

«تعود بي الذكرى إلـى سـنة ١٩٢٩، يـوم كنـتُ أصـدر جريـدة «الفجـر الصادق» فـي النجـف الأشـرف، ويـوم بلغـت الخصـومة بينـي وبـين الخطيـب المرحوم السيّد صالح الحلّي أشدّها، فانعكست في هجـوم عنيـف علـى لسـانه، وألسنة الخطباء الآخرين من تلامذته ومؤيّديه فوق أعواد المنابر، وفـي هجـوم عنيف من قلمي فوق صفحات جريدة «الفجر الصادق».

وكانت هذه الخصومة من ذيول المعركة، التي كان سببها تحريم السـيّد محسن الأمين الضرب بالسـيوف والسلاسـل فـي أيـام عاشـوراء، والـذي أيّـده المرجع الروحـانيّ الكبيـر السـيّد أبـو الحسـن الأصـفهانيّ، فانشـق النـاس إلـى حزبين:

حزب مشى وراء دعوة الأمين في تحريم هذه المراسـيم، فسـمّى هـؤلاء بـ«الأمويّين»؛ نكايةً بهم.

---

(١) هكذا عرفتهم.

وحزب شجب هذه الدعوة، وكفّر معتنقيها، ودعا بالويل والثبور، فسمّوا بـ «الحسينيّين»؛ تمجيداً لهم.

وكان يقود هذه الحركة الخطيب السيّد صالح الحلّي، صادعاً بأوامر كان يتلقّاها من مراجع دينيّة أُخرى، هي والسيّد أبو الحسن على خلاف كبير بسبب المرجعيّة، وكنت أنا من «الأمويّين».

وعلى أنّ العاصفة كانت قد هدأت بانتصار جماعة «الحسينيّين»، ولكن بقايا لها دفعت بي إلى ملاحقة السيّد صالح الحلّي، وتعقيبه، وتأليب القرّاء عليه، في ما كنتُ أنشره في جريدتي «الفجر الصادق».

واشتدّ هو في غلوائه، وأخذ منه الغرور ـ وهو الخطيب البارع، العارف بكيفيّة استهواء الجماهير وجلبهم ـ حتّى تناول الأُصول والاجتهاد بالنقد والتعريض، الأمر الذي كبر على السيّد أبي الحسن، وعدّه خروجاً على نواميس المذهب، فحرّم استماع محاضرات السيّد صالح، والجلوس تحت منبره.

ولكن مثل هذا لم يكن كافياً لمنع الناس عن حضور مجلسه، خصوصاً وأنّ مراجع أُخرى كانت تؤيّده. ثم إنّ السيّد صالح خطيب فذّ، وعلى جانب كبير من اللياقة واللباقة ومعرفة مواضع الكلم، وكان لمن يريد أن يُخرجه من الميدان أن يأتي بمن يسدّ هذا الفراغ، ثمّ يدعمه بالفتوى.

والتفت الملتفون إلى جميع الجهات، فلم يجدوا شخصاً تتوفّر فيه هذه المزايا، غير الشيخ محمّد عليّ اليعقوبيّ، الذي أُختبر بعض الاختبار من تردّده على النجف والقراءة فيها بعض الأحيان، وعرف البعض ملكاته.

وكان الشيخ محمّد عليّ اليعقوبيّ يُقيم يومذاك في الحيرة «الجعارة سابقاً»، وأهل الجعارة معروفون بحسن اختيارهم للخطباء، وتمسّكهم بهم.

وكان الشيخ محمّد عليّ قسّام ـ خطيب الثورة العراقيّة ـ من خطباء الجعارة، ومن ساكنيها قبل اليعقوبيّ، ولم ينتقل منها إلّا بشقّ الأنفس، كما يقولون. لذلك لم يكن انتقال الشيخ محمّد عليّ اليعقوبيّ من الجعارة إلى النجف سهلاً، على رغم أنّه لم يكسب بعد الشهرة التي كسبها الشيخ القسّام والسيّد الحلّي.

فتظافرت الجهود، مدعومة برغبة من المرجع الروحانيّ السيّد أبي الحسن، لتحمل اليعقوبيّ على أن يجمع بين مجالس النجف ومجالس الجعارة، وأن يُعطي النجف أكبر حصّة من المجالس.

وكانت جريدة «الفجر الصادق» من أشدّ الداعين إلى اليعقوبيّ، ومروّجي اسمه، والتعريف به، ومن هنا بدأت معرفة النجف ومعرفتي أنا باليعقوبيّ بصورة واسعة.

ولم يمرّ بعض زمن، حتّى اضطرّ اليعقوبيّ ـ بداعي كثرة مجالس النجف والكوفة، التي شعرت بخطورته الأدبيّة والتاريخيّة ـ إلى الانتقال من الحيرة إلى النجف، وبدأ نجم السيّد صالح الحلّي بالأُفول، كما بدأ نجل اليعقوبيّ بالصعود، وهو يتلالأ ويشعّ أكثر يوماً بعد يوم. على الرغم ممّا كان يوجّهه السيّد صالح إليه من نقد وتنديد، يفرغه في صراحة مرّة، وفي كناية مرّة أُخرى.

فقد كان السيّد صالح سليط اللسان، جريئاً، يخشاه أجرأ العلماء. وكان

اليعقوبيّ مسالماً، عفّ اللسان، بعيداً عن اللمز والغمز. لذلك لم تبد منه ولا كلمة شائنة في حقّ السيّد صالح، وإنّما كان يستظهر على السيّد صالح في ما كان يبهر به حضّار مجلسه، من اطّلاع واسع، ووقوف تامّ على التاريخ الإسلاميّ، وتاريخ الأدب.

فقد كان اليعقوبيّ موهوباً، وكانت له ملكات طبيعيّة ممتازة، تضافرت على رعايتها وصقلها وإخراجها إلى حيّز الوجود، تنشئته التي تولّاها أبوه الشيخ يعقوب، الذي كان هو الآخر من خطباء الحلّة الموهوبين البارعين، ودعمه هذا الغرام العارم بمطالعة الكتب والدواوين، حتّى كوّن منه شخصيّة فذّة.

وقد وصفه الأُستاذ توفيق الفكيكيّ في جريدة «الهاتف» مرّة فقال عنه: «هو ربعة، لم يكن بالخيط الباطل، ولا بالقصير البائن».

وتكاد قامة هذا الشاعر توازي قامة صديقه الفكيكيّ الناثر، وقد أخذتُ أنا في وقته على الفكيكيّ هذا الوصف، الذي ينطبق على اليعقوبيّ، ولا ينطبق على الفكيكيّ.

«أمّا عيناه ـ يقول الفكيكيّ ـ فيبديان الشكوى والظلامة من السهر الطويل على صيد الشوارد، وقيد الأوابد، إلّا أنّهما يشعّان إشعاع كيوان أو سهيل في ليل الشتاء البهيم، أو كبصيص الأمل للمأمل.

وهذا الشيخ الأديب البارع، والشاعر المبدع المخترع، والمؤرّخ الضليع المتتبع، والخطيب المصقع، الذي يتصرّف بالعقول والقلوب من فوق منبره، مملوّ الإهاب بالفتوّة، ذكي الفؤاد، مرهف الحسّ، قويّ الذهن، سريع الخاطر،

حاضر البديهة، ذو شاعريّة فيّاضة دفاقة. وما فيه عيب إلّا أنّه حلو المذاق، وريحانة الندماء، وإذا جازت الاستعانة بكلام البلغاء أقول فيه كما قال الثعالبي النيسابوري:

يجمع بين الإسراع والإبداع، قريحة غير قريحة، وطبع غير طبع، وخيم غير وخيم، ولبيد عنده بليد، والفرزدق عنده أقلّ من فرزدقة خمير، وجرير يقاد إليه بجرير».

هذا ما قاله الفكيكيّ عنه في جريدة «الهاتف».

وأوّل مجلس ضمنيّ وإياه، أو أوّل مجلس لمس فيه المستمعون قدرة اليعقوبيّ وملكاته، كان هو المجلس الذي عُقد في بيت السيّد أبي الحسن، والذي أمّه النجفيّون؛ ليروا المنافس الجديد، الذي وضعوا الثقة فيه ليحتلّ مكان السيّد صالح الحلّي، ثمّ ليستمع المستمعون ماذا سيقول هذا عن السيّد صالح، وبماذا يستطيع أن يتغلّب عليه.

وحدثت المعجزة في هذه التجربة، وهذا الامتحان، فقد رقى اليعقوبيّ المنبرَ، ولم يذكر السيّد صالح الحلّي بشيء، ولم يتعرّض به صراحة ولا كناية. وكلّ ما فعل هو أن تناول موضوع الاجتهاد والأُصول عند الأُصوليين، اللذين تناولهما السيّد صالح بالتعريض من بعض الجهات، فوفّاهما اليعقوبيّ حقهما، كما لو كان مجتهداً بارعاً، درس الاجتهاد ومراحله ودرجاته. وهو الموضوع الذي كان قد تطرّق إلى جانب منه السيّد صالح غير مرّة، بشكل اعتبره السيّد أبو الحسن خارجاً على اُصول المذهب.

وأبدع اليعقوبيّ في ذلك اليوم، بما أورد من شواهد وأمثال على

محاضرته، ورصّع المحاضرة بالشعر والنصوص الأدبيّة، ثمّ ربط ببراعة من حسن التخلّص بين موضوعه وبين ذكر شهادة الحسين عليه السلام، ونزل من المنبر وقد خلب ألباب الحاضرين وسحرهم.

وحانت الفرصة لتعرّفي به هناك، فكان هذا أوّل يوم اتّصالي به عن كثب، وقد أحسّ الجميع بسرور السيّد أبي الحسن في ذلك اليوم، إذ عثر على الشخص الذي يستطيع أن ينسي الناس ذكر السيّد صالح في زمن قصير.

وعلى الرغم من أنّ اليعقوبيّ كان محسوباً على السيّد أبي الحسن، ويعتبر من مقلّديه، فقد كانت صلاته بالجميع ـ حتّى بخصوم السيّد أبي الحسن ـ جيّدة، وكانوا يحبونه ويحترمونه، منذ أن انتقل إلى النجف وقبل أن ينتقل، فقد كان تردّده على النجف كثيراً.

وكانت له في رثاء الشيخ أحمد كاشف الغطاء ـ وقد كان المرجع الروحانيّ المنافس للسيّد أبي الحسن، والذي كان يدعم السيّد صالح الحلّي ـ قصيدة عامرة، يعزّي بها أخاه الإمام الشيخ محمّد الحسين، الذي يعتبر أوّل مَن أجاز اليعقوبيّ إجازة أشبه ما تكون بإجازة الاجتهاد على ما أعرف.

وكان لم يزل للسيّد صالح محبّون ومخلصون، فجاؤوا السيّد أبا الحسن، وعلى رأسهم السيّد محمّد عليّ القزوينيّ من الحلّة، والحاج عطية أبو كلل من النجف، وجمع من وجوه كربلاء، يرجون منه أن يشمل السيّد صالح بعفوه، ويسحب فتوى تكفير سماع قرائته. فطلب السيّد أبو الحسن من السيّد صالح أن يصعد المنبر، ويعترف بخطئه، ويتوب إلى الله ممّا قال.

وفي الليلة المعيّنة صعد السيّد صالح الحلّي المنبر في الصحن الشريف،

وكنتُ أنا من شهود هذا المجلس، وقد ضاق الصحن في تلك الليلة بالجموع المحتشدة؛ ليروا كيف سيتوب السيّد صالح.

ولكن السيّد صالح ما كاد يرقى المنبر، ويرى بعينيه هذا المجتمع الزاخر، حتّى تيقّظ في نفسه غرورها، وبدا له أنّه قد تسرّع في إجابة الطلب. ألم يخضع له فيما مضى كبار الزعماء، ويخشاه حتّى رجال الحكم في العهد العثماني، ويطلب رضاه الناس؟

فما حدا ممّا بدا؛ لينزل على رأي السيّد أبي الحسن، وهو لم يزل ذلك الفارس، الذي لا يحاربه في الميدان فارس؟

أمّا اليعقوبيّ، فهو لا يصلح أن يكون تلميذاً من تلاميذه على ما كان يرى.

لذلك حمدَ الله، وصلّى على نبيّه، وقال: إنّه لم يقل شيئاً يستوجب فيه سخط الله وعدم رضاه؛ لكي يتوب عليه، ومع ذلك فإذا كان في ما قال ما يسمّى ذنباً عند البعض، ويطلب منّي ان أستغفر الله عليه، فأنا استغفره وأتوب إليه؛ لمجرّد طلبهم ليس غير.

ونزل من المنبر، وللمجلس دويّ هائل، وانتشر بين الناس خبر عدول السيّد عن التوبة، وأنّه لم يتب ولم يستغفر، وإنّما أيّد آراءه السابقة ودافع عنها، فكان ذلك سبباً آخر للتعجيل بانهيار مجد السيّد صالح والاطاحة به.

وما لبث اليعقوبيّ حتّى عرف فضله من لم يعرفه بعد، وبدأ يحتلّ مجالس السيّد صالح الحلّي في أغلب ألوية العراق، وكانت برقيّات الطلب تتقاطر عليه من جميع الجهات، فلا يدري أيّها يجيب، ولأيّها يعتذر، حتّى قلّ

أتباع السيّد صالح الحلّي ومحبوه، ولربّما ضاقت به الواسعة في أيامه الأخيرة، إذ انفض الناس من حوله تقريباً»[١].

وقال في مورد آخر من ترجمة الشيخ محمّد عليّ اليعقوبيّ:

«وجاءت قضيّة قيام جريدة «الهاتف» بالدعوة إلى إصلاح الخطباء الذين يصعدون المنابر، وكان أغلبهم غير جدير بارتقاء هذه المنابر، من حيث القابليّة والملكات والدراسة، بل إنّ أغلبهم لم يكن يَعرف حتّى النحو والصرف والمقدّمات اللازمة.

فلقيت هذه الدعوة من «جمعيّة منتدى النشر» صدىً حسناً، بل وفعّالية محسوسة قام بها الشيخ محمّد رضا المظفّر والشيخ محمّد الشريعة، وكان من أنشط العاملين في حلبة الإصلاح والدعوة إلى تأييد فكرة المنتدى الخطيب السيّد جواد شبّر، وقد فتحت «جمعيّة المنتدى» صفّاً خاصّاً لتعليم الخطباء فنّ الخطابة، وتهذيب الأخبار التي يروونها، وإعدادهم إعداداً يتّفق وروح هذا العصر، وكان السيّد جواد شبّر من أبرز المنتسبين إلى هذا الصفّ، وبسبب ذلك انصبّت عليه وعلى زملائه الطلّاب النقمة.

كما انصبّت على الشيخ محمّد الشريعة بصورة خاصّة، بسبب غياب الشيخ محمّد رضا المظفّر، وبسبب تبنّيه الفكرة يومذاك، وأخذه الأمر على عاتقه، وهو رجل جريء وفعّال، إضافة إلى علمه الغزير، وعقليته الواسعة.

وكنتُ قد حصلت من الإمام الشيخ محمّد الحسين كاشف الغطاء، فتوى بوجوب القيام بمثل هذا العمل، وتأييد حركة التنسيق والتشذيب

---

(١) هكذا عرفتهم ٢: ١٤٥ ـ ١٤٩.

والتهذيب.

فقامت هنالك قيامة المعارضة، وتزعّمها اليعقوبيّ؛ بداعي مقتضيّات التنافس لجمعية المنتدى، وليس بداعي العقيدة، فاليعقوبيّ كان أعرف من غيره بوجوب إصلاح هؤلاء الخطباء، ولكنّه انجرف بتيّار المنافسة، في شيء غير قليل من الحماس، وسعى لدى الإمام كاشف الغطاء، وحمله على سحب الفتوى منّي قبل نشرها في الهاتف.

ومن هنا زاد سوء التفاهم بيننا رسوخاً، وفقدت الوجوه عند الالتقاء طابع الانشراح والبهجة، حتّى محا مرور الأيام آخر أثرٍ في النفوس، وعادت الطبيعة الأدبيّة الصافية إلى صفائها مرّة أُخرى، حين وقف اليعقوبيّ كشاهد في المحكمة، في دعوى أُقيمت على جريدتي «جريدة الهاتف»، وقد كان سوء التفاهم في أوجه يومذاك.

أقول: لقد زال بعد ذلك من النفوس كلّ شيء، حين وقف اليعقوبيّ من شهادته في المحكمة موقفاً لا يفسّر بأكثر من (بين بين)»[1].

السابعة:

قال في ترجمة السيّد هبة الدين الشهرستانيّ:

«أقول: وحين أصدرتُ جريدة «الفجر الصادق»، بدأت تصلني عن طريق الصديق الشيخ كاظم الخطّاط، اقتراحات ورغبات للسيّد هبة الدين، لنشرها في الجريدة، وكان من أهمّها الحثّ على شدّ أزر الحركة الإصلاحيّة الدينيّة.

---

(١) هكذا عرفتهم ٢: ١٥٩ ـ ١٦٠.

وكان السيّد محسن الأمين العامليّ، قد شجب حركة التطبير وشجّ الرؤوس بالسيوف، والضرب بالسلاسل على الظهور، والطبول والمزامير، في أيام عاشوراء، باسم الحزن على الحسين.

وقد أيّد هذا الشجب المرجع الدينيّ الأكبر السيّد أبو الحسن، واعتبر تلك الأعمال من المحرّمات. فكان السيّد مهدي[١] في البصرة، والسيّد هبة الدين الشهرستانيّ في كربلاء والكاظمين[٢]، من أشدّ أنصار الدعوة إلى تحريم هذه الأعمال.

ولما كان الخطيب السيّد صالح الحلّي، هو الذي تولّى الدعاية المضادّة لحركة الإصلاح، فقد اتّجهت الأفكار كلّها إلى مناهضة السيّد صالح ومكافحته، فكنتُ أتلقّى من السيّد هبة الدين، دعوة إلى استنفاد آخر القوى في إزالة السيّد صالح كعقبة كأداء في الطريق.

وعلى أنّ السيّد هبة الدين لم يكن هو الذي شجّعني في تأييد المرجع الكبير السيّد أبي الحسن، ذلك التأييد الذي هدّم كيان السيّد صالح، فإنّه كان من دواعي التشجيع في استمراري في مهاجمة الخطيب الحلّي، كما كان غيره من دواعي هذا التشجيع.

ثمّ بدأتُ أتلقّى منه مباشرةً اقتراحات وتوصيات وكلمات مغفلة عن

---

(١) السيّد محمّد مهدي الموسويّ القزوينيّ البصريّ (ت ١٣٥٨ هـ)، تقدّمت له في هذه المجموعة ٢: ١٥٣ و ١٦١، مقالة في جريدة الأوقات العراقيّة، ورسالة «صولة الحقّ على جولة الباطل».

(٢) تقدّم له في المجلّد التاسع من هذه المجموعة «الشعائر الحسينيّة، رسائل ومقالات، عربيّة وفارسيّة».

التوقيع، فكنتُ أنجز ما أنجز منها، وأقوم بما يمكن القيام به، وكلّها تحوم حول الإصلاح والمصلحة.

وهكذا كان معي وأنا أصدر جريدة «الراعي»، ثمّ جريدة «الهاتف» دون أن أراه»[1].

الثامنة:

قال في ترجمة السيّد حسين الحسينيّ البعلبكيّ:

«في أواخر سنيّ العشرينات، شبّت نارُ الفتنة، وانقسمت طائفة الشيعة إلى قسمين، حول شجّ الرؤوس بالسيوف:

فمنهم من كان يحرّمها، ويحرّم معها الضرب بالسلاسل على الظهور، والضرب على الطبول والصنوج، في أيام المحرّم؛ حزناً على أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

ومنهم من كان يُبيح للعوام مثل هذا العمل، ولا يرى فيه بأساً.

وقد تبنّى فكرة الصرخة بالتحريم، المجتهد المصلح السيّد محسن الأمين العامليّ، وهو في الشام.

أمّا الذين ناوؤه، أو الذي تحدّاه، بسبب الخصومة الشخصيّة، فقد كان في طليعتهم المجتهد الشهير السيّد عبد الحسين شرف الدين بصور، والمجتهد الشيخ عبد الحسين صادق بالنبطيّة.

والحقيقة أنّ السيّد العامليّ لم يكن أوّل من حرّم الضرب بالسيوف، أو حلّل ذلك، وإنّما سبقه علماء قبله ومراجع دينيّة كبيرة، وكان المرجع الدينيّ

---

(١) هكذا عرفتهم ٢: ٢٠٨ ـ ٢٠٩.

الكبير السيّد أبو الحسن الأصفهانيّ في مقدّمة أُولئك المحرّمين، حتّى أورد الجواب على السائل الذي سأله في رسالته الفارسيّة، عمّا يقول في ضرب الرؤوس بالسيوف، في محرّم الحرام حزناً على الحسين.

لقد أجاب بأنّ الضرب بالسيوف والسلاسل، ودقّ الطبول والصنوج، وما جرت العادة عليه في محرّم الحرام باسم الحزن على الحسين عليه السلام محرّم كليّاً وغير شرعيّ.

ولكن هذا التحريم من لدن السيّد أبي الحسن، ومن لدن غيره في السنين السابقة، لم يثر الناس، ولم يحدث صدى في النفوس، كما حدث يوم دعا السيّد محسن الأمين إلى تحريمه، ليمنع القائمين به في الشام وفي النبطيّة من عوام الشيعة.

والتفّ حول كلّ واحد من السيّد محسن الذي حرّم، وحول السيّد عبد الحسين شرف الدين والشيخ عبد الحسين صادق اللذين حلّلا، جماعات، بل جماهير من الناس.

واتصل صدى المعارك الكلاميّة والدعوات بالعراق، وهاجت النجف وماجت، وهاجت معها المدن الشيعيّة وماجت، وتناولت الصحف هذه الاختلافات، وكُتبت فيها كتب يؤيّد بعضها دعوة التحريم، ويفنّد بعضها هذه الدعوة.

وانقسم كبار العلماء ـ بداعي الأغراض الشخصيّة والأحقاد[١] ـ إلى قسمين، وبدأ خطباء المنابر ـ من جانب أهل التحليل ـ يثيرون الجماهير في

(١) هذا تعبير عجيب من المؤلّف.

وجوه أهل التحريم.

ولمّا كانت الأكثريّة المطلقة هي من العوام، فقد رجحت كفّتهم على كفّة الداعين بالتحريم، حتّى ضيّقوا الخناق عليهم، وحتّى صار يتخفّى الذين لم يجارهم في آرائهم.

وقد نعتَ الذين يسوّغون شجّ الرؤوس بالسيوف أنفسهم بـ «العلويّين»، ووصفوا معارضيهم، الذين كانوا ينادون بتحريم الضرب بالسيوف وما شاكل بـ «الأمويّين». ولم يبق في الميدان من هؤلاء الذين يعارضون السواد إلّا القليل من الجريئين، وقد تعرّض غير واحد منهم للتنكيل والبطش، ممّا مرّ بعض وصفه وأحواله في الجزء الأوّل والجزء الثاني من «هكذا عرفتهم».

وكان هؤلاء المعارضون للعوام يعرف بعضهم بعضاً، فكثيراً ما تضمّهم حلقات الدرس في النجف، أو مجلس من مجالس البيوت، فيتكاشفون ويتسارّون، ويتناقلون الأخبار التي تصل إليهم من مختلف الجهات، فيعرفون مَن لهم، ومَن عليهم، وما مكانة كلّ واحد من هذه الفتنة.

وكان من أبرز دعاة التحريم ـ بعد طبقة العلماء الكبرى ـ من النجفيّين الشيخ محمّد الگنجي(١)، الذي سخّر قلمه ولسانه، وكلّ نشاطه، في شجب الضرب بالسيوف، وقد شجّعت جرأته الكثيرين على الالتفاف حوله.

أمّا البارزون من غير النجفيّين، فقد كان الشيخ محسن شرارة، وكان من العناصر المليئة بالإيمان وحرارة الدعوة في تحريم هذه التقاليد، وهو رجل لم ينل بعد يومذاك درجة الاجتهاد، فالتفت حوله من أهل بلده من العامليّين

(١) تقدّمت له في هذه المجموعة ٦: ٢٢٩، رسالة «كشف التمويه عن رسالة التنزيه».

جماعة، فيهم الجريء العامل والموالي المؤيّد بالعقيدة.

وكان من بين أُولئك سيّد علويّ، قصير القامة، بشوش الوجه، لا تكاد تفارق الابتسامة ثغره، وكان يُدعى بالسيّد حسين البعلبكيّ.

ولمّا كنتُ يومذاك من «الأمويّين»، وكانت لي بهذه الجماعات صلات صداقة، كان لابدّ لي أن أعرف الكثير من هؤلاء، فعرفتُ السيّد حسين، وزادت معرفتي به حين علمتُ بأنّه صهر لأُخت السيّد محسن الأمين، صاحب الدعوة الإصلاحيّة.

ولكن هذه المعرفة لم تزد على تبادل التحيّة، والالتقاء عرضاً في الطريق، أو في أحد المجالس العامّة أو الخاصة.

وعندما أصدرتُ جريدة «الفجر الصادق» في النجف، وكثر مرتادو مكتب الجريدة وزوّارها، كان السيّد حسين ممّن يزورني غبّاً، مع زميل له يُدعى الشيخ إسماعيل، والذي يشغل اليوم مركز العالم الروحانيّ في جوار حلب، والذي قلّما كان يفترق عن السيّد حسين في الدرس، وفي زيارة الحرم، وفي دخول المآتم الحسينيّة.

فهما صنوان لا يفترقان، يحبّب بعضهما إلى بعض تقارب الآراء، وشظف العيش. فقد كان كلاهما مملقاً، وكان السيّد حسين من أكثر مَن عرفت قناعة وصبراً على المكروه، حتّى لم أره شاكياً ولا مرّة، بعد أن اشتدّت علاقتي به، وحتّى لقد اعتبرتُ حياته مثلاً للمؤمنين الصابرين، الذائبين في الله والراضين بقضائه.

وإنّ مثل هذه الصور من الناس، لتثير في نفسي الفضول، بل الإعجاب،

وتجعل منّي جهازاً كلّ همّه أن يلتقط حتّى الهمسة من الأصوات، بل كثيراً ما ذُبت في الشخص وهو يحدّثني عن حياته، واستبقتُ الحديث وتصوّرته كما لو كنتُ أنا الذي يقصّ القصة، ويتحدّث عن نفسه»(١).

وقال في مورد آخر في ترجمة السيّد حسين الحسينيّ البعلبكيّ:

«والشيخ حسين همدر، هو صهر آل الأمين، فقد تزوّج بشقيقة المجتهد الكبير السيّد محسن الأمين العامليّ، لذلك ارتبطت عائلة السيّد حسين بعلبكيّ من آل الحسينيّ بزواجه بعائلة الأمين وآل همدر، واتّسعت هذه الروابط.

وكانت هذه الروابط بآل الأمين، من دواعي انضمام السيّد حسين البعلبكيّ، إلى الجماعة التي أيّدت الدعوة الإصلاحيّة، التي قام بها السيّد محسن الأمين، الأمر الذي جعل روابط المعرفة بيني وبين السيّد حسين البعلبكيّ تشتدّ وتتوثّق.

ومع ذلك، فلم تكن تلك الروابط بالشدّة التي كانت بيني وبين الآخرين من العامليين، أمثال الشيخ محسن شرارة، أو حسين مروّة، أو محمّد شرارة، ممّن كانوا يتفانون في الدعوة إلى مبادىء السيّد محسن الأمين العامليّ، ذلك لأنّ حماس السيّد حسين البعلبكيّ، لم يبلغ درجةَ حماسنا يومذاك، ومع ذلك فقد كان من هذا الحزب، الذي اطلق عليه اسم «الأمويّين» نكايةً به»(٢).

---

(١) هكذا عرفتهم ٣: ٢٢٩ ـ ٢٣١.

(٢) هكذا عفتهم ٣: ٢٤٥.

فهرس المصادر[*]

(١) إقناع اللائم على إقامة المآتم:

للسيّد محسن الأمين العاملي (ت ١٣٧١ هـ)، مؤسسة المعارف الإسلاميّة، مراجعة وتحقيق محمّد البدري، ١٤١٨ هـ.

(٢) الإمامة والسياسة:

المعروف بـ «تاريخ الخلفاء»، لابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ)، تحقيق علي شيري، منشورات الشريف رضي، قم المقدّسة، ١٤١٣ هـ.

(٣) تذكرة الخواصّ:

لسبط ابن الجوزي يوسف بن قرغلي البغدادي (ت ٦٥٤ هـ)، تحقيق حسين تقي زادة، مركز الطباعة والنشر لأهل البيت عليهم السلام، قم المقدّسة، ١٤٢٦ هـ.

(٤) جمع الجوامع:

(الجامع الكبير في الحديث والجامع الصغير وزوائده)، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ)، تخريج وتعليق وضبط خالد عبد الفتاح شبل، منشورات محمّد عليّ بيضون، لبنان، ١٤٢١ هـ.

(*) نذكر هنا المصادر التي لم نوردها في فهرس المصادر الذي أوردناه في المجلّد السابق، لأننا بدأنا بالعمل بهذا المجلّد بعد إكمال المجلّد التاسع من هذه المجموعة.

(٥) دولة الشجرة الملعونة الشاميّة:

للسيّد محمّد مهدي الموسويّ البصريّ (ت ١٣٥٨ هـ)، مطبعة دار السلام، بغداد، ١٣٤٥ هـ.

(٦) الدولة الأُمويّة في الشام:

لأنيس زكريا النصوليّ (ت ١٣٧٧ هـ)، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢ م.

(٧) الردّ على المتعصب العنيد المانع من ذمّ يزيد:

لابن الجوزيّ عبد الرحمن بن علي بن محمّد (ت ٥٩٧ هـ)، تحقيق الدكتور هيثم عبد السلام محمّد، دار الكتب العلميّة، لبنان، ١٤٢٦ هـ.

(٨) الصواعق المحرقة:

لابن حجر أحمد بن محمّد الهيثميّ (ت ٩٧٣ هـ)، الطبعة الحجريّة، تصحيح محمّد البلبيسي بن محمد، المطبعة الوهبيّة، مصر، ١٢٩٢ هـ.

(٩) كشف الحقّ لغفلة الخلق:

للسيّد مهدي الموسويّ البصريّ (ت ١٣٥٨ هـ)، مطبعة دار السلام، بغداد، ١٣٤٥ هـ.

(١٠) مجلّة العلم:

لمنشئها وصاحب امتيازها السيّد هبة الدين الشهرستانيّ (ت ١٣٨٦ هـ)، نشر مكتبة الروضة الحيدريّة، النجف الأشرف، ١٤٣٠ هـ.

(١١) مقدّمة المجالس الفاخرة في مأتم العترة الطاهرة:

للسيّد عبد الحسين شرف الدين (ت ١٣٧٧ هـ)، تحقيق السيّد نور الدين الميلانيّ (ت ١٤٢٥ هـ)، نشر مركز الحقائق الإسلاميّة، قم المقدّسة، ١٤٣٠ هـ.

(١٢) نقض الوشيعة:

أو «الشيعة بين الحقائق والأوهام»، للسيّد محسن الأمين العامليّ (ت ١٣٧١ هـ)، مؤسسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٣ هـ.

الفهرس

(٤) قطعة من كتاب كشف الحقّ لغفلة الخلق

(٦) علماؤنا والتجاهر بالحقّ

(٧) ما ورد في كتاب «نقض الوشيعة»